الجمـــهوريـــة الجزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



تخصص: آداب المغرب الإسلامي والحضارة المتوسّطية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

الموسومة بـ:

الجوانب الحضاريّة والأدبيّة في عهد المرابطين
- دراسة تاريخيّة وصفيّة -

إعداد الطالبة:

شهرزاد بن عدلة

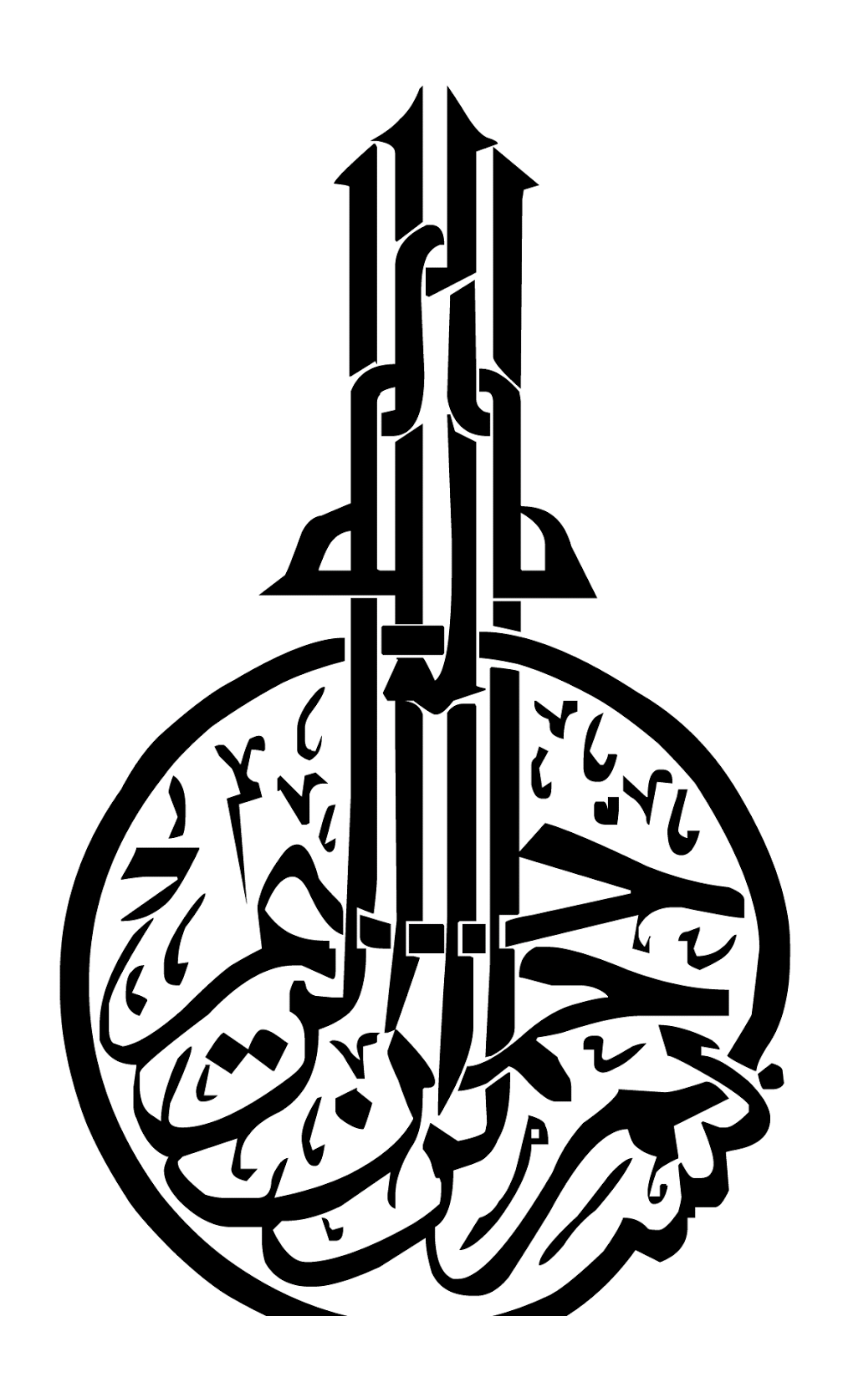
إشراف الأستاذ:

أ.د. محمد مرتاض

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. محمد بن اعمر	أستاذ التعليم العالي	جامعــة تلمســـــان	رئيسا
أ.د. محمد مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعــة تلمســـــان	مشرفا
أ.د. أحمد موساوي	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	عضوا
أ.د. أحمد قيطون	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	عضوا
د. هشام بن سنوسي	أستــــاذ محاضر "أ"	جامعــة تلمســـــان	عضوا

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ/2021-2022م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والديّ الكريمين سرّ وجودي

إلى إخوتي وأخواتي الأحباء سرّ نجاحي

إلى زوجي الكريم وأبنائي سرّ سعادتي

إلى كلّ من مدّ يد لي العون

إليهم جميعا أهدي هذا البحث المتواضع راجية المولى -عزّ وجلّ- أن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

شهرزاد

شكر وعرفان

يطيب لي وأنا بصدد إنجاز هذا البحث المتواضع أن أتقدم بشكري وتقديري وامتناني لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور "محمد مرتاض" الذي لم يأل جهدا في تقديم يد العَون والنّصح والإرشاد لاستكمال هذا البحث ،سائلة المولى – عزّ وجل – أن يحفظه ويرعاه، ذخرا للناهلين من بحور العربية ،والباحثين عن مكتنزاتها .

كما أتقدّم بخالص الشكر والتقدير سلفا لأعضاء لجنة المناقشة الموَقَرين لتحملهم عناء ومشقة قراءة هذا العمل وتمحيصه ،وتقديم الملاحظات والتوجيهات الدقيقة ليبلغ إلى مستوى البحث العلمي المطلوب.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

سورة آل عمران الآية 200.

مقدمة

مقدّمة

يتناول موضوع هذا البحث الجوانب الحضاريّة والأدبيّة في عهد المرابطين الّذين امتدّت عهدتهم من (448هـ إلى 541هـ) أي ما يقارب قرنا من الزّمن استطاعت من خلالها طرق أبواب الحضارة العربيّة الإسلاميّة ؛وقد تمكّنت بفضل اتّباع تعاليم الدّين الحنيف وما أضفاه عليها من صبغة خاصّة أن تحلق في مشارق الأرض ومغاربها ؛ فكانت دولة مجاهدة عظيمة استطاعت أن ترسي أقدامها بعدوة المغرب وتثبت اسمها عاليا بالأندلس، حيث تمكّنت من نشر رايات الإسلام في ربوع السّودان، وهذّبت خشونة القبائل البربرية الهمجيّة بفضل الثّقافة الإسلاميّة، وسرعان ما طفقت تشقّ طريقها قُدما نحو الشّمال ،فاقتحمت ميدان المغرب والأندلس بفضل معركة الجهاد ،وأنقذت الإسلام ممّا كان يوشك أن يتردّى فيه بمعركة الزّلاقة، وقاومت الممالك المسيحيّة فكسرت شوكتهم بعدما تصدّت لعدوانهم وفصمت رجاءهم وأملهم في الفردوس المفقود ردحا من الزّمن بفضل أبطال المرابطين الّذين رووا الأندلس بدمائهم وفرسانهم وأرست أقدامهم على أديمها بما أنجزوه مادّيا ومعنويّا خلّدت أعلامها بحروف من ذهب لا تمّحي ،ويعدّ الأدب أحد أهمّ تلك الآثار الّتي خلّفها هذا العهد لكونه المعيار الهامّ والملموس في الحكم على حضارة الأمم، وفكرها

لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع من وحي الصّدفة بل كان إملاءً لرغبة شخصيّة جامحة تمثّلت في الإعجاب بدولة المرابطين الّتي لم تعمّر طويلا لكنّها خلّفت إنجازات لا تزال شاهدة على علوّ شأنها وسموّ مكانها، ومحاولة منّا للإسهام — ولو بالنّزر القليل – في إثراء التّراث المغاربي ،وبعثه من جديد للأجيال اللاّحقة فالعبء كبير في إحياء تراث أمّة ما، ويكون على كاهل أبنائها بالدّرجة الأولى بحكم انتمائهم إليها وعيشهم في كنفها، وهو ما يمكّن من سبر أغوارها وتوجّس أحوالها وخصوصيّتها بأسهل السّبل بأقرب الطّرق، وذلك بفضل زيارة آثارها وقراءة أخبارها والاحتكاك بالمكتبات الّتي تجمع أحداثها وتخلّد حضارتها وإنجازاتها، وقد كان أملنا كبيرا في أن نوفَّق إلى إبراز

إنجازات أسلافنا الحضاريّة والأدبيّة فاهتدينا إلى عنوان بحثنا الموسوم :" الجوانب الحضاريّة والأدبيّة في عهد المرابطين دراسة – تاريخيّة وصفيّة – وذلك بتوجيه من أستاذي المشرف فله عظيم الشّرف والتّقدير وقد سعيْنا بواسطة هذا البحث إلى الإجابة عن مجموعة من الإشكالات ؛نذكر منها :

- ما طبيعة الموروث الحضاري والإنجاز الثّقافي الّذي خلّفه المرابطون؟
- ما أهمّ الأغراض الشّعريّة والفنون النّثريّة الّتي قامت في كنف دولة المرابطين؟ وأيّهما كان أقدر على تصوير واقع المرابطين؛ الشّعر أم النّثر؟
- هل استطاع أدب المرابطين أن يواكب عظمة الحضارة الّتي شهدها هذا العهد؟
- هل تمكن النّتاج الحضاري والأدبي من تقديم إضافة مثمرة إلى الحضارة العربيّة والإسلاميّة؟

ولأنّه لا يمكن لأيّ عمل أدبي أن يُبنى من فراغ، فقد اعتمدت في بحثي على مجموعة من المصادر، واستعنت بعدد لا بأس به من المراجع؛ فمن المصادر

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (ت 559هـ) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس (ت765هـ) والمعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي(ت 647هـ) والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى، ابن سعيد المراكشي(ت 695هـ)وصلة الصلّة :لابن الزبير المعروف بابن بشكوال (ت 708هـ) والإحاطة لابن الخطيب (ت 776هـ)حيث أنّ الدّارس للتّاريخ في الأندلس وحضارته لا يمكنه الاستغناء عن الإحاطة في أخبار غرناطة" ،وأعمال الأعلام وتاريخ ابن خلدون (ت808هـ) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب للمقري (ت 986هـ).

ومن الكتب الحديثة: كتاب الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والوحدين "لحسن علي حسن، والأندلس في نهاية المرابطين ومستهلّ الموحّدين لعصمت عبد اللّطيف دندش، والشّعر في عصر المرابطين " لمحمد مجيد سعيد ،والتّاريخ السّياسي

والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين لحمدي عبد المنعم محمد حسن وغيرها من المؤلفات.

هذا، وقد واجهتنا مجموعة من الصّعوبات في هذا البحث ،ومن أهمّمها :طبيعة الموضوع المتشعّبة؛ فهي تجمع بين الأدب بشقّيه الشّعري والنّثري ،وكذا مظاهر الحضارة المختلفة في عدوتي المغرب والأندلس خلال قرن من الزّمن، فضلا عن تداخل العصر بين فترتين متباينتين عهد ملوك الطوائف وعصر الموحّدين، ناهيك من تداخل العديد من مجالات العلوم على غرار علم الكلام والفلسفة والتّصوّف؛ وما لها من تأثير في تشتيت الذّهن ،إلى جانب التّباين في نسبة العديد من الأشعار لأصحابها الحقيقيّين نظرا لضياع العديد من أمّهات الكتب التّراثيّة والدّواوين بالإضافة إلى عدم ضبط الأبيات الشّعرية بالشّكل؛ ناهيك عن اختلاف الكلمات في الأبيات من مصدر لآخر، وهو ما أرّق سبر أغوار المعاني وذلك يعود حتما لقلّة الاهتمام بالكنز المغاربي، وقد حاولنا جهد المقلّ شكلَها ،وقد طال الاختلاف تواريخ ميلاد ووفيات العلماء والأدباء، وقد سبب ذلك خلطا بين الانتساب للعهد السّابق واللاّحق، وهو ما كان له تأثير كبير في الحسم بشأن اعتماد النّصوص أو التّغاضي عنها ،كما كان لرحلاتهم وتنقّلاتهم بين العدوتين وصوب المشرق والحجاز دور بالغ في طبيعة المادّة الّتي اشتمل عليها البحث؛ حيث اقتصرنا في غالبه وإن لم أقلّ كلّه على ما كان إبداعه يتوسّط العهد في المغرب والأندلس دون إغفال دور تلك المؤثّرات الخارجيّة على تطوّر العلوم والفنون في تلك الحقبة .

وقصد الإلمام بشتات الموضوع، استعنّا بخطّة بحث تمثّلت في مقدّمة وأربعة فصول مذيّلة بخاتمة، وبقائمة للمصادر والمراجع وفهرس للموادّ.

فأفردنا الفصل الأوّل للنّبذة التاريخية على عهد المرابطين، حيث استفتحناه بالحديث عن الحالة السّياسية الّتي أحاطت بالمرابطين منذ قيامها معرّجين على أهمّ الأحداث والوقائع الّتي صاحبتها حتّى الانهيار، ثم انتقلنا للحديث عن الحالة الاجتماعية والفكرية على هذا العهد مبرزين دور الحكّام في تغيير الأحداث وانعكاسات ذلك المجتمع والإنسانيّة.

بينما تناولنا في الفصل الثاني أهم الجوانب الحضارية التي طبعت عهد المرابطين حتى مكنته من ولوج الحضارة من بابها الواسع، وأشرنا إلى أهمّ العلوم الّتي أعلت قدر الدّولة وبنت صرحها عاليا.

وأمّا الفصل الثّالث فخصّصناه لأهمّ الأغراض الشّعرية الّتي شهدت رواجا على هذا العهد، مقدّمين أمثلة عن المضامين الّتي جادت بها قرائحهم.

ووقفنا في الفصل الرابع عند أهمّ الفنون النّثرية التي أُلّفت في ذلك العهد بغية إبراز مميزاتها وخصائصها.

وأمّا الخاتمة فقد تضمّنت مجموعة استنتاجات توصّلنا إليها انطلاقا من فصول البحث وقضاياه.

وإذا كان لكل بحث منهج يحدد عناصره، ويوضّح محاوره، فإنّ بحثنا هذا أيضا اعتمد على مجموعة من المناهج اقتضتها طبيعة الموضوع حيث استعنّا بالمنهج التّاريخي عند الوقوف على أهمّ الأحداث التّاريخية ،كما وظّفنا المنهج الفنيّ عند قراءة النّماذج الأدبيّة ،فضلا عن آليات التّحليل والتّفسير والاستنتاج عند الشّرح والتّبسيط في فهم النّصوص الشّعرية أو النّثرية .

وأخيرا أوّد أن أتقدم بأسمى عبارات التّقدير والشّكر والتّبجيل إلى أستاذنا الكريم المشرف الأستاذ الدكتور محمد مرتاض على تخصيصه الكثير من وقته – على كثرة انشغالاته ومسؤوليّاته – لمتابعة هذا البحث، وتصويبه القويم حتّى خرج في الصّورة التّي بين يدي القارئ، وإفادته لنا بخبرته الطّويلة في هذا المجال ،كما لا يفوتنا أن نشكر لجنة المناقشة الموقرة – مسبقا- لتجشّمها عناء قراءة هذا البحث ومناقشته.

تلمسان في 16 شوال 1443هـ - 17ماي 2022م

بن عدلة شهرزاد

الفصل الأوّل

نبذة تاريخيّة على العهد المرابطي

العالم الإسلامي في النّصف الثّاني من القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي:

1-الجوانب السّياسية للعصر:

شهدت الدّولة الإسلامية الّتي ترامت أطرافُها عدّة تغيّرات مسّت سياستها، وزعزعت أمنها أهّمها المناوشات الّتي حدثت بين طائفتي السّنة والشّيعة – منذ القرن الأوّل هجري[1] – فانبجس عنها انفصام عروتها إلى دولة عبّاسية ببغداد كدّر صفوها تكالب المطامع بغية النّيل منها [2] ، وفاطميّة بمصر[3]، وعُدُوتي[4] دول المغرب[5] وملوك الطّوائف بالأندلس[6]، وتجرعّت الفتن، ولاكت خسائر الحروب في الشّام وبغداد، كما

1- ينظر: الشّيعة والسّنة، إحسان اللّهي ظهير، إدارة ترجمان السّنّة ،مطبعة معارف لاهور ،الطّبعة الثّالثة،1972م،ص24.

2- ينظر: الكامل في التّاريخ، عزالدّين بن الأثير، راجعه وصحّحه محمد يوسف الدّقّاق ،دار الكتب العلميّة ، الطبعة الرّابعة، ،2003م، المجلد التاسع/ ص630.

3- ينظر تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام ،محمد سهيل طقوش ،دار النّفائس ،لبنان ،ط2، 2007م.

4- العُدُوة بضم العين والدّال لغة :عدّى فلان عن الأمر أي خلاّه، وانصرف عنه ينظر المعجم الوسيط ،دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ،لبنان ،/ ج2،ص 592.

5- ينظر ن.م ،ص 19.ويقصد بهما المغرب والأندلس ،ينظر مذكرة التخرج لنيل الدّكتوراه ،المعنونة العدوة الأندلسية ، منذ عصور ملوك الأندلس –دراسة سياسية حضارية – إبراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي ،جامعة أم القرى ،كلية الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ،المملكة العربيّة السّعودية ،ص 20.

6- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، أمين توفيق الطيّبي، دار المهتدين للكتاب، ليبيا–تونس ،دط، 1984م ،ص165.

استطاع الصّليبيون الاستيلاء على بيت المقدس، واستباحوا حرمات المسلمين وأرهقوا دماءهم<<... ونجحوا في إقامة مملكة لهم في بيت المقدس، فضلا عن إمارات أخرى في الرّها[1] ، وطرابلس[2] ، وأخذوا يمكّنون لأنفسهم عن طريق بناء عشرات القلاع والحصون، ويستولون على المدن والموانئ، ويكيلون الضّربات تلو الضّربات للجزيرة الفراتيّة...>>[3]

أ. الأندلس في عهد ملوك الطّوائف:

فُطِر الأندلس إلى ما يفوق عشرين إمارة – بعد زوال الدّولة الأمويّة – عُرفوا بملوك الطّوائف، كان أعظمها وأشهرها بنو العبّاد الّذين حكموا إشبيليّة ، وقرطبة[4]ودام حُكمُهم سبعين عاما من أبرز حكّامهم: المعتمد بن عبّاد [5] الّذي أبلى بلاء حسنا في

1- الرّها: إقليم يمتدّ عبر شمال شرق سوريا، وشمال غرب تركيا ،وجنوب شرق تركيا وهي الجزء الشّمالي من وادي الرّافدين .يحدّها من الشّرق جبال زاغروس؛ ومن الشّمال جبال طروس،وأولى الجنوب بادية الشام ومنخفضات الثّرثار ينظر معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي .الرّومي البغدادي، دار صادر بيروت ،1977م، دط /ج3،ص107.

2 – طرابلس: هي في الإقليم الرّابع ،طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ،وعرضها أربعة وثلاثون درجة، م ن، ج 4/ص 26.

3- دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين –دراسة سياسية حضارية، سلامة محمد سليمان الهدفي، دار النّدوة، (د ط)،1985م، ص36.

4 – ينظر: كتاب المعتمد بن عباد، عبد الوهاب بن عزّام، دار كلمات التّرجمة والنّشر، القاهرة،د. ط ،2013، ص11.

5. ينظر: كتاب المعتمد بن عباد، ص 8- كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لـ عبد الواحد المراكشي ،تحقيق محمد سعيد العريان، الكتاب الثّالث، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة ،لجنة التّراث الإسلامي القاهرة 1963م ،ص 189.

الجهاد، وذاع صيته في الجود، واحتلّ مكانة مرموقة في الأدب، **<<**وله شعر كثير برّز في أكثره وأجاد ما أراد، في أضعاف أخباره ما يشهد له بالتّبريز عند ذوي التّمييز**>>**[1].

ولا ننسى عبد الله بن بُلُكّين بن باديس آخر ملوك غرناطة من الدّولة الصّنهاجية[2]، صاحب كتاب التّبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة <<تكلّم كثيرا في أمر المرابطين في مؤلّفه الّذي عدّ من مذكراته كتبه في منفاه بالمغرب>>[3]

و لقد عبّر الدّارسون عن تشتّت ملوك الطّوائف؛ فقال أحدهم:**<<**... وذهب أهل الأندلس من الانشقاق والافتراق... وليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة نسب ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار، وجنّدوا الجنود وقدّموا القضاة وانتحلوا الألقاب...ودوّنت بأسمائهم الدّواوين وشهدت بوجوب حقّهم الشّهود ووقفت بأبوابهم العلماء... من معتمد ومعتضد مرتضى وموفّق ومستكفٍ ومستظهر و مستعين ومنصور وناصر ومتوكّل...>>[4] إنّما أدرجنا القول حتّى نبيّن

---

1 عبد الواحد المراكشي، م ن ، ص160 .

2 – صنهاجة :هم من قبائل البربر سكنوا الإقليم الثّالث من جهة الشّمال يفصل فيها ابن خلدون في ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ،مراجعة خليل شحاذة و سهيل زكار، بيروت لبنان، دار الفكر للطّباعة 2001 م /ج 1، ص 75.

3 – الأمير عبد الله بن بلكين، التّبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ،تحرير علي عمر ،مكتبة الثّقافة الدّينية ، القاهرة ،ط 1، 2006م ص 6.

4 – مؤرخ أندلسي متأخّر نقلا عن د. مصطفى بن يوسف في أطروحة دكتوراه دولة في الأدب الأندلسي تحت إشراف د الشيخ بوقربة، والمعنونة: شعر النّكبة في عصر الطّوائف والمرابطين فنونه ومقاصده ، جامعة وهران ، 2004م-2005م، ص9.

الحالة المزرية الّتي وصل إليها ملوك الطّوائف ونلمسهم أنّهم استوحوا الأسماء من الحكّام العبّاسيّين من مستكف ومستظهر وغيرهم...

ولقد عبّر عنهم الشّاعر أبو الحسن بن رشيق القيرواني[1] في قوله:

مِمَّا يُزْهِدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَسْمَاءُ مُعْتَضِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِدِ

أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهِرِّ يَحْكِي انتِفَاخًا صُورةَ الأَسَدِ 2

وقد كثُر عدد هذه الدّول حيثُ أوردت المصادر ما يزيد عن عشرين دويْلة لا يتّسع المجال لتفصيل القول في أحوالها[3] تمزّقت إلى إمارات صغيرة في الوقت الّذي وحّد فيه ألفونس السّادس[4] استورياس و ليون و قشتالة (castile) المدينة الإسبانية تقع شمال طليطلة وجنوب شقوبية أي خلف جبال الشّرات ، تزعّمت حركة الاسترداد النّصرانية[5]

1 – ابن الكردبوس تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبّادي، معهد الدّراسات الإسلاميّة مدريد،1971م،ص 83.

2 – لسان الدّين بن الخطيب ،أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسل، دار المكشوف، الطّبعة الثّانية بيروت لبنان آذار1956 ،ص9.

3 – لمزيد من التّفاصيل يرجى العودة إلى: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التّأليف والترّجمة والنّشر ، القاهرة الطبعة الأولى ،1960م ،ص155.

4- امحمد بن عبود ،مباحث في التّاريخ الأندلسي ومصادره ،مطبعة عكّاظ الرّباط 1989م ،ص139.

5 –الحميري محمد بن عبد الله ، الرّوض المعطار في خبر الأقطار،:نشر وتصحيح ليفي بروفانسال، دار الجيل بيروت ،لبنان،، ط2، 1988م ص 161.

ويذكر المستشرق ستانلي لين بول في تصوير ملوك الطّوائف <<..قد عَرف ألفونس ما يجب أن يفعله تمام المعرفة؛ فقد رأى أنّه لم يكن عليه إلاّ أن يمدّ حبله لملوك الطوائف مدّا كافيا ليشنقوا به أنفسهم لأنّ هؤلاء الجهلة لم ينظروا في العواقب ولم يعنوا إلاّ بأنفسهم ، ولم يتركوا جهدا دون أن يبذلوه لإضعاف منافسهم وكانوا يجثون عند قدمي ألفونس لاستجداء معاونته كلّما ضعفوا عن مقاومة إخوانهم المسلمين>>[1]

وأمّا صاحب الحلل الموشية فيصّرح قائلا: << استلم مسلموطليطلة لألفونسو السّادس[2] ، ملك قشتالة[3] وليون سنة 478هـ/ 6 ماي 1085م...وبدأ ألفونسو السّادس –الّذي شعر بأنّ القوى في شبه الجزيرة الأيبيرية قد تغيّر تغيّرا حاسما – يستخدم لقبه الإمبراطوري في عدّة أشكال، فكان احتلال المدينة وضواحيها حدثا ذا أهمّية بالغة، وقد طمع في أن يحتلّ الجزيرة كلّها بعد احتلال طليطلة[4] فبعث للمعتمد ابن عبّاد يطلب منه تسليم أعماله...>> [5]

---

1 –استانلي لين بول ، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة علي الجارم بك ،كلمات عربية للتّرجمة والنّشر ،مصر القاهرة 1944م – ص152-154

2– الملك ألفونس6 سمّي الأدفنش ينظر كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي ،ص 192.

3 – – قشتالة إقليم عظيم بالأندلس هو اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الإفرنج ،شهاب الدّين البغدادي، معجم البلدان ج4/ص 352

4 –طليطلة : مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتّصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الرّوم وبين الجوف والشّرق من قرطبة ،كانت قاعدة ملوك القرطبيين ،ينظر معجم البلدان ،البغدادي ج 4 / ص 39

5– المؤلف مجهول أندلسي في القرن الثامن هـ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،دار الرّشاد الحديثة ،الدّار البيضاء ،ط1 ،1979م ،ص 40.

نلمس من القوليْن انصياع المسلمين لملك قشتالة بعدما قويت شوكته، واستنسر بأرض المسلمين بعدما تفرّقوا وبغثوا، ولاغرو أن تكون عوامل أخرى تحكّمت في ذلك حتى ذهبت ريحهم وفشلوا.

ودارت رسائل عديدة ذكرت في الحلل الموشيةّ عبّرت في جلّها عن عجرفة ألفونس السّادس تعلوها نبرة التّهديد والوعيد بعدما تبوّأ الرّيادة وحاز شرف السّيادة خاصّة بعد الإتاوات الكبيرة الّتي كان يتقاضاها من لدن الحكّام استئمانا من الغزو منها قوله: <<...من الكنبيطور ، ذي الملّتين الملك المفضّل الأدفنش ، بن شانجه من ملك شرفته القنا ونبتت في ربعه المنى فاعتزّ اعتزاز الرّمح بعامله والسّيف بساعد حامله ، وقد أبصرتم ماحلّ بطليطلة وأقطارها وما صار بأهلها حين حصارها فأسلمتم إخوانكم وعطلتم بالدّعة زمانكم والحذر من أيقظ باله، قبل الوقوع في الحبالة ولولا عهد سلف بيننا ، نحفظ ذمامه ونسعى بنور الوفاء أمامه لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ووصل رسول الغزو لكن الإنذار يقطع الأعذار ولا يعجل إلاّ من يخاف الفوت فيما يرومه[1]...>>

و بعدما وصلت هذه الرسالة إلى المعتمد بن عبّاد ثارت ثائرته وردّ بنغمة تعود لشخصيّة الرّجل الأبيّ الّذي لا يرضى بالذلّ ولا يخنع على الرّغم من أفول نجمه:

الذُلُّ تَأْبَاهُ ٱلكِـرَامُ وَدِيــنُـنَا ... لَـكَ مَا نَدِينُ بِـهِ مِنَ ٱلبَـأْسَاءِ

سُمْنَاكَ سُلَّمًا مَا أَرَدْتَ وبَعْدَ ذَا ... نَغْزُوكَ فِي ٱلإِصْبَاحِ وَالإِمْسَاءِ

اللهُ أعْــلَى مِـنْ صَلِيبِكَ فَادْرَعْ ... لِكَتِيبَةٍ حَــطَّمَتْكَ فِي الهَيْـجَاءِ

سوْدَاءُ غابَتْ شَمْسُهَا فِي غَيْمِهَا ... فَجَــرَتْ مَدَامِعُهَا بِفيْضِ دِمَاءِ

1- الحلل الموشية /م 39.

وَمَا بَيْنَــنَا إِلَّا النّـزَالُ وَفِـتْـنَـةٌ قَدَحَتْ زِنادَ الصَّبْرِ فِي الغَمَاءِ
فَلْتُقْـــدِّمَنَّ إِذَا لَقِـــيتَ أَمْنَةً زَرْقَا تَرَى بِالْوَجْنَةِ الوَجْنــاءِ[1]

فشيم المعتمد الشّجاعة والبأس والأنفة والشّموخ بالرّغم من رجحان كفّة العدوّ إلاّ أنّ السّمات العربيّة القحّة طفت على هذه الأبيات المؤثّرة إذ يشير أنّه نهل من صفات الدّين الحنيف المعروف بالشّجاعة والبسالة وجرته أن ينازل العدوّ ليل نهار بعدما أعطاه قيمة غير الّتي يستحقّها وفجّرت صمام الصّبر ليعلن النّزال ويبدّل الأمن اضطرابا، والسّلم حربا ضارية تُرى ألسنتها من بعيد، وزاد عن ذلك بعبارات مؤثّرة فصّلت في الحلل الموشية نستقي منها قوله: <<...ليس ولا تستحي أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك. اغتررت بنفسك أشدّ الاغترار، أما تعلم أنا في العدد والعديد ، والنّظر السّديد، ولدينا من كماة الفرسان ، وحيل الإنسان وحماة الشّجعان يوم يلتقي الجمعان، رجال تذرّعوا الصّبر، وكرهوا الكبر تسيل نفوسهم على حدّ الشّفار وتنعاهم الهام في القفار يديرون رحى المنون بحركات العزائم ...قد أعدّوا لك ولقومك جلاّدا ...متى كانت لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صاعدة أو وقفة متساعدة إلاّ ذلّ تعلّم مقداره وتحقّق مثاره والحمد لله ألّذي جعل عقوبتنا توبيخك، وتقريعك بما الموت دونه، وبالله نستعين عليك، ولا نستبطئ في مسيرتنا إليك والله ينصر دينه الكريم- ولو كره الكافرون->>[2].

1- م ن ، ص 39.

2- مؤلف مجهول:الحلل الموشية ، ص 41-42.

الكلام له وزنه، يقع وقع النّبال في الوغى، يعبّر عن كبرياء ونخوة العربي بعدما مسّت كرامته.

ولقد سادت العداوة والتّفرقة ملوك الطّوائف، جيوشُهم كانت وهنة لأنّهم أهملوها ما يقرب من تسعين سنة فبدل تكوين جيش متين الدّعائم، بادروا لدفع الأموال الطّائلة للجزية، وكانوا – في الواقع – يساهمون بالقدر الكبير في مضاعفة خطر ألفونسو لدولهم كنار تلتهم الحطب لتخبو وتشتعل ، فبادروا باللّجوء إلى يوسف بن تاشفين، وقد عبّر عنه المعتمد بن عبّاد بقوله: << إنّ الّلعين أذفنش قد أخذ طليطلة من يد بن ذي النون بعد سنة سبع وسبعين ، وعادت دار كفر، وها هو قد رفع رأسه إلينا وإن نزل هنا بكلكله ...ليأخذ إشبيلية ، ونرى من الرّأي أن نبعث إلى... –يوسف بن تاشفين –، ملك العدوة، نستدعيه للجواز ليدفع عناّ هذا الكلب الّلعين... ، وحِرْز الجمال – والله – خير عندي من حرْز الخنازير إنّ الله لم يلهمني هذا إلاّ وفيه خير وصلاح لنا ولكافة المسلمين...>>[1]

وكتب فعلا رسالة يستنجد فيها بيوسف بن تاشفين[2] فقال<<... إنّا نحن العرب في الأندلس، قد تلفت قبائلنا وتفرّق جمعنا...وصرنا شعوبا لا قبائل، وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر...وتوالى علينا هذا العدوّ المجرم اللّعين أذفنش ... أسر المسلمين وأخذ القلاع والحصون...فالهوان منع أهل الأندلس من نصرة بعضنا انقطعت الآمال، وأنت –أيّدك الله– ملك المغرب ...أستغيث بحرمكم لتجوزوا لجهاد هذا العدوّ الكافر وتحيوا شريعة

1- مجهول، الحلل الموشية، ص 44.-45.

2- من أبرز حكّام المرابطين –سنتحدّث عنه لاحقا

الإسلام، ولكم عند الله الثّواب العظيم...>>[1] نلمس من الرّسالة قوة الإقناع وعذب الكلام ينمّ عن حنكة المعتمد مع غيره جعلته يحقق مراده في جلب يوسف بن تاشفين لصفّه.

ويذكّرنا حال الوهن الّذي أصاب ملوك الطّوائف بالآية الكريمة من سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (46)وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ واصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرِينَ (47) وَلاَ تَكُونوُا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلوُنَ مُحِيطٌ (48)﴾[2] ويبدو أنّ فكرة الجواز إلى الأندلس كانت تراود يوسف بن تاشفين لجهاد النّصارى فقد ذكر الحميري أنّه طلب من صاحب سبتة[3] يحيى البرغواطي[4] الإذن لجيوشه في العبور قصد الغزو ونصرة أهل الأندلس[5] ؛فقد كانوا يرون أن تكون

---

[1] – مجهول، الحلل الموشية ، ص 45.-46.

- –الآيات 46–48 من سورة الأنفال رواية ورش عن نافع.

[3] – سبتة ، بلدة مشهورة من بلاد المغرب ،أجود مرسى على البحر على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزّقاق تشبه المهدية ضاربة بالبحر داخلة كدخول الكفّ على الزّند ،بينها وبين فاس خمسة ليال ،ينظر تعريفها المفصل في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي: مجلد3/،باب السين، ص 183 .

[4] – حكم البرغواطيّون طنجة وسبتة منذ 453هـ وانتهى حكمهم على يد المرابطين سنة 470هـ

[5]– الحميري ، الرّوض المعطار ،ص86.ص127.

قاعدة انطلاقهم بالأندلس مدينة الجزيرة الخضراء(Algeciras)[1] — وذلك نزولا عند نصيحة وزير ابن تاشفين عبد الرحمن بن الأسبط– في وقت كان ابن عبّاد يطلب أن يكون هذا الدور لجبل طارق(Gibraltar)، وقد انتهت المفاوضات إلى اختيار الجزيرة الخضراء كقاعدة لنزول قوات المرابطين بها[2]، وقد كان ابن تاشفين يهدف من إبقائها تحت قبضته أن تكون قاعدة ثابتة له بالأندلس يسهل اجتيازها أنّى شاء والعدوّ لازال يتحيّن الفرصة لإطفاء غليل الهزيمة متى لاحت الفرصة، وبالفعل كان العبور مرّتين ثانية —كما سنشير إلى ذلك في أوانه–. فمن هم المرابطون وكيف كانت بدايتهم؟

في الثّلث الأوّل من القرن الخامس الهجري شهد المغرب الأقصى حركة دينيّة مثّلها المرابطون[3] وسمّوا (بالمرابطين) لملازمتهم الثّغور لدفع الأعداء، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونْ[4]﴾، وذكر الدّارسون أنّ << أصل المرابطين هو الرّباط؛ وهو المكان الّذي تجتمع فيه خيل المسلمين لمحاربة العدوّ، ومنها جاءت كلمة مرابط أي ملازم للمكان، ويجمع الرّباط بين الصّفتين الحربيّة

---

[1] – هي مدينة مشهورة بالأندلس ،وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة ،أعمالها متصلة بأعمال شذونة وهي شرقي شذونة وغربي قرطبة ،مدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضا سورها يضرب به ماء البحر ولا يحيط بها، مرساها من أجود المراسي ينظر معجم البلدان ،الحميري ،ج/2ص 136.

[2] –الحلّة السّيراء، ابن الأبّار أبو عبد الله القضاعي، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1963م /ج 2 ص 99- 100./،الحميري :الروض المعطار ،ص85-86./ ابن الكردبوس:تاريخ الأندلس ص 83-84./ابن عذارى : البيان المغرب ج3- ص 239.

[3] – محمد مجيد السّعيد، الشّعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، دار الراية، الأردن ،ط3، 2008م،ص19.

[4] – الآية 200 من سورة آل عمران، رواية ورش عن نافع.

والدّينية، لأنّه يمثّل أيضا المكان الّذي يجتمع فيه نفر من المسلمين للتفرّغ للعبادة والجهاد في سبيل الله ضدّ أعداء الدّين؛ يتكوّن الرّباط في الإسلام عادة من صحن تحيط به غرف انفراديّة، ويتقدّمه مسجد صغير تعلوه مئذنة تستعمل للأغراض الدّينية والحربية كمراقبة السّواحل وتوصيل الإشارات الضّوئية أثناء اللّيل[1]>>، وقيل لملازمتهم رابطة الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي[2] الرّجل التقيّ الورع، الفقيه الحذق ،مؤسّس[3]حركة المرابطين، كما عُرفوا بالملثّمين[4]، وقد اختلفت الرّوايات حول هذا اللّثام الّذي يغطّون به الجزء السّفلي من وجوههم بلثام داكن اللّون لمقاومة طبيعة الصّحراء القاسية ؛فاتّخذوه عادة من لدن الملثّمين أنفسهم فقيل: كانوا يتلثّمون من الحرّ و القرّ–كما يفعل العرب– أو أنّهم يتّخذون في أعراسهم نوعا خاصّا من الحجاب. [5]، وممّا قيل في اللّثام:

قَوْمٌ لَهُمْ دَرْكُ العُلاَ مِنْ حِمْيَرٍ   وإنْ انْتَمَوْا صِنْهَاجَةً فهُمُ هُمُ

---

1 – السّيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج 2، الدّار القومية للطّباعة والنشر، الإسكندرية، د ط، 1966م، ص 694.

2– بوزياني الدراجي ،القبائل الأمازيغية ،دار الكتاب ،الجزائر ،2007، ج 2، ص8 ، وينظر الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،ج2 أحمد النّاصري أبو العباس: تحقيق جعفر ومحمّد النّاصري دار الكتاب الدّار البيضاء 1984م–ص66.

3–ينظر: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ،وتاريخ مدينة فاس علي بن أبي الزّرع الفاسي، دار المنصور ،الرّباط ،1972م، ص 130.

4– عبد الرحمن بن خلدون ، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وما عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"– وضع الحواشي ،خليل شحادة ، وراجعه : سهيل زكار ،دار الفكر ،لبنان ،ج 6 /241 .

5 – ابن خلكان : وفيات الأعيان وأبناء الزمان ،تحقيق إحسان عباس ،مج 7دار صادر – ،بيروت ،1994/ص 130

لما حَوَوْا إحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمُ فَتَلَثَّمُـوا[1]

يشير القائل إلى أصل ونسب الملثّمين العربيّ القحّ الّذي ينتسب إلى قبيلة حِمْيَر فهذه القبيلة تفرّعت عن اليمن في تاريخ غير مضبوط واتّجهت نحو إفريقيا منتشرة من غدامس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن جبال درن شمالا إلى تخوم السّودان جنوبا[2]، وقد غلب على الملثّمين الحياء ؛فتلثّموا ، ولا تزال ظاهرة اللّثام –إلى حدّ الآن– عند قبائل الطّوارق في صحراء شنقيط موريتانيا حاليا إحدى قبائل الملثّمين[3].

وأمّا عن تاريخ بداية المرابطين؛ فقد تضاربت الرّوايات في تحديد تاريخ فتح المغرب من لدن المرابطين ربّما لأنّ المؤرخين لم يدوّنوا أخبار هذه المرحلة إلاّ بعد قيامها أو إتمام ذلك ولاشكّ في أنّ السّبب راجع إلى الفترة العصيبة الّتي غيّبت التّدوين والتّأريخ آنذاك؛ فالأساس كان فتح المناطق والصّراع مع القبائل والنّصارى لاسترداد ما نُهب .يقول ابن عذارى :<<يحيى بن إبراهيم من جدالة اجتاز سنة أربعين وأربعمائة إلى وطن المغرب، فحضر المجلس الفقهي ...>>.[4]

1- ينظر النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ،حركات إبراهيم ط1- (د.ت) ص 8

[2] -ينظر في الكامل في التاريخ لابن أثير مراجعة محمد يوسف الدقاق ،المجلد8، دار الكتاب الحديث القاهرة 1998ص 327-328

.[3] – ينظر موسوعة حياة موريتانيا ج1–المختار بن حامد ، التاريخ السياسي ،(د.ط) ،(د.ت) ، ص 21

[4] – أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى(ت 716هـ)البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، دار الغرب تونس ط 1، 2013م ، ج 3/ ص 5.

وأمّا ابن الأثير فيقول :<< في سنة 448هـ كان ابتداء أمر الملثّمين>>[1] ويشير أبو الفدا أنّ الملثّمين ظهروا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وكان مسيرهم من اليمن>>[2] و في نهاية الأرب فنجد المؤلّف يصرّح قائلا:<<أنّ رجلا من قبيلة جدالة من كبرائهم اسمه الجوهر أتى من الصّحراء إلى بلاد المغرب والقيروان، وذلك في عشر الخمسين وأربعمائة>>.[3]

وذكر ابن خلدون أن فتح المغرب بدأ عام 445هـ واستمرّ سيرهم عبر الواحات خمسة أعوام[4]، وعلى الرغم من هذا الاختلاف في تحديد بداية المرابطين يدور العجلة أربعمائة وأربعين ونيّف .

ب.التركيبة البشرية للمجتمع المرابطي:

إنّ المتتبّع للتّركيبة البشرية للمجتمع المرابطي يجدها كشكولا من الأجناس البشرية مختلفة الدّين والعرق واللّغة انضوت تحت لواء المرابطين ضاعت أهمّ كتب نسابة المغاربة

---

[1] – أبو الحسن علي بن الكرم عزّ الدّين ابن الأثير: الكامل في التّاريخ (ت 630هـ)، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1987م. ج8/، 327.

[2] – عماد الدّين إسماعيل أبي الفداء (ت 732هـ)، المختصر في أخبار البشر، الحسينية مصر، ط 1، (د ت)، ج2/ ص 174.

[3] –أحمد بن عبد الوهّاب النّويري شهاب الدّين، نهاية الأرب في فنون الأدب (ت 733 هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م ج 24/ ص 139.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون ديوان المبتدأ والخبر، ج 6، ص244.

أمثال هانئ بن بكور الكومي وسابق بن سليمان المطماطي ، وأيّوب بن أبي زيد وغيرهم كثير[1]

وقد تجلّت خريطة سكّان المغرب والأندلس في الحقبة المرابطية في العنصر البربري الّذي شكّل معظم حواضر المغرب الأقصى، وبواديه على الخصوص، ثم يعقب العنصر العربي الّذي اتّخذ من المدن مستقرّا له، ونجد أقلّيات من الصّقالبة والرّوم والعنصر السّوداني والأتراك الغز وأهل الذّمّة ومن اليهود والنّصارى[2] ؛وقد شكّل عنصر البربر الغالبية العظمى من السّكّان ، ففيهم نشأت الدّولة وبين حجالهم أينعت وأزهرت ويحدّد بن خلدون النّسابة قائلا: وأمّا إلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضية فقد اختلف النّسّابون في ذلك اختلافا كثيرا وبحثوا فيه طويلا ،فقال بعضهم إنّهم من ولد إبراهيم عليه السّلام ، وقال آخرون :البربر يمنيّون.[3]

وأمّا ابن حزم الأندلسي؛ فيذكر أصل نسبهم قائلا:<<أنّهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وادّعت طوائف نسبهم إلى حمير ، وبعضهم إلى بربر قيس بن عيلان.>>[4]

---

[1] – – ابن خلدون: كتاب العبر وديوان، المبتدأ والخبر،/مج6 ص 110.

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش، :مباحث التّاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ،دار الطليعة بيروت،1997م،ص8.

3 – ابن خلدون، العبر، مج 6/ ص 107.

4 – ابن حزم الأندلسي :جمهرة أنساب العرب :تحقيق وتعليق محمد هارون ،ط5، دار المعارف مصر ص 495.

إنّ شعوب البربر على حدّ تعبير ابن خلدون انقسموا إلى البتر والبرانس: وأمّا شعوب هذا الجيل وبطونهم، فإنّ علماء النّسب متّفقون على أنّهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وماذغيس، ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابن برنس[1]، وذهب غوتيه إلى تفسير هذا التّصنيف انطلاقا من نمط العيش فالبرانس في نظرهم جبليون مستقرّون والبتر رحالة.[2]

ج. جغرافية عدوة الأندلس:

تعني العدوة طرف الوادي وضفته قال تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيم﴾[3]

ويشتمل الطّرف السّاحلي للأندلس ثلاث مدن وهي: طريف (Tarifa)و الجزيرة الخضراء(Algeciras) ومدينة جبل طارق (Gibraltar)؛ فالجزيرة الخضراء كانت معروفة منذ العهد الرّوماني ب4 (JULIA LOSA)، وفي العصر الإسلامي أطلق

1 – ابن خلدون، العبر ،ص 105.

2 - Gautier felix- le passe de l'Afrique du nord- les siècles obscur.PARIS.Payot1973- p 23.

3 – الآية 42 من سورة الأنفال رواية ورش عن نافع .

4 – كمال السيد أبو مصطفى، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،د ط ،1993م ،ص 117.

عليها جزيرة أم حكيم نسبة إلى جارية طارق بن زياد[1] خلّفها إيّاها فنُسبت إليها[2]، وهي ليست بجزيرة، وإنّما تنسب للجزيرة الّتي أمامها[3] تعدّ مدينة الجزيرة الخضراء أكبر مدنها تاريخيّا وحضاريّا وتعدّ فرضة مجاز جبل طارق ، ذلك المجاز الذي تشرف عليه من على ربوتها القابعة عليها[4]، وتبعد عن مدينة قرطبة قرابة الثّلاثمائة كيلومتر؛ فهي نهاية الأندلس من الجنوب، كما أنّها نهاية نهر برباط وجبل الثّلج[5] وقد كانت معبرا مهما للمرابطين وحلقة وصل بين العدوتين .

---

[1] – طارق بن زياد، فاتح الأندلس أصله من البربر ،أسلم على يد موسى بن نصير ينظر :بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ،الضّبي أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة ،تحقيق روحية عبد الرّحمن السّويفي ،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،1997م ،ص 284.

[2] – الحميري صفة جزيرة الأندلس من الرّوض المعطار في خبر الأقطار، ص 73.

[3] – مجهول الأندلس وما فيها من بلاد ،قطعة من نص أندلسي، تحقيق حسن الجبالي ،دار البشير ،عمان ، 2004م ص 66.-أبو راس النّاصري محمد بن ناصر الجليلي،:الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية ،تحقيق سليمة بن عمر ط1-دار صنين للطّباعة والنّشر ،ص 2.

[4] – البكري :جغرافية الأندلس ،ص117.

[5] – م ن ، ص ن — ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج 2،تحقيق إحسان عباس ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،2000م ،ص32.

وتجاورها مدينة طريف بفتح الطاء وكسر الرّاء المهملتين وسكون المثناة التّحتية وفاء في الآخر[1] فهي جارتها من الغرب بمسافة تقدر بثمانية عشر ميلا [2] ، وعرفت كذلك بجزيرة طريف فاسمها عربي محض تنسب للقائد طريف بن مالك الذي نزل بها أوّل الفتح الإسلاميّ للأندلس[3]لقد كان اسمها([4]LAS PALOMAS) كما عرفت منذ الوندال بطرادوكته [5](Traducta)، وتعدّدت مسمّيات جبل طارق قبل التّاريخ الإسلاميّ وأثناءه عرف في عهد الفينقيّين (Mons calpe) ويُقصد به الجبل المجوّف، لمغارة كانت تعلوه تعرف بمغارة القديس جورج وعُرفت بمغارة القديس ميخائيل في ظلّ الحكم الإسباني[6]، وفي العصر الإسلاميّ نُسب الاسم لفاتحه طارق بن زياد [7] ، وظلّ كذلك

---

[1] – القلقشندي أحمد بن علي ،:صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان د ت /ج 5،ص 218.

[2] – الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق، نشره دي غويه ودوزي، لندن ، (د.ط)، 1894م ج 2/ ص 539.

3 – الحميري :الروض المعطار ،ص 127.

4 – عبد العزيز الرّفاعي ،جبل طارق والعرب ،ط3،المكتبة الصغيرة ،الرياض ،1973م،ص15،سحر عبد المجيد مناور المجالي :تطور الجيش العربي في الأندلس ،ط1،عمان الأردن ،1996م،ص36.

5 – الأمير شكيب أرسلان ،الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ،ج 1دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ص 36.

6 – ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ، ص 46.

7 – ابن الخطيب ،لسان الدين ،كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ،تحقيق ليفي بروفانسال ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، 1426هـ 2006م ،ص 6.

رغم بروز أسماء أخرى كالصّخرة و جبل والفتح الاسم الّذي أطلقه عليه عبد المؤمن بن علي[1] وطفق يستعمل في المصادر العربية[2] -ولو على مضض-لكن سرعان ما طغى اسم الفاتح على التّداول، ولايزال كما هو عليه إلى يومنا (Gibraltar) ومعناه جبل طارق[3] تقع مدينته على شبه جزيرة تمتدّ في البحر لأميال ، وتعرف بطرف الفتح[4] يتفرّد الجبل في المدينة بتركيبته الكلسية الجوراسية مستدير ومحاط بالرّمال من كل جانب ، ويوجد بأسفله كهوف تشكّلت نتيجة عوامل الحتّ والتّعرية الطّبيعية لاصطخاب الأمواج[5].

وكان معلما لاسم المضيق المجاور له؛ فقيل مضيق جبل طارق[6]، عرف قبل الإسلام بمعبرة هرقل، وسمّاه العرب الزّقاق[7]

---

1 - عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي ،من مواليد ضيعة بتاجرارت بتلمسان سنة 487هـ :" ينظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب "، عبد الواحد المراكشي ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ،دار الفرجاني للنّشر والتّوزيع ، القاهرة 1414هـ ،1994م، ص169.،لسان الدّين بن الخطيب ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،(د.ط) ،(د.ت)،ص 107.

2 - الذّهبي شمس الدّين محمد بن أحمد :سير أعلام النبلاء ،ج 20، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ،مؤسسة الرّسالة ،بيروت ،ص372.

3 - عبد العزيز الرفاعي :جبل طارق ،ص 8.

4 -أحمد مختار العبادي والسيّد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلاميّة في حوض البحر الأبيض المتوسّط ،ج2، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية ص304.

5 - إبراهيم بن عطية الله بن هلال السّلمي :العدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها على يد الإسبان ،جامعة أم القرى كلية الشريعة ،السّعودية ، 1430هـ، ص30.

6 - الحميري، الرّوض المعطار ،ص 83.، ابن خلدون :تاريخ ابن خلدون ،ج 6،ص 129.

7 - عبد العزيز الرفاعي ،جبل طارق ،ص9.

ويشير مؤلّف الحلل السّندسيّة إلى تكوين المضيق جيولوجيا فيقول: <<هو فاصل بين المغرب والأندلس لا يتجاوز في بعض الأماكن أكثر من مسافة خمسة عشَر كيلومترا ؛ وهذا الفاصل قد جرى فيه الماء حديثا بالنسبة للأدوار الجيولوجية ، وأنت إذا نظرت إلى شكل الأرض في الجزيرة الخضراء، وجبل طارق من جهة، وإلى شكلها في طنجة وجبل موسى وسبتة تجده واحدا ، فهي بقعة خرقها الماء من الأقيانوس الأطلنطي إلى البحر المتوسّط؛ فجعلها شطرين[1] >> المسافة ضئيلة جدّا بين العدوتين قدّرت في أدنى مستوى في اثني عشر ميلا بين مدينة طريف وقصر[2] مصمودة[3]، وفي أقصى حدّ لها ثمانية عشر ميلا بين الجزيرة الخضراء وسبتة[4]، وبالمقاييس الحديثة؛ فقد قدّرت المسافة بين العدوتين بأربعة عشر كيلومترا كأقلّ تقدير وبسبع وثلاثين كيلومترا على أقصى تقدير[5] أو لقد عدّ المعبر الجامع بين قارتي إفريقيا وأوروبا، كما اجتازه قوّاد تركوا بصمات في التّاريخ لاتمحى، وكان الفاصل الوحيد بين عدوتي المغرب والأندلس الأرض الّتي وطأت أقدام المرابطين أدمتها فكانت نقطة تواصل وتلاحم لا بُعد انفصال[6] والفاصل لا يعدّ كبيرا على حدّ تعبير:موسى بن نصير في وصفه للمكان:<< إنّه ليس ببحر وإنّما

---

1 – الأمير شكيب أرسلان ،الحلل السّندسية ج1، ص25.

2 – قصر مصمودة حصن كبير بالمغرب على ساحل مضيق جبل طارق ،،بينه وبين طنجة عشرون ميلا، الحموي ،معجم البلدان 4، ص413.

3 – عبد المحسن طه رمضان ، الحروب الصّليبية في الأندلس ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،2001م ،ص 127.– الضبي بغية الملتمس ،ص 26.

4 – ابن سعيد علي بن موسى المغربي كتاب الجغرافيا ،تحقيق اسماعيل العربي ،ط1،منشورات المكتب التّجاري للطّباعة والنّشر والتّوزيع ،بيروت 1970م،ص138.

5 – عبد العزيز الرفاعي ،جبل طارق ،26.

6 – هذا ما سيظهر لنا جليا في الفصول القادمة.

هو خليج يتبيّن للنّاظر ماوراءه[1]>> فالّذي ينظر من أحد طرفي العدوتين يستطيع رؤية العمران في الطّرف الآخر ، بل يستطيع رؤية بياض الثّياب[2]؛وأمّا المسافة بين مدينتي جبل طارق والجزيرة الخضراء ستّة أميال، وبين الجزيرة الخضراء وطريف: ثمانية عشر ميلا [3]

ووصف لسان الدّين ابن الخطيب مدن العدوة بفاتحة الكتاب، وباب الوطن، وقاعدة الوصل بين الأندلس والمغرب[4]لأنّها تقع في جنوب الأندلس على مضيق جبل طارق مباشرة، وهي مفتاح ولوج الأندلس للمدن هامّة فيها كقرطبة وإشبيلية وغيرهما.

---

[1] – موسى ابن نصير ،أبوعبد الرحمن ، صاحب فتح الأندلس كان أمير إفريقيا والمغرب ،توفي سنة 99 هـ ،ينظر :بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس : أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة الضبّي ، تحقيق روحية عبد الرّحمن السّويفي ،ط1، دار الكتب العلميّة ،بيروت لبنان 1997م ص 399.

[2] – ابن الدّلائي أحمد بن عمر بن أنس العذري :نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ،تحقيق :عبد العزيز الأهواني ،معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد 1965م ،ص 118.

[3] – الإدريسي، نزهة المشتاق :ج 1/،ص 10.

[4] – ابن الخطيب لسان الدين ،معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ،تحقيق :محمد كمال شبانة ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،2002م ، ص 82-83.

وتتنوّع التّضاريس بالأندلس فتبرز لنا المرتفعات الجبلية الشّاهقة كجبال الثّلج[1]والصّوف وريه وجبل طارق.[2] ، وأمّا الهضاب والسّهول فممتدّة بشكل واضح بين الجزيرة الخضراء ومدينة طريف، ويقلّ ارتفاع هذه الهضاب في هذا المكان كلّما اتّجهنا إلى مدينة طريف[3] ،وأمّا المنخفضات فيوجد بها عدد من الأودية ، من أبرزها وادي لكة ووادي نهر العسل ، بالإضافة لعدد من الأودية الصّغيرة يوجد أكثرها في المنطقة الواقعة بين الجزيرة الخضراء وطريف[4]

ولا نهمل بعض الأنهار منها :نهر برباط ، وهنر وادي النّساء ونهر وادي العسل[5]، ويطلّ السّاحل برماله الكثيرة التّعرّج والتشقّقات، وأبرز شقّ في هذا السّاحل، هو الشّقّ الّذي يوجد عليه جبل طارق[6] يعود تكوينها للعصور الجليدية وخاصّة فترة العصر الحجري القديم[7] (paleoletic) يقال أنّ أراضي العدوة كانت ملتصقة بإفريقيا وحدث انفصام سبّبته زلازل بركانيّة أدّت إلى هزّات جيولوجية ، نتج عنها انفصال الأرض،

---

[1] – جبل الثلج طوله يومان ،وعلوه في غاية الارتفاع ،والثلج به دائما في الشتاء والصيف ،شكيب أرسلان : الحلل الأندلسية ،ص 129.

[2] – جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،ط1،دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1968م ،ص 84.

[3] –محمد عنان عبد الله ،الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ،ط2، مكتبة الخانجي ،القاهرة 1997م–ص 278

[4] –الحميري :الروض المعطار ،ص 193./محمد عنان الآثار الأندلسية ص 278.

[5] –الإدريسي نزهة المشتاق ج 2/ص 539.

[6] – ساهم المكان في الجانب العسكريّ والصّناعي في دولة المرابطين حيث كان همزة وصل بين المغرب والأندلس.

[7] – ينظر التّفاصيل: نزهة المشتاق، الإدريسي، 540.

وحدوث هذه التّشقّقات[1] ولاريب في أنّ تلك الزّلازل البركانيّة كانت سببا في تكوين جزيرة قرب الجزيرة الخضراء وجزيرتين أمام مدينة طريف[2]ساحل العدوة والّذي يشكّل الحدّ الجنوبي للأندلس ، والحدّ الشّمالي لمضيق جبل طارق.

ويمتدّ المغرب من البحر المتوسّط إلى المحيط الأطلسي على التّوالي في الشّمال والغرب إلى المناطق الجبليّة الشّاسعة في الدّاخل، إلى الصّحراء في الجنوب، وينتمي إلى الإقليم الأوّل من الأقاليم السّبعة [3]،

د. التّعريف بشخصية مؤسس دولة المرابطين عبد الله بن ياسين :

هو الفقيه أبومحمد عبد الله بن ياسين بن مكوك علي الجزولي[4] (ت451هـ) واسم أمّه تين يازامامان من أهل جزولة من قرية تدعى تامامانوت في طرق صحراء غانة[5] كان من حذّاق الطّلبة ومن أهل الفضل والورع والسّياسة مشاركا في العلوم حيث أمضى شطرا من حياته في الدّرس والتّحصيل وقد دخل بلاد الأندلس في عهد ملوك الطوائف

---

[1] – عبادة عبد الرحمن رضا كحيلة :الخصوصيّة الأندلسيّة وأصولها الجغرافية ،السجلّ العلمي لندوة الأندلس قرون من التّقلبات والعطاءات ج2/،ط1، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة ،،الرياض ،1996م ،ص 433.

[2] – الإدريسي :نزهة المشتاق ج2/ص539–أحمد مختار العبادي :صورمن حياة الحرب والجهاد في الأندلس/ط1،منشأة المعارف ،الإسكندرية /2000م ، ص 57.

[3] – الإدريسي/ م ن ،ص 17.

4 . ينظر ترجمته في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين حسن علي حسن ،القاهرة ،مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الأولى ،1980م،ص20.

5 – أبو عبيدة البكري(ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب أو المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، د ط، دت ،ص 164.

، وأمضى بها سبعة أعوام حصل فيها على كثير من العلوم[1] تزعّم الفرقة حين قام بنشر تعاليم الدّين الحنيف بين اللّمتونيين[2]؛فاستحوذ قلوب البدو البسطاء بعد جفاء وتناء ، من قبائل صنهاجة[3] الّذين قطنوا القفر وراء الرّمال الصّحراوية بالجنوب ، أُبعدوا في المجالات قبل الفتح .فأُحصروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد ...فنزلوا بريف الحبشة جوارا ، وصاروا مابين بلاد البربر وبلاد السّودان[4] حجزا واتّخذوا اللّثام خطاما، تميّزوا بشعاره بين الأمم ، وتعدّدت قبائلهم من ذلك لمتونة[5]، وكلّهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة [6] تمكّن الشّيخ عبد الله بن ياسين من الاستيلاء على أودغشت مفتاح طرق تجارة القوافل، وإخضاع أهمّ ممالك السّودان اعتمادا على الشّروط الماديّة والدّينية والزّهد في الدّنيا حيث نشأ ودّ مع إخوانه مستمّد

---

1 - البكري، المغرب ،ص 165.

.2- وهم قبيلة من صناجة ،وإليهم آلت خلافة المرابطين ينظر تاريخ بن خلدون ج6،ص240.

3- صنهاجة من أوفر القبائل وأوسعها ،وهم يمثلون ثلث الأمازيغ ينظر :قبائل الأمازيغ ،بوزياني الدارجي /ج2، ص 74، وينظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب ، البكري ،ص 192، وينظر قيام دولة المرابطين ،ط2-دار الكتاب الحديث القاهرة ،1416هـ -1998م ص36-37

4 ينظر الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الأثير :مراجعة :محمد يوسف الدقاق ،المجلد8 /ط3دار الكتاب العلمية ،بيروت 1998-م، ص327-328

.5- ينظر كتاب مفاخر البربر ،مجهول المؤلف ،تحقيق محمد يعلى ،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدّولي، مدريد ،1996م ص 192.

6- عبد الرحمن بن خلدون ،تاريخ المبتدأ والخبر، ج6،/ص 241.

من قول الرّسول الكريم (صلّى الله عليه وسلّم):<< ازهد في الدّنيا يحبّك الله ، وازهد فيما عند النّاس يحبّك النّاس.[1]>>

وقد وصل عدد المرابطين إلى ثلاثة آلاف رجل -كما أشار صاحب الرّوض القرطاس- وابن الخطيب في إعمال الأعلام[2] فهمّ بالوعيد للجهاد مبتدئا بقبائل جدالة، ثم لمتونة وبايعوا على الطّاعة ، ولما رأت القبائل الصّنهاجية ما آل إليه الأمر سارعت هذه القبائل بالطّاعة والإقرار بالسّمع مضافة إلى العصبيّة[3] حيث كان الشّيخ ياسين يجلد من آثم بضربه بالسّوط إنْ لم يمتثل ،ويجلد من تخلّف عن صلاة الجماعة وبهذا تمكّن من استئصال كلّ المخالفين عليه من لمتونة ومسوفة وجدالة وسائر القبائل الصّنهاجية[4]، وبدأت الأنظار تلتفت نحو المغرب الأقصى لإقامة دولة كبرى[5] بعدما كان يتخبّط في فوضى سياسيّة عارمة، وبعد صراع أمراء دويلاته الّذين أرهقوا كاهل السّكان بالضّرائب والإتاوات؛ فنشبت المجاعة أظفارها وتفشّى الجهل وتسلّلت الأوبئة لتقضي على الأخضر واليابس ولاح بصيص المرابطين في الأفق ليخلّص الدّولة من الهرم على حدّ تعبير ابن

---

1 - الحديث الحادي والثّلاثين:عن أبي العباس سهل بن سعد السّاعدي رضي الله عنه ، رواه ابن ماجه ، حديث صحيح، رياض الصاحين ص169.

2 - ابن الخطيب ، إعمال الأعلام ،ج3 ، ص 228، ابن أبي الزرع ،روض قرطاس ص 80.

3-مليكة حميدي ، المرأة المغربية في عهد المرابطين دراسة تاريخية – مؤسسة كنوز الحكمة الأبيار الجزائر د ط ، 2011م ، ص 13

4- البكري ، المصدر السّابق ، ص 167.

5- ينظر المرابطون تاريخهم السياسي، شعيرة محمد الهادي، ص 49.، قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، ص 132.

خلدون:<< ومن أشدّ الظّلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرّعايا بغير حقّ، فإذا كلّفوا العمل في غير شأنهم واتُّخذوا سُخْريًّا في معاشهم، بطَل كسبهم واغتُصبوا قيمة عملهم ذلك، وهو مُتموَّلهم، فدخل عليهم الضرر، وذهب لهم حظّ كبير من معاشهم، بل هو معاشهم بالجملة، وإن تكرّر ذلك أفسد آمالهم في العمارة، وقعدوا عن السّعي فيها جملةً، فأدّى ذلك إلى انتقاص العمران وتخريبه .[1]>>

هـ. فتح بلاد المغرب على يد المرابطين:

بادر المرابطون في عام(446هـ/1054م) بإصلاح أحوال المدينة وامتدّت فتوحاتهم إلى وادي تنسيفت من بلاد رجراجة[2] ودخل المرابطون أغمات بقيادة يوسف بن تاشفين وأبي بكر بن عمر اللّمتوني، واجتاحت جيوشهم بلاد المصامدة بجبال درن وغزوا تادلا واشتبكوا مع بني يفرن وكانت أغمات[3] عاصمة أولى للمرابطين بالمغرب[4] وما لبث عبد الله بن ياسين أن دعا المرابطين إلى الجهاد بريف المغرب واستشهد في إحدى المعارك عام 451هـ/1059م بعدما ترك وصيّة وهو مكلوم، يصارع لحظاته الأخيرة ولم يتوانَ

---

1 –وافي، علي عبدالواحد، مقدمة ابن خلدون، الطبعة السادسة، دار نهضة مصر للنشر، إبريل 2012م ص 301

2– حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته ،ج2، ط1. العصر الحديث بيروت 1412هـ 1992م ص 17

3 – أغمات وريكة هي بلدة حصينة تقع على قيد أرعين كيلومترا من جنوب شرقي مراكش كانت عاصمة للمرابطين ينظر :الإحاطة في أخبار غرناطة لدى الوزارتين ، لسان الدّين بن الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي القاهرة ،الطّبعة 1، 1974م ،ج 2 /ص، 118.

4– البكري أبو عبد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب أدريان ميزوناف ،باريس 1965 ،ص 168

عن النّصح وتبليغ رسالة الجهاد وحثّهم على الحقّ والألفة في الله وعدم التّحاسد:<<يا معشر المرابطين إنيّ ميّت في يومي هذا وأنتم في بلاد أعدائكم ، فإيّاكم أن تجبنوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم وكونوا ألفة وأعوانا على الحقّ وإخوانا في ذات الله تعالى، وإيّاكم والمخالفة والتّحاسد على طلب الرّئاسة ، فإنّ الله يُؤتي ملكه من يشاء ويستخلف في أرضه من أحبّ من عباده ، وإنيّ ذاهب عنكم فانظروا من ترضونه لأمركم يقود جيوشكم ويغزو أعداءكم ويقسم فيكم زكاتكم وأعشاركم >>.[1]

فاضت الرّوح إلى بارئها وختامها كان ريحا من مسك عطّره بكلمات لمن حضروا استشهاده وسمعوا درره الّتي صلحت لكلّ من استمسك بالعروة الوثقى، وأرادها ألّا تنفصم بعده –إنْ عملوا بها– ، طفحت نوايا الرّجل الصّالح الّذي نذر حياته في سبيل إعلاء كلمة الله وإبطال ماعدا ذلك ، صبر للشدائد بكل إرادة وعزيمة قويّة حتى كُتبت له الشّهادة قال الله تعلى :﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ سورة الزمر الآية 10 فرحمه الله وجعل مثواه الجنّة مع الصّدّيقين والشّهداء .

وخلفه بعد مماته الفقيه سليمان بن عدوّ إلاّ أنّه توفي بعد سنة فقط، ثمّ خلفه أخوه أبو القاسم أبو بكر عمر اللّمتوني بن الحسن المرادي الحضرمي، وقد ساعد الدّولة المرابطيّة في إرساء دعائمها في المغرب بعد القضاء على غياهب برغواطيين[2] واجتثّ السّموم الّتي دبّت بين قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة ، وسرعان ما انضوت القبائل

1 – حركات إبراهيم ،النّظام السّياسي والحربي في عهد المرابطين والموحدين، الدّار البيضاء، مكتبة الوحدة العربيّة ،(د.ط) ،(د.ت) ص 51-52.

2 – البرغواطيين :أخلاط من قبائل البربر التفوا حول "صالح بن طريف" المتنبئ ومارسوا طقوسا بعيدة عن الإسلام ينظر :انتصارات أبي تاشفين ، ص 36-37.

تحت راية الحكم المرابطي بإعلانها الولاء له، وتمّ له فتح البلاد من الرّيف إلى طنجة سنة470 هـ/ 1077 م ومليلية في 473هـ، وسبتة[1] سنة 477هـ[2] وأكمل بناء العاصمة مراكش[3] وكان أبوبكر في تلك الأثناء يوطّد الأمن في الصّحراء[4] ، ويزيل الخلاف في قومه ، لقد تخلّى عن الخلافة لابن عمّه فأقدم على عمل قلّ نظيره بين الحكّام إذ تنازل لإمارة المرابطين وقال :<<هذا الفتى أفضل منّي في الإدارة >>

يدلّ هذا العمل على ما كان عليه من فضل ووعي وبعد نظر وتقى رحمه الله تعالى [5] ،وقد تجاوز أبوبكر بن عمر دور الفقيه إلى دور المستشار السّياسي ، حيث ألّف كتابا لأحد الأمراء المرابطين بـ أزوكي دوبرتاب كتاب الإشارة إلى الأدب والإمارة :يبيّن من خلاله مؤسسات الدّولة الضّرورية الّتي ينبغي إنشاؤها والطريقة المثلى في تسييرها ت 489هـ بآزوكي واتُّخذ قبره مزارا لسكّان موريطانيا والسّودان [6]

اجتباء يوسف بن تاشفين: (قائدا للمغرب وأميرا للمسلمين وناصرا للدّين):

---

[1] – سبتة(CIUDAD DE CEUTA): بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب تقابل جزيرة الأندلس تقابل جبل طارق ،ياقوت الحميري :معجم البلدان ج3/ص206.

[2] – سبتة ومليلية وطنجة ،ثغور الشّمال المطلة على جبل طارق ،ينظر الفردوس المفقود ،ص 235.

[3] – ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص 89.

[4] – ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ج185/6.

[5] – طارق سويدان: الأندلس التّاريخ المصوّر، المجموعة الدولية الكويت، ط1، 2005م ص 283.

[6] – محمد الأمين بلغيث: النّظرية السّياسية عند المرادي وآثرها في المغرب والأندلس، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1989م، ص 41 – 42

هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورفيت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتلمي بن تامليت الحميري من قبيلة لمتونة الصّنهاجية، أمّه بنت عمّ أبيه فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن وارتقطين ، كانت قبيلته تسكن المنطقة الممتدّة من وادي نون إلى موغادور إلى مدينة إيزكي شرقا[1] عُرفت قبيلته بالسّيادة، وبسطت سيطرتها على صنهاجة حتّى قال فيه أشياخ خُلق للزّعامة [2] ومن صفاته أنّه كان يجمع بين جمال الطّلعة وجمال الجسم وبين أبدع المواهب كان بطلا شجاعا نجدا حذقا جوادا كريما زاهدا في زينة الدّنيا عادلا متورّعا متقشّفا لباسه الصّوف وطعامه خبز الشّعير ولحوم الإبل وألبانها يأكل من يده عزيز النّفس كثير الخوف من الله...احتكّ بمستويات حضارية تتراوح بين أهل الصّحراء وأهل الأندلس، خاض حروبا وبرهن عن حسن تفهم وابتكار، وكانت شهامته وشغفه بالحرب يسبغان عليه خلال فروسيّته تأثّر بالشّيخ عبد الله بن ياسين، وتعلّم منه حاكاه في زهده وعلمه وورعه وجهاده .[3]

وذكر راغب السّرجاني في قصّة الأندلس: أصبح يوسف بن تاشفين زعيم هذه الدّولة العظيمة وسمّى نفسه أمير المسلمين وناصر الدّين، وحين سُئل لماذا لا تتسمّى بأمير المؤمنين ؟ أجاب: <<حاشا لله أن نتسمّى بهذا الاسم ، إنّما يتسمّى به خلفاء

[1] - حامد محمد خليفة ، انتصارات أبي تاشفين، ص 41

[2] - أشياخ، الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج 2- ص 65.

[3] - روض القرطاس ص87. الحلل ص 59، انتصارات أبي تاشفين ص 42.

بني العبّاس، لكونهم من تلك السّلالة الكريمة لأنّهم ملوك الحرمين: مكّة والمدينة، وأنا رجلهم ، والقائم بدعوتهم>>[1]

وكانت إنجازات أبي تاشفين في المغرب الكبير جمّة؛ فقد عمل على تصفية ملك المغرب وانتزاع مابقي منه بيد مغراوة وبني يفرن، واستولى على فاس، ونقل كرسي المملكة إلى مراكش التي بناها سنة 454هـ>>[2]، من أجل توحيد أرض المغرب الأقصى برمّته شنّ يوسف بن تاشفين معارك مظفّرة أحرز فيها على ضمّ طنجة عام 470هـ/1077م ووحّد قبائله المتناحرة ودويلاته المتناثرة ووجهها لخدمة أهداف الجهاد وإعادة حياة العزّ والكرامة للمسلمين من خلال التّضحيات الكبيرة التي قدّمها جند المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين[3] ، ثم طمح إلى تملّك المغرب الأوسط ؛فلم ينشب أن أخذ عاصمته تلمسان من يد مغراوة ، ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل الونشريس[4] وجميع أعمال شلف إلى الجزائر وفي سنة 475هـ كان قد صفا له المغربيْن معا، ودخلت البلاد كلها في طاعته بعد وفاة أبي بكر سنة 480هـ؛ فذاع صيته في البلاد ومن ثمّ توجّهت إليه أنظار أهل الأندلس وتعلّقت به آمالُهم في النّجدة والإنقاذ ؛فانقسم النّاس إلى ثلاث فئات على حدّ تعبير حامد محمد خليفة في قوله: <<فئة تعلن الطّاعة، فتنضمّ للجهاد

---

[1] – مؤلف مجهول ،الحلل الموشية ،ص 29، –نقلا عن راغب السّرجاني، قصّة الأندلس ص 485.

[2] – عبد الله كنوّن ،النبوغ المغربي في الأدب العربي ، طنجة ،ج1 ، ط2 ، 1960م، ص 60.

[3] – ينظر انتصارات أبي تاشفين ص 60.

[4] – بلدان تقع في شمال الجزائر

وفئة تعلن العصيان والمعاندة ؛فيدعوهم المرابطون إلى العودة إلى صفّ الجماعة ونبذ حياة التّفرقة والتّشتت، فإن أبت حاصروها؛ فإن لم يفلح الحصار أعلنوا عليهم الجهاد حتّى يعلنوا التّوبة والقبول بأحكام الشّرع، وهناك فئة ثالثة كانت تنسحب من أمام المرابطين فلا تقاتلهم ولا تنضمّ إليهم>>.[1]

و. سياسة أبي تاشفين في إدارة الدولة :

يذكر لسان الدّين ابن الخطيب: أنّ الرّجل استعرض في وادي ملويّة <<جند الدّعوة ممّن نذروا أنفسهم للجهاد فوجدهم أربعين ألفا فاختار منهم أربعة من القوّاد، وعقد لكلّ واحد منهم خمسة آلاف مجاهد من قبيلته، وجعلهم طلائع للجيش المرابطي>>[2]

ومن أشهر القادة:

1- "**سير بن أبي بكر اللّمتوني**" :كان من أبرز زعماء وقادة لمتونة ،صهر أمير المؤمنين ،ظهر نبوغه في معركة الزلاّقة الشّهيرة ،وفي جواز أمير المؤمنين إلى الأندلس في المرّة الثّالثة ،فوضت إليه أمور الأندلس افتتح إشبيلية عام 484هـ، ثم بطليوس من بني الأفطس، ثم افتتح قواعد المغرب من يابرة، وانتصر على ألفونسو السّادس عام 498هـ،وهو الذي أنقذ "ابن عباد " في معركة الزلّاقة توفي عام 507هـ[3]

2- القائد "المزدلي": هو مزدلي بن محمّد بن عمّ الأمير بن تاشفين وهو أحد أركان الدّولة من زعماء لمتونة المشهورين: كان بطلا نجدا بعيد الصّيت عظيم الجلد أصيل

---

[1] - حامد محمد خليفة ،انتصارات أبي تاشفين ، ص64.

[2] - ينظر: أعمال الأعلام ، لسان الدّين بن الخطيب ،ج 3 ، 234.

[3] - ينظر انتصارات أبي تاشفين، ص 62.

الرأي مستحكم الحنكة ،طال عمره وحمدت مواقفه ،وبعدت غاراته وعظمت في العدوّ وقائعه كان من أشهر أعماله استرجاعه مدينة بلنسية من جنود القمبيطور[1]، قاد الكثير من الحملات ضدّ النّصارى، مثل حملته على برشلونة ،استشهد قرب طليطلة عام 508هـ.

3-**القائد محمد بن عائشة** :هو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين ،كان ينسب لأمّه – جريا على عادة المرابطين – حيث كانوا ينسبون لأمّهاتهم فيقولون بن فلانة عوض بن فلان، ويرجع السّبب لتعدّد زوجات الرّجل فيذكرون الأمّ[2]، شارك في موقعة الزلاّقة ،وموقعة إقليش الشّهيرة، وبقي مجاهدا إلى أن اعتلّ بصره ،ثمّ عمي[3].

4-القائد أبي عبد الله محمّد بن الحاج:

أحد شيوخ لمتونة ،ومن قادتها المعروفين ،من أقارب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عرف بـ ابن الحاج ظهرت براعته العسكريّة في الأندلس حين افتتح قرطبة عام 484هـ،حارب القشتاليّين ،عيّن واليا على المغرب في عهد علي بن يوسف،

---

[1] – القمبيطور اسم المغامر القشتالي "رود زبحودياث"،ومعناه السيّد المبارز، كان لا يحمل ذرّة من خلق، وحشي الطّباع ،لصّ محترف أحرق بعض أهل بلنسية أحياء.

[2] –حسن علي حسين، الحضارة الإسلاميّة في المغرب والأندلس ،عصر المرابطين والموحدين ،ط1، مكتبة الخانجي ،مصر ،1980م، ص62./ النّويري (أحمد بن عبد الوهّاب)، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جزء من كتاب :نهاية الأرب في الفنون الأدب، تحقيق :مصطفى أبوضيف أحمد ،دار النّشر المغربية ،الدّار البيضاء ،ص 382.

[3] – ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص 101.

ثمّ ندب لولاية بلنسية ،أخضع سرقسطة للمرابطين بعد استغاثة أهلها بأمير المسلمين علي بن يوسف عام 503هـ[1]

ز. انجازات يوسف ابن تاشفين في عدوة المغرب:

سار الرّجل على نهج سابقيه، فلا تحدث واقعة إلاّ ويكون في مقدّمة الصّفوف – بلا هوادة – إمّا للنّصر أو للشّهادة فسار في عسكره من المرابطين ودوّخ أقطار المغرب [2]، وبرع في الخطط العسكريّة ؛فكانت دعامة جيشه قوّة من الفرسان، حسنة التّدريب مزوّدة بأفضل السّلاح وصل عددها في عهده إلى مائة ألف مقاتل، وكانت كلّ فرقة تحمل علمها الخاصّ من مختلف الألوان وعليه رسوم ونقوش خاصّة ولها زعيمها الخاصّ ويخرج الجيش إلى الحرب تحت قرع الطّبول، وقد رتّب الصّفوف حسب القبائل [3]

ومن مراكش شدّ الرّحال إلى فاس فاتحا ليلقى مقاومات عنيفة شنّتها قبائل زناتة؛ فاصطدم بقبائلها من زواغة ، ولماية وصدينة وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم في خلق عظيم وكثير[4] فتح فاس في أول فتح عام 455هـ، وعيّن عليها واليا من المرابطين يصلح أحوالها، ويقيم فيها الدّين، وكان أمير فاس معنصر بن حماد المغراوي [5]

---

[1] –محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين ص74..

[2] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6/ص 184

[3] يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص479.

[4] – ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص89.

[5] – انتصارات أبي تاشفين، ص 66.

وفي هذه الفترة بايع أمير بلاد مكناسة مهدي بن يوسف الكزنائي على طاعة المرابطين؛ فأقرّه يوسف على عمله، ولبّى نداء مساعدة الجيوش في فتوحات البلاد، واستشهد بعدما أغار عليه المغراويّون والزّناتيون[1]، ثمّ حاصر يوسف بن تاشفين قلعة مهدي المشهورة تسع سنين حتّى تمّ فتحها حوالي 456هـ، وسار سنة 458هـ إلى بني مراسن ثم بلاد فندلاوة، ثم بلاد ورغة وفتحت ونشر فيها العدل والقانون بعدما قمع المعاندين[2]، حيث انضمّت بلاد غمارة إليه في عام 460هـ انضمّت بلاد غمارة وجبالها من الرّيف إلى طنجة لدولة المرابطين.

وفي عام 465هـ عاد للجهاد فأخضع مدينة الدّمنة وجبل علودان[3]، وفي سنة 467هـ ضمّ جبال غياثة ،وبني مكود وبني رهينة، وقام بتقسيم دولته إلى عدّة أقسام إدارية؛ فاختار لها من ولّاة من أبناء الدّعوة المخلصين لدولة المرابطين منهم عمر بن سليمان على مدينة فاس وأحوازها ،وسير بن أبي بكر على على مدائن مكانسة، وبلاد مكلالة وبلاد فازات؛ وأمّا داوود بن عائشة؛ فتولّى سجلماسة ودرعة ،وتولّى تميم بن يوسف بن تاشفين مدينة أغمات ومراكش وبلاد السّوس وبلاد المصامدة وبلاد تادلا وتامسنا.

ونلحظ اختلافات في إمارات المدن فالأوّل مهمّته فاس، والثّاني ثلاث بلدان تحت إمرته، وأمّا الثّالث، فتولّى قبيلتين وحمل الأخير عبء ستّة بلدان، ولربّما كان التّقسيم راجعا لطبيعة البلاد المحكومة وربما لجغرافية وتضاريس المنطقة ؛ففاس لقي فيها يوسف ابن تاشفين صعوبة كبيرة لفتحها وإخضاعها لحكمه، لتعدّد تشكيلة القبائل بها ،ولتمركز البرغواطيّين هناك

---

[1] -ينظر: روض القرطاس، ابن أبي زرع، ص90

[2] -م ن، ص ن

[3] -م ن ، ص ن

،وتولّى ابنه إمارة ستّة بلدان لقربه من حكم أبيه ولقرب المناطق من بعضها – والله أعلم – ويدلّ التّقسيم على القيادة الرّشيدة للأمير وعلى حرصه على تكوين مجتمع متماسك يسوده الأمن والثّقة المتبادلة بين الشّعب والحكومة الّتي تسنّ قوانين واضحة المعالم غرفت من كتاب الله وسنّة رسوله الكريم صلوات الله عليه وسلامه، من بين الأسس الّتي قامت عليها الدّعوة: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر قال الله تعالى:﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[1]﴾؛فأزالت رواسب الفساد الّتي كانت عالقة بالمجتمع، ولاشكّ أنّ يوسف عمل طوال الفتوحات على تطبيق مبادئ الإسلام في كلّ أرض كان يحلّها في هذا المضمار نستقي قول ابن خلدون حين يتحدّث عن القوانين المراعاة في السّياسة العقليّة للمدنيّة الفاضلة:<<إنّ السّياسة العقليّة تكون على وجهين أحدهما تراعى فيه المصالح على العموم ،ومصالح السّلطان في استقامة ملكه على الخصوص، وقوانين المسلمين مجتمعة من أحكام شرعيّة، وآداب خلقيّة وقوانين في الاجتماع طبيعيّة، وأشياء من مراعاة الشّوكة والعصبيّة ضروريّة والاقتداء فيها بالشّرع أوّلا ،ثمّ بالحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم[2]>>

ففي سجلماسة مثلا أصلحوا أحوالها وغيّروا ما وجدوا فيها من المنكرات وقطعوا المزامير وأحرقوا الدّيار الّتي كانت تباع بها الخمور، وأزالوا المكوس وأسقطوا المغارم المخزية وتركوا ما أوجب تركه الكتاب والسّنة، فلم يوجد في بلد من بلاده ولا في عمل من أعماله على طول أيّامه رسم مكس[3]،ولا معونة ولا خراج، لا في حاضرة ولا في بادية، إلّا ما أمر الله تعالى

---

[1]–آل عمران: الآية 104رواية ورش عن نافع.

[2] –عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ج2/ ص112

[3]– مكس :دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع ،وما يأخذه أعوان الدّولة عن أشياء معيّنة عند بيعها أو عند إدخالها المدن ينظر، المنجد في اللّغة والأعلام مادة مكس ، ص 771.

به ،وأوجبه حكم الكتاب والسّنة ،من الزّكاة والعشور، و جزيات أهل الذّمّة، وأخماس وغنائم المشركين"[1] وأهل الذمّة هم اليهود والنّصارى وأهل الكتاب وأصحاب الدّيانات الأخرى الّذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي أو في البلاد ذات الأغلبيّة المسلمة.

ويشير صاحب انتصارات أبي تاشفين<<:إنّ الخليفة يوسف بن تاشفين قاد حربا بلا هوادة على كل مظاهر الفساد تمسّك بالهدى طوال حياته؛ فقد حارب المنكرات بشتّى أنواعها وردم نوادي الخنا والفجور وهدم دور الخمر الّتي هي أمّ الخبائث والرّذيلة والّتي تنشر العجز والكسل واللاّمبالاة في أيّ مجتمع تنتشر به، كما أزال الغبن الّذي كان يلحق بأبناء الأمّة في ممتلكاتهم وأموالهم، وأطاح بمظاهر التّسلّط من خلال المغارم والمكوس المفروضة حتّى أوجد مجتمعا طاهرا من أخلاق الجاهليّة، واستطاع أن يؤثّر تأثيرا بالغا في حياة المجتمع، فانتشرت أخبار عدله وإصلاحاته في أنحاء المغرب فسرّت به الشّعوب وأخذت تعلن انضمامها لدولته تخلّصا من جور حكّامها الّذين حكموا الأهواء والقوانين الوضيعة الّتي تخدم مصالح الفئات الحاكمة من قبائل أو أحزاب أو اتّجاهات سياسيّة ضالّة فاستغاث به أهل المغرب فافتتحها شرقا وغربا بأيسر سعي ،وأحبّته الرّعيّة وصلحت أحوالها.[2]>>

وبعد هذه الإنجازات العظيمة الّتي حقّقها القائد المحنّك أراد القيام بجولة استطلاعيّة على أمور البلاد المفتوحة، وتفقّد أحوال الرّعية والحديثة العهد بالإسلام حتّى يتفحّص حال دولته الجديدة ويمحّص في الثّغرات ليسدّها أمام أيّ طارئ قد يشلّ عزيمتها ويقضي على التّلاحم الأخويّ لأبناء هذه الدّولة الفتيّة استدعى أمراء المغرب وأشياخ القبائل

---

[1] – م ن ، ص 81- 88.

[2] – حامد محمد الخليفة ،انتصارات أبي تاشفين ، ص 71.

من زناتة و غمارة و المصامدة وسائر قبائل البلاد المرابطيّة على حدّ تعبير صاحب كتاب انتصارات أبي تاشفين فلُبِّيت الدّعوة من قبل الجميع فتألّفهم أمير المسلمين وبيّن لهم مخاطر التّناحر والضّياع الّذي تعيشه الأمّة الإسلاميّة وحجم المآسي الّتي تترتّب على استمرار هذه الحالة، وأوضح أنّ الجميع مسؤول أمام الله وأنّ المخرج الوحيد إلى الحياة السّعيدة الحرّة الكريمة هو في التّعاون والالتزام بالطّاعة لأحكام الشّرع، الّذي يعطي لكلّ ذي حقّ حقّه، ولما فيه من أحكام وقوانين تطمئنّ لها النّفوس، وتهواها الشّعوب المؤمنة [1]

كلمات رنّانة مسّت قلب الدّعوة المرابطيّة لضرورة التّلاحم والتّرابط والخوف من الله وطاعته لضمان السّعادة، حقّا قائد عظيم يؤدّي دوره كمسؤول على أكمل وجه لأنّ قوام الدّين وعماده النّصيحة قال رسول الله ﷺ: <<الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا :لِمَنْ ؟قَالَ : للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئمَّةِ الْمسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ>>[2]

إنّ النّصائح الّتي أسدلها، تنمّ عن إلانة الجانب من الأمير لرعيّته وجعلت القبائل تلتفّ حوله لمبايعته، على العبء الكبير الملقى على عاتقه، لقد أثّر وقع الكلمات على نفوس الحاضرين وبادروا سريعا بمبايعته أميرا وقائدا لمسيرة الجهاد المظفّرة – رغم أنّه بلغ من الكبر عتيّا– فلم تثن عزيمته في المضيّ قُدُما طلبا للشّهادة وسعيا في غرس أسمى أخلاق عرفتها البشريّة، فعاهدهم على الجهاد وأكرمهم ووصلهم وقضى حوائجهم فانفضت تلك الوفود إلى بلادها، وكلّها ثقة بالانتقال إلى حياة أفضل وحالة أعزّ

---

[1] – ينظر انتصارات أبي تاشفين ، ص 69.

[2] –الإمام النّووي، رياض الصّالحين ، باب النّصيحة، رواه مسلم ص 123

وأفضل، وخرج معهم يطوف على جميع أعمال المغرب يتفقّد أحوال الرّعية، وينظر إلى سير ولاّتهم وعمّالهم فيه فصلح على يديه الكثير من الأمور [1] لعلّه اطّلع على قول الرّسول ﷺ: <<مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ>> [2].

ح. *فتح أبي تاشفين لتلمسان:*

قويت شوكة المرابطين بالمغرب، وعمّ الأمن والاستقرار، وانعكف أبناء البلاد في البناء والإعمار ، والعمل والإنتاج؛ فازدهرت الدّولة بفضل العناية الفائقة الّتي حظيها أهلها لكنّ الخطر خمد ولم يمت؛ فقد تشرذمت قبائل زناتة وأهل العصيان والتمرّد بالحدود الشّرقية للمغرب الأقصى تلمسان الّتي أنشأها البربر قديما على أنقاض مدينة رومانيّة بوماريا، وقد أطلقوا عليها عدّة تسميات أجادير الّتي يقصد بها الحصن أو القلعة نظرا لموقعها الاستراتيجي الّذي تتمتّع به إذ تقع في سفح جبل الصّخرتين الّذي يحدّها جنوبا ، ويحيط بها نهر مشكانة شرقا[3]

يقول الإدريسي في تقديره المسافة بين فاس وتلمسان، ومن فاس إلى تلمسان تسع مراحل والطّريق بينهما هو أن تخرج من فاس إلى نهر سبو وهو نهر عظيم يأتي من نواحي جبل القلعة لابن توالة، ويمرّ حتّى يحاذي فاس من الجهة الشّرقية وأمّا من أراد الطّريق

---

[1] – ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 92.

[2] الإمام النّووي، رياض الصّالحين، باب أمر الولاة، متفق عليه، ص 285.

[3] –الإدريسي: نزهة المشتاق ص 78

إلى تلمسان من سجلماسة فالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس ومن فاس إلى صفراوي إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة [1]

إنّما أوردنا قول الإدريسي حتّى نبيّن بُعْد المسافة بين المغرب و تلمسان وكيف للقائد أبي تاشفين قد جاوز السّبعين من عمره ، أن يسافر إليها ولم تثنه وعثاء السّفر من الذّهاب والإياب لفتح البلاد والتّفاوض مع القوّاد ، وعبور الجبال والمسالك الوعرة، بلا كلل ولا ملل، ففي عام472هـ /1079م أرسل أمير المسلمين يوسف كتابا لأمير تلمسان يدعوه إلى نبذ الخلاف وتوحيد الكلمة، وتفاوض معه على تدبير أمر تلمسان فتمّ الاتّفاق على تعيين يحي بن مزدلي واليا مرابطياً عليها، ثم رجع ابن تاشفين إلى مراكش وبصحبته العبّاس بن يحي أمير تلمسان الّذي أكرمه وأنعم عليه بالخير[2]، وقد أمر ببناء مدينة تاكرارت[3] بمعسكر المرابطين، وفي عام 474هـ، تمّ إخضاع مدينة وجدة، وبلاد يزناسن وما والاها، ثم فتحت مدن تنس ووهران وجبل ونشريس وجميع مناطق واد شلف إلى الجزائر[4] وبعد هذا أمر بإيقاف الأعمال العسكريّة بهذا الاتجاه، والعودة إلى مراكش العاصمة في 475هـ[5]، ثمّ سبتة في 477هـ/1084م[6]، وأقام بها قاعدة

---

[1] - م ن ، ص 246 -247

[2] -الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة مؤلف مجهول أندلسيّ، تحقيق سهيل زكّار وعبد القادر زمامة ،دار الرّشاد الحديثة ،الدّار البيضاء، ط1 ،1979م، ص 28

[3] - تاقرارت :هي مكناسة أشار إلى ذلك الإدريسي في نزهة المشتاق ،ص 244.

[4] - مدن بشمال الجزائر

[5] - ينظر: انتصارات أبي تاشفين ، ص74.

[6] ينظر دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، الهرفي سلامة محمد سلمان، ص 52.

عسكريّة بالعدوة المغربيّة بعد أن انتزعها المعزّ بن يوسف بن تاشفين من يد صاحبها سقوت البرغواطي، وذلك بمساعدة المعتمد بن عبّاد الذي وجّه أسطولا بحريّا من إشبيلية لمساعدة جيش يوسف بن تاشفين في السّيطرة على مدينة سبتة[1] نلاحظ توالي الانتصارات الّتي قوّت شوكة المرابطين بالمغرب ، وبذلك تحقّق حلم الشّيخ عبد الله بن ياسين؛ فتحرّرت قبائل صنهاجة وبلاد المغرب من أكبال البدع والخرافات[2]

بناء مراكش :

نلمس تضاربا كبيرا في تحديد التّواريخ المحدّدة للأحداث التّاريخية للمرابطين وربّما لفقد تلك المرحلة التّدوين أو لإتلاف المصادر من الموحّدين الّذين شنّوا حملات واسعة لتشويه كلّ ما هو مرابطي – والله أعلم –؛ فبعد حروب دامية ،ومناوشات شديدة تولّى يوسف بن تاشفين[3] الرّيادة (453 –500هـ)<<امتاز هذا الزّعيم بصفات شخصيّة ،ومواهب ذاتيّة كان لها الأثر الكبير في توطيد دعائم الدّولة المرابطيّة الفتيّة ،وتثبيت أركانها الأساسيّة[4]،وامتدّ ملكهم إلى مدينة أفراغة من ناحية شرق الأندلس، وإلى مدينة أشبونة

[1] – ينظر الروض المعطار ، الحميري ،ص 87.–الاستقصا : الناصري ،ج1/ص 34.،نفح الطيب ج4/ 360.

[2] – ينظر قيام دولة المرابطين حسن أحمد محمود ص228–229.عبد العزيز سالم المغرب الكبير، ج2/، ص 715

[3] – مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين –دراسة تاريخية – مؤسسة كنوز الحكمة الأبيار الجزائر (د ط)، 2011م، ص7

[4]– ينظر : الشعر في عهد المرابطين والموحّدين، محمد مجيد سعيد، ص 20.

على البحر، المحيط من الغرب ،ومن عدوة المغرب من جزائر فرغنان إلى طنجة ،إلى آخر السّوس الأقصى إلى جبال الذهب من بلاد السّودان.>>[1]

وقد عُدّ ابن تاشفين من جملة الملوك واستحقّ اسم السّلطنة، وصار هو وابنه معدوديْن في أكابر الملوك لأنّ جزيرة الأندلس هي حاضرة المغرب الأقصى، وأمّ قراه ؛فهي مطلع شموس العلوم وأقمارها ومركز الفضائل وقطب مدارها ،أعدل الأقاليم هواء وأصفاها جوّا وأعذبها ماء وأعطرها نبتا وأنداها ظلالا ،أطيبها بكرا[2] ويقول الله تعالى في كتابه الحكيم :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[3]وفعلا ثبتت الأقدام على أدمة الأندلس فكيف كان له ذلك؟

ط. اجتياز المرابطين عدوة الأندلس :

كان اجتياح المرابطين شبه جزيرة إيبرية سنة 479هـ بعد استنجاد ملوك الطوائف بـ الملثّمين صدّا لإخماد لهيب النّصارى الّذي ما فتئ يلتهم الحصون والمدن، كطليطلة الّتي خرجت من قبضتهم سنة 478هـ وبمعيّة المرابطين ألحقوا أشدّ تنكيل بمعركة الزّلاقة **[4]**بالخطر المحدق الّذي أرّقهم وأسهدهم، .فكان للنّصر العظيم الّذي أسنده بمساندة

---

[1]– محمد كرد علي ،الإسلام والحضارة ،ج2/، ص472،القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنّشر 1956م.

[2] عبد الواحد المراكشي، م ن، ص .227

[3] – سورة محمد الآية 7 رواية ورش عن نافع

[4] – الزلاّقة موضع في الأندلس قرب غرناطة، اجتمع فيه ملوك الطّوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد بقيادة يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين وهزموا ألفونس السّادس ملك ليون وقشتالة

المرابطين في موقعة الزلاّقة[1] أثره العميق في نفوس الشّعب الأندلسي الّذي رأى فيهم المخلّص من جور حكّامهم من ناحية، والحصن الواقي من الخطر المسيحيّ المحدق بهم من الشّمال من ناحية أخرى[2]، بوصول ابن تاشفين إلى الجزيرة الخضراء بدأ بتهيئتها كقاعدة فعليّة له؛ فبنى أسوارها، ورمّم ما تشعّث من أبراجها، وأقام عليها خندقا ، ثمّ زوّدها بالمؤن والأسلحة ولأهمّية الجزيرة الخضراء لا بن تاشفين أقام بها قوّة عسكريّة منتقاة من رجاله كحامية ثابتة بالمدينة .[3] ، ومهما يكن فإنّ أمير المؤمنين قد جاز إلى الأندلس بدعوة من عدد غير قليل من ملوك الطوائف وكان دخوله فاتحة خير، أثلج صدور المسلمين في الأندلس وقوّى ثقتهم بأنفسهم ودفعوا إلى المزيد من الجهود الحربيّة والعسكريّة لقد أرسى دعائم دولة المرابطين في عدوة الأندلس التي سوف يكون لها شأن عظيم خاصّة بعد حصار حصن لييط (ALEDO)، فأخذت الوفود الأندلسيّة بالتوجّه نحو مراكش لطلب العون

وهكذا لبّى أمير المسلمين صريخ أهل الأندلس والمعتمد للمرّة الثّانية بما في ذلك من تكاليف العبور إلى الأندلس وترك بلاد المغرب وعاد دون أن يظهر على المرابطين أيّة

سنة 479هـ/1086م،ينظر المنجد في الّلغة والأعلام مادة زلّاقة، بيروت، دار المشرق – الطبعة الحادية والثلاثون –1991م.

[1] –الزّلاقة،(Sagrajas)وتقع شمال بطليوس على بعد 8 أميال من ضفاف نهر كيريرو (guerrco) حدّدها عبد الملك بن صاحب الصّلاة، في المنّ بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التّازي، دار الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1964م،.ص 314

[2] محمد مجيد السّعيد: الشّعر في ظل بني عباد، النّجف، مطبعة النّعمان 1972م،ص37.

[3] –الحميري الروض المعطار، ص 87، الحلل الموشية ،ص51.الذّهبي :تاريخ الأندلس ج 10/ص610.

بادرة تشعر أهل الأندلس بالمنِّ أو الاستعلاء، بل كانوا يرون ذلك واجبا من واجبات الأخوّة في الإسلام[1]، وبعد الانتهاء من ترتيب الأوضاع في المغرب، اجتاز البحر إلى الأندلس 481هـ[2] ؛فترك في الجزيرة الخضراء القاعدة الّتي اتّخذها أمير المسلمين رباطا للمجاهدين يساند الأعمال الجهاديّة في الأندلس ويحمي خطوط المواصلات والإمدادات، ومن هناك أنفذ أمير المسلمين كتبه لملوك الأندلس يستدعيهم للجهاد معه والموعد حصن لييط[3] وبدأ المسلمون الهجوم على الحصن وصمد أمامهم فضرب يوسف عليه الحصار أربعة أشهر بلا جدوى، وكان القتال يدور ليل نهار مداورة، وكلّ أمير يهاجم بدوره ثمّ يحلّ مكانه أمير آخر[4]؛فخارت قوى المسلمين، ولم يتمكّنوا من اقتحام الحصن، وما زاد الطّين بلّة مناوشات الملوك فيما بينهم، وتأجّجت نار الفتنة حتّى كادت ألسنتها تكويهم ...طالت تلك المحلّة الملعونة، فكأنّما ملئوا أبّان الطيّب من الخبيث وكشف العورات>>[5] لولا تدخّل الأمير يوسف بعد استشارة الفقهاء، ولقد رأى من حكّام الأندلس، وتآمرهم واتّصالهم بالعدوّ، وقد أصبح بين ناريْن ألفونس وأمراء الأندلس – فانسحب من أمام الحصن وصل ألفونس الحصن وأخرج من نجا من الموت وكان عددهم مائة فارس وألف راجل، فقرّر إخلاءه وتدميره[6]

---

[1] – م ن ، ص ن

[2] – ابن أبي زرع، ص 67.

[3] – الحلل الموشية، ص 68.

[4] – مذكرات الأمير عبد الله، ص 108.

[5] – التبيان ،ص110.

[6] – ينظر: روض القرطاس، ص 99– الحلل الموشية، ص 50.

وقد تحدّث أمير غرناطة عن هذه النّاحية بوضوح قائلا:<< وإنّما وجست نفسي من الرّعية لطمعهم في حطّ المغارم ،وللّذي شاع من الزّكاة العشر عند المرابطين>> [1]

ولقد رجع الأمير يوسف إلى لورقة[2] ، وترك أربعة آلاف مرابطي بقيادة داوود بن عائشة للحفاظ على مرسية ، وكذلك بعث بعسكر إلى بلنسية بقيادة محمد بن تاشفين [3]

ومن نتائج الحصار يقين الأمير غدر الملوك وعدم إخلاصهم في الجهاد ولامبالاتهم بمصير المسلمين كان هدفهم مرتكزا على مقاليد الحكم مهملين بذلك شؤون الرّعية، وما يهمّهم الظّهور بمظهر الملوك وتحت أيّ راية كانت، كما لمس الزّيف في تعاونهم مع المرابطين من أجل قضية بلادهم وعقيدتهم إلاّ أنّ عزاءه كان في هذا التّأييد الشّعبي الواسع، وهذه الرّغبة الملحّة من علماء الأندلس بالانضواء تحت راية المرابطين للعيش تحت ظلال الشّريعة الإسلاميّة الّتي يحكم بها المرابطون، فتحت قلوب أهل الأندلس للمرابطين وأميرهم قبل أن يتقرّر ضمّ هذه البلاد إلى دولتهم [4]؛ ما إن انتهى ابن تاشفين من حصار لييط وقبل رجوعه إلى المغرب اجتمع مرّةً أخرى بأمراء الطّوائف، يشحذ

---

[1] – التبيان ،ص 120.

[2] – لورقة مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم أرضها جزر لا يرويها إلا ما ركد عليها الماء كأرض مصر، بها فواكه عديدة، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5/ ص 25.

[3] – الحلل الموشية، ص 50.

[4] – انتصارات أبي تاشفين، ص 172.

هممهم لوحدة الصّفّ وقال:<<أصلحوا نيّاتكم تكفّوا عدوّكم>>[1] هذه النّصائح القيّمة كانت تذهب أدراج الرّيح؛ سبحان الله هناك من سعى جاهدا بالغا مسافات طويلة للوحدة.

وعاد أمراء الطّوائف إلى التّنافر والعداء بإصرار على الغيّ والضّلالة، وفشلت جهود أمير المسلمين الرّامية إلى الإصلاح ورصّ الصّفوف وتوحيد القوى وأمام هذه الحال[2]غير مسؤولة سمحت لـ ألفونسو بمعاودة شنّ غاراته أطمعته في العودة إلى سياسته القديمة بشنّ الغارات وإرهاب العزّل من السّلاح، وإطلاق الشّائعات والتّهديد المقرون بحملات النّهب والسّبي، وإرسال الرّسل للأمراء يطلب منهم الجزية؛ فعادت أحوال الأندلس لما كانت عليه قبل معركة الزّلاّقة، فيخضع حكّام الطوائف لهذه السّياسة ويرتمون في أحضان أعدائهم ويعقدون معهم الاتّفاقات السّرية ويدفعون لهم الأموال مقابل كفّ عاديتهم عنهم[3]

وما يسعنا –في هذا المقام– سوى العودة لما قاله عبد الرحمن بن خلدون في مقدّمته: <<...المذلّة والانقياد كاسران لصورة العصبيّة، فإنّ انقيادهم ومذلّتهم دليل على فقدانها ، فما رئموا للمذلّة، حتّى عجزوا عن المدافعة، ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المطالبة والمقاومة ومَنْ فقدها عجز عن جميع ذلك كلّه. والمذلّة توجب المغارم والضّرائب وفيها مذلّة لا تحتملها النّفوس الأبيّة إلاّ إذا استهونته عن القتل والتّلف والمغرَم

---

[1] – التبيان: الأمير عبد الله، ص 122.

[2] – انتصارات أبي تاشفين ، ص 174.

[3] – م ن، ص ن.

موجب الذلّة...هذا إلى ما يصحب ذلَّ المغارمِ من خلق المكر والخديعة بسبب مَلَكَةِ القهر، فإذا رأيت القبيل بالمغارم في ربقة من الذلّ؛ فلا تطمعنّ لها بملك آخر الدّهر[1]>>.

لقد تصدّى لهم علماء الأمّة وقضاتها بالنّصح والتّذكير بمصالح الأمّة وحقوقها المترتّبة عليهم لكنّ هؤلاء أبوا واستكبروا مواصلين عنادهم

.الحالة الاجتماعيّة لسكّان الأندلس:

يعبّر صاحب انتصارات أبي تاشفين عن الضّعة التي ألمت بالأندلسيّين قائلا: <<أمام الانحراف السّياسي الّذي تلبّس بهؤلاء القوم، أخذت شعوب الأندلس تتحيّن الفرصة للخلاص من هذا الوهن الّذي أصابهم بسبب هذه القيادات العاجزة عن قيادة الأمّة، يقول السّميسري:

رَجَوْنَاكُمْ فَمَا أَنْصَفْتُمُونَا وَأَمَّلْنَاكُمْ فَخَذَلْتُمُونَا

سَنَصْبِرُ وَالزَّمَانُ لَهُ انْقِلَابٌ وَأَنْتُمْ بِالإِشَارَةِ تَفْهَمُونَا>>[2]

يصبو الشّاعر إلى الغد المشرق بعدما اشرأبّ عنقه للعدل في حكم جائر، وحكّام متخاذلين لا همَّ لهم غير مطامعهم، ومطامحهم الّتي لا تنتهي، يعلّل النّفس ويرقب الأمل في دوران عجلة الزّمن بعد صبر يكلّله تغيير بالواقع المرير الّذي تخبّط فيه أهل الأندلس في تلك الحقبة ،وقد قاد هذه المرحلة الجهاديّة علماء المسلمين في الأندلس، وصاروا

---

[1] – ولي الدّين، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش دار يعرب دمشق، ط1، 2004م، ج1/ ص 276.

[2] – انتصارات أبي تاشفين، ص .175

لسان حال الرّعية المعبّر عن حالها وآمالها وتطلّعاتها فحملوا أمانة الأمّة في أعناقهم منذ أيّام أبي الوليد الباجي المتوفى سنة (474هـ)[1] وتطلّع الجميع لابن الإسلام المخلّص لقضية الجهاد [2]؛فلمّا وصلت الرّسائل إلى ابن تاشفين تخبره بحال الأندلس وخضوع وتنافر أمراء الطّوائف، قرّر العودة للأندلس للمرّة الثّالثة، وفي مدينة سبتة أتمّ ابن تاشفين استعدادات جيشه، وعبر البحر متّجهًا نحو الأندلس في حملة للمرّة الثّالثة، وذلك عام 483 هـ /1090م، بمعيّة أشهر قادة المرابطين، فسار بجيشه حتىّ نزل طليطلة وحاصرها، وكان ألفونسو بها وهتكها وواصل جيشه إلى الشّمال وهاجم الكثير من المدن الواقعة شمال قشتالة ،ومنها قلعة رباح، وأجبر القشتاليّين على الهرب من الحصون الّتي كانوا يغيرون منها على المدن الإسلاميّة، ولكنّ أمراء الطّوائف لم ينخرطوا في جيش المرابطين، كما حدث في الزلاّقة وحصن لييط، ولم يعاونوهم ويقدّموا لهم المؤن، ممّا أدّى إلى رفع ابن تاشفين الحصار عن طليطلة نظرًا لقلّة المؤونة[3].

ي. موقف يوسف بن تاشفين من ملوك الطّوائف:

نقم ابن تاشفين على أمراء الطّوائف وأصدر عددٌ من العلماء والفقهاء فتوى موجّهة لابن تاشفين عن حكم أمراء الطّوائف ومنها<<إنّ هؤلاء الرّؤساء لا تحلّ طاعتهم

---

[1] – أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي ومحدث وقاضي وشاعر له كثير من التصانيف منها المنتقى في شرح الموطأ، تبيين المنهاج والتّسديد إلى معرفة طريق التّوحيد، ينظر: ترجمته: سير أعلام النّبلاء ج 18/ص 536.

[2] – م ن ،ص 176.

[3] – ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 99.

ولا تجوز إمارتهم، لأنّهم فُسّاق فاخلعهم عنّا.[1]>>لقد علم في المصادر أن يوسف بن تاشفين كان يولي أهمّية بالغة لآراء الفقهاء والمفتيّين يستشيرهم في شتّى الأمور ويحكم بما أشاروا.

لقد استهلّ مهمّته النّبيلة بالّسيطرة على العدوة الأندلسيّة بدءً بضمّ طريف إلى حكمه بجوار جارتها مدينة الجزيرة الخضراء، وقد تمّ ذلك بيسر[2] لطالما توسّم فيه أهلها الخلاص من أكبال الذلّ والخنوع تحت جوْر ملوك الطوائف وفعل كذلك سكّان إشبيلية، وشهد شوّال عام 483هـ النّداء باسم يوسف بن تاشفين بمدينة طريف إيذانا بانضمامها لحكم ابن تاشفين[3] وكان أكثر ما يريبه ويؤرّقه أمير غرناطة عبد الله بن بلكين، فأغار عليه المرابطون وفتحوا غرناطة بعد حصار دام شهرين، وأرسل ابنَ بلكين أسيرًا إلى أغمات [4]،ووقع خبر خضوع غرناطة للمرابطين واستسلام أميرها بن صمادح[5] كالصّاعقة عليه أطرحته الفراش، ومات بعد أن فرّط في حقوق الأمّة وامتهن إرادتهم، وأمام سقوط غرناطة أرسل المعتمد رسالة إلى ابن تاشفين يستوضح الأمر، ولكنّه لم يجد إلّا الإعراض والإحجام، ثمّ ألقى ابن تاشفين القبض على تميم بن بلقين أمير مالقة ليرجع ابن تاشفين

---

[1] – م س ، ص 100.

[2] – ينظر المعجب، المراكشي، ص 123.، دولة الإسلام محمد عنان –ج2/ ص337.

[3] – العدوة الأندلسية، ص 132.

[4] – أغمات (ogmat) مدينة بالمغرب على سفح جبل بالقرب من مراكش، بينها وبين المحيط الأطلسي أربعة مراحل: ينظر معجم البلدان، الحموي ج1، ص 266-267.

5 – بن صمادح المعتصم بالله والواثق بفضل الله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح أمير ألميرية

للمغرب[1]، ويرسل أربعة جيوش إلى الأندلس في وقت واحد للقضاء على ملوك الطّوائف، فسيّر سير بن أبي بكر إلى إشبيلية، و أبا عبد الله محمد بن الحاج إلى قرطبة (cordova)[2]، وسرور اللّمتوني إلى رندة، و أبا زكريا بن وانس و إلى ألمرية ، وبقي ابن تاشفين في سبتة على رأس جيش احتياطي، فاستطاعت الجيوش الأربعة الاستيلاء على قرطبة، ووصلوا إلى ضواحي طليطلة ، واستولوا على قلعة رباح وقرمونة

ك. الحالة السياسية على عهد المرابطين في عدوة المغرب:

قاد ابن تاشفين الجيوش ينشر الإسلام ويدعو للوحدة، في جميع أمور المسلمين من صلاة وجهاد ومعاملات، ويتفقّد أحوال الرّعية ، وينفي غبنهم ، ويمحو أثر الضّرائب الجائرة الّتي أثقلت كاهلهم وأرّقتهم سنين طوال، ويبقي ما أمر الله به من زكاة وما شابهها، ممّا لا ينافي أحكام الشّريعة كان المغرب والأندلس قبل بزوغ نجم المرابطين يتخبّطان في حالة من الفوضى والاضطراب السّياسي، نتيجة اضطهاد الشّعوب من قبل حكّامها —كما رأينا ذلك آنفا — وُئد القانون، وغاب الأمن، ومات الاستقرار، لبس سكّان المغرب ثوب الجهل واستضيفوا الفقر بعد الاضطرابات بين القبائل فكانت القهقرى سياسيّا واقتصاديّا ودينيّا؛ قد عبّر الدّكتور حامد محمد خليفة عن ذلك فقال: <<انتشرت الباطنيّة والأفكار الهدّامة، وأصبح أهله شيعا وأحزابا يعيشون حالة انقسام مستمرّ، وصراع متجدّد يؤججه أمراء السّوء الّذين يديرون الفتن بدون وازع من ضمير

---

[1] – ينظر: البيان المغرب، ابن عذارى ج143/4، الإحاطة، لسان الدّين بن الخطيب، ج2/ ص 118. تاريخ الأندلس، الذّهبي، ج10/ص610.

[2] – قاعدة الأندلس، وأمّ مدائنها، ومستقرّ خلافة الأمويّين: الحميري الرّوض المعطار، ص153.

أو رادع من دين ، أو وعي لمصالح الأمّة وحقوقها المترتّبة عليهم، لذلك عانت شعوب المغرب من الفرقة المزرية، وويلات الطّائفية وفقدان الأمن والنّظام.. >>[1]

وإنّها من أغراض الفساد —كما يعبّر عن ذلك ابن خلدون في المقدّمة :<<ربّما فرضوا العقوبات في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والجباية والاستكثار منها ،كما هو شأنهم ، وذلك ليس مغن في دفع المفاسد، زجر المتعرّض لها، بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرّعايا في ملكتهم كأنّها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر ، مفسدة للعمران.[2]>>

وفي مثل هذه الظّروف المزرية يصعب على دعاة الإصلاح وحماة الدّين أن يجدوا منفذا للشّعب المغلوب على أمره ، فلا أحدَ يؤازرهم أو يسمع لإرشاداتهم وتوجيهاتهم ، لكن استطاعت الثلّة المؤمنة من جماعة المرابطين أن تصحّح المسار وتصلح كلّ الثّغرات بفضل الاستمساك بالعروة الوثقى الّتي لا انفصام لها لتوحيد صفوف الأمّة الإسلاميّة وتطهير معتقداتهم من الشّوائب العالقة من ترسّبات الجهل والأمّية، فرفرفت راية الشّمل عاليا في سماء عدوتي المغرب والأندلس بفضل جهود المرابطين وحامل لوائهم يوسف ابن تاشفين الّذي قاد المرابطين من نصر لآخر ونظّم أمور الدّولة الفتيّة —بحنكة وحكمة — في غضون فترة وجيزة أبلى فيها البلاء الحسن ونشر الوعي ، وكان خير خلف لخير سلف، وأعاد المجد المفقود في بلاد المغرب والأندلس تطبيقا لتعاليم الدّين الإسلاميّ وقدوة بالصّالحين منهاجا .

[1] – حامد محمد خليفة ،انتصارات يوسف بن تاشفين ، ص 58.

[2] – عبد الرّحمن بن خلدون، المقدمة، ج1/ص 298.

لقد قامت دولة المرابطين على أساس نشر مذهب مالك في صحراء المغرب، فحاولت بعث روح القيم الإسلاميّة والعودة إلى عهد السّلف الصّالح، وعيّنت لنفسها جليّا معالم الإصلاح منتهجة مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وثارت على البدع والخرافات الّتي غزت المغرب في القرن الخامس هجري حربا لا رحمة فيها ولا هوادة، حطّمت دنان الخمر وكسرت آلات الطرب ، وفرضت صلاة الجماعة على النّاس فرضا، وعمّمت الزّكاة ، واقتصرت في فرض الضّرائب على ما أوجبه الشّرع ، فلقيت ترحابا أينما حلّت ، وكانت المدن تفتح أبوابها لهؤلاء القوم المخلصين في جهادهم وفي إصلاحهم ، توسّعت من أجل الجهاد ، وذهبت ريحها في سبيل الجهاد [1]

ل. الحالة الاجتماعية في عهد علي بن أبي تاشفين :

حرص الأمير على استقرار الأوضاع في فترة خلافته، فقد كانت أيّامه أيّام خير ودعة فلم يدّخر وسعا في جعل كلمة الله هي العليا، وواجه النّصارى فكسر شوكتهم – في كثير من الأحيان – كما أسلفنا الذّكر[2]–، ولم تشغله الثّورات الدّاخلية عن واجبه المقدّس حيال إخوته من المسلمين على الرّغم من أنّ ابن تومرت كان يقرع أبواب عاصمته مراكش في الوقت الذي كانت جيوشه تتصدّى وتواجه جيوش النّصارى؛ فكان يبني ويشيّد من جهة، ويكافح الأعداء في المعاقل من جهة أخرى[3]،حيث قال فيه

---

[1] –ينظر، قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود دار الفكر العربي، القاهرة، ص326.

[2] – معركة إقليش: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج 6-386.

[3] – سلامة محمد سلمان الهدفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دار النّدوة الجديدة، مكة ،1985م، (د ط) ، ص69

ليونولد وتورس بالباس:<<كان من أعظم وأزهى فترات تاريخ المرابطين[1] ، ولقد امتاز بصفات أخلاقية حميدة تضعه في مصاف رجال القرن الأوّل الهجري من صلحاء المسلمين، لقد كان حليما وقورا حريصا على إقامة العدل منقادا إلى الحقّ والعلماء.[2]>> ووصفه صاحب الحلل الموشية قائلا:<<...كان كثير الصّدقة، عظيم البرّ جزيل الصلّة، ألبسه الله المهابة، وقذف له في القلوب المحبّة ، فاجتمعت عليه الأمّة ..[3]<<

بالرّغم من قوّة سلطانه ، واتّساع دولته إلا أنّها لم تجعل منه إنسانا فظّا غليظ القلب ، بل مثل الخلق الإسلامي خير تمثيل ، فكان مثالا للتّواضع ، شاكرا الله بكثرة عبادته قوّاما للّيل صوّاما للنّهار[4] ، وقد يداوم على إرسال الرّسائل إلى عمّاله حاضّا إيّاهم على الرّفق بالرّعية، وإقامة العدل ورفع الحجاب عن المظلومين والشّاكين....، ولقد وجه كثير من الوصايا إلى رعاياه وولاته على الأمصار وركّز فيها بشكل خاصّ على تقوى الله والاتّحاد ونبذ الفرقة، فالرّوح الدّينية هي الغالبة على كلّ هذه الرّسائل وهو أمر تميّزت به الدّولة المرابطية [5]

[1] – ليوبولد وتوريس بالباس: الفن المرابطي والموحّدي ، ترجمة سيد غازي ،القاهرة ،1971م ،ص 10

[2] – ميراندا :علي بن يوسف وأعماله في الأندلس ص 156.

3 – مجهول المؤلّف، الحلل الموشية، ص 84-85.

4 – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 69.

5 – محمد عبد الله عنان، م ن، ص محمد عبد الله عنان، م ن، ص156.

لكن سرعان ما انقلب الأمن اضطرابا؛ فيروي لنا ابن القطان من أحداث الجانب الاجتماعي غير صور الحروب والغزوات أنّ المجاعة اشتدّت بقرطبة، وانتشر الوباء بين الناس وكثر الموت، وذاعت الفوضى وبلغ سعر المدّ[1] من القمح خمسة عشر دينارا ، وكثُر أهل الشّرّ ، فجدّ الوالي ابن قنونة في مطاردة أهلها ، وقتل الكثير منهم ، واشتدّ الخوف بين النّاس[2] وزحف القشتاليون على قيد فرسخين[3] من إشبيلية وهم يثخنون في أحوازها سبيًا وقتلا وتخريبا، كان الأمير تاشفين منشغلا بالعدوان القشتالي على بطليوس وإشبيلية[4]

وممّا يذكر في هذه الفترة في عام 529هـ -كما ذكرنا سالفا- وقع بـ قرطبة هياج شديد، بعدما ثارت العامّة ضدّ اليهود حيث وجدوا قتيلا مسلما في بعض أحيائهم ، واقتحموا منازل اليهود ونهبوها، كما وقعت اضطرابات بـ إشبيلية من جرّاء ثورة العامّة ضدّ قاضيها أبي بكر بن العربي ، الّذي اشتدّ وطغى في زجرهم ، ومعاقبتهم بمختلف العقوبات المبتكرة [5] وكما قُتل قاضي قرطبة أحمد بن خلف التّجيبي في صلاة الجمعة بجامع قرطبة عام 529هـ..

---

1 -المدّ: مكيال قديم القياس من الحجم: وسمّي مدّا لأنّه قدر ما تمتد به اليد من العطاء

2 - ابن الخطيب ،الإحاطة ج1/ص 460.

3 - الفرسخ مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال، والميل مقياسٌ للطّول قُدِّر قديمًا بأَربعة آلاف ذراع أي ما قدره 1760 ياردة أو 1609 أمتار تقريبًا، ينظر معجم المعاني: المادة: ميل، فرسخ.

4 - ينظر ،دولة الأندلس، محمد عنان، ج3/ 138.

5 - م ن ، ص 140

ومن مظاهر الحياة الحضارية في المجتمع المرابطي:

أن عُرفت المرأة المرابطية بأناقة الثّياب فلبست من أنواع الأقمشة الّتي توافرت في بلدها من صنوف الخزّ الطريّ والكساء العنبريّ والمريش والديباج الرّومي[1] ولبست الملابس السّحولية [2]والثّياب السّوسية [3] وثياب الخزّ العبيدي[4] والوشي المهلهل [5] والحرير الجيّان[6] والحرير الخسرواني [7] وثمّة أقمشة عرفتها الأندلس منها المفصّص والمقسّم والمشوب[8]<<فكان بها ثمان مائة نول لنسج الحرير، وألف نول للحلل النّفيسة والدّيباج الفاخر، وألف نول للإسقلاطون، والثّياب الجرجانية مثلها، وللأصفهانية كذلك وللعتابى والمعاجر المدهشة

---

[1] – ينظر: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس و المغرب، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان، 1984م، ج1، ص 296.

[2] – ينظر : الرّوض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ص 307.

[3] – ينظر: الذّخيرة، ابن بسام، ق4، م 2، ص 653.

[4] – ينظر البيان المغرب ،ابن عذارى، ج 1، ص 296.

[5] – ينظر الذخيرة، ص 319.

[6] – ينظر نفح الطّيب ج 4، ص 204.

[7] – ينظر المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية الكلبي، تحقيق،إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت 1995م، ص 195.

[8] – ينظر نفح الطيب، المقري، ج 5، ص 87.

والسّور المكلّلة[1]>>،حتّى شاع أنّ الأندلسيات لبسن ثيابا في الصّباح وأخرى مساء[2]،وهو مظهر من مظاهر التّرف والأبّهة <<فألمريّة كانت أيام الملثّم مدينة الإسلام، وكان بها من طرز الحرير ثمان مائة طراز يعمل بها الحلل والدّيباج والسّقلاطون، والأصبهاني والجرجاني، والسّتور المكلّلة والثّياب المعينة والخمر، والعتابى، والمعاجر، وصنوف الحرير[3]>>،ومن الألبسة نجد الحلة؛ وهو الثّوب السّاتر لجميع البدن، ويشترط أن يكون من قطعتين كالإزار والّرداء يصفه أبو الصّلت أميّة قائلا:

هِيَ الشَّمْسُ مَغْرِبُهَا فِي الكُلَلِ وَمَطْلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الحُلَلِ[4]

وأمّا النّطاق فكانت تتحزّم به المرأة عند لبس ثوبها، وتشدّ وسطها بشيء، وترفع وسط ثوبها وترسله إلى الأسفل لئلا تعثر في أذيالها ويشير إليه ابن اللّبّانة متحسّرا على سوء منظره القصير:

---

[1] – عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهلّ الموحّدين، تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي، ط 1،، 1988م، ص 184.

[2] – ينظر الذّخيرة، ابن بسّام، ق2،م 1،ص 308.

[3] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص562.

[4] – ينظر ديوان أميّة الصّلت الأندلسي، تحقيق عبد الله محمد الهوني ،دار الأوزاعي ،الدّوحة قطر، ط1990،1م.، ص 48.

وَاحَسْرَتًا مَاذَا ابْتَلَيْنَا بِهِ   مِنْ كَامِلِ الذَّرْعِ قَصِيرِ النِّطَاقِ[1]

وتطوّقت بالوشاح المرصّع فكان رمز الرّقّة والغنج، كلّه حليّ من اللّؤلؤ والجوهر، مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر :يقول ابن حمديس:

قُمْ هَاتِهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ الوِشَاحِ   فَقدْ نَعَى الَّليْلَ بَشِيرُ الصَّبَاحِ2

ويقول ابن خفاجة واصفا لملاءة لبستها محبوبته

أَفَاضَتْ عَلَى عَطْفِ مَلاَءَةٍ   وَلَفَّتْ عَلَى ظَهْرِ الكُثُبِ إزَاراَ

وشدّ المرابطي وسطه بالزنّار يقول أميّة أبو الصّلت:

وَعَاقِدْ فِي الخَصْرِ زُنّارَا   أَضْرَمَ فِي أحْشَائِي النَّارَا

ويقول الدّاني، وهو يتغزّل بجميلة ممشوقة القدّ تلبس معطفا ووشاحا:

---

[1] – ديوان ابن اللّبآنة، الدّاني، جمع، وتحقيق: محمد مجيد سعيد، دار الرّاية، عمّان، ط2، 2008م.ص 172.

[2] – ديوان ابن حمديس الصّقلّي، تحقيق وتقديم: إحسان عبّاس، دار صادر بيروت، ط2 ،1433هـ.ص 89.

غَيْدَاءُ جَيْدَاءُ لهَا مِعْطَفٌ يَرْفُلُ مِنْ دِيبَاجَةٍ فِي اتِّشَاحِ[1]

ويقول الدّاني متغزّلا بالخمار قائلا:

حَسُنَتْ أمَامِي فِي خِمَارٍ مِثْلَمَا حَسُنَ الكَميُ أَمَامَهُ فِي مِغْفَرِ[2]

ويقول في وصف جمال العروس وقد سُترت بالخمار:

يزُفُّ إِلَى الأَعْدَاءِ منْ حَوْمَةِ الوَغَى عَرُوسُ خِمَارٍ عِطْرُهَا عِطْرُ مُنشمِ[3]

وارتدت بعضهنّ البردة ككساء يلتحف به، ومن هنا نستشف أنّ المرأة المرابطية حرصت حرصا شديدا على الأناقة والعناية بشكلها الخارجيّ وبكلّ ما يزيّنها في عين الرّجل وقلبه فطفقت مثالا للتّحضّر والإبداع في اللّباس، ولم تبخل على نفسها من التّزيّن والتّبرّج بشتّى أنواع الحلية، هذا ما يميّز الملثّمين الّذين تركوا الحقّ للمرأة في الخروج والسّفور وفارضة نفسها في المجالس العلميّة والمشاركة في بناء المجتمع ندّا مع الرّجل[4]،ولقد برع الأندلسيون في حياكة الثّياب فصنعوها من الكتان والصّوف والقطن والحرير الموشّى بالذّهب والأقمشة الحريريّة الخفيفة الرّقيقة الّتي تزدان بزخارف نباتيّة وأزهار تشبه الأكاليل، ومن الدّيباج طرزوا

---

[1] – ديوان أبو الصّلت الدّاني، ص 84.

[2] – ديوان ابن اللّبانة ص54.

[3] – ديوان ابن اللّبانة، ص 97.

[4] – ينظر تاريخ الحضارة المغربية، بن عبد الله علام ص 234.

فاخر الثّياب، كما استعانوا بالقطن والكتّان المزيّن بالأشكال الهندسيّة، وعملوا من الحرير الموشّى بخيوط الذّهب الحلل [1]

كما تقلّدت المرأة بالحليّ، وصور الشّعراء هذه الضّروب من الزّينة وأسهبوا في وصف الموادّ التي صنعت بها منها الأقراط والشّنوف والتّيجان المرصّعة باللآلئ والعقود والقلاد والخلاخل والحجال والخواتم ...[2]؛وقد صنعت من الذّهب الخالص والفضّة والأحجار الكريمة من الياقوت والزّبرجد والزّمرد ونفيس الجواهر[3]

لقد أُعجب ابن خفاجة في جمال الشّنوف والأقراط في أذن محبوبته فقال:

وَخَفَّ بِقلْبِي فِيهِ الهَوَى   وَلاَعَبَ قُرْطَانَهُ شَنَفُهُ[4]

ويقول الأعمى التّطيلي في وصف خاتم على شكل هلال لبسته جميلة فتغزل بها:

وَأبْيَض مِنْ شَطْرِ الغِنِىَ رَدَّ ظَهْرَهُ   إلَى كَوْكَبٍ عَالِي المِكَانَةِ غَالٍ
أُدِيرَ كَدُورِ البَدْرِ ثمَّ لَبِسَتْهُ   فلمْ تَرَ مِنْهُ العَيْنُ غَيْرَ هِلاَلِ[5]

[1] – ينظر: الأندلس في نهاية المرابطين، عصمت دندش، ص 322.

[2] – ينظر: الغزل في الشّعر الأندلسي، محمد نايف بن صغير، ص69

[3] – ينظر: الأندلس في نهاية المرابطين، عصمت دندش، ص 181.

[4] – ينظر: ديوان ابن خفاجة، ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة لبنان، ط1، 2006م.ص 171.

[5] ينظر ديوان الأعمى التّطيلي، ص 128.، الذّخيرة، ابن بسام الشّنتريني، ق 2، م 2، ص879.

ووصف ابن حمديس امرأة حسناء، وهي تزيّن جيدها فشبّهها بالشّمس لتوهّجها ولمعانها:

إِذَا أَقْبَلَتْ كَانَتْ بِتقْوِيمِ حَلقِهَا وَمِشْيَتِهَا بِالشَّمْسِ تَسْتَوْقِفُ الشَّمَا [1]

وأورد ابن خفاجة في وصفه لدملج وسوار معشوقته:

إِذَا شِئْتَ غنَّانِي وِشَاحٌ وَحِليَةٌ لِحَسْنَاءَ غَصَّتْ دُمْلُجًا وَسِوَارًا [2]

ومن مظاهر الزّينة وجدنا في الشّعر الكحل الطبيعي؛ فللحفاظ على جمال العيون وصحة البصر نجد النّساء كانت تكتحل بالإثمد ،كما استعملت أنواع العطور وانتشرت صناعة العطور والمواد كالعنبر والمسك والعطور المستخرجة من الأزهار المختلفة [3]

فهذا ابن حمديس يتغزّل بفتاة كحلاء زاد الكحل فيها بهاء وحسنا :

زَادَتْ عَلَى كُحْلِ العُيُونِ تَكَحُّلاً وَيَسمُّ نَصْلُ السَّهْمُ وَهُوَ قَتُولُ [4]

---

[1] – ديوان ابن حمديس، ص 282.

[2] – ابن خفاجة، ديوانه، ص 110.

[3] – ينظر :قرطبة الإسلاميّة في القرن الحادي عشر ميلادي، محمّد عبد الوهّاب خلاف، الدّار التّونسية للنّشر، 1984م، ص 160- 162.

[4] – ابن حمديس، ص 558.

وأمّا الخضاب فقد استغلّت المرأة المرابطيّة الحناء كصبغة للشّعر والجسم عن ذلك يعبّر التّطيلي قائلا:

كَسَا سُوقَهَا وَمَنَاقِيرَهَا   وَأعْيُنَهَا عَنْدَمًا أوْ رِقَاناَ [1]

كما يصف ابن خفاجة محبوبته، وقد اصطبغت شفتيها بالحمرة إذ يقول:

مِنْ كُلِّ قَاصِرَةِ الخُطَى مُخْتَالَةٌ   مَشْيَ الْفَتَاةِ تجُرُّ فَضْلُ إِزَارِ .
مخْضُوبَةُ المنْقَارِ تحْسَبُ أَنهَّاَ   كَرَعَتْ عَلَى ظَمَأ بِكَأْسٍ عَقَارِ[2]

ويصف طلاء الأظافر الأعمى التّطيلي قائلا:

يَرْقَى بِهِ الأَمَلُ القَصِيُّ فَينْتَشِي   مخْضُوبٌ رَاءِ الظُّفْرِ وَالمنْقَارِ [3]

ولبس الرّجال زيّا يعبّر عن الرّجل المرابطي، فتنوّعت ثّيابهم بتنوّع المناطق ؛فقد كان أهل مكناس يلبسون الأكسية ويربطون العمائم[4] ،ولفتت أزياء أهل السّوس نظر الإدريسي الّذي وصفها بقوله: «وزيّهم لباس الأكسية من الصّوف التفافا وعلى رؤوسهم الشّعور الكثيرة ولهم بها اهتمام وحفظ ذلك أنّهم يصبغونها في كل جمعة بالحِنّاء ويَغسِلونها

---

[1] – ينظر ديوان الأعمى التطيلي، ص 207.
[2] –ينظر ديوان ابن خفاجة:112.
[3]ديوان الأعمى التّطيلي، ص 208.
[4]– نزهة المشتاق، الإدريسي ،ص: 246

في كلّ جمعة مرّتين برقيق البَيض والطّين الأندلسي ويحتزمون في أوساطهم بمآزر صوف ويسمّونها سفاقس، ولا يمشي الرّجل منهم أبدا إلّا وفي يده رمحان قصار العصيّ طوال الأسنان رقاقها وينتخبونها من أطيب الحديد[1]. »

وعبّر القائل عن الملابس التّقليدية المستوحاة من بيئة البربر التي لاتزال حيّة ليومنا هذا محبوكة من الموادّ الأوليّة البسيطة كالصّوف وموادّ التّجميل المتمثّلة في الحنّاء والطين .

ولم يكتف الإدريسي بذكر لباسهم بل تعدّاه إلى وصف مظهرهم الخارجيّ الّذي ينمّ عن حرصهم الشّديد على الظّهور بأحلى حلّة، مع العناية بالشّعر من خلال تفرّدهم في طريقة مشطه وترجيله، فضلا على حرصهم على الظّهور بمظهر القوّة من خلال حمل السّلاح، وهو ما يوحي بالصّلابة لتعوّدهم على الصّيد ويعكس ثقافتهم المتميّزة ،وحسب قدرات أفرادها ومكانتهم الاجتماعية، كما تباينت حسب نوع المادّة الّتي حيكت منها بين حرير وديباج وصوف وغيرها.

[1]- نزهة المشتاق، الإدريسي، ص:227-228

الاحتفالات والمواسم:

وشهد المغرب والأندلس العديد من المناسبات الاحتفالية سواء كانت دينيّة أو عسكريّة ؛فتنوّعت وتعدّدت حسب مقتضيات الحال، ومن الاحتفالات الّتي لاقت إقبالا منقطع النّظير: كالأعياد الدّينية، وصلاة الجمعة وشعائر التّعبّد في رمضان<< بإقامة الأذكار وقراءة القرآن وتأدية الصّلوات بالمساجد ،وكان الخلفاء يحتفلون بذلك الشّهر وذلك بالقراءة في مصحف سيّدنا عثمان رضي الله عنه ...والحلقات الدّينيّة، واختصّ المغاربة ليلة السّابع والعشرين بالتّعظيم والتّكريم...كذلك ليلة عاشوراء حيث كان بعض الصالحين يعدّون الطّعام ويدعون النّاس لتناوله احتفالا بهذه الّليلة.[1]>>

وأمّا أهل الذّمة فقد احتفلوا بالنيّروز[2]، وهو يوم يحتفل به النّاس في المغرب والأندلس مستبشرين خيرا بالعام الجديد من شهر يناير ويتميّز باحتفالات خاصّة وتزيّن الموائد بأشهى الأطباق وشاركهم فيه المسلمون كما صوّر ذلك الشّاعر ابن اللّبانة:

يَا كَوْكَبَ النَّيْرُوزُ فِي بَهْجَةٍ   أَسْنَى مِنَ البَدْرِ المنِيرِ اللّيَّاحِ
جَاءَتْ عَطَايَا تَهَادَى بِهِ   تَهَادِيَ الغِيدِ غَدَاةَ اقْتِرَاحِ[3]

[1] – الحضارة الإسلامية في المغرب عصر المرابطين والموحّدين، حسن علي حسن، ص 419.
[2]– ينظر التّفاصيل: الذّيل والتّكملة، عبد الملك المراكشي، ج 2، ص 565.
[3] – ديوان ابن اللّبانة، ص 47.

ولقد عكست مظاهر الاهتمام بالاحتفالات الدّينية بُعدا ثقافيّا مميّزا امتدّ منذ عصور إلى يومنا هذا ولا غرو في ذلك لأنّه رمز الشّخصية المسلمة الّتي تمارس شعائرها الاعتقادية في المجتمع،<<وكان المقتدرون من أفراد المجتمع يشترون الكباش كي يضحّوا بها في عيد الأضحى وكمظهر من مظاهر الاحتفال بالعيد ،كان النّاس يلبسون الملابس الجديدة مع التّجمّل والتّزيين في أيام العيد.[1]>>، ومن القول نستخلص روح التّكافل الاجتماعي الّذي شاع في المجتمع المرابطي .

وأمّا الاحتفالات العسكريّة؛ فقد تنوّعت بتعدّد المواقف منذ قيام الدّولة، فقد كان يخرج النّاس لمشاهدة عرض العساكر إمّا استعدادا للمعركة أو رجوعا منها<<وقد تعوّد ولاّة الأمر استعراض جنودهم قبل الخروج إلى المعارك، وذلك باستعراض متائب الجيش وألويته والسّلاح والعتاد أمام مرأى من النّاس، وقد استعرض تاشفين بن علي جنوده في تلمسان سنة538هـ.[2]>>

ومن أدوات الحرب وأسلحتها << الدّرق اللّمطية ،وسيوف الهند، ومزاريق الزّان، وكذا السّهام والمطارد، والرّعادات، كما ماكنوا يضربون في الطّبول وينفخون في البوقات[3].>> ولقد مثّلت هذه الأسلحة آنذاك رمز المحاربين الأشاوس الّذين تفوقوا

---

[1] – م ن ، ص 420.

[2] – م ن ، ص 421.

[3] – ينظر: تاريخ المغرب، ابراهيم حركات، ص 208.

على الأدفنش في معركة الزّلاقة[1]، وكانت مطيّتهم في البداية الجمال لتحوّل فيما بعد – كما رأينا ذلك سالفا– إلى الخيول المناسبة لجوّ الأندلس وطبيعة تركيبها.

وأمّا الرّايات؛ فقد تفرّدت بألوانها المتعددة، والموشاة بالذّهب،وقد صُنعت من الحرير الخالص الملوّن، وكان لكلّ عامل رايته الخاصّة [2]

المأكل:

عكست طبيعة المنطقة بدفتيها وفرة المحاصيل لخصوبة تربتها، وغرارة مياهها، وكانت تنتج القمح والعنب والزّيتون والفواكه، وكان أهلها آمنين مطمئنّين في عيش رغد ونعمة تامّة منذ ملك أمراء المسلمين بنو تاشفين[3]وأبدعوا في الطبيخ وتفنّنوا في طهوه، مستغلّين ما جادت به أرضهم، ومقتاتين ممّا أنتجت أيديهم من خضر وفواكه، وحيوانات، وبقوليات.[4]

انطلاقا من الجوانب الحضارية الّتي زخرت بها الدولة ولاتزال شاهدة على انجازات أصحابها المتميزة، يجب علينا –نحن المغاربة– تصحيح نظرة الأمم الأخرى

---

[1] – ينظر التفاصيل: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، تحقيق محمد عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ج2/، ص 237.

[2] – ينظر: تاريخ المغرب، إبراهيم حركات، ص 210.

[3]– ينظر نزهة 243– 248.

[4] – ينظر كتاب الطبيخ في الأندلس ،مؤلف مجهول 2017، https://www.noor-book.com/book/review/564429 تاريخ الولوج 18– 5– 2021 على 23.00سا

خاصّة المستشرقين والغربيّين لتراثنا الّذي لايزال في الكثير من المجهودات لمعرفة كنهه، وسبر أغواره

الحالة الفكرية في عهد المرابطين:

شهد الأندلس في عصر المرابطين نهضة متميّزة كانت امتدادا لتلكم النّهضة العلميّة على عهد ملوك الطّوائف، فعدّ من أزهى العصور وأينعها في الحضارة والفكر، وقد استمرّت هذه النّهضة ولو على مضض لسبب استقرار أوضاع الأندلس سياسيّا؛ فانعكس على نموّ الحركة الثّقافيّة، مع تشجيع العلماء والعلم، وقد شارك بعض الأمراء والرّؤساء هذا التّحصيل على حدّ تعبير عبد الله كنون[1]

ولم يلبث المرابطون إمساك زمام الحكم حتّى بادوا إلى توحيد إفريقيا الشّمالية، فأعطوها نكهة خاصّة ميزتها عن البلاد الحاكمة سابقا فاستعانوا بجماعة من العلماء الواردين عليهم من الأندلس ، وقد أقبلوا لتدعيم الدّولة الفتيّة بعدما اشتغل ملوك الطّوائف بترّهات الأمور، وهبّ آخرون من القيروان بعدما تمكّن بنو هلال[2] منهم في القيروان[3] وهكذا أقفرت مدارس القيروان بعد غزوات عرب بني هلال. وكان القرن الرّابع

---

[1] – ينظر :النبوغ المغربي في الأدب العربي :عبد الله كنون –بيروت –،ط1961،1م ،ج 1/، ص 73.ومابعدها .

2 بنو هلال قبيلة عربية عدنانية أصلها يعود إلى وسط نجد ،حيث كانوا يعيشون في بادئ الأمر، هاجرت القبيلة من الجزيرة العربية إلى الشام شمال إفريقيا ، ينظر صبح الأعشى ، القلقشندي، ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت، ص. 341

[3]– جامع القرويين من أهمّ الجوامع التي تقع في المغرب العربي، وبالتّحديد في مدينة فاس، وتمّ بناء هذا الجامع في شهر رمضان المبارك من العام 859م، وبالتحديد في شهر نوفمبر، بأمر من العاهل الإدريسي يحيى الأول، وتطوّعت فاطمة الفهرية ببناء هذا الجامع، حيث بقيت صائمة

نهاية مجد القيروان وبداية ازدهار الثّقافة الفقهيّة في المغرب على حدّ تعبير صاحب نهاية الأرب[1]

ويشير المرّاكشي في كتابه المعجب قائلا:<<انقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كلّ علم فحوله حتّى اشتبهت حضرة بني العبّاس في صدر دولتهم ، واجتمع له في دولته من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة[2] >>، ولم يحفل المرابطون بالعلماء والأدباء فحسب بل امتدّت عنايتهم بالفنّ والصّناعة من الأندلس ، فكان خلفاء المرابطين يجالسون العلماء والأدباء والفقهاء ويشاورونهم، ولا يبرمون أمرا إلاّ على اعتبارات شرعية حسب ما جاء في التّكملة ، والإحاطة والمعجب وصلة الصلّة لابن الزّبير وقلائد العقيان وكتاب الفصيح والجذوة[3]

ولقد ضاقت القرويّون ذرعا بجور الحكام والأئمة ، وفي أوائل القرن السّادس للهجرة اجتمع العلماء وقاموا بتكليف القاضي عبد الحقّ بن معيشة[4]بإصلاح القرويّين؛ فقال

صيام تطوّع لحين الانتهاء من بنائه وتجهيزه، ومنحت جميع ما تملك من ميراث ورثته لإنجاز هذا الجامع، وسمّي هذا الجامع بهذا الاسم نسبة إلى مدينة تونسية مشهورة وهي القيروان، ينظر معجم البلدان ج4/ ص 421.

1 – أحمد بن عبد الوهاب النّويري شهاب الدّين النّويري نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 24/ص 123.

2 – عبد الواحد المراكشي ،المعجب ،ص 266.

3 – نقلا عن الحسن السّائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء ط 2، 1986م – ص 179

4 – ينتمي لأسرة مهاجرة من المشرق، وكانت الأسرة ذات علم ومكانة هيأت له أسباب طلب العلم، فتتلمذ على كبار علماء الأندلس، فهو لم يرحل كما رحل غيره من العلماء بسبب

في حقّه صاحب قلائد العقيان:<<نبعة دوح العلاء، ومحرز ملابس الثّناء، فذّ الجلالة، وواحد العصر والأصالة، وقار كما رسا الهضب، وأدب كما أطَّرَدَ السلسلُ العذب. وآثاره في كلّ معرفة، وعَلَم في رأسه نار، وطوالعه في آفاقها صبح أو نهار[1]...>>

وشجّع عليّ بن يوسف أمير المسلمين هذا الإصلاح:،فقام القاضي بن معيشة بشراء كثير من الأملاك المجاورة وتوسّعت القرويّين، .وبدون شكّ نمت فيها الحركة الدّراسيّة أكثر من أيّ عهد مضى، وكان المشرف على تسيير النّظام بها هو القاضي والّذي يقيم بجانبها، ويسهر على الدّراسة بها، وكان يعطي الكراسي للمستحقّين من أعلام الفقه والفتيا وباقي العلوم، وكان يجري على الطّلبة امتحانا لتخريج المبرّزين على شكل نظام الإجازة، كما كان بها مفتي همّه إرشاد النّاس إلى دينهم ويوجّههم في الدّفاع عن حقوقهم، وكان يسند إليه جانب من الأوقاف يصرفه باجتهاده في المشاريع الإسلاميّة [2]

وبُنيت بفاس ومكناس ومراكش عدّة مدارس ملحقة بالمساجد ولإيواء طلبة العلم، أضيفت مرافق للسّكنى، والدّراسة والمطالعة والصّلاة مع أعطيات وأرغفة للتّشجيع على طلب العلم ، ومرتبات في كلّ شهر[3]ويعبّر عن ذلك صاحب روض القرطاس قائلا:<<قام المرابطون بالمغرب وملكوا جميعه، وجاءت دولة أمير المسلمين علي بن

ظروف بلاده آنذاك ينظر قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبو نصر الفتح بن خاقان ،تحقيق د حسين يوسف خريوش، جامعة اليرموك ،مكتبة المنار، الأردن ط1 ، 1989م – ج 2 /ص655

[1]– الفتح بن خاقان ،قلائد العقيان ، ج 2/ص655.

[2] – الحسن السّائح، الحضارة الإسلاميّة في المغرب ، ص 175.

[3] –م ن ،ص 176.

تاشفين اللّمتوني، فضاق الجامع بكثرة النّاس في أيّام الجمعة حتّى أنّهم يصلّون بالأسواق والشّوارع والطّرق ...فقال: يكون الإنفاق في ذلك من بيت المال ..فكانت أوّل مدرسة بفاس هي مدرسة المرابطين..[1]<<

فتوفّرت الحركة العلميّة نتيجة التّشجيع ، وتقدّمت حركة التّدريس والتّأليف تقدّما مدهشا رفع المغاربة إلى مصاف رجال الفكر في العالم الإسلاميّ، وأبانوا عن ذكائهم وتفنّنهم في سائر الفنون والمعاريف من فلسفة وطبّ وعلوم لسانيّة ودينيّة كما شجّعوا الدّراسة في بلادهم ، ومن المعروف أنّ يوسف بن تاشفين المرابطي أسّس بفاس مدرسة (الصّابرين) المسمّاة من بعد مدرسة بومدين[2]

من أهمّ مدارس المغرب في عهد المرابطين: كلية القرويّين بفاس ، ومدارس سبتة ، ويذكر ابن الأبار عدّة مدارس أخرى كانت بطنجة وأغمات وسجلماسة وتلمسان ومراكش، وكانت هذه المدارس تأوي علم القيروان وثقافة الأندلس المشهورة، حيث نبغ فيها أعلام كبار في علم الفقه والحديث أمثال القاضي عياض، وأبو الوليد بن رشد مؤلف كتاب المقدّمات الأوائل للمدوّنة والبيان والتّحصيل إلى آخر كتبه القيّمة ...وكذلك آوت قرطبة عددا من الكتّاب والأدباء ترجم لمعظمهم أبو جعفر بن إبراهيم

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس ص60.

[2] – مجلة فيصل، العدد 34، مارس 1980م، السّعودية، بقلم عبد العزيز بن عبد الله ص 16، تاريخ القراءة:في 21- 1- 2019على السّاعة د12:20سا
https://books.google.dz/books

المعافري المعروف بالفتح بن خاقان، وكان جلّهم يحذقون لغات النّصارى المجاورين ويترجمون عنهم فتمّ النّقل والتّرجمة من الحضارة المسيحيّة واللاّتينية إلى اللّغات العربيّة[1]

م. *العلماء في الأندلس:*

بعد معركة الزّلاقة كان بصيص أمل غد مشرق، يلوح في سماء العلماء والفقهاء آملين أن تكون بداية تغيّر إلى مستقبل أحسن، بعدما أيسوا من ملوك الطّوائف المتخاذلين، فراحوا يراسلون العاهل المرابطي طالبين الغوث والإنجاد[2]،فلبّى النّداء وكان دورهم تحريضي على أمراء الطّوائف؛ فقاموا بنقل صورتهم لأمير المسلمين ، وقد لفتوا نظره لفساد وجور حكّامهم، كما أعلموه بالضّرائب الّتي فرضت على الأندلسيّين، وبيّنوا له فداحتها ومنافاتها للشّرع[3]، وقد طلب الأندلسيون من أمير المسلمين رفع المكوس والظّلامات الّتي قصمت ظهرهم وأعيت كواهلهم، وقد كانت تغطية لمصاريف ترفهم وأداء الجزية الّتي فرضها عليهم الحكّام المسيحيّون[4] ،

ومن أبرز من جاهر بمعائب أمراء الطوائف الفقيه أحمد بن القليعي الّذي وصفه ابن بشكوال: بأنّه كان ثقة صدوقا أخذ النّاس عنه، فكره الظّلم [5] لذلك لاقى عوائق

---

[1] – ينظر: الحضارة الإسلامية في المغرب، الحسن السّائح، ص 177.

[2] –ينظر: الحلل الموشية، مجهول، ص 67.

[3] – محمد ابن عبود: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري ،مطبعة النّور ،تطوان 1987م ، ص 189.

[4] – محمد محمود عبد الله بن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، 1997م، جامعة أم القرى، ص.135.

[5] – ابن بشكوال، الصلة ج1/، ص 75. التّرجمة 157،

شديدة من الملوك إلى أن أُرسل في بعثة لملاقاة يوسف ابن تاشفين لطلب النّجدة منه ، وهنالك توطّدت العلاقات بينهما.

ووصفه الإمام ابن عطية قائلا: <<لقد كان رحمه الله شيخ فضل وصدق موقوفا على حوائج المظلومين والمضطهدين [1] >> فكان لا يخاف من قول الحقّ لائمة لائم بل جاهر بعداء الأمراء وأظهر نواياه تجاههم[2] وهنا يذكرنا بقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم حين سئل أي الجهاد أفضل؟ قال:<<كلمة حقّ عند سلطان جائر [3]>>

لم تكن مسألة المكوس والضّرائب الذّريعة الوحيدة الّتي قدّمها العلماء ضدّ ملوك الطّوائف ، وإنّما وصل الاتّهام أكثر حيث اتّهموا بالخيانة لتعاملهم وتواطئهم مع ألفونسو السّادس ومداخلتهم له وتقديمهم الجزية له حتّى بعد معركة الزلاّقة واعتبره العلماء منافيا للشّرع الإسلاميّ[4]

ومن بين العلماء الّذين أفتوا في أمر ملوك الطوائف بعد حصن لييط الفقيه يوسف بن عيسى المعروف بابن الملجوم، وقد عرف بالموضوعيّة والبعد عن النّفاق وممّا أفتوا به : بجواز خلعهم وإزالتهم[5] لأنّهم خانوا الله بمعاهدتهم ألفونس على قتال المسلمين فإنّك

---

[1]- محمد محمود عبد الله بن بيه: الأثر السّياسي للعلماء في العصر المرابطي، ص 129..

[2] - بن بلكين: التّبيان، ص 128.

[3] - الإمام النّووي: رياض الصّالحين، ص 127

4 - أحمد بن عبود: جوانب من الواقع الأندلسي ص 189.

5 -ابن خلدون: العبر ج 6/، 186.

إن تركتهم وأنت قادر عليهم، أعادوا بقيّة بلاد المسلمين إلى الرّوم وكنت أنت المحاسَب بين يدي الله [1]، ثم الإبقاء على هؤلاء الأمراء لا يتوصّل معه إلى واجب الجهاد[2]

لقد أيّد فتوى علماء الأندلس والمغرب علماء أجلاء آخرون منهم الإمام الغزالي الّذي قال: يجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمرّدة، ولاسيما قد استنجدوا بالنّصارى [3]، وأيّد الفتوى الإمام الطّرطوشي فقيه مالكي، صاحب كتاب سراج الملوك *في سلوك الملوك* [4]

ومن الشّخصيات البارزة الفقيه ابن الأحسن السّجلماسي من سجلماسة انخرط في خدمة الدّعوة المرابطيّة ودعوتها أرسله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وقاضي الجماعة أبو مروان عبد الملك المصمودي للتّفاوض مع المعتمد بن عباد في أمر تسليم الجزيرة الخضراء للمرابطين، وكان له دورا بارزا في توحيد صفوف الجهاد في الثّغور ومدافعة العدوّ احتلّ مكانة واحتراما كبيرين لعلمه وقيمته النّفيسة عند أمير المسلمين ، فقرّبه المتوكّل وصرف إليه الكثير من شؤونه[5]، ولما أحسّ الفقيه بقرب الخليفة من النّصارى

---

1 – ابن الكردبوس . الاكتفاء ص106.

2 –ابن خلدون، العبر ج /6، ص 187.

3 – محمد محمود عبد الله بن بيه: الأثر السّياسي، ص 132.

4 – ينظر ترجمته سير الأعلام النّبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة، ط 3 ،1985م، ج 19/ ص 490.

5– ابن بلقين ، التبيان ،ص 173.

سعى جاهدا لخلعه، ولما حاصر بطليوس المرابطون، ساعدهم أهلها على اقتحامها بتأليب من الفقيه [1]

أمّا القضاء فمثّل عصب الأمّة في الدّولة المرابطيّة، فالقاضي كان مسؤولا ورقيبا على تصرّفات العمال والولاة، كما فعل القاضي أبو الوليد بن رشد بعزل تميم أخ أمير المسلمين علي بن يوسف لعدم كفايته وفعل [2]، وكانت سلطة القاضي أقوى من سلطة الإداري والعسكري، فالقاضي لم يردّ له حكم لأنّه نافذ فالحكّام لم يعترضوا على القضاء ولو على حساب أقاربهم وكانت معظم وصاياهم تشديد على الاستماع للرّعيّة كما جاء في قول الأمير علي بن يوسف مخاطبا ابن حمدين:<<وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كلّ حقّ تمضيه ولا يتعرضوا عليك في قضاء تقضيه ...والعمّال والرّعيّة كافّة سواء في الحقّ ، فإن شكت إليك الرّعيّة بعمل وصحّ عندك ظلمه لها، ولا يتّجه في ذلك عمل غير عزله فاعزله، وإن شكا العامل من رعيّة خلافا في الواجب، فاشكه منها وقوّمها له ، ومن استحقّ من كلا الفريقين الضّرب والسّجن فاضربه واسجنه ، وإن استوجب الغرم في ما استهلك فاغرمه واسترجع الحقّ شاء أو أبى من لدنه>>[3]

كما لمسنا نفس المرامي من رسالة وجّهها إلى قاضي مالقة سنة 523هـ:<< قد قلّدناك تقليدا تامّا أن تنظر بجهتك من شكاوي العامّة في اللّطيف والجليل وسلمناك القيام بالخفيف منها والثّقيل ، فتفقّد ما قبلك حقّ تفقّده وأيّ عامل من عمّال الرّعيّة قامت الشّهادة عندك بتعدّيه وعلمت بصحّة استهدافه وتصدّيه ...فأشعره بما ثبت

---

[1] – محمد محمود عبد الله بن بيه :الأثر السّياسي ،ص 138.

[2] – ابن عذارى : البيان المغرب ، ج4، ص 73.

[3] – ابن بسام الشّنتريني :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،قسم 1،مج 1، ص 261-262.

عندك فإن غلّ يد أذيته وأنفذ عزله عن رعيّته ، وإلاّ فاخف ذلك إلينا في سائر ما يتوقّف لديك من الأمور آلتي تقصر عنها يدك ...وأي عذر لك وقد شددنا من أزرك وعضدنا من أمرك[1]...>>

وعن تولّي منصب القاضي ، فقد كان الخليفة يشرف على تعيين الرّجل المناسب أو يرشّح أهل البلد أحد الفقهاء لتولّي قضاء بلدهم مثلما فعل أهل قرطبة في تولية القاضي أبي جعفر بن حمدين ، فأرسلوا باسمه للأمير علي بن يوسف فأقرّهم على اختيارهم[2] ، ويترأّس هيئة القضاء قاضي الجماعة ، وهو منزلة وزير العدل من أشهر من تولّى هذا المنصب :أبو القاسم أحمد بن حمدين التّغلبي[3] وأبو الوليد محمد بن أحمد بن

1 –محمود مكي : وثائق تاريخية عن عصر المرابطين ،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ،المجلد 7، 1959م ص 171-173

2 – ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 253.

3 – ابن حمدين: ت 521هـ فقيه قرطبي من بيت العلم والدين والفضل وجلالة تولي قضاء الجماعة بقرطبة مرتين وكان نافذا في أحكامه ،جزلا في أفعاله ينظر ترجمته : الصلة :ابن بشكوال :ج 1/،ص 81.

رشد الجدّ (ت 520هـ)[1] وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف التّجيبي المعروف بابن الحاج الشّهيد صاحب النّوازل المشهورة [2] وكذلك أبو الحسن البرجي (ت.509هـ)[3]

وأمّا قاضي الجماعة بالمغرب فكان يتولّى أمور المغرب ، مقرّه مراكش، ويدعى أحيانا :قاضي الحضرة وكان من أهمّ أعضاء مجلس الشّورى، وأنفذهم عن أمير المسلمين[4] من أشهر من تولّى هذا المنصب :أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الّلخمي الإشبيلي (ت 530هـ) الذي نبغ في القراءات [5]وأبو سعيد خلوف بن خلف الله الصّنهاجي[6] وكذلك أبو جعفر أحمد بن علي الباذش (ت540هـ)[7]

---

1 -أحد أعلام فقهاء المالكية، ينظر ترجمته: الصلة: ابن بشكوال، ج 2، ص 576-577الترجمة رقم 1270.، ابن مخلوف :شجرة النّور الزّكّية في طبقات المالكية –المطبعة السلفية ،القاهرة ،1349هـ،ص 129، التّرجمة رقم 376.

2 - ابن الحاج ت 529هـ أحد كبار علماء قرطبة ومفتيها كان معدودا في المحدثين والأدباء كان بصيرا بالفتوى، رأسا في الشورى ينظر ترجمته: الصّلة: ابن بشكوال، ج2، ص 580.

3 - ينظر ترجمته: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي : ابن الأبار ، دار الكتاب العربي الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، سلسلة المكتبة الأندلسية ج6، 1967م ، ص 51، ترجمة رقم 24.

4 - ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ، ص 216.

5 - ابن الأبار : المعجم ، 214.

6 - ابن الأبار :التكملة ، ج 1ص 314.

7 - ينظر ترجمته :تاريخ الفكر الأندلسي آنخل جونثاليث بالنيثيا ، ترجمة حسين مؤنس ،مكتبة الثّقافة الدّينية ، القاهرة 1955م ، ص186.

وقد يتولّى قاضٍ سلطة العدوتين كما حصل مع الفقيه أبي عبد الملك مروان بن عبد الملك بن سمجون اللّواتي[1] والقاضي عياض (ت 544هـ)العالم بالرّواية الذي خرج من سبتة طالبا العلم بالأندلس فعني بلقاء الشّيوخ وأخذ وجمع عنهم كثيرا من الحديث[2]

وهناك علماء برعوا في علوم شتّى كالفقه والحديث والتّفسير والأدب من هؤلاء: أبوبكر بن عطيّة (ت513هـ) والّذي كان من المحدثين المتميّزين[3] ونهج ابنه أبو محمد عبدالحق ابن أبي بكر بن غالب (ت541هـ) درب أبيه فجمع بين الفقه والحديث والتفسير والأدب واشتهر بتفسير القرآن تحت عنوان: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[4]

ومن الّذين نبغوا في علم الحديث القاضي الشّهير أبوعلي الصّدفي المعروف بابن سكرة أو ابن درّاج (ت514هـ)[5]

ولقد جاء في المصادر أنّ عددا من الأمراء المرابطين قالوا شعرا والي تلمسان ثمّ سرقسطة وصهر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ابن تافلويت أبوبكر بن

---

1 – وصفه القاضي عياض بأنه زعيم المغرب وشيخه وذو الجاه العريض والقول المسموع فيه ت 491هـ ينظر الغنية: عياض، ص 258.

2 – ابن بشكوال: الصلة ج 2 ، ص 329.

3 – ينظر ترجمته: الصلة: ابن بشكوال، ج 2/، 457، 458.الترجمة رقم 981.

4 – ينظر ترجمته في فهرست ابن عطية، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1980م، ص 2 وما بعدها.

5 – ينظر ترجمته: الصلة: ابن بشكوال، ج1/، ص 144-.146، ابن مخلوف :شجرة النّورالزكية ،ص 128-129.

إبراهيم المسوفي الصّنهاجي؛فقد سجّلت له كتب التّراجم مجموعة من الأبيات ،ووجدت في المصادر قصيدة واحدة لابن تعيّشت والي مرسية إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وقد<<كانت يده بيضاء في رعاية العلم والأدب والمشاركة فيهما>> ولا شكّ في ذلك ما دام شاعرا وله ميول في الأدب والعلم.

وأمّا الأميرات فقد سطع نجم الأميرة الرّاجحة أمّ طلحة تميمة بنت يوسف ابن تاشفين أخت الأمير علي والأميرة زينب بنت إبراهيم بن تافلويت وزوجة الأمير تميم بن يوسف ،وفرضت الأميرة ورقاء بنت ينتان نفسها في القريض المتميّز ولا ننسى الدّور الفعّال الذي لعبته الأميرة حوّاء في عقد المجالس الأدبيّة ولمّ الشّعراء وسط محادثات ومناظرات أدبيّة حضرها كبار العلماء كابن القصيرة وابن المرخي، وهذا يفنّد فكرة أنّ المرابطين شجّعوا العلم وأنبتوه في بيوتهم مع بناتهم وعشيرتهم دون غرور ولا تزمّت ويدحض ويدحر الأفكار السّوداء الّتي أصدرها غيرهم جزافا أنّ العهد كان جفاء وتشدّدا، ولقد نبغت في الأدب كثير من شاعرات المرابطين منهنّ من كنّ من البلاط أو العامّة، وكانت المواضيع التي تطرّقن لها مسّت: وصف الطّبيعة، والغزل، والهجاء والمدح كاعتماد الرّميكية جارية المعتمد والّتي هام بها لشاعريّتها فتزوّجها [1] وورثت عنها

---

[1] – ينظر المرأة المغربية في عهد المرابطين ،مليكة حميدي ، ص 337.

بنتها بثينة الشّاعريّةَ بالرّغم من أنّ أشعارها اندثرت ولم يصلنا إلاّ قصيدة بعثتها لأبيها في منفاه .[1]،ولا غرو في ذلك ما دام أنّ أبويْها قد أتقنا الشّعر وبرعا فيه ؛فقد تشرّبته منذ نعومة الأظافر لكنّ الخسارة في ضياعه كما ضاع كثير منه في تلك الحقبة وربما يرجع للحروب التي تكبّدها المرابطون في تلك الأثناء .

عاشت بقرطبة الشّاعرة أم الهناء بنت عبد الحقّ بن عطية قاضي المريّة؛ فكانت حاضرة النّادرة، سريعة التّمثيل ذات علم وفهم لها أبيات في الوصف تخلّلتها أبيات من الغزل العفيف ولم يعترض القاضي على ما نظمته بل وقد تتلمذت على يديه [2]

أمّا هند جارية عبد المالك بن مسلمة الشاطبي فقد نبغت في المدح والوصف ولها باع طويل في الإبداع إذ كانت تطرب الوزير أبي عامر بن ينق في مجلسه.[3]، وذاع صيت الشّاعرة نزهون بنت القلاعي الغرناطي في المجون والنوادر وحفظ الشّعر والدّراية بضرب الأمثال، جالست الوزراء وهجت الشّعراء[4] واشتهرت زينب

[1] – ينظر التفاصيل: المرأة المغربية ص،338.

[2] – ينظر: المرأة المغربية، ص 340.

[3] – ابن الأبار :المقتضب من كتاب تحفة القادم ،تحقيق ابراهيم الأبياري دار الكتاب اللبناني بيروت ط3، 1989م ، ص 218.

[4] – ابن الأبار ، م ن ،ص 217.

وأختها حمدة (حمدونة) بنت زياد بن بقي العوفي الشّاعرة القديرة من وادي آش[1] خنساء المغرب[2] من غرناطة بالغزل ووصف الطّبيعة، وممّا لاشك فيه أنّ المناظر الخلاّبة صبغت في الشّاعرتين الإحساس المرهف، الوصف المبدع والتّعبير عن المكنونات بأسلوب رائق ومعان محتشمة[3].

نردف من شواعر غرناطة حفصة بنت الحاج الرّكونية من بلدة ركانة[4] (ت586هـ)، كانت رخيمة الشّعر والنّظم تعكس المستوى الثّقافي المميّز للأسر الغرناطيّة كلّ ما جادت به قريحتها في العهد المرابطي ضاع ربّما لسبب تردّي الأوضاع السّياسية في الحقبة الّتي عاشتها وما علم أنّها نهجت سبيل الغزل للتّعبير عن هيامها بالشّاعر أبي جعفر بن سعيد، وقد طغت على نتاجها مسحة الحزن والشّكوى والقلق من الظّروف النّفسية الّتي كابدتها.[5]

---

[1] – مدينة أندلسية قريبة من غرناطة ذات مناظر طبيعية خلابة اشتهرت بنهرها الذي ينحدر من جبل شلير بجانبها الشّرقي والمدينة كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار وتسمى:GUADIX الحموي ياقوت، م س مج 1/، ص 198.

[2] – تاريخ النّقد الأندلسي، ص43.

[3] ينظر المرأة العربية في عهد المرابطين، ص 348.

[4] – ركانة: بلدة أندلسية قديمة على بعد 69 كلم شرق بلنسية تتميّز بمناظرها الخلابة ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج 3/، ص 63.

[5] – ينظر: المغرب، ابن سعيد، ج2/، ص 352.

أمّا قسمونة بنت إسماعيل [1] فبزغ نجمها وهي من اليهود الّذين اشتغلوا باللّغة العربية وبرزت في القريض [2]

نلاحظ عن الشّعر في عهد المرابطين أنّه مرّ بفترتين أولاهما الفتور في بداية الحكم مع القائد العسكري يوسف بن تاشفين والّذي سعى جاهدا لتثبيت أقدام الدّولة في عدوة الأندلس، وصدّ خطر القبائل البربريّة الّتي أرّقته في المغرب، ولم يعن بالشّعر ولا بالتّنميق اللّفظي، وكان حديث العهد باللّغة العربية يكاد يفقه ما يُسمع، بالمقابل في عدوة الأندلس استرسل الشّعر على عهد ملوك الطوائف واحتلّ مكانة سامقة بفضل تشجيع الحكّام ؛فخاضه عامّة النّاس وخاصّتهم، لذلك بدت الحقبة الجديدة عقيمة راكدة، وبعدما تقلّد أمير المسلمين علي بن يوسف زمام الحكم شجّع التّأليف والإبداع بأشكاله، ويحضرنا مثل الشّعر في عهد المرابطين كالطّفل نما في حضن أبويه (العدوتين) تابعته عدوة المغرب بالرّعاية والحماية وترعرع في كنف والده (الأندلس)ليتعهّده بالتّعليم حتّى اشتدّ أزره في شبابه، فغدا شابا يافعا مفعما بالجدّ والحيوية انعكس طيفه في أفق الأدب ويبرز معه نخبة كبيرة من الأدباء والشّعراء وقد

---

[1] – ينظر دراسات في التّاريخ والأدب والفنّ الأندلسي، محطّات أندلسيّة، محمّد حسن قجّة، ط1 ،1985م، الدّار السّعودية للنّشر والتّوزيع، جدّة، ص .197

[2] – ينظر المرأة المغربية ص 385.

زاحمت المرأة المرابطيّة في القريض وأثبتت وجودها جنبا إلى جنب مع العلماء والفقهاء، ترك لنا الشّعراء دواوين شعريّة نذكر منها ديوان الأعمى التّطيلي (525هـ) نوّع فيه الأغراض الشّعريّة كالمديح والرّثاء التّهنئة والوصف الغزل والشّكوى[1]، وديوان الزّقاق البلنسي (528هـ) مرتّب ترتيبا هجائيّا وأمّا الأغراض الّتي تطرّق لها فهي التقليديّة كالمديح والغزل الرّثاء والوصف كما نظم موشّحة ومقطوعة شعريّة منتهجا سبيل خاله ابن خفاجة.[2] ونجد ديوان الحكيم أميّة بن عبد العزيز أبو الصّلت الدّاني(ت 529هـ) تنوّعت أغراضها بين الرّثاء والمديح والهجاء والغزل والوصف[3]

وسطع نجم رجال اللغة العربية إبان عصر المرابطين أمثال: ابن السيّد البطليوسي(ت521هـ)الّذي أبحر في النّحو والأدب[4]، و أبوبكر ابن السّراج (ت549هـ) العالم النّحوي وأحد أئمة العربيّة ومن المبرّزين فيها[5]،ونهل من علوم الفلسفة أبو بكر بن الصّائغ المعروف بابن باجّة (ت533هـ)[6]

---

[1] ينظر التّصنيف الأدبي واللّغوي، ص 137.

[2] - ينظر التّصنيف الأدبي واللّغوي ص 140

[3] - ينظر ترجمته: تاريخ الأدب، عمر فروخ، ج5ص 180.

4 - ينظر ترجمته: تاريخ الفكر، آنخل جونثاليت بالنيثيا، ص 187.

5 - ينظر ترجمته: الصلة، ابن بشكوال: ج 2/، ص 390.

6 - ينظر ترجمته: عيون الأنباء في طبقات الأدباء ،دار الثّقافة، بيروت ط3، 1981م ،ج3/، 100-103.

وكذلك ابن طفيل صاحب حي ابن يقظان (ت570هـ) ورغم أنّه توفيّ بعد سقوط المرابطين إلّا أنّه عاش في الفترة وامتدّ أجله إلى فترة الموحّدين[1]

ونطلّ على نافذة تاريخ المرابطين مع مؤرّخ العصر أبو بكر ابن الصيرفي صاحب كتاب الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطيّة (ت570هـ) وقد كان من أبرز الشّخصيات العلميّة والسياسيّة في البلاط المرابطي بالأندلس ونال المكانة السّامقة في هذا الفرع من العلوم

وفاضت قريحته بأشعار لا تنسى كما أشار الدّكتور محسن إسماعيل محمد في دراسته[2]

ولا نمهل جهود ابن بسام الشّنتريني في هذه الفترة في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (ت542هـ)[3] وأبو محمّد الرّشاطي (ت 542هـ)صاحب كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار[4] و ابن وَزْمُر الحجاريّ (ت 550هـ)صاحب كتاب المسهب في فضائل أهل المغرب[5] وأبو عامر السّالمي (ت 559هـ)صاحب كتاب درر القلائد وغرر الفوائد وكتاب عبرة العبر وعجائب القدر في

---

1 – ينظر ترجمته: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي :239، 242.

2 – ينظر أبوبكر الصّيرفي: الشّاعر والمؤرّخ: محسن إسماعيل محمد مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد: المجلد الثامن والعشرون مدريد 1996م ص 83-97.

3 –تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، نقله إلى العربية، السيد يعقوب بكر: راجع التّرجمة د رمضان عبد التّواب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ج 6/، 108-109.- نفح الطيب، المقّري، ج 2/، ص123.

4 – ينظر: بغية الملتمس: الضّبي، ص349.التّرجمة 943.

5 – ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل جونثالث بالنيثيا، ص 272، 273

ذكر الفتن الأندلسيّة والعدويّة بعد فساد الدّولة المرابطيّة [1] وذكر المقري كتابا له أخبار الفتنة الثانية بالأندلس بدأه من سنة (539هـ) إلى أن بلغ(547هـ) وروى فيه أخبار الصّراع بين الموحّدين والمرابطين[2] ، أبوالقاسم خلف ابن بشكوال (ت 578هـ) صاحب كتاب الصلة[3].

كتب كتابا في أخبار دولة لمتونة [4]، و أبو الحسن السّالمي كتب كتابا في أخبار الفتنة الثّانية بالأندلس وفيها الصّراع بين المرابطين والموحّدين سنة (539هـ إلى 547هـ) ولكنّ الكتاب فُقِد[5]، وكذلك ضاع كتاب في فضائل أهل المغرب لليسع بن عيسى بن حزم الغافقي (ت 575هـ) وهو من أهل بلنسية وأصل جيان وله كتاب المعرب في محاسن أهل المغرب جمعه السّلطان صلاح الدّين بن يوسف بن أيّوب بالدّيار المصريّة، بعد وصوله إليها من ديار الأندلس سنة (560 هـ)[6] كما ضاع كتابان آخران لأبي القاسم بن البرّاق في تاريخ الأندلس وتاريخ معاوية [7] ولعلّ أهمّ كتاب لابن عبد الملك ابن صاحب الصّلاة البرجي المتوفّى سنة (577هـ) الموسوم المنّ بالإمامة على

1 – ينظر ترجمته: بغية الملتمس الضّبي، ص 53–التّرجمة رقم 31.
2 – المقري: نفح الطيب، ج3/، ص 181
3 – المقري: نفح الطيب، ج 180/3، ابن فرحون الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي، أبو النّور، دار التّراث للطّبع والنّشر، القاهرة، (د ت)، ص 116.
4 – ينظر تاريخ الفكر الأندلسي: آنخل جنثالث بالنثيا، نقله حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة 1955م، (د ط)، ص 241.
5 – ينظر: م ن، ص243.
6 – ينظر م ن ، ص ن
7 – ينظر م ن ، ص ن

المستضعفين، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، وظهور إمام المهدي وتاريخ الموحّدين في تاريخ المرابطين والموحّدين، ولدينا جزء ثان منه يبدأ بأخبار ثورة محمد بن سعد بن مردنيش على الموحّدين في مرسيه وشرق الأندلس (554هـ)وينتهي سنة (580هـ)، وقد هيّأ هذا الجزء للطّبع الأستاذ إيميليو غارسيه غومس على حدّ تعبير صاحب كتاب الفكر الأندلسي[1]

وتضافرت جهود بنو سعيد واشتركوا في تأليف كتاب المغرب ، فبدأ عبد الملك بن سعيد (ت 560هـ) ثم تابع عمله ابنه محمد (ت589هـ) وأبو جعفر أحمد (ت 559هـ) ثم موسى بن محمد بن سعيد (ت 640هـ) وواسطة عقدهم أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت 673هـ) كان الكتاب تأريخا لفترة المرابطين ويليها الموحّدون الكتاب معروف بالمغرب: كتاب فلك الأرب ، المحيط بحلى لسان العرب ؛وينقسم إلى قسمين: المغرِب في حُلَى المغْرِب و المشرِق في حلَى المشرِق وكل من التّصنيفين مرتّب على البلاد، متى ذكر البلد، ذكرت كوره، وأتكلّم عليه وعلى كل كورة منه ...وأبدأ بمكانها من الأقاليم ومن بناها، وما يحفّ بها من نهر أو منزه أو خاصّة معدنيّة ونباتيّة، ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولى التّواريخ الّتي لا يجب إغفالها و...فيها الطّبقات والنّوادر والمضحكات [2]

وهناك مؤرخ مغربي أبو العبّاس أحمد ابن عذارى المرّاكشي كتب البيان المغرب الكتاب ذو قيمة تاريخيّة كبيرة يضم ثلاثة أجزاء أما القسم الثاني وهو ما يهمنا فيتحدّث عن أخبار الأندلس من الفتح إلى دخول المرابطين سنة478هـ؛ وأمّا الثّالث فيضمّ بين

---

1 - ينظر تاريخ الفكر الأندلسي م ن، ص 242.

2 - ينظر:م ن ، ص 253.

جنبيه أخبار المرابطين والموحّدين في عدوتي المغرب والأندلس وتاريخ الحفصيّين والمرينييّن وبنو هود وبنو نصر في الأندلس[1]

ومن المؤلّفات الهامّة في تاريخ المغرب والأندلس كتاب روض القرطاس في أخبار ملوك الغرب ومدينة فاس لصاحبه: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع وهو مؤلّف قيّم يضم معلومات عن تاريخ الغرب الإسلاميّ منذ قيام الأدارسة إلى عهد المؤلف.[2]

وأمّا أحمد بن عبد الوهّاب النّويري فقد خط كتاب نهاية الأرب في جزأين حافلين بالمعلومات يدوران حول تاريخ المغرب والأندلس ترجم إلى اللّغة الإسبانية[3] .

وما الكتب التي ذكرنا إلاّ نقطة من بحر عددنا بعضها وأجّلنا بعضها الآخر إلى حينه في هذا البحث ، على أنّ هناك متأخّرين عن هذه الفترة أمثال ابن خلدون و ابن الخطيب اللّذيْن اعتمدنا على كتبهما في تاريخ المرابطين .

---

1 - ينظر :م ن ، ص 258.

2 -ينظر تاريخ الفكر الأندلسي: حسين مؤنس ص 251.

3 - ينظر م ن ، ص 259.

الفصل الثّاني

الجوانب الحضارية في عهد المرابطين

قامت دولة المرابطين على أسس دينيّة محضة، وأرست دعائمها في عدوتي المغرب والأندلس بناء على نظم محكمة فقامت في البداية على مبدأ الشّورى، ولكن سرعان ما طفقت تقوم على نظام الوراثة وتضافرت الجهود من أجل توحيد الحكم في العدوتين تحت راية واحدة بعدما ترامت أطراف خلافتها من المغرب الأقصى شرقا حتّى الأندلس غربا وانضوت تحت لواء أمير المسلمين[1]، ولم يتخلّ عن سلطة الخلافة المركزيّة بالمشرق بل ظلّ تابعا لها باسم أمير المسلمين بعدما اتّصل بالخليفة العبّاسيّ مؤيّدا له ومطالبا التّأييد والاعتراف، وقد أرسل وفدا محمّلا بهديّة نفيسة عقب الفوز في معركة الزّلاقة[2]،فكان استقلالهم سياسيّا عن المشرق، وأمّا القرار فكان بمشورة القضاة المقرّبين ،وأصبح من عادة الفقهاء والخطباء في المجالس الدّعوة لبني العبّاس ونصرتهم في الخطب والمحافل[3].

ولقد مكّن الدّهاء في المعاملة وحسن اللّباقة أمير المسلمين من الحظوة بمكانة ليست بالهيّنة عن بني العبّاس كما دلّت على الدّيبلوماسيّة الّتي تمتّع بها الحاكم الصّحراويّ الأصيل والسّؤال الّذي يتبادر إلى الذّهن أنّه كيف استطاع تسيير العدوتين وكسر شوكة البرابرة بالمغرب وملوك الطّوائف والأدفنش في الأندلس ولم يهمل مكانة الدّولة في أعين بني عبّاس في المشرق؟

---

[1]- ينظر الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ابن أبي زرع علي الفاسي، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرّباط، 1972م، ص 173.

[2]- ينظر الحضارة الإسلامية، حسن حسين، ص 52.

[3]- ينظر م. ن، ص 53.

1- نظم الحكم والإدارة في عهد المرابطين:

كان نظام الحكم في عهد المرابطين قائما على مبدأ الشّورى فيختار النّاس بمحض إدارتهم من يسوسهم ويحرص على مصالحهم بعد عقد زعماء القبائل اجتماعا ويشارك في المجلس[1] العلماء والفقهاء والولاة[2]؛ فقد استقرّ الحكم في البداية على يد عبد الله بن ياسين الّذي أكّد على ضرورة حسن انتقاء من يقودهم ويصرف مصالحهم إلى الخير[3]مطبّقا مبدأ الشّورى الّذي دعانا إليه ديننا الحنيف، ويرجع الفضل في إرساء دعائم الدّولة إلى يوسف بن تاشفين القائد المحنّك الّذي تحدّثنا عنه سابقا والّذي جعل مراكش حاضرة للدّولة، متّخذا لنفسه لقب أمير المسلمين، وقد خشي على انفصام عروة الحكم لسبب الفوضى وترصّد الأعداء من كلّ جهة لإفشال ما بناه ؛فأوصى لنجله عليّا وليّا للعهد بعد وفاته، لأنّه رآه أحقّ وأنسب للخلافة من غيره، ومن هنا فقد غيّر مجرى الحكم من الشّورى إلى الوراثة[4].

---

[1]ينظر قيام دولة المرابطين في المغرب شذى كمال عبد الله كلية الأدب، قسم التاريخ جامعة الخرطوم ،2012، ص 14

[2] – ينظر: الجوهر الثمين بمعرفة دولة الرابطين، علي محمد الصّلابي، ط1، دار التّوزيع والنّشر الإسلاميّة، مصر، 2003، ص164.

[3]– ينظر فقه التّمكين عند دولة المرابطين، علي محمد الصلابي، ط1، مؤسّسة اقرأ للنّشر والتّرجمة، القاهرة (د.ت)، ص150.

[4]ينظر الدّويلات الإسلاميّة، محمد كمال شبانة، ط1، العالم العربي، القاهرة 2008م، ص 45.

أ- الخلفاء المرابطين وساستهم:

تحدّثنا في الفصل الأوّل عن تفاصيل تقلّد يوسف بن تاشفين مقاليد الحكم بعد تنازل ابن عمّه له، وقد أبلى البلاء الحسن في قيادة جند المرابطين فأيّده أبو بكر بمشورة شيوخ المرابطين[1] ما دام المبدأ كان قائما على الشّورى، ومن هنا تظهر قمة الإيثار؛ فالقائد تنازل لمن رآه أجدر منه سلطة وأحنك منه سياسة وقد قدّم مصلحة الدّولة على أهواء النّفس، خاصّة بعد الانتصارات المظفّرة التي حقّقها بالمغرب والأندلس واستقرّ الحكم عند يوسف بن تاشفين ولعائلته من بعده وهم أربعة من أسرته:

يوسف بن تاشفين	465هـ- 500هـ
علي بن يوسف تاشفين	500هـ- 537هـ
تاشفين بن علي بن يوسف	537هـ-539هـ
إبراهيم بن تاشفين	539هـ- 540هـ

لقد شغل كلّ أمير من هؤلاء منصب ولي العهد، وذلك قبل أن يصبح أميرا للمسلمين، وكانت مراسيم تولية الأمير خاصّة حيث يتلقّى بيعة خاصّة من أفراد الأسرة الحاكمة والأمراء ثمّ السّادة والزّعماء فالقضاة والفقهاء وعمّال الدّولة، ثمّ ينقش اسمه على السّكّة والطّرز والبنود ويتبادل الرّسائل مع العبّاسيين بصفته أميرا لدولة المرابطين وناصرا لها[2]<<وكان ولي العهد

---

[1]- ينظر م ن، ص 57.

[2]-ينظر: قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، 342.

ينقش اسمه على السّكّة إلى جانب أبيه اسم أبيه فيقال علي بن الأمير يوسف ويقال أحيانا أخرى الأمير يوسف وولي عهده الأمير علي، ويلقّب بأمير المسلمين>>[1].

وهنا يظهر النّظام المحكم للدّولة في اعتماد الختم والشّعار الخّاصيْن بها، لقد أشرف الحاكم يوسف وابنه بنفسيْهما على قيادة الجيش في المعارك المظفّرة الّتي قادها في المغرب والأندلس[2]، وهذا ما أكسب الأمير هيبة ووقارا وسلطة متمكّنة لا تروّض، وكان يشرف بنفسه على تفقّد أحوال الرّعية، وبحث شؤونها والسّهر على استتباب الأمن والعدل بين الرّعية بمحاسبة العمّال المطفّفين الّذين استغلّوا الفرص في استنزاف أموال الرّعية، وما يلفت انتباهنا هو عمره الكبير الّذي جعله لا يكلّ ولا يملّ من السّعي بين العدوتين لتفقّد الأحوال السّياسية والاجتماعيّة ولأخذ الحيطة من تربّص الأعداء؛ فقد استحدث منصب النّائب على المغرب كتولية تميم أخي عليّ نائبا عن الحكم في المغرب، وإسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين نائبا لأخيه تاشفين بن علي[3]،وممّا يجدر الإشارة إليه تمرّس ولي العهد بأساليب الحكم والإدارة ،وذلك بشحنهم بشتىّ أنواع العلوم والثّقافة والفقه والأدب، ناهيك عن تشرّب نقاط الحكم وتسيير الأمور.[4]

---

[1].- م ن، ص 346.

[2].- ينظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،عبد الواحد المراكشي،ص227.

[3].- ينظر التفاصيل: قيام دولة المرابطين، 82.

[4].- ينظر تاريخ المغرب، ابراهيم حركات ،ج 1، ص204

ب- الولاة:

كان الولاة يعيّنون من لمتونة خاصّة، ومن صنهاجة عامّة، وكان ينوب عن أمير المسلمين في الأندلس أمير من الأسرة الحاكمة ومن لمتونة كسير بن أبي بكر وأبي الطّاهر تميم[1]، وانضوى تحت سلطتهم ولاّة محليّون، وقد أحيطوا بالكتّاب الّذين أتقنوا فنون الخطابة والرّسائل.[2]،وما نلاحظه في التّنظيم المحكم ينمّ عن مخطّط له دراية كبيرة بتنظيم أمور البلاد والعباد، والعجيب أنّ السّلطة لم تخرج عن الّلمتونيين والأسرة الحاكمة، ونرجّح سبب ذلك إمّا لتزمّت الأمير وحاشيته للعنصر الّلمتوني، وإمّا لأنّ الغدر كان يحدق بهم من كلّ مكان، وخاصّة بعد مسلسل الخيانات بين صفوف ملوك الطّوائف، وقد لفت الانتباه لضرورة التّلاحم بين الّلمتونيين فقط اتّقاء ليد الغدر خاصّة مع تربّص الأعداء في المغرب والأندلس.

ج- الوزراء:

كان للمرابطين وزراء إقليميّون تابعون للأمراء المحليّين بالأندلس، ومركزيّون يعيشون بمراكش العاصمة، وكانوا في الأغلب أندلسيّين وربّما يكون السّبب لخبرتهم السّابقة مع ملوك الطّوائف، وهذا ما يجهله المغاربة وشمل الاختيارُ الكفاءة في ميدان الّلغة والأدب لفصاحة وبلاغة التّعبير[3]من أجل تسيير ديوان الرّسائل، ومن هؤلاء ابن عبدون وابن أبي الخصال و أبي بكر ابن القصيرة وأبي جعفر ابن عطيّة، وسوف نفصّل براعاتهم في ميدان الأدب[4]،وقد كتب

---

[1]- ينظر التفاصيل: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر النّاصري، محمد الناصري ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1954م ، ج2،/ص 57،58.(أخبار الولاة بالمغرب والأندلس).

[2]- ينظر تاريخ المغرب، ابراهيم حركات ،ص 199.

[3] - ينظر النّبوغ الغربي، عبد الله كنون، ص 78.

[4]- ينظر تاريخ المغرب، ابراهيم حركات ج1، ص، 191.

الطّرطوشي في الدّور البالغ الّذي مثّله الوزير:<<الوزير عون على الأمور وشريك في التّدبير، وظهير على السّياسة ومفزع عند النّازعة، والوزير والملك بسمعه وبصره، ولسانه، وقلبه وفي الأمثال نعم الظّهير الوزير[1]>>،و مثّل الوزير العصب المحرّك للمرابطين في توجيه الأوامر للرّعية، وبعث الرّسائل للملوك ناهيك عن الرّدّ على المخاطبات والمراسلات في ديوان الإنشاء والسّهر على تقسيم المواريث وتنظيم الخراج والجزية في بيت المال[2]

ضف إلى ذلك الفقيه الكاتب مالك بن وهيب الإشبيلي (ت525هـ)[3]،ومن الوزراء العسكرييّن اشتهر ينتان بن عمر4،وابنه إسحاق اللّذان أبليا البلاء الحسن في مجال التّنظيم العسكريّ والحربيّ[5]

---

[1] – الطرطوشي أبو بكر محمد بن محمد الفهري، سراج الملوك، من أوائل المطبوعات الجامعية، مصر ،1872م، ج 1، ص69.

[2] – ينظر: طبقات المجتمع في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، رشيد أمهير علي جمعي، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ،جامعة البويرة ، 2015، ص 25.

[3]– ينظر: التّفاصيل: الحضارة الإسلاميّة في المغرب، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م، ص177.

[4]–ينظر: التّاريخ السّياسي والحضاري، في عصر المرابطين، ص 275.

[5] – ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤلف مجهول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د ت)، ص153.

د- نظام القضاء:

أقام الملثّمون نظاما قضائيّا محكما مستندين على نظام القضاء الأندلسيّ المعتمد أساسا على النّظام الأمويّ ويمكن اعتباره أنّه السّلطة العليا للدّولة ويندرج تحت لوائه:

❖ ***قاضي الجماعة بالأندلس:***

وهو من أرفع المناصب في الأندلس، وقد تولاّه كلّ من أثبت الجدارة والاستحقاق في أمور القضاء، ومن أشهر القضاة: ابن الحاج وابن رشد وابن حمدين التّغلبي[1].

❖ ***قاضي القضاة (قاضي الحضرة) بمراكش2:***

ومن أشهر القضاة ابن منصور اللّخمي وابن أبي حقّون وخلوف بن خلف الله، والقاضي عياض اليحصبي (544هـ)، وموسى بن حماد الصّنهاجي(ت535هـ)، وابن الملجوم (ت543هـ)[3] وهو نفسه قاضي الخلافة بالمشرق[4]، وقد أحدثوا ألقابا إدارية تساهم في نشر العدل واستتباب الأمن كالمسدّد الّذي يختلف دوره عن قاضي الجماعة وقاضي الردّ[5].

---

[1] – ينظر التّاريخ السّياسي، ص 287.

[2] – ينظر قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، ص 367.

[3] – ينظر تاريخ المغرب، ابراهيم حركات، ص 200.

[4]– ينظر تاريخ قضاة الأندلس أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النّباهي المالقي الأندلسي كتاب المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا، نشر ليفي بروفانسال ،دار الكاتب المصري ،ط1،القاهرة ،1948، ص 21.

[5]– ينظر: تاريخ المغرب، ابراهيم حركات، ص 200.

حقّا لقد عدّ القضاء العصب المحرّك لدولة المرابطين،فوجب تعيين القضاة المناسبين للمهمّة الصّعبة وكان للقاضي فقهاء مستشارون يساهمون في ذيوع الأمن والعدل، وقد عيّنوا من لدن أمير المسلمين ومقرّبيه[1]؛فاختاروا كبار العلماء لتمثيله أمثال ابن رشد الجدّ وابن حمدين في الأندلس، ومثله في المغرب القاضي عياض السّبتي وعبد الملك المصمودي، ونلاحظ أنّ انتقاء القضاة مبنيّ على الحكمة السّديدة، فلم يعتمد العصبيّة القبليّة كما هو الحال للولاّة وقادة الجيوش بل تقلّدها مستحقّوها، وإنّ أغلب القضاة لم يكن من صنهاجة[2]، وتمتّعوا بامتيازات هائلة في ظلّ حصانة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[3]، وقد أغدق عليهم الأموال والأرزاق من بيت المسلمين[4]لأنّهم ساهموا بالقدر الكبير على إرساء الظّروف السّياسيّة الّتي عرفت غليانا كبيرا من جهة ولمكانة القضاة في قلب الحاكم، فهم لسان الأمّة وحماة الدّين من جهة أخرى.

وقسّمت الأندلس إلى ثلاثة أقاليم رئيسة منذ عهد علي بن يوسف بن تاشفين وكلّ إقليم له قاض أكبر يطلق عليه قاضي القضاة أو قاضي الجماعة ، والّذي تدخّل حتّى في أمور السّياسة، فقد ثبت أن أعلن القاضيان ابن حمدين قاضي قرطبة وعياض قاضي قضاة المغرب الثّورة على الحكّام المرابطين ثم الموحّدين من بعد ذلك[5]، ولقد كان للقاضي وقاره براتب شهريّ معتبر وكتّاب يسهرون على تدوين القضايا وحجّاب يحرسونهم من كلّ أذى[6] ، حقّا كان

---

[1]- ينظر:م ن ،ص 201.

[2]- ينظر:م ن ، ص200.

[3]- ينظر: الحضارة الإسلاميّة في المغرب والأندلس، حسن علي حسين، ط1، 1989م، مكتبة الخانجي مصر، ص 338

[4]- ينظر الأنيس المطرب، ابن أبي زرع، ج2،ص 38.

[5] ينظر: تاريخ المغرب، ابراهيم حركات، ص 204.

[6]- ينظر: التاريخ السياسي والحضاري، ص 286.

التّنظيم محكما ينمّ عن المكانة المرموقة للقضاة في المجتمع كما يعكس خبرة الحكّام بأمور الحكم ومراكز القوّة كانت تكمن في القضاء.

ولما شاع الزّيغ عن قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن محمد بن زيادة الله الثّقفي المعروف بابن الحلاّل(ت554هـ)[1]وإذا به يعتقل ويجرّد من ماله وممتلكاته ويُقتل ليكون عبرة للمتلاعبين والمختلسين الّذين شاعوا في نهاية العهد المرابطي، فجاروا ونهبوا لسبب الامتيازات الّتي استنزفوها من الدّولة والعامّة، عجيب لأمرهم كانوا كالنّار الّتي تطالب بالمزيد وتلتهم عن اليمين وعن الشّمال، ولما طفح الكيل أعلن العامّة التّمرّد وطالبوا بالقصاص وأمثال الفساد غطّت جماعة من القضاة والولاّة[2] ،وهذا لا يجزم أنّ كلّ القضاة جاروا فمنهم من استمسك بالعروة الوثقى وكان مثالا للورع والخشوع وقدوة للمتّقين، وهنا ظهرت ثقافة وعلم ودين كل واحد من هؤلاء.

هـ-نظام الحسبة:

شاع نظام الحِسبة أو صاحب السّوق[3] في النّظم الإسلاميّة ،وكانت وظيفة المحتسب مراقبة الغشّاشين والمطفّفين والسّلع والنّظر في شؤون الأسعار والبضائع ،كما يحدّد ثمن المبيعات، ووصل التّنظيم أن وضع ابن عبدون رسالة دقيقة تبيّن اختصاصات المحتسب في القرن الخامس

---

[1]- ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، ص459.

[2]ينظر: قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، ص 373.

[3]- صاحب السّوق لأنّ أكثر نظره كان يجري في السّوق، ينظر تاريخ قضاة الأندلس أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النّباهي المالقي الأندلسي، كتاب المراقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا، نشر ليفي بروفانسال، دار الكاتب المصري، ط1، القاهرة ،1948، ص 5.

ولخّصها في مراقبة الأحباس وبيت المال[1]، وتعيين الخطباء وأئمة المساجد وتغيير وتعديل كلّ ما يمسّ بالمساجد والمباني العامّة—بمشورة أمير المسلمين- كما فعل القاضي عياض بمسجد سبتة ،وقاضي فاس بالمسجد الجامع (529هـ)[2]هذه الوظيفة دلّت على التّنظيم المحكم للمرابطين وسعيهم الحثيث في استتباب الأمن والعدل بين النّاس وحقّا كان المحتسب عين الحاكم عند العامّة، ومن أهمّ دواوين الدّولة لنشر العدل بين النّاس في أرجاء الدّولة؛ فهو من<<يحتاج إلى كثير من القوانين وليس يعدّ خطّة القضاء أشرف من خطّة الحسبة[3]>>،واستطاع المحتسب الحكم في القضايا بغياب القاضي[4].

وخلاصة الحديث أنّ نظام الحسبة شكّل العصب الرّئيس في الحياة الاقتصاديّة، والفيصل في عديد الأمور، كما جعلت التّجارة تزدهر وتنتعش في وقت وجيز وفق الشّريعة الإسلاميّة وحسب ما اقتضته الأعراف، ويمكننا تمثيل نظام الحكم على شكل مخطّط قاعدته أمير المسلمين وبتضافر المهامّ كونه قوّة لا يُستهان بها للدّولة المرابطيّة.

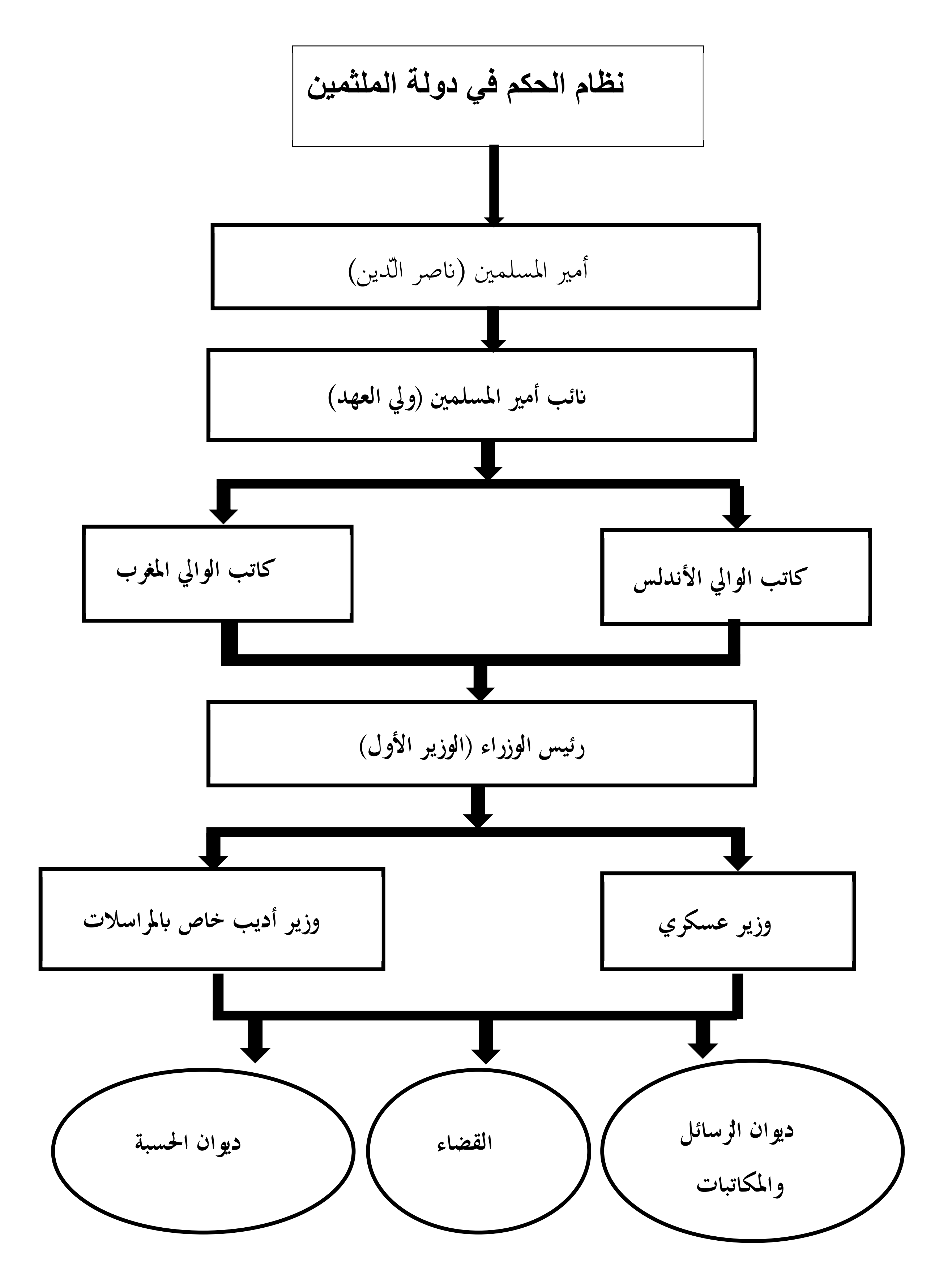
---

[1]- رسالة في القضاء والحسبة، أحمد بن عبدون التجيبي، منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في دار الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفانسال، مطبعة المعهد الفرنسي، للآثار الشّرقية، المجلد الثاني، القاهرة، 1955م، ص 87-92.

[2]- ينظر تاريخ المغرب، إبراهيم حركات، ص 202.

[3]- عمر بن عثمان الجرسيقي، رسالة في الحسبة، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسيّة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي، للآثار الشرقية، القاهرة 1955م، ص119.

[4]- ابن عبدون، م ن ، ص 22.


نظام الحكم في دولة الملثمين
أمير المسلمين (ناصر الدّين)
نائب أمير المسلمين (ولي العهد)
كاتب الوالي الأندلس
كاتب الوالي المغرب
رئيس الوزراء (الوزير الأول)
وزير عسكري
وزير أديب خاص بالمراسلات
ديوان الرّسائل والمكاتبات
القضاء
ديوان الحسبة

2- النّظام الحربي

منذ تقلّد المرابطين زمام الحكم سعوا جاهدين لأجل استقرار الأوضاع السّياسية في العدوتين المغرب الّذي واجه القبائل الصّنهاجية والأندلس، والّذي تأرجح بين كفّتي الإفرنج تارة وملوك الطّوائف طورا، وكان لابدّ من سياسة رشيدة وخطط محكمة تنظّم أمور الحرب وتحمي الأسطول من القرصنة والسّطو الّذي أحدق بهم من جميع المناحي[1] بعدما توسّعت أطراف الدّولة شرقا وغربا؛ فتكوّن الجيش في البداية من المرتزقة والمتطوّعين من السّودانيين الّذين أسهموا في الحروب والدّفاع عن الأسطول الحديث النّشأة، كما شكّلوا حرسا خاصّا للحكّام، وقد كانوا يستعرضون القتال قبيل المعارك على مرأى من أمير المسلمين لتحفيز الجيش وزرع الحماس فيه[2]،وأحكم المرابطون الخطط الحربيّة الّتي مكّنتهم من تخويف الأعداء وغرس شوكة الهزيمة في صدورهم، ولم تخرج عصمة القيادة من العائلة الحاكمة وربّما لضمان الولاء ودرءً للغدر والخيانة الّتي كانت طافحة بين ملوك الطوائف ،بعدما شجّعوا كثيرا من الأجناس والفصائل من الانضمام للجيش بوجود التّحفيزات والامتيازات[3] دجّج الجيش عدّة وعددا وسخّر لأجل ذلك الخيل والجمال والجيش القويّ وتابعوا سياسة الصّمود عوض الكرّ والفرّ وبعدما اطّلعوا على خطط الأذفنش، وقد تحدّثنا عن ذلك في معركة الزّلاقة[4]وللقتال استخدموا

---

[1]- ينظر: نزهة المشتاق، ص 59.

[2]- ينظر تاريخ المغرب، حركات، ص 206.- 207، التّاريخ السياسي، ص 301.

[3]- ينظر تاريخ المغرب، حركات، ص 207.

[4]ينظر التّفاصيل: م ن، ص208.

الدّرق اللّمطية[1] وسيوف الهند ومزاريق الزّان والسّهام والمطارد والرّعادات[2]،كما ضربوا الطّبول ونفخوا الأبواق لأجل تحفيز الجنود ولزرع الرّعب في أفئدة الخصوم ،والعادة هذه كانت دخيلة ربّما أخذت من السّودانيين والأفارقة عموما وبما أنّ العدوتين شارفتا على البحر وأسّس المرابطون أسطولا بحريّا تملّكوا به عدّة مدن منها جزر البليار ميورقة ومنورقة ويابسة وكانت الرّياسة لبني ميمون رؤساء قادس في الجنوب[3]؛ والّتي نكّلت بالصّلبيّين في مواقع جمّة[4] والسّؤال المطروح كيف استطاع الحاكم بناء الأسطول وليس لديه خبرة بالموضوع وأنّى تمكّن من تسخير الموادّ الأوّلية لذلك؟

يتبادر إلى الذّهن منذ الوهلة الأولى أنّ الأندلس كانت متطوّرة كثيرا نتيجة امتزاجهم بالأعاجم ناهيك عن توفّر الموادّ الأوّليّة كالحديد والخشب في صنع السّفن[5]، وقد استعان يوسف بالأيادي العاملة من الأندلس من أجل تشييد السّفن وعرف الأسطول تميّزا وتطوّرا بالغا لقوّة الجيش وكثرته وتنوّع أجناس تشكيله إذ شارك فيه العرب والبربر والعبيد السّودانيون وحتّى المسيحيّون من بلاد الأندلس[6]،وقد كان لحداثة العتاد وزخم العدّة النّصيب الأكبر في شدّ زمام الجيش واشتدّ أزره بدهاء القادة وحسن تسييرهم للأسطول الوقع الكبير على امتلاكه قوة الدّفاع والهجوم والصّمود حيال المخاطر.

---

[1]- ينظر تفاصيل السّلاح: التّاريخ السّياسي، 303.

[2]- ينظر: تاريخ المغرب، حركات، ص 209، التاريخ السياسي والحضاري، ص299.

[3]- ينظر: تاريخ المغرب، حركات، 212.-213.

[4]- أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلاميّة، في المغرب والأندلس ،دار النهضة العربية للطّباعة والنّشر، بيروت لبنان، 1969م ، ص 240،241.

[5]- ينظر: التّاريخ السّياسي، ص 307.

[6]- ينظر: ص 304.

ولم تقتصر الملاحة في الحروب فحسب بل وأنعشت النّشاط التّجاري بنقل السّلع والبضائع المختلفة [1]، وقد سيطروا على الموانئ فكانت المريّة القاعدة الأولى[2] في تملّك جزيرة قادس والتّفوّق على بني مردنيش في شرق الأندلس[3] كما أحكم بنو ميمون السّيطرة على الجهة الغربية فتنامت القوّة البحريّة بشكل لافت ونافست جمهوريات إيطاليا والنّورمان وضمّت جزيرتي منورقة وميورقة، وبذلك بسطت الحماية على المتوسط ،ولعب الأسطول دورا بالغا في تأمين تجارة المغرب الذّاهبة إلى الأندلس والأسواق العالميّة الأخرى وأنعش التّجارة الخارجيّة.[4]

3-النّظام المالي:

اهتمّ الملثّمون كثيرا بالجانب الاقتصاديّ لتحسين الحالة المزرية الّتي ذاقها الشّعب إبّان فترة ملوك الطّوائف والمتمثّلة في المعونات والمكوس والضّرائب الّتي أثقلت كاهل المواطنين وأرّقتهم كثيرا؛ فجعلتهم يستنجدون بالمرابطين –كما علمنا ذلك – في الفصل الأوّل فزكا بيت مال المسلمين وتضاعفت الأموال وانتشر الرّخاء وعمّ اليسر[5]؛ فقد اعتنوا بالفلاحة والزّراعة واتبعوا نظاما محكما جعلهم يبلغون بلهنية وبذخا في العيش.

---

[1]– سعدون عباس نصر الله، م ن، ص 172، 173.

[2]– أمين توفيق الطيبي، ص 54.

[3]– ينظر: المعجب، المراكشي 278.

[4]– ينظر: قيام دولة المرابطين، أحمد حسن محمود، ص 401.

[5]– ينظر: م ن، ص 408.

أ- نظام الجباية:

عمد المرابطون على إلغاء نظام الضّرائب والمكوس وأبقوا على جباية الزّكاة والغنائم والجزية فمُلأ بيت المال بالذّهب المطبوع والدّراهم الّتي صرفت في تشييد المباني العموميّة والمدن والأسوار والمنشآت العامّة[1] ،وحاول أمير المسلمين يوسف بن تاشفين تطبيق تعاليم الشّريعة في مجال الزّكاة جزية أهل الذّمّة والأعشار وأخماس الغنائم<<...ولم يجد في عمل من أعماله ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج لا في حاضرة ولا بادية إلاّ ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسّنّة من الزّكاة والعشر وجزيات أهل الذّمّة وأخماس غنائم المشركين.[2]>>

وتدلّ السّياسة الرّشيدة في تسيير الحكم على التّأثّر بتعاليم الدّين والسّهر على تطبيقه، كما توحي بالتّنظيم المحكم لشؤون الدّولة ممّا جعلها تسهم بالقسط الوافر في إنعاش الحضارة واتّضاح معالمها.

ب- التّجارة والزّراعة:

نظرا لاتّساع رقعة الدّولة وتشعب ظروف الحياة انتعشت التّجارة وراجت في مجالي الزّراعة والصّناعة خاصّة بعد الاستقرار الّذي شهدته المنطقة بعد توطيد قدمها في عدوة الأندلس

---

[1]- ينظر: تاريخ المغرب، حركات، ص 214.

[2]- محمد عنان، عصر المرابطين والموحّدين، ص420.، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 94.

وعلى الأخصّ في عهد يوسف بن تاشفين ثمّ عليّ من بعده فيا ترى ماهي المجالات التي انتعشت فيها وما هي العوامل التي جعلتها مزدهرة في تلك الحقبة؟

لقد لعب الاستقرار الدّور البالغ في انتعاش التّجارة وفي حركتي الصّادرات والواردات خصوصا اختلاف العدوتين من حيث المستوى المعيشيّ، ومن حيث المجال الجغرافي وكان من بين أهمّ العوامل الّتي رفعت شأن التّجارة تأمين طرق التّجارة الدّاخلية بين حواضر الدّولة في العدوتين، وقد ساهمت البحريّة بالغا في ازدهار التّجارة الخارجيّة[1] بعدما أمّنت الطّرق من السّطو والقرصنة[2] فما هي أهم مراكز التّجارة يا ترى؟

❖في عدوة الأندلس:

نجد المريّة الّتي فاقت شهرتها الصّعيدين الدّاخليّ والخارجيّ صناعة وتجارة لوجود مينائها المشرف على شرق البحر المتوسّط<<فهي باب الشّرق ومفتاح التّجارة والرّزق>>[3] وكانت أقرب الموانئ إلى غرناطة وربطت بالعدوة الأخرى بصلات بحريّة وشيجة ،فتردّدت السّفن بين ثغر المريّة وثغور المغرب ودران وبجاية وجزائر بني مزغنة وتنس وسبتة وتونس[4]ولقد عرفت بتجارة شتّى أنواع الدّيباج والحرير المذهّب<<...وكان يعمل فيها من الوشي والسّقلاطوني

---

[1]- ينظر: قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، ص 401.

[2]- ينظر: التّاريخ السّياسي والحضاري، ص 349.

[3]- ينظر: فرحة الأنفس، ابن غالب، ص 283، نقلا عن مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الأول، ماي 1955م، تحقيق لطفي عبد البديع ص 14.

[4]- ينظر التّاريخ السّياسي والحضاري، ص 350.

والبغدادي[1]>> كما عرفت بالفنادق الكثيرة نظرا لاستقطابها التّجّار والحرفييّن من كل حدب وصوب يشير الإدريسي أنّها بلغت 970فندقا[2].

❖***ونجد إشبيلية:***

فقد اشتهرت بالأسوار الحصينة والأسواق الجمّة ازدهر فيها البيع والشّراء وشاعت بإنتاج الزّيت وتجهيزه ليسوّق شرقا وغربا ،برّا وبحرا ،كما اشتهرت بزراعة الزّيتون والتّين[3]ومالقة الّتي تخصّص أهلها في صناعة الفخّار والمذهّب ،وعرفت شلطيش بصناعة الحديد ،وصنعة المراسي الّتي ترسى عليها السّفن والمراكب الحمّالة الجافية[4] أمّا طليطلة فبها نهر وجبل المعادن الحديد والنّحاس واستفاد أهله منه في الصّناعة والبيع[5] ومعروف عن المدينة غناها بالذّهب بعدما عثر بها على ذخائر تفوق الوصف منها تيجان الذّهب المرصّعة بالدّرّ وأصناف الحجارة الثّمينة ،وألف سيف مجوهر ملكي ووجد بها من الدّرّ والياقوت أكيال وأوساق ،كما وُجد بها آنية الذّهب والفضّة ما لا يحيط به تحصيل[6]لاشكّ أنّ الثّروة ساهمت بالقدر الكبير في انتعاش التّجارة وازدهار البيع، ولا نهمل سرقسطة وبلنسية اللّتان أسهمتا بالقدر الكبير في الزّراعة[7]؛ فقد درّت الأرض بالكروم والبساتين بعد استثمار الأرض[8]، وكثرت الغلاّت كالزّعفران الّذي

---

[1]- فرحة الأنفس، ابن غالب، ص ن

[2]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 198.

[3]- الإدريسي، م ن، 541.

[4]- نزهة المشتاق، ص 542.

[5]- م ن، ص 547- 552.

[6]- م ن ص 551- 552.

[7]- ينظر: المعجب عبد الواحد المراكشي، ص 265.

[8]- ينظر: تاريخ المغرب، ابراهيم حركات، ص 218-219.

صُدّر لجهات مختلفة[1]، واشتهرت قرى مالقة بأشجار التيّن حملت إلى مصر والشّام والعراق؛ فهو من أحسن التّين عذوبة [2]وتفرّدت قرطبة بحسن الزّيّ وجميل المركب والتّخصيص في المطاعم والمشارب، عرفت بأسواقها، وفنادقها وحمّاماتها وسائر الصّناعات المتميّزة[3] مثلما كان لعدوة الأندلس الحظوة الكبيرة في التّسويق والإنتاج عنيت عدوة المغرب بالاستيراد والتّصدير، ويعود ذلك للموقع الجغرافيّ الهامّ وغنى الأرض بالموارد الأوليّة الهامّة كالأخشاب من الأشجار الغابية الّتي خصّصت لبناء السّفن وغيرها.... من الصّناعات[4]، كما شجّع الحكّام الفلاّحين على استصلاح أراضي البور ومع وفرة الأيادي العاملة امتدّ باع الزّراعة بعيدا – في المغرب والأندلس–، فتوارثها الآباء عن الأجداد [5] وقويت عزيمة المرابطين وطرقوا باب الحضارة والرّقيّ من أوسع الأبواب.

وهناك من عدوة المغرب تشارف الزّروع المتنوّعة والفواكه الكثيرة من مدينة سبتة اشتهرت بزراعة قصب السّكر والأترج[6] ،كما اشتهرت بالصّيد ومن أجود ما أنتجت سمك التّونة ،والمرجان يصنع ويجهز لسائر أقطار البلاد وأكثر ما يحمل إلى غانة وجميع بلاد السّودان لأنّه يستعمل كثيرا في تلك البلاد[7] وعرفت سجلماسة بزراعة الشّعير والحنطة والنّخيل والقطن

---

[1]– نزهة المشتاق، الإدريسي، 553.

[2]– م ن، ص 565.

[3]– نزهة المشتاق، ص 575.

[4]– ينظر المغرب العربي في العصر الإسلامي، محمد حسن العيدروس، دار الكتاب الحديث، القاهرة ط1 2008م، ،433.

[5]– ينظر: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دراسة اجتماعية اقتصادية، عيسى ابن الذيب، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2008م، ص 269.

[6]– ينظر نزهة المشتاق، ص 528

[7]– الإدريسي، نزهة المشتاق ص 529.

وغلاّت الكمّون والكراوية والحنّاء والنّيلج[1] وسوّقت المنتوجات للأنحاء المجاورة وأخذت للخارج أيضا نظرا لجودتها الفائقة واختصّت أرض درعة بزراعة الجوز والتّين والعنب العذاري والسّفرجل والرّمان والأترج وقصب السّكر وأشجار الفواكه [2] وعرفت أغمات وريكة الخصبة طعم التّين الرّائع والزّبيب والجوز واللّوز والسّفرجل والرّمان وشجر الزّيتون والخرنوب وشتّى أنواع المزروعات ولم تبع لكثرتها ووفرتها في السّوق بل كانت تهدى[3] أمّا خارجيّا فسوّقت للأندلس والمدن المجاورة وما ميّز الزّراعة ثمر يشبه ثمر العيون استغلوا زيته أحسن استغلال عرف بالأركان، وتجّار أغمات مياسر يسوقون إلى السّودان الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النّحاس الأحمر والملوّن والأكيسة وثياب الصّوف والعمائم والمآزر وصنوف النّظم من الزّجاج والأصداف والأحجار والعطر وآلات الحديد[4]،وليس بعيدا عن مدينة أغمات وجدت مدينتي داي وتادلا اللّتان عُرفتا بالنّحاس الخالص الّذي لا يعادله نحاس على سطح الأرض كلّها لونه أبيض ويمكن مزاوجته بالفضّة وقد استعملا في الصّناعات التّقليديّة وصنع الأواني وقد سوّق داخليّا وتعدّى الحدود إلى الضّفّة الأخرى[5] كما عرفتا بقطنهما والّذي راج في المغرب وسافروا به إلى أبعد الحدود وعرفت مكناسة بالأسواق العامرة والحمّامات الكثيرة والدّيار الحسنة كما كثرت الصّناعات بها وتدفّقت فيها نعم الفواكه والخضر.[6]

---

[1]- الإدريسي، م ن، ص 227.

[2]- م ن، 228

[3]- الإدريسي، م ن، ص ن.

[4]م ن، ص 232.

[5]- ينظر نزهة المشتاق، ص 241.

[6]- ينظر م ن، ص 246.

والجدير بالذّكر أنّ من بين الصّناعات التي برزت في تلك الحقبة نجد الزّجاج والنّسيج وصناعة أدوات النّحاس والحديد[1]، وقد استعملت في العمارة والصّناعات المختلفة، كما خاض الصّنّاع في إنتاج العتاد الحربي لسدّ مآرب المعارك فعرفت لمطة نول منذ بوادر الدّولة تصنيع السّلاح والعتاد الحربيّ[2] ،وخصّصت مراكز صناعيّة لكلّ العتاد الحربي في عهد يوسف بن تاشفين[3] بالمغرب والأندلس – فيما بعد – ومن أكبر المدن صناعة للسّلاح ومخزنا للعتاد وضرب السّلاح ونسج الدّروع وصقل السّيوف[4] غرناطة[5]وقرمونة الّتي كانت دارا لصناعة السّلاح ومخزنا أيضا [6] لقد أولت الدّولة العناية الفائقة للسّلاح نظرا للأوضاع السّياسيّة المتدبدبة بالعدوتين، وتعطّش حكّامها لكسر شوكات الأعداء المتربّصين، وما يلفت الانتباه هو التّفكير الجادّ في أمور السّياسة وتخصيص حصّة الأسد من الأموال لبيت المال، متّبعين سياسة الاكتفاء الذّاتي في المأكل والملبس؛ فقد سدّت الحاجيات في العدوتين من حيث الملبس

[1]- ينظر الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم التّعارجي، فاس، 1936م، ط 1، ص 63-،64.

[2]- ينظر نزهة المشتاق، الإدريسي، 59.

[3]- ينظر البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بن عذارى المراكشي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة لبنان،1983م، ط3، ج4/، ص 112.

[4]- ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة،1973، ج1/ 250

[5]- ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحميري، ص 42- 43.

[6]- ينظر م ن، ص 461.

فأنتجت الصّوف والقطن وصناعة ودبغ الجلود والكتّان [1] وتوفّر المأكل بتوفّر المواد الغذائيّة من الزّيت وقصب السّكر وحتّى التّوابل وحملت المنتجات للتّصدير أيضا، وكان لتجارة الرّقيق الحظوة الكبيرة عند الملثّمين حيث جلبوا العبيد من السّودان وغانا وجنوب إفريقيا[2]، وقد استغلّوا مهارة السّودانيات في الطّبخ[3] وخدمة المرأة المرابطيّة وهذا يدلّ على تقحّم العيش الرّغيد غمار دور الملثّمين الّذين بدأوا بدوًا صحراوييّن، وأضحوا يعايشون المدنيّة الحديثة.

كما استورد المرابطون من غانا بيض النّعام الّذي استغلّ في تركيب بعض الأدوية، واستعمل في الزّينة ريشه لذلك ارتفع سعره في الأسواق كثيرا[4] وحظي العنبر بالطّلب الكبير والسّعر المرتفع للإقبال المتزايد عليه ويدلّ ذلك على وفرة الأموال والتبدّع في العيش لأنّ كلّا من ريش النّعام والعنبر عُدّا من الكماليّات ووسائل رغد المعيشة، وجلبوا العطر الهندي وماء الورد من اليمن والشّام والعراق[5] وحمل القطن من حلب إلى سبتة التي استوردت أكبر قدر من السّلع والبضائع من مختلف مناطق بلاد المشرق.[6]

---

[1]- محمد حسين العيدروس، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008م، ص 440.

[2]- حسن الوزان، م ن، ص 544.

[3]- البكري 158.

[4]- عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 225،226.

[5]- المراكشي، 359.

[6]- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 154.

ج- السّكّة:

لقد كان الدّينار الذّهبيّ هو العملة الرّئيسة في التّعامل وعماد اقتصاد الدّولة وظلت مستخدمة حتّى بعد انهيارها كما تعاملوا بالدّرهم الفضّي والخروبة (ALGORROBA)الّتي ساوى ثمنها النّصف درهم لتسهيل المعاملات التّجاريّة[1].

وتطوّر نظام التّعامل بالنّقد؛ فعرفت أقدم سكّة في عهد أبي بكر بن عمر (450هـ) وكان اسم ولي العهد يطبع على السّكة إلى جانب اسم أمير المسلمين وكانت نقود علي بن يوسف بن تاشفين تحمل عبارة :<<لا إله إلا الله محمد رسول الله أمير المسلمين علي بن يوسف ولي عهده الأمير سير>>[2] وانتشر دور سكّ العملة[3] في شتّى أرجاء الدّولة في المغرب كمراكش وأغمات وتلمسان، وسجلماسة وفاس وطنجة [4]، أمّا في الأندلس فقد انتشرت الدّور في إشبيلية ودانية وغرناطة، مالقة وسرقسطة وقرطبة وغيرها.[5]

جدّد يوسف الدّينار باسمه وكان من الذّهب ونقش عليه شعار الدّولة (التّوحيد) :لا إله إلا الله محمد رسول الله وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب في الأسفل آية << وَمَنْ يبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ[6]>>وأمّا الوجه الثّاني من العملة؛ فقد طُبع فيه التّاريخ واسم أمير المؤمنين العبّاسي عبد الله ليظهر الوفاء له

---

[1]- ينظر التّاريخ السّياسي والحضاري، ص320.

[2]- م ن، ص 263.

[3]- محمد حمدي عبد المنعم، م ن، 320.

[4]- ابن عذارى المراكشي، ج1/ ص21.، الصّلابي، م ن، ج 2/ ص291.

[5]- حمدي حسين عبد المنعم، التّاريخ السّياسي م ن، ص 320.

[6]- الآية 85من سورة آل عمران رواية ورش عن نافع.

وليؤكّد أنّ المرابطين لازال ولاؤهم للعبّاسييّن قائما ،وكانت العملة عنصر غنى الدّولة المرابطيّة ومورد رواجها في الدّاخل والخارج[1] وما يؤاخذ عليه هو سكّ اسم الله على عملات قد تحضر لأماكن غير لائقة بمقام الآية وشعار التّوحيد فالعقيدة أن تجسد بالتّعامل لا أن تطبع وتبتذل في أماكن غير لائقة كالحانات وأماكن اللّهو والطّرب وبيوت الخلاء وبؤر المجون.

والملاحظ عن الدّنانير أنّها عادة تضرب من الذّهب ،وأمّا الدّراهم والقراريط والدّوانق فسكّت من الفضّة، وبهذا الإنجاز تقدّمت المعاملات المرابطية وبدأت ترسي أقدامها على أديم الحضارة، وكانت المبادلات التّجارية تدفع إمّا نقدا أو بالصّكوك والحوالات على الرّغم من أنّ الفقهاء اعتبروها ربا[2]،ولقد ثبت عن صكّ رآه ابن حوقل قيمته ضخمة من الذّهب من أودغست إلى سجلماسة وهذا دليل على أهمّية الحركة التّجارية في الدّولة [3]،كما شاع طريق المقايضة في السّلع بين التّجّار، وقد ثبت استبدال الذّهب بالملح بين المغرب والسّودان ،وأمّا غانا فقد سيق إليها الملح والتّين والنّحاس مقابل الذّهب[4] وثبت نوع آخر من المبادلات تمثّل في البيع بالسّلف؛ فكان نقدا بنقد أو نقدا بسلعة[5]، هذا التّسهيل في المبادلات التّجارية دفع عجلة الانتعاش تدور لتزدهر التّجارة وتقوّى داخليّا وخارجيّا .

---

[1]- موريس لومباد، الجغرافيا التاّريخيّة للعالم الإسلامي، ترجمة عبد الرّحمن حميدة، دار الفكر المعاصر، دمشق ،1982م، ص 146.

[2]ينظر: قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، ص 408.

[3]- ينظر: صورة الأرض، ابن حوقل، دار مكتبة الحياة، بيروت(د .ط)، (د .ت)، ص 96.

[4]- ينظر: شفاء القلب العليل، البكري م ن، ص 56، نزهة المشتاق، ص3.

[5]- ينظر: ابن عبدون م ن، ص 58.

وأمّا المكاييل والموازين التّي استخدمها سكّان العدوتين في الموانئ والأسواق فقد تعدّدت أشكالها فحضر السّطل والمدّ ،القلة والوسق ،القفّة والصّحفة والقفير وقد نوّعت المكاييل من منطقة إلى أخرى[1] وقد حدّد البكري وزن المدّ بثمانين أوقية[2] وأدرج البيذق السّطل في مؤلّفه قائلا:<< وبلغ عندنا في ذلك الوقت سعر الشعير ثلاثة دنانير للسّطل وبلغ الحطب عند تاشفين دينارا للرّطل من شدّة تلك السّنة ثم فتح الله بالغياث والخيرات[3]>> لقد أشار القائل مقدار السّطل دون ذكر قيمته بالمكيال فقد كان متداولا آنذاك ولا يحتاج لتعريفه.

وأمّا الموازين عندهم فقد تداولوا الرّطل والأوقية والقنطار<<فكان رطل مليلة مثل رطل نكور اثنتان وعشرون أوقية ،والأوقية خمسة عشر درهما وقنطارهم من جميع الأشياء بهذا الرّطل والدّرهم بها عدّة قراريط كل قراط خمسة أثمان درهم[4]>>أكّد القائل أنّ المكيال خصّ منطقة مليلة مفصّلا المقدار المتداول آنذاك وهذا يقودنا للتّفكير بتنوّع المكاييل قد تحدث خللا في نظام المبادلات ،وهذا ما جرى حيث عمّت الفوضى في الكيل وأصبح التّجار لا يلتزمون بالمقادير وعوّضوها ببدائل شوّهت وطفّفت في الميزان وأمثلة الغشّ كثيرة دوّنت في كتب الحسبة[5].

---

[1]- عزّ الدّين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السّادس هجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2003م،

[2]- البكري، م ن، ص 117.

[3]- أبوبكر بن علي الصّنهاجي البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحّدين، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرّباط ،1971م، (د ط)، ص 53.

[4]- البكري، م ن، ص 91.

[5]- عزّ الدّين عمر موسى، م ن، ص 297.

4-العمران

تقلّد المرابطون زمام الحكم واستهوتهم الثّقافة الأندلسيّة بعد سقوط ملوك الطّوائف في الأندلس حيث<<أخذ سلطان المرابطين يشعّ ...وعاد أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين إلى إفريقيا وأمّا ابنه ووارث عرشه فلم يكتف بأن بقي يحكم الأقاليم الإسلاميّة في إسبانيا ،بل استهوته الثّقافة الأندلسيّة ...وحدث توّسع للفنّ الأندلسيّ نحو البلاد المتاخمة لإسبانيا>>[1]؛ فتركوا آثارا معماريّة هامّة تشده العين ويدهش منها المتمعّن دالّة على رفعة حضارة المرابطين المعماريّة دينيّا وعسكريّا ،لأنّ اهتمامهم كان منصبّا على الدّين والمعارك ضدّ الخطر الصّليبي بالأندلس<<..ومن أهمّ المعالم الّتي شهدت إبداع المرابطين مدينة "تاجرارت" بجوار أجادير[2] القديمة ،وكانوا يحرصون كلّ الحرص على عمارة المساجد، فكان نصيب المغرب الأوسط ثلاثة مساجد وهي: المسجد الجامع بمدينة الجزائر، والمسجد الجامع بتلمسان، والمسجد الجامع

---

[1]- مانويل جوميثمورنيو، الفنّ الإسلامي في إسبانيا، ترجمة د.السيد عبد العزيز سالم، د.لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، (د.ط)،(د.ت)، ص341.

[2]- أجادير ويقصد بها الحصن أو القلعة نظرا لموقعها **الاستراتيجي الّذي تتمتّع به إذ تقع في سفح جبل الصّخرتين الّذي يحدّها جنوبا، ويحيط بها نهر مشكانة شرقا** ينظر نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق الإدريسي، نشره د ي غويهو دوزي، ليدن 1894م ص 78.

بندرومة. وجامع القرويّين بفاس[1]...>>، كما حصّن أمراء المسلمين المدن بالأسوار والقلاع وإقامة الأربطة والمحارس والثّغور[2] وربطت المغرب بالأندلس في وحدة سياسيّة وحضاريّة وثيقة[3]

أ- العمارة الدّينية :

تميّزت عمارتهم بطابعها الدّيني، لأنّها قامت على أسس دينيّة سمحة <<ووصل الأمر أحيانا إلى معاقبة أهل المدينة الّتي لم تشجّع على بناء المساجد فيها ...؛ فقد فرضوا على أهلها بناء المساجد. وأيّ زقاق لم يوجد فيه مسجد عوقب أهله وأمروا ببناء مسجد فيه[4]>>ومن بين الجوامع نجد:

❖المسجد الجامع بالجزائر:

يرجع الفضل في تشييده إلى المرابطين بالجزائر العاصمة ولكن لم توجد وثيقة صريحة تؤكّد التّاريخ الدّقيق لبنائه ،وقد رجّح الباحثون تاريخ الفراغ من إنشائه سنة 490هـ أي في عهد الأمير يوسف بن تاشفين رجل الدّين، ذو الرّوح الدّينية العالية ،الّذي حرص على بناء المساجد

---

[1]- ينظر العمائر الدّينية في المغرب الأوسط، د.مبارك بوطارن ،كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2011م ، ص 6.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 16.

[3]- ينظر تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، د سحر السيد عبد العزيز سالم، جامعة الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د ط) ، 1984م ،ص74 .

[4]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط 1973م، ص141-142.

في كل أزقّة مدينة فاس[1] ،وكان يعاقب سكّان هذه الأزقّة إذا كانت تخلو من المساجد[2]، وخضعت عمارة الجامع في العهد المرابطي على غرار المساجد الأخرى<<لنمط جديد، فقد كان من أثر ضخامتها واستحالة الحصول على أعمدة كبيرة[3] أن اختيرت دعائم قاعدتها مطوّلة ومصلّبة ليس لها من الرّشاقة حظّ كبير ،ثم عقود حذوة الفرس دون أوتاد تربطها وسقوف مسنّمة الشّكل.[4]>>

وكان الهدف من تشييد المساجد إقام الصّلاة، ولذلك ركّز البناء على البساطة واتّساع المكان للمصلّين، وقد خضع لتوسيعات وإضافات تجميليّة كالمئذنة[5] أو بعض الملحقات، الّتي احتفظت بنظامه التّخطيطيّ الأوّل[6]<<تنتصب مئذنة الجامع في ركنه الشّمالي الشّرقي،

---

[1]-فاس مدينة بالمغرب الأقصى، أسّسها إدريس عبد الله سنة 172هـ، وتتكوّن من عدوتين: عدوة الأندلسيّين وهي فاس القديمة وعدوة القروييّن وأسّسها ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله سنة 192هـ وسكنها العرب الوافدون من القيروان والأندلس ينظر: نزهة المشتاق، الإدريسي، ص86.

[2]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، تعليق محمد الهاشمي، الرباط 1936م،ج2/، ص44.

[3]- الأعمدة: ما يدعم بها السقف أو الجدار ينظر التفاصيل: موسوعة ينظر موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحي وزيري، منتدى سور الأزبكية www.BOOKS4ALL.NETالكتاب الثّاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1999م، ص 49.

[4]- مانويل جوميثمورنيو، م ن، ص 337.

[5]- المئذنة عبارة عن هيكل متدرج أو برج به نوافذ صغيرة ودرج مغلق. إنّه أحد أقدم عناصر العمارة الإسلامية. إنّ الوظيفة الرئيسية للمئذنة هي فرصة المؤذّن لدعوة المؤمنين إلى الصّلاة من نقطة مرتفعة خمس مرات في اليوم:https://russia-islworld.ru/ar/kultura

29-2-2020على الساعة: 19:36سا

[6]-MANUELD.AR Musulman.edAUGUSTE.PICARD.PARIS:1926-G) MARçAIS P306.)نقلاعن العمارة الدّينية في المغرب الأوسط ، مبارك بوطارن ، ص 23.

وتتكوّن منبر واحد وجوسق تعلوه قبّة أمّا من الدّاخل فتتوسّطها نواة مركزيّة مربّعة الشّكل[1]>>، وهذا الوصف ينمّ عن بساطة المعمار وخلوّها من الزّخرفة والتّنميق بل وخضعت لتوسيعات كثيرة حتّى تكفي الكمّ الهائل للمقبلين عليها يذكر (ديفولكس)<<أنّ الجامع كان مزوّدا بحديقة صغيرة،كانت تقع خلف الجدار الجنوبي الغربيّ، كما يشير إلى وجود مصلّى من الجهة الشّماليّة الشّرقيّة يرجّح أنّه خصّص لأداء صلاة الجنازة.[2]>> لكن لم يتبقّ أيّ أثر للملحقيْن في الوقت الحاضر، وقد يكون ذلك تزامنا مع توالي الحقب الزّمنية الطّويلة عليها أو مواكبة للبناء الحديث.

●وصف الجامع:

اعتمد المرابطون في تخطيط الجوامع على نظام صارم يتمثل في تشييدها<<على شكل مستطيل طوله ستّة وأربعون مترا ونصف عرضه ثمانية وثلاثون مترا ونصف، ويتوسّطه صحن مكشوف مستطيل الشّكل يتساوى مع طوله مع ضعف عرضه، ويطلّ على الصّحن من الجهة القبليّة بائكة تتقدّم بيت الصّلاة ،ويحيط بالصّحن من جهته الشّرقية والغربيّة مجنبتان كلّ منهما تشتمل على ثلاثة بلاطات تتعامد عقودها على جدار القبلة بينما يشغل المجنبة الشّماليّة أسكوب واحد[3]>>وعلى غرار المساجد الأندلسيّة؛ فقد توسّط المسجد نافورة من الرّخام خصّصت للوضوء،كما دُمشق صحنه بشجرة البرتقال[4]،وسمّيت صحون المساجد بصحون

[1]-العمارة الدّينية، م ن ، ص 40.

[2]- REligieux de lancien ALGER IN REVUE Africaine.187 P70 DEVOULX.LES Edifice

[3]- مبارك بوطارن، م ن، ص 24.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، (د.ط)، 1986م، ص15

البرتقال patios de los Naranjos [1]، أمّا بيت الصّلاة؛فيتكوّن من إحدى عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة[2] ،والبلاطة الوسطى أكثر اتّساعا عن بقيّة البلاطات ،إذ تقطع خمسة أساكيب*موازية لجدار القبلة[3] ، ويطلّ البيت على صحن ببائكة من العقود عددها خمسة، ويظهر عقد البلاطة بارزا على الصّحن، وقد توسّطته نافورة من الرّخام، وغرست أشجار البرتقال والنّارنج على غرار صحون المساجد الجامعة بالأندلس[4] توسّط جدار القبلة المحراب* والمنبر[5] ،وهو حنية نصف دائريّة معقودة ،وتنفتح في جدار القبلة ،على يمين جوفة المحراب غرفة لحفظ المنبر الخشبيّ، الأوّل في المغرب الأوسط والّذي يتحرّك فوق قضبان حديديّة، وقد رُسمت عليها نقوش بالخطّ الكوفي وزخارف ذات طابع أندلسيّ تعكس التّأثير الأندلسي

---

[1]-ينظرفي تاريخ وحضارة الإسلام بالأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1985ص171-173.

[2]-LAMBERT(E) :LES Mosquées de se TYPE Andalou ENESPAGNEet en AfriqueDU Nord.IN Andalus.1949.VOL XIV. PP:282-289.

*- أساكيب ج: أسكوب وهو الصف من النخل.

[3]- ينظر العمارة الدينية في المغرب الأوسط، مبارك بورطان، ص 25.

[4]- ينظر العمارة الإسلامية في الأندلس وتطوّرها، السيد عبد العزيز سالم، مجلة عالم الفكر، المجلد الثّامن، العدد الأول، 1977م، ص 89، 166.

*- المحراب هو الحنية أو التجويف في جدار القبلة: ينظر موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري ص 11.

[5]- المنبر: منصة مرتفعة تتسع لوقوف وجلوس الخطيب ويستخدم أيّام الجمعة والمناسبات والأعياد، ينظر موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري، منتدى سور الأزبكية www.BOOKS4ALL.NETالكتاب الثاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1999 ، ص 27

على المغرب الإسلاميّ[1] ،وقد زركشت بأشكال وزخارف نباتيّة وهندسيّة متميّزة تنم عن حسّ مبدع في المعمار مستلهمين إبداعه من جامع قرطبة [2] ويعتقد المؤرّخون أنّ المرابطين استلهموا منه كذلك فكرة العقود المفصّصة والمنكسرة[3]؛ فقد استخدموه عنصرا زخرفيّا ومعماريّا في مساجدهم.[4]، ويظهر لنا جليّا تأثّر المرابطين بالبيئة الأندلسيّة المرهفة بالنّبات المزهر والمورق، المبرقش بالخطّ الكوفي المتميّز، وكما نلمس دبيب فكرة الإبداع في المعمار بعدما عرفت البساطة في التّصميم إلّا أنّها بدأت تصبغ بتنميق الأندلسيّين المتميّز.

---

[1]- ينظر العمارة الدينية في المغرب الأوسط، م ن، ص 27.

[2]- ينظر وصف الجامع في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أبوعبد الله محمد بن أحمد الشريف الإدريسي، مكتبة الثّقافة الدّينية، المجلد الأول، 2002م، ص 576.

[3]- توضيح <<هناك سمة للعمارة الإسلامية هي القوس. تنقسم الأقواس الإسلامية، سواء في المداخل أو داخل المباني كانت دينيّة أو ثقافيّة، إلى أربعة أنماط رئيسية:الحدوية والمفصّصة والمدبّبة وحدوة الفرس>>https://russia-islworld.ru/ar/kultura 29 -2-2020على الساعة : 19:50 سا

[4]- ينظر العمارة الدينية في المغرب الأوسط، م ن، ص 35.

ولقد ضمّ الجامع عشرة أبواب، منها أربعة تنفتح على بيت الصّلاة ،اثنان منهما يقعان إلى يسار المحراب في جدار القبلة وآخران في الجدار الشّرقي والغربي، وكلاهما ينفتح على الأسكوب الثّالث من بيت الصّلاة ،وينفذ ثلاثة على المجنبتين الشّرقية والغربيّة ،ويتخلّل الجدار الشّمالي الثّلاثة المتبقّية وتفتح كلّها على مؤخّر الجامع[1] الّذي يتميّز بأربعة واجهات خالية من الزّخرفة تنفيذا لمبدأ الزّهد الّذي نادى به المرابطون في بداية دعوتهم، والبيئة الصّحراويّة الخشنة -البعيدة عن ملذّات الحضارة[2]، وقد علا بلاطات الجامع أسقفا هرميّة من القرميد الأحمر المتوازي بامتداد البلاط، وقد استندت إلى كوابل من الحجارة على شكل قطع من العقود المتتابعة؛ فتشابه التّصميم جامع ندرومة على تقدير المختصّين[3]،وازدانت بزخارف أطلق عليها اسم التّوريق[4].

وإنّ الوصف الدّقيق لأرجاء المسجد تبعثنا لبلورة فكرة عنه أنّ قالبه الخارجي صبغ بلمسة بسيطة جدّا الهدف من ورائها أداء العبادة، واتّساع المكان للمصليّن، ورشّت عليها الطابع الأندلسيّ، البارز طفيفا في نافورة الماء وسط الصّحن والمحراب والمنبر، ناهيك عن الزّخرفة البسيطة واعتماد الخطّ الكوفي عوض الخط المغربي تأثّرا بالفنّ الأندلسي.

---

[1]- العمائر الدينية، م س، 36.

[2]- BOUROUIBA.RACHIDLE INSCRIPTION Commémorative DES Mosquée DALGERIE.OPU.ALGER.1984.

[3]- العمائر الدّينية ،36.

[4]- هي زخرفة اشتهرت باسم الأرابيسك، لاتزال تعرف في اللغة الإسبانية ATAURIGOS وقوام زخارفها عناصر نباتية محورة عن الطّبيعة ومتداخلة فيما بينها إلى درجة يصعب فيها على الإنسان معرفة نقطة البداية لهذه الزّخرفة من نقطة نهايتها ينظر الفنون الزّخرفية الإسلاميّة في المغرب والأندلس، محمد عبد العزيز مرزوق، دار الثّقافة، بيروت (د ت)، ص 81-82.

❖**المسجد الجامع بندرومة:**

اعتبر جامع ندرومة واحدا من بين المساجد الأولى الّتي قام ببنائها "يوسف ابن تاشفين" في المغرب الأوسط سنة 472هـ في الجنوبية للمدينة، وهو لايخرج في تصميمه عن جامع الجزائر، والعنصر الوحيد الّذي أضيف إلى الجامع هو المئذنة لأنّ المرابطين لم يزوّدوا مساجدهم بالمآذن[1] ربّما اقتداء بمسجد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم –كما فسّر ذلك الدّارسون– ،وقد صمّمت على الطّراز المغربي المربّع، وبرقش بزخرفة جصّية ،تمثّل تشبيكات من العقود المفصّصة قد لاتعود للعهد المرابطي لتوالي الحضارات على المنطقة، كالنّقوش الكتابيّة الّتي ترجع إلى المرابطين والزّيانيين[2]، ولقد عدّ في تصميمه نسخة طبق الأصل عن جامع الجزائر، وهو لا يزال صامدا – لحدّ الآن –على شكله رغم تعاقب الأزمان عليه ،خصوصا صحنه وجدرانه ومحرابه وحتّى مدخله[3] يحتوي الصّحن على أربعة أروقة؛ فيتميّز رواق القبلة بالاتّساع ،وهو بيت الصّلاة؛ فهو عمود كبيرة تعلوها أقواس وسقف وتسع بلاطات عموديّة على حائط القبلة وأمّا محراب القبلة؛ فيظهر مجوفا وغائرا في جدار القبلة، يضاهي مساجد الفاطميّين في مصر.[4]

❖**المسجد الجامع تلمسان:**

لقد كان الجامع موردا لتربية المسلمين تعاليم دينهم وتهذيب ألسنتهم بمعاني القرآن، ونشر علوم الإسلام، وقد تضاربت الآراء حول مؤسّس الجامع أو تاريخ إنشائه ويرجع السّبب إمّا

---

[1]– مبارك بوطارن، م س، ص 66.

[2]– م س، ص 79.

[4]– محمد عبد الستار عثمان، العمارة الفاطمية الحربية –المدنية –الدّينية: دار القاهرة، مصر، 2006م، ط 1، ص33.

لتآكل الأخشاب الّتي نُقشت عليها المعلومات ،أو لتدنيسها من لدن الموحّدين والّذين حاولوا طمس آثار المرابطين[1]؛وصُمّم شكل الجامع مستطيلا وينحرف قليلا إلى الدّاخل من الجهة الغربية بمساحة على شكل مثلّث قائم ،وقد جاوره القصر البالي أو قصر الإمارة الذي أنشأه يوسف بن تاشفين ،وسكنه الأمراء والولاة من بعده.[2]، ويتوسّط المسجد صحن مربّع الشّكل، وتكتنفه مجنبتان من الجهتين الشّرقيّة والغربيّة تشتمل على بلاطات امتدّت من بيت الصّلاة ،ويتكوّن من أربعة أساكيب تمتدّ بموازاة جدار القبلة[3] ،وعلى غرار المساجد المشيّدة في هذا العهد ؛فقد تشابه تخطيطه جامع القيروان وقرطبة ،فمحرابه مجوّف وتوسّطه واجهة جدار القبلة بحيث يقع على محور البلاطة الوسطى وزخرفته تضاهي جامع قرطبة ،ولم يحدث بها ترميم أو تعديل كجامعي ندرومة والجزائر[4]<<..وشكله حنية كبيرة معقودة بعقد متعدّد الفصوص يتوسّط جدار القبلة، ويقع هذا المحراب على وجه التّحديد على محور البلاطة الوسطى ويتكوّن من واجهة خارجيّة وحنية مضلّعة[5]>>،ويتوّج واجهة المحرابة عقد من حذوة الفرس، حوّط بعقد زخرفيّ من تنميق المحاريب الأندلسيّة فلاشكّ كان للأيادي الأندلسيّة والصنّاع الفضلُ في ذلك وخاصّة في زخرفة التّجويفات والّتشبيكات جصيّة خلاّبة مستطيلة الشّكل[6]،وقد

[1]- ينظر العمائر الدينية ص، 88.-90

[2]-العمائر الدينية ص 97.

[3]- م س، ص 97.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية،1984، ص 59.

[5]- العمائر الدينية، ص 100.

[6]-l'architecture MUSULMANE D'occident. P (G)MARçAIS 166-168.

ازدان المسجد بقبيْبة مفصّصة[1] تمثّل المرحلة الأولى من القباب المفصّصة في تاريخ العمارة الإسلاميّة في عدوتي المغرب والأندلس، وكلّلت <<بقبيبة صغيرة من المقرنصات[2] فاعتبرت أوّل مثال للقباب المقرنصة في المغرب والأندلس>>[3] والفريد في الأمر أنّ الزّخارف تتمّ بواسطة آلة حديديّة ،أو بطريقة القوالب، وقد عُرفت في المغرب باسم نقش حديدة[4]استعمل المرابطون الخطّين :الكوفي والنّسخي في نقش النّصوص الكتابية وزخرفتها في أفاريز تتناسب والمكان الذي كُتبت فيه ،وتقع على الجوانب الأربعة لقاعدة القبّة بخط نسخي أندلسي رائع ،والجدير بالذّكر أنّ اسم المؤسّس اجتُثّ لسبب – ربّما– يرجع للحقد الدّفين الّذي حمله الموحّدون فيما بعد لكلّ إنجاز مرابطي لكنّ تاريخ التّأسيس سنة(530هـ–1135م)يؤكّد أنّه شيّد في عهد علي بن يوسف.

والمتمعّن في تاريخ المرابطين يجده يمرّ بمرحلتين متفاوتتين في الخصائص أمّا **الأولى** فتمثّل فترة ولادة هذه العمائر، وقد تميّزت بالغلظة والخشونة نظر للبيئة الصّحراوية، والمبادئ الدّينية الّتي قامت عليها الدّولة والّتي أثّرت في ذلك فوُسمت بالبساطة والتّواضع أحيانا.

وأمّا المرحلة **الأخيرة** فتشرّبت بالثّراء الفنّي الّذي استقته من الأندلس وتخصيصا من قرطبة حضن الإبداع المعماري آنذاك تورّقت زُخرفت وتقرنصت القباب وتطوّرت نهايات العقود

---

[1]– العمار الدينية ص 101.

[2]المقرنصات أو المقربصات كما يسميها المغاربة: أعمدة كلسية تتدلى من السقف مشكلة زخرفة وهي من مميزات الفن الإسلامي ينظر: الفنون الزخرفية ص، 88.

[3]– السيد عبد العزيز سالم، روائع الآثار الإسلامية بجمهورية الجزائر، مجلة المجلة العدد19، 1959م، ص 31.

[4]– محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزّخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة بيروت، (د.ت)، ص 85.

المفصّصة بحليات ثعبانيّة serpentiform[1]،كما ظهر في عهدهم العقد ثلاثي الفصوص كما في قبّة جامع تلمسان، وأخذت أشكالا متميّزة أضفت رونقا منقطع النّظير يخالف عهدها الأوّل مستعينين بطريقة القوالب في الزّخرفة على الجصّ[2]moulds ،والإبداع يقودنا إلى تقاطر البنّائين والفنّانين من العدوة الأخرى إلى المغرب فاستنسخوا جامع قرطبة من حيث شكل الصّحن و القباب واتّجاه البلاطات، ولا ننسى واجهة المحراب وسقف المسجد الخشبيّ، فتميّزت باستخدام العناصر المعماريّة والدّعامات والعقود الحدوديّة والمفصّصة[3]، وقد طُبعت بالحجارة في البناء كما غطّيت بطبقة من الجصّ[4]،واستغني عن المآذن ربّما اقتداء بمسجد الرّسول صلى الله عليه وسلم ،كما طغت الزّخرفات النّباتية والنّخيليّة وهنا تمتزج البيئة الأندلسيّة بالصّحراويّة لتضفي صبغة مميّزة.

---

[1]-العمائر الدّينية ص 134.

[2] هي طريقة تجعل زخرفة المساحات الواسعة ميسورة في أسرع وقت وبأقل نفقة ينظر: الفنون الزّخرفية الإسلاميّة م ن، ص 86.

[3]المفصّص: هو لفظ استعملت في المغرب للدّلالة على الفسيفساء في المشرق ينظر نفح الطّيب، ج2./ص 344.

[4]- الجصّ وهو خامٌ من كبريتات الكالسيوم المائيّ الطبيعيّ المتبلْور، ولونه كلون الصَّدف، ويستخدم في طلاء البيوت وتقويم الحجارة وتجبيس العظم المكسور ينظر-https://www.almaany.com/ar/dict/ar المادة جصّ.

❖ *جامعة القرويين:*

من لا يعرفها، فهي أقدم جامعة يعود الفضل في تأسيسها إلى امرأة فاضلة تسمّى فاطمة بنت محمد الفهرية[1]، هاجرت من القيروان إلى فاس، وفتحت مسجدا يدرس فيه شتّى العلوم ،وتخرّج منه كبار العلماء والشّعراء والفقهاء وعلماء الفلك والرّياضيات، والقائمة طويلة؛ فقد ولجوها من مختلف البقاع وأقصى الأصقاع طلبا للمبتغى من هؤلاء المؤرّخ عبد الرّحمن ابن خلدون المولود بتونس، صاحب كتاب العبر ومؤسّس علم الاجتماع، نردف ابن رشد الفيلسوف المعروف، والطّبيب الأندلسي موسى بن ميمون، والعالم الجغرافيّ محمد الشّريف الإدريسي والعالم الرّياضي والفلكي ابن بنّاء المراكشي وعالم القراءات والرّياضيات "

ابن غازي المكناسي، وغيرهم كثيرون[2]،وزيدت مساحته في عهد عليّ بن يوسف بن تاشفين سنة (530هـ - 538هـ /1135م.-1142م)، وقد تولَّى مشروع زيادة مسجد القرويّين وتوسيعه القاضي أبو عبد الله مُحَمَّد بن داود[3]؛ بسبب ضيق المسجد بالنَّاس واضطرارهم للصّلاة يوم الجمعة في الشّوارع والأسواق؛ فحرص على أن يكون المال من أوقاف

---

[1]– ينظر ترجمتها في جريدة زمان التركية **بقلم/ناصر أحمد سنة**،https://www.zamanarabic.com/2018/11/15/ تاريخ الزيارة 6-10-2021.

[2] الصغير الغربي، منظمة المجتمع العلمي العربي، https://arsco.org/article-detail-55-8-0 ،تاريخ النشر 13.-2- 2017 عنوان المقال فاطمة الفهرية مؤسسة القرويين أقدم جامعات العالم- تاريخ الزيارة: 30-12-2020.على الساعة 22.09سا

[3]-ينظر مقالة د علي الصّلابي، تاريخ وحضارة، 8-11-2012. https://www.islamweb.net

مساجد المسلمين، واعتبر من أجمل منابر الإسلام[1]وأرقاها على الإطلاق[2]<<ونقش وزخرف لكنّه عشيّة ولوج الموحّدين إليه نصبوا على ذلك النّقش والتّذهيب الّذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثمّ لبسوا عليه بالجصّ وغسل عليه بالبياض فنظّفت لك النّقوش كلّها وصارت بياضا>>[3]ربّما كان التّصرّف نتيجة لمحاولة الموحّدين القضاء على كل ما يذكّرهم بالمرابطين وخير شاهد على ذلك محو اسم يوسف ابن تاشفين مشيّد الجامع بالجزائر وتلمسان والاكتفاء بتاريخ التّشييد؛ لقد طمست الزّخارف واسم المشيّد لكنّهم لهم يستطيعوا محو أعلام وعظماء تخرَّجوا منه <<فعديد من فقهاء الأمّة وعلماء الملّة ودعاة الشّريعة والمجاهِدين الأبرار والقادة العظام، وكان لمسجد القرويّين عند المرابطين مكانة عظيمة في نفوسهم[4]>>.

- ***وصف الجامع:***

لقد صنع المنبر من عود الصندل والنّارنج والعنّاب وعظم العاج<< ويزدان جانباه بتشابكات رائعة متعدّدة الضّلوع قوامها أشكال نجميّة ذات ثمانية رؤوس ،ويحدّد التّشابكات أشرطة من العاج ازدانت بتوريقات نخيليّة معروقة ومختّمة وفقا للأسلوب الأندلسيّ المغربيّ[5]>>صرفت عليه غطاءان أحدهما من جلد الماعز والآخر من الكتان[6]، <<فأسلوبها

---

[1]-دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة تاريخية وحضارية، سلامة محمد سلمان الهدفي، ص375.

[2]- ينظر: تاريخ دولتي المرابطين والموحّدين في الشّمال الإفريقي، علي محمد الصّلابي، دار المعرفة بيروت ط3، 2009م، ص 207

[3]- ابن أبي زرع، الرّوض القرطاس، ص 38.

[4]- علي محمد الصّلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحّدين، ص 207

[5]- سالم، المغرب الكبير، ص491.

[6]- حمدي عبد المنعم حسين، التّاريخ السّياسي والحضاري ص366

متأثّر بأسلوب عصر الخلافة من خلال الفنّ المعماري في عصر الطّوائف[1]>> ولا غرو في ذلك مادام أنّ الفترة ممتدّة من ملوك الطّوائف إلى المرابطين، ولا فصل بينهما؛ فالعمران لا يمكنه أن يتغيّر نمطه فجأة بل المنطق أن يكون الامتداد ثم التّجديد.

لقد تأثّرت العمارة المرابطيّة بالأسلوب الأندلسيّ في طريقة تنميق وتزويق مسجد القروييّن ولم تستغن عن جلد الماعز الّذي يعبّر عن البدويّ الّذي عاش قبيْل ذلك في الفيافي متّخذا جلد الحيوانات سترا لهم من قرّ الشّتاء ووقى الكتاّن المصلّين من حرّ الصّيف[2] .

❖*قبة البروديّين أو السّعديين بمراكش :*

لقد بدأت القباب في النّصف الأوّل من القرن الثّاني عشر في المساجد المرابطيّة من ذلك القبّة المرابطيّة، والّتي عدّت من أبرز المعالم التاريخيّة الّتي تركها المرابطون، وتاريخ بنائها يعود إلى نهاية القرن الحادي عشر، في عهد السلطان عليّ بن يوسف المرابطي وقد شيّدها، <<لتكون دار وضوء للمصلّين الّذين كانوا يقصدون جامع بن يوسف الّذي بناه السّلطان نفسه، والّذي يزيّن قلب المدينة الحمراء وذلك لمركزها وتموقعها في مكان مميّز يجعلها قبلةً لكلّ زائر يحطّ رحاله في مراكش، فتوجد على بُعد خطوات بسيطة من ساحة جامع الفنا، مرورًا بسوق السّمّارين والّذي يعد من أشهر الأسواق التّقليديّة في المغرب وخارجه[3]>> فيوصف هذه المعلمة نجدها لا تخرج- في تشييدها – عن منشآت المرابطين السابقة إذ يعتبر تصميمها المستطيل الشّكل وعلوّها الشّامخ الّذي ميّزها من عناصر الفنّ والإبداع فيها، وقد توسّطها صهريج للوضوء وتمّ

---

[1]- ليوبولدو توريس بالباس، الفنّ المرابطي والموحّدي، ص20

[2]- حمدي عبد المنعم حسين، التّاريخ السّياسي والحضاري، ص367.

[3]- محمد محمود، أماكن ومعالم، تاريخ النشر منذ 3سنوات، https://www.arageek.com/ تاريخ الزيارة 29-1-21على الساعة 22: 14 سا.

اكتشاف أربعة صهاريج تعلوه ،كما تفرّدت القبّة بهندستها، فحملت الواجهات الخارجيّة للقبّة نقوشًا غنيّةً تمثّل أقواسًا وأشكالًا تحاكي نجمةً سباعيّةً <<..وفي المسقط الرّأسي للقبّة نلاحظ في الإفريز العلوي عقودا متعدّدة الخطوط لها مربّعات منحنيّة في الوسط أصبح–فيما بعد– عنصرا رئيسا في المقربصات[1]>>،كما زيّن مدخلها من جهتي الشّمال والجنوب قوسان مزدوجان على شكل حدوة فرس، ومن جهتي الشّمال والشّرق قوسان مفصّصان، وتحتوي القبّة المرابطيّة مستويين متمايزين، وتتكوّن زواياها الخارجيّة من أربع دعائم متينة وقويّة وتظهر في مجموعة من الأقواس المتناسقة وزخارفها المنقوشة[2]،لم تخرج عن النّمط المرابطي في تصميمها ؛فهي تضاهي جامع قرطبة[3]،وقد رجّح المؤرّخون تشييد القبّة ضريحا لأحد المهمّين[4] ثمّ حوّل للميضأة، ولا نعتقد هذا الرّأي لأنّ المرابطين لم يولوا أهمّية للأضرحة وإلّا لوجدنا أضرحة أمرائهم وملوكهم ،وخاصّة وأنّه لا يبعد عن المسجد كثيرا .

1– باسيليون بابون مالدونالدو، ترجمة علي إبراهيم المنوفي، مراجعة محمد حمزة الحداد، العمارة الإسلامية في الأندلس عمارة القصور، المركز القومي للترجمة، المجلد 4، ط 1، القاهرة 2010م، ص 203.

2– محمد محمود، القبة المرابطية في مراكش. جمالا لا ينتهي https://www.arageek.com/– تاريخ الزّيارة 30-1-21. على الساعة 12:32سا

3– حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص، 369.

4– مالدونالدوباسيون بابون، م س، ص 202.

❖مسجد الكتبيين[1] بمراكش

ويعدّ من أعظم المساجد شيّدته أنامل المرابطين، وقد حدّدت سنة تدشينه بـ(543-537هـ)، فقد وُجد نُقش على المنبر يشير أنّه صنع بقرطبة في بداية القرن الثاني عشر بطلب من الأمير المرابطي عليّ بن يوسف بن تاشفين [2] فالجامع ومئذنته المزخرفة في أجزائها العليا بإفريز خزفي مطليّ بلون الفيروز أصبحا رمزًا للمدينة سنة 1150م[3] <<يحتوي على سبعة أساكيب ترتفع فوق كلّ منها قبّة وتتّجه خمس من بلاطاته نحو المحراب في شكل متّسع بالنّسبة لباقي البلاطات وتتجلّى البساطة في محرابه ،ولكنّ العقود والقباب تسودها المقرنصات[4]>> لقد تضاربت الآراء في نسبته للموحّدين[5] وذهب فريق آخر من الباحثين أنّه من صنع المرابطين [6] ونعتزّ لنسبه لهم بما أنّه شيّد في تلك الحقبة وربّما أضيفت عليه صبغة الموحّدين ولمساتهم لكنّ التّاريخ يشير لتدشينه على أيديهم،<< ثمّ هدمه الموحّدون عندما استولوا على المدينة ،وكانت هذه الصّومعة أو الجزء الأسفل المتبقّي منها على الأقلّ من الحجر المنجد ...على غرار صومعة

---

[1]- الكتبيين نسبة إلى باعة الكتب الذين كانوا يروجون بضاعتهم بجانب المسجد ينظر: المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات، دار الرّشاد الحديثة ،2000، ج1، ص344.

[2]- محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزّخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، (د.ت)، ص158.

[3]- محمد كريم، مسجد-الكتبيّة عراقة-في-المغرب، 17ديسمبر 2016م، https://www.alaraby.co.uk/ تاريخ الولوج: 31-1-21م على السّاعة 21:41سا

[4]- ابراهيم حركات، المغرب عبر التّاريخ، ج1/، ص 344.

[5]- صالح بن قربة، مراكش المدينة والعلوم https://www.arrabita.ma/museums_cartes/cartes/marrakech،

[6]- محمد طارق بدراوي، جامع كتيبة بمراكش، مجلة السياحة العربية ،27ماي 2019م، تاريخ الولوج 31-1-2021على السّاعة 21:55سا https://at-magazine.com

قرطبة الّتي أمر بإقامتها عبد الرّحمن النّاصر سنة(951م- 340هـ).>>[1]، وبالرّغم من حالة الرّفاهية التي بلغتها دولة المرابطين، والّتي ترجمها الرقيّ العمراني وازدهار مختلف الميادين فإنّ سِمة البساطة والتّقشف ظلّت مِيزة هذا العصر في بدايته، وهو ما انعكس في اقتصار حكّامهم على الزّهد والبُعد عن البهرجة والأبّهة، واكتفى بالقوّة والعظمة والمتانة؛ ونتيجة لتأثّر المعمار بالأندلسيّين؛ فقد استقى منه فخامة صنعه وحسن سبكه، كما تأثّر الأندلسيّون بالعمران المرابطي الّذي استوحى منه قرنصة القباب في كلّ من مسجد قرطبة وطليطلة وإشبيلية، وكذلك العقود المفصّصة والمتشابكة في القبّة والمحراب والّذي بسقوط الحكم الإسلامي بقبضة الإفرنج حوّل إلى كنيسة سانتاماريا الكبرى[2].

ب- العمارة الحربية:

وجدت عدة منشآت ساهمت في الذّود عن حمى المدن والقواعد العسكرية وقد شيّدت بعد إرساء أقدام المرابطين بالعدوتين وتمثّلت في الأسوار والقلاع والحصون وميزت بصبغة خاصّة

❖***الحصون والأسوار:***

لقد حظيت العمارة الدّينية في العهد المرابطي بالعناية الفائقة، وكان للعمارة الحربيّة النّصيب الأوفر للتّحصين العسكري للمدن أيّام علي بن يوسف الّذي كثّف القلاع والحصون ذودا عن الحمى ضدّ الحركات السّياسية والثّورات العدائيّة أنداد الدّولة[3]،وكان ذلك في العدوتين

---

[1]- ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي ترجمة السيد غازي دار المعارف مصر، ط1، 1971 م، ص24.

[2]- عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة 1986م/ ص 28.

[3]- ينظر دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، سلامة محمد سلمان الهدفيص380

،ومن أروع آثار المرابطين الحضاريّة الحربيّة أسوار مراكش،<<الّتي لعبت دورا استراتيجيّا طوال حقبة حكمهم[1]>>، حيث بدأ الأمير علي بن يوسف في بناء سور المدينة عام 520هـ، وكمّل بناءه عام 522هـ، وكان الطّابع الغالب على البناء الضّخامة والمبالغة في التّحصين،<<وقد تخلّلتها أبراج على هيئة نصف دائرة وتحيط بها الخنادق الواسعة ...وكانت مادّة البناء المستعملة في العمائر الحجر أو الطّوب أو هما معا[2]>> واختار المشيّدون المادةّ الأوّلية من الطّبيعة الوعرة وصمدت لقرون طويلة، كما انتشرت فكرة بناء الأسوار في الأندلس، دفاعا عن الدّولة من هجمات الصّليبيين، وقد فرضت الدّولة على رعاياها ضريبة تنفق على هذا الهدف الاستراتيجي الجهادي الدّفاعي فدجّجت بالقوّات والجنود لتصمد طويلا أمام الحصار والهجمات وسمّيت بضريبة التّعتيب من أجل ترميم الأسوار وبنائها[3] ،ولقد بلغ عدد جنود الحصون والقلاع ما يعادل مائتي فارس وخمسمائة راكب في كلّ حصن.[4]

وعمد البنّاؤون إلى تخطيط الأسوار، وأكثروا من الزّوايا الدّاخلية ؛فاتّخذت خطوطا متعرّجة منكسرة ليحتمي بها الجنود في الهجمات، كما احتوى على ممشى وهو درب يسير عليه المحاربون، وشرفات يرمون منها السّهام ودروات بشكل مخروطي يحتمون خلفها بها فتحات ينظرون منها دون أن يتأذّوا بالرّماح[5] ،وقيل أنّ السّور أقيم بمشورة القاضي الفقيه أبو الوليد

---

[1]- جورج مارسييه، الفنّ الإسلاميّ، ترجمة عبلة الرّازق، مراجعة عاطف عبد السّلام، المركز القومي للترّجمة، القاهرة، ط 1، 2016م، ص 159

[2]- سلامة محمد سلمان الهدفي، م ن، ص 381.

[3]- التّاريخ السّياسيّ والحضاريّ في المغرب والأندلس في عصر المرابطين ص 375

[4]- موقع إسلام ويب:https://islamweb.net/ar/article/182277 تاريخ الولوج 10-8-2021على الساعة 9.18سا

[5]- عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، ص 160.

بن رشد[1] قاضي قضاة الأندلس بعدما أحدق خطر الموحّدين على المنطقة، وقد أنفق على السّور ما يقرب من سبعين ألف دينار من الذّهب[2]؛فالقاضي أندلسي واستطاع المشورة للذّود عن المغرب، وهو المثال الأسمى لتلاقح العدوتين لأجل صمود الدّولة، ولم يقتصر على ذلك بل شيّد العديد من الأسوار في المغرب كسور القوارجه[3] الّذي أمر قاضي فاس ببنائه عبد الحقّ بن معيشة بين باب الجيسة وباب أصيلتين في فاس[4]،وسور حصن أمرجو الّذي شيّد بطريقة أتاحت للعمارة المرابطية التّفرّد بالأسوار الأمامية العالية وأسوارا أخرى أقلّ منها علوّا تبعد عن الأساسيّ بربع ارتفاع السّور ومحاطة بالأبراج ويدور حولها خندق يصعّب اختراق الحصن، وهي من سمات العمارة المرابطية ؛فقد تأثّر بها الأندلسيّون في تحصين مواقعهم[5]

وقد ابتكر المرابطون طريقة جديدة في تخطيط الأسوار فأكثروا الزّوايا الدّاخلية والخارجيّة متّخذة شكل خطوط متعرّجة متكسّرة ليترك الجند أعداءهم يتقدّمون داخل الزّوايا ويندفعون عليهم من أعلى الأسوار ويفتكّون بهم[6]،وقد تألّف السّور من ممشى وهو درب يسير عليه المحاربون ،وشرفات يقذفون منها السّهام ،ودروات يحتمون خلفها، يتخلّلها فتحات تساعد المحارب على النّظر دون إصابة أسهم الأعداء،<<وميزة هذا النّظام أن يترك الجند أعداءهم

---

[1]- القاضي ابن رشد هو جد الفيسلسوف بن رشد، قاضي قرطبة وشيخ المالكية خدم المرابطين كثيرا.

[2]- التاريخ السياسي والحضاري، م ن، ص 373.

[3]- القوارجه اصطلاح مغربي يطلق على أسوار متفرعة من الأسوار الأساسية وتنتهي بأبراج برانية

[4]- عبد العزيز سالم، ص 517- 518.

[5] ينظر المساجد والقصور ص 164.

[6] التّاريخ السّياسي، ص 374.

يتقدّمون داخل إحدى الزّوايا ثم يندفعون عليهم من أعلى الأسوار على الدّروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا[1]>>.

وإنّما ينمّ التّخطيط عن قوّة الدّراية بتقنيات الحروب والبراعة في استراتيجيات الكرّ والفرّ، وتعليقنا عليها أنّها لم تأت من العدم حتّى بلغت التّطوّر كلّها لاشكّ أنّها كانت تتمّة للعصور السّابقة وتأثّرا بالعمارة الحدقة تحسّبا لأيّة هجومات خاصّة أنّ الفترة عصيبة عُرفت بحركات الاسترداد الإفرنجي لدويلات الأندلس، ومِن أشهر الأسوار الّتي بنيت أو أعيد ترميمها في الأندلس، أسوار غرناطة والمريّة الّتي قام بترميمها بن العجمي بأموال الضّريبة، وقد استعان بالمتخصّصين من الأندلس[2]وأسوار قرطبة الّتي امتازت بأبراجها المستطيلة الضّخمة المتقاربة، والّتي ساهم كل السّكان في ترميمها وإصلاحها[3]، ولا نهمل أسوار إشبيلية من جهة نهر الوادي الكبير، وكما بني في عهد عليّ بن تاشفين سور استجه المبني معظمه بالطّابية كانت تنفتح بهذه الأسوار مداخل يحيط كل منها بابان متواجّهان [4]

نلاحظ تفرّد المرابطين في غلق الأبواب بصنع أبواب ذات مرافق بمثابة عقبات أمام المهاجمين بتلك الانحناءات[5]، ومن هذه الأبواب نجدde los pesos بغرناطة وبابmontaita وباب قرطبة بإشبيلية، وباب مدينة لبلة [6]

---

[1]- سالم، المساجد والقصور ص159،160.

[2]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التّاريخ السّياسي والحضاري ص 375

[3]- ابن عذارى، البيان ج 4، ص 74.

[4]- توريس بالباس، الفن المرابطي والموحّدي ص 36.

[5]- سالم، المساجد والقصور، ص 165.

[6]- م ن، ص ن

❖*أبراج القلاع:*

هي بنايات شاهقة ترى من خارج المدينة استعملت للمراقبة ورصد تحرّكات الأعداء ،واتّخذت في غالبها قالبا مستطيلا يسهّل عمليّة المراقبة من الجهات الأربع كما هو الحال لحصن منتقوط بمرسية وأبراج سور إشبيلية وقرطبة وأبراج غرناطة والمريّة وقصبة مالقة وجبل فارو وجبل طارق [1]، وقد أسهم السّكان في بنائها دون تعريض وكانت تقوم فيه أبراج مستطيلة قليلة البروز وتنفتح بها مداخل يحيط طرفيّ كل منها بابان متواجّهان[2] ،كربض مقرانة الّذي شيّد لمنع مطامع القشتاليّين والأرغونيين بعد اكتساح ملك أرغون أراضي الأندلس حتّى غرناطة[3]وطليطلة، شريس، مالقة، بطليوس[4]، انقسمت الأبراج إلى نصفين: الأدنى مصمّت أمّا الأعلى فخصّصت للدّفاع وفتحت بها منافذ للسّهام، وقد اعتلاها قبوات نصف كرويّة يصعد لأعلاها بالدّرج ليشرف على جميع الأسوار[5]،وقد تأثر المرابطون بالعمارة البيزنطيّة في تشييد الأبراج على حدود المسلمين والنّصارى كمدينة الصّور وبطليوس وشريس وشنتمرية[6]،وبالضّفّة المقابلة وُجدت أبراج مربّعة ومثمّنة بالبلاط والأحجار كبرج قلعة أمرجو والرّباط ،وبلغ عدد جنود الحصون والقلاع ما يعادل مائتي فارس وخمسمائة راكب في كلّ

---

[1]سالم: المساجد والقصور، ص 160،

[2]- م ن، ص ن.

[3] عبد العزيز سالم، م س، ص 79.

[4]-م ن، ص ن.

[5]- سالم، المساجد والقصور، ص 161.

[6]- م ن، ص 162.

حصن[1]؛إنّما أنشأت الأسوار كسدّ منيع للهجومات المتكرّرة على الثّغور لذلك أحكم البنّاؤون تشييدها وفي أماكن وعرة حتّى يصعب الوصول إليها.

ج- العمارة المدنية:

لقد تعقدت الحياة بعد استتباب الأمن بالأندلس والمغرب فعمد البنّاؤون إلى التّفنّن في بناء المساكن والقصور والمدن متأثرين بالعمارة الإسلامي وبالأندلس دون إهمال الصبغة المغربية في إنجازاتهم فما هو نمطهم في تشييد عمارتهم؟

❖*القلاع والقصور:*

نظرا لتعقّد الحياة وتشعّبها اضطرّ أمير المسلمين لبناء مدن وتشييد مواقع تساعد على إرساء دعائم الدّولة الحديثة لصدّ أخطار العدوّ المحدق بها من كلّ جانب في العدوتين وكانت أوّل قلاع المرابطين من حجر الدّبش[2] في بناء المداميك، وقد استلهم من الفنّ المغربي لكنّ الصّبغة الأندلسيّة ظلّت بارزة في المعمار كما شيّدت الحيران والأبراج المستطيلة بالخرسانة ،وصفّفت على مسافات متفاوتة في انتظامها [3] ، ومن أشهر قلاع المرابطين في الأندلس قلعة منتقوط monteagud<<والّتي تشرف عن كثب على بساتين مرسيه وتسمّى اليوم بالقصير

---

[1]- حسن أحمد محمود، قيام المرابطين 398.

[2]- برتونبرج، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، كتب دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني بيروت، (د ط) 1981م، ج 2/ ص45.

[2]- جوميثمورينو، م س، ص ن.

[3] - برتونبرج، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ج 2 ص 46.

el casttilejo كاستليخو>>[1]وهي حصن مستطيل الشّكل منتظم التّنسيق أبراجه متقاربة الأبعاد كثيرا وتشغل أماكن السّكنى فيه المساحة الكبيرة بين الفناء والأسوار وقد استعملت فراغات الأبراج كتقسيم مناسب للغرف الكبرى، وفي فناء الحصن نستمتع بحديقة برقشت بالأزهار الهابطة من الأحواض، وممّاش متعارضة[2] ويطلّ على جانبيه القصرين جوسقان مربّعان بارزان يمهّدان لجوسقي[3] بهو السّباع بغرناطة ،ويتقاطع ممشيان يؤلّفان محوري البناء على شكل صليبيّ ،وتمتلئ المستطيلات الأربعة النّاشئة من هذا التّقاطع بأشجار اللّيمون والبرتقال[4] وهي صورة حيّة للطّبيعة الخلاّبة الّتي زخرت بها الأندلس على أديم تربتها الخصبة أنتجت محاصيل متنوّعة.

ولانهمل قلعة بني تاودا الّتي شيّدت بقطع حجريّة غير مهذّبة القطع رصّت في صفوف منظّمة ،لم يبق منها الآثار لا شكّ أنّه جزء من القصبة[5]،فالبناء شيّد بالحجارة الصّلبة ويعود إتلافه بعنصرين عامل الزّمن وعامل إتلاف الآثار للحروب الّتي توالت على المنطقة أوّلها الموحّدون والفرنجة، ولقد أشار الفتح بن خاقان أنّ أمير المسلمين علي بن يوسف أقام قصرا رائعا كان ينزله عند زيارته لمدينة إشبيليّة لاشكّ أنّ تصميم القلعة كان مزجا بين النّمط المغربي والأندلسي، ولا يمكنها أن تتفرّد بطابع خاصّ بها، فتحت بلاد المغرب مصراعيها لاحتضان الحضارة المعماريّة الأندلسيّة ،واشتدّ ساعد المؤثّرات الأندلسيّة إلى أن طال أغمات ومراكش

---

[1]- ينظر: المرجع السابق الفن الإسلامي في إسبانيا جوميث مورينو، ص 341-342.

[2] - برتون برج م ن ص 44

[3]- الجوسق الحصن وهو معرب: شمس العلوم، نشوان بن سعيد الحميري (ت 573هـ)

[4] التاريخ السياسي والحضاري في المغرب والأندلس، ص 378.

[5]- سالم، المغرب الكبير، 764.

قلب الصّحراء[1]،ومن أشهر قلاع المرابطين في المغرب قلعة تاسغيموت التي تقع على بُعد ثلاثة كيلو مترات جنوب شرق مراكش، وقد أسهم في تشييدها العالم الأندلسي الفلكي[2] وهي إشارة واضحة للتأثّر البالغ بين العدوتين<<وعلى بُعد نحو عشرة كيلومترا تشرق أغمات على سطح هضبة أطرافها أجراف وعرة شديدة الانحراف، ويصعب على الغازين ارتقاؤها، وأسوارها تمتدّ على حافّة الهضبة نفسها[3]>>وهنا يظهر اعتياد المرابطين المسالك الوعرة والّتي روّضوها ودرّسوا صخورها الصّلبة احتماء من غدر المتربّصين بهم، وقد أحاطتها أسوار عالية، تقوم فيها أبراج مستطيلة قليلة البروز وختم بمدخل متجانب البابين مزدوج الجادّة.[4]

ويشرف على مرتفع وادي ورغة قلعة أمرجو في التّشييد تمتزج التّقاليد المحلّية مع التّأثيرات الأندلسيّة في عصر عليّ بن يوسف كما بصمت بلمسة النّصارى في الأبراج المستديرة والسّور الأمامي [5]؛فالقلعة من أروع ما شيّد المرابطون رغم أنّها لم تصمد حيال طول الأمد وما ميّزها الامتزاج بين الأنماط الثّلاث في العمارة.

ولقد أزهر المعمار وأورق على عهد علي بن يوسف بن تاشفين فبُنيت القصور والحمّامات والحانات والمصانع من قبل العامّة والأمراء[6]،ويذكر البكري<<أنّ عدد حمّامات فاس في العصر

---

[1] التاريخ السياسي والحضاري في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 363.

[2]- لويس بالباس، الفن المرابطي ص ،36.

[3]- سالم، المغرب الكبير ص 765-766.

[4]- ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ص36

[5]- سالم، م ن، ص 764،765.

[6]- ينظر تاريخ الدّولتين،الموحدية والحفصية ، الزّركشي، تحقيق محمد مضور ،المكتبة العتيقة تونس، ط2، 1966م ،ص8.

المرابطي عشرون حمّاما[1]>>،وانتعشت المدن الحضرية كمراكش الّتي احتضنت العمارة الحديثة والعمران المتألّق وخاصّة أنّها شارفت على المدينة الرّومانية "بوكاتوم"[2]، فالمدينة المتميّزة موقعا ومنّاخا وخصوبة ،المحاذية لقمم الأطلس المكسوّة بالثّلوج، امتازت بالبساطة في عهد يوسف بن تاشفين<<بنى فيها مسجدا للصّلاة وقصبة صغيرة لخزن أمواله وأسلحته ولم يبن على ذلك سورا[3]>>غير أنّ بن خلدون أشار إلى أنّه أدار على سورها على المسجد والقصبة.[4]، وربّما يرجع ذلك لانشغاله بأمور أكثر أهميّة من بناء الأسوار خاصّة أنّ الدّولة آنذاك كانت تكابد صراع القبائل من جهة والعدوّ المتربّص في الضفّة الأخرى من جهة ثانية.

وسرعان ما بُنيت المساكن البسيطة الّتي يغلب عليها الطابع البدويّ بتقلّد يوسف ابن تاشفين زمام الحكم ،بعدما دبّت عوامل الاستقرار ركائز الدّولة[5] وانتعشت العمارة على عهد علي بن يوسف عام(500هـ)، فتزايد عدد السّكاّن واتّسع العمران،<<وأصبحت الأندلس في المجال الفنّي أستاذا للمغرب فساد الفنّ الأندلسي في المغرب وظهرت تقاليده واضحة وضوحا تامّا فيما تختلف من آثار المرابطين في المغرب والأندلس>>[6]هذا ولوحظ أنّ الدولة حديثة العهد بالبناء المعماري الخلاّب لتظهر فيما بعد الصّبغة المغربيّة المشرّبة بالفنّ الرّاقي الأندلسي.

---

[1]- ينظر مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين دراسة سياسية حضارية، جمال أحمد طه، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م، ص175.

[2]- ينظر دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، 368ص.

[3]-ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط 1973م، ج2/، ص 546.

[4]-ينظر تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 378.

[5]- ينظر: دولة المرابطين في عهد علي بن تاشفين: ص 369.

[6]- حسن حمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 449.

❖*بناء المدن:*

بنى يوسف بن تاشفين سنة 470هـ مدينة مراكش شمال أغمات على اثني عشر ميلا فكانت إمارة لمتونة بعد شرائه أرضها وهي في وطأة من الأرض ،وقد بني عليها قصر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وهو المعروف بدار الحجر وقد تمّ بناؤه بالطّين والطّوب والطّوابي المقامة من التّراب استخرج الماء الّذي تسقى به البساتين عبيْد الله بن يونس بن المهندس بصنعة هندسيّة متقنة وبمرور الزّمن استحسن النّاس شقّ البساتين بمياه السّواقي فكثرت البساتين والجنّات وانتشرت قصور الأمراء والقوّاد وخدّام الدّولة والمباني السّامية والأسواق المتنوّعة كسوق الدّخان والصّابون والمغازل، وأزقّتها الواسعة ورحابها الفسيحة ،وتوسّطها جامع بناه يوسف بن تاشفين وشرب النّاس من مياه آبارها العذبة والقريبة الحفر، كما عرفت المدينة بالنّهر الدّائم الجري تانسيفت ،وقد بنى عليه علي بن يوسف قنطرة عجيبة البناء حسنة السّبك بمعاول الأندلسييّن الّذين شيّدوا وأبدعوا الصّنع[1] فبعدما كانت مجرد مكان قاحل محجّ اللّصوص وقطّاع الطّرق[2] أضحى بفعل المدنيّة الحديثة مركز إشعاع حضاريّ ومغبّة الأمراء والوجهاء والتّجار يقتاتون من خيراتها.

وليس ببعيد عن المدينة تواجدت واغمات ايلان المدينة الصغيرة في أسفل جبل درن خصّصت لليهود بأمر الأمير علي بن يوسف،كثيرة الخصب وافرة النّعم[3].وهذا يدلّ على التعصّب الديّني والعرقي الّذي ظلّ يسري في عروق الدّولة حتّى آخر رمق لها.

---

[1]- ينظر: نزهة المشتاق، الإدريسي، ص 234- 235.

[2]- تاريخ المغرب، ابراهيم حركات، 222.

[3]- ينظر: نزهة المشتاق، ص 235.

●بناء مكناسة (تاقرارت):

هي مدينة تتّصل بها العمارات ،غمرتها الجنّات والزّروع وكسب أهلها الأموال الطّائلة بما جادتها الطّبيعة الخصبة ،دبّت الحياة فيها وانتعشت أسواقها، وفي المدن المحيطة بها وقد بناها أمير الملثّمين وجعل لها سورا حصينا وقصرا فارها ومثلما كان حال مراكش؛ فإنّ الأمير سكن مكناسة هو وبنو عمّه من البرابرة لبسوا الأكسية وربطوا العمائم[1] كزيّ تقليديّ رسميّ للمرابطين وكما تمّ بناء مدينة تاودا من قبل الملثّمين فكثر زرعها ،وغزرت خيراتها سكنها قبائل البربر وتبادلوا السّلع والبضائع مركّزين على تربية المواشي لطبيعة خصوبة التّربة وقربها من جبل غمارة ناهيك عن ممارستهم مهن الأجداد و سابقيهم[2]، وما يمكن تلخيصه ممّا سبق من المنشآت المدنيّة الّتي أقامها عليّ بن يوسف مستعينا بخبراء من الأندلس وضاعت معالمها: قنطرة نهر تانسيفت ،وقصور الأمراء[3] ،وقصر الحجر نسبة إلى جبل إيجليز القريب من مراكش والّذي استعين بحجره في بنائه.[4]

ولقد عدّ المغرب حقّا مهد الموادّ الأولية الّتي استغلت في البناء والتّشييد نظرا لوفرتها وتنوّعها في العدوة ،واتّسم بالصّبغة الأندلسيّة في التّشييد بعدما جلب أمراؤها أمهر الصّناع من قرطبة إلى فاس فأبدعوا في الحمّامات والفنادق والسّقايات[5] وحتّى الأسواق، ورغم أنّهم حافظوا على طابعهم الصّحراوي إلى نهاية دولتهم، فقد أخذوا من الحضارة قسطا لابأس به

---

[1]-ينظر: نزهة المشتاق، 246- 247.

[2]- ينظر م ن، ص 249.

[3] - التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 369.

[4]- الإدريسي، المغرب وأرى السودان ومصر والأندلس ص 69.

[5]- ينظر تاريخ المغرب إبراهيم حركات، ص 222.

منذ عهد عليّ[1]، على حدّ تعبير ابراهيم حركات:<<آثار المرابطين بمراكش لم يبق قائما منها سوى السّور ومسجد عليّ... لأنّ الموحّدين على الخصوص بذلوا جهدهم في القضاء على آثار المرابطين، ولم يحترموا حتّى بعض المساجد فأهملوها أو حطّموها ليعيدوها من جديد.[2]>>

5- العلوم

نبغ في علوم كثيرة أعلام استطاعوا نقش أسمائهم مع نوابغ المرابطين بفضل إنجازاتهم الّتي لا تزال شاهدة على تمكنهم من زمام العلوم، والملاحظ أنّ جلهم خاضوا في ميادين شتى وتفوّقوا فيها كلّها على غرار سابقيهم.

أ- العلوم الأدبية:

لقد انتعشت الكتابة على عهد ملوك الطّوائف وتألّق نجم الشّعراء والكتّاب في سماء الأندلس وشهد لهم بالبلاغة والفصاحة فبلغت الحياة الأدبيّة أوجها من العطاء إذ قام كلّ ملك من الدّويلات بتقريب الكتّاب والشّعراء والفقهاء والفلاسفة وأعلام الفكر للمسامرة والمباراة في القول[3] ؛وببلوغ يوسف بن تاشفين الحكم اضطرّ الكثير منهم للتّقرّب من الحكّام بغية خدمة الدّولة ،وقد عبروا العدوة الأخرى ليتشرّبوا الثّقافة الأندلسيّة حتّى يصنعوا حضارة وارفة الظّلال كثيرة الغلال في إنجازات بعدما شجّع المرابطون العلم والعلماء ؛فأقدموا على رعايته بغرس روح البحث وتشييد المساجد والمدارس الّتي كانت مهدا دافئا للقضاة والفقهاء والكتّاب والشّعراء والأطبّاء ممن تركوا آثارا لن تمّحي،<<فاجتمع لهم في بلاطهم بمراكش من

---

[1]- ينظر: تاريخ المغرب، م ن، ص 216.

[2]- ينظر: تاريخ المغرب، م ن 223.

[3]- قيام دولة المرابطين، ص 359.

الكتّاب وفرسان البلاغة وأقطاب العلوم ما لم يتّفق اجتماعه في عصر من الأعصار حتّى أشبهت حضرتهم حضرة بني العبّاس في صدر دولتهم[1]>> لا غرو في هذا الاجتماع لما لقوه من تحفيز وتشجيع من لدن الصّحراويين الأشاوس، ولقد شهدت الحركة الثّقافية في عهد المرابطين نشاطا كبيرا شمل مختلف الميادين مركّزين على الجانب الدّيني الّذي باسمه نهضت الدّولة كما برع في الأدب والعلوم في العدوتين كثير من الأعلام ساهموا بقدر كبير في إعلاء راية الملثّمين، فما هي العوامل المساهمة في هذا النبوغ؟

❖مراكز الإشعاع الثقافي في عدوتي المغرب والأندلس:

كانت المساجد والمعاهد والمدارس وحتّى القصور مهدا للمناظرات والمجالس اللّغويّة والأدبيّة، وحملت الحواضر مشعل العلم لتزيين ربوع قرطبة، وإشبيلية، غرناطة وبلنسية حيث شهدت قرطبة تقاطر الوافدين عليها ينهلون من مساجدها ومدارسها شتّى أنواع العلوم من هؤلاء أبو الطّاهر محمد بن يوسف التّميمي (ت538هـ)،والّذي أبلى البلاء الحسن في علوم اللّغة العربيّة[2]، كما استقرّ بمسجدها الجامع ابن السيّد البطليوسي يقرأ علوم اللّغة والدّين والأدب والنّحو.[3]

---

[1]- محمد كرد علي، غابر الأندلس وحاضرها، مؤسسة هنداوي للتّعليم القاهرة (د ط)2012م، ص 67

[2]- ينظر: التّصنيف الأدبي واللغوي في عصري المرابطين والموحّدين، فاتن كوكة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2012، ص24

[3]- ينظر تاريخ الأدب العربي، عمر فرخ، ط 4، 1981م، /ج5، ص 152-،154

وارتحل ابن الطّراوة المالقي (ت528هـ)[1] قاصدا قرطبة ليغرف من علم أبي مروان ابن سراج، ومروان الطّبني بعدما نهل في إشبيليّة من بحر أبي الحجّاج الأعلم الفقيه المتبحّر والشّاعر الفذّ[2] ،وترأّس كتّاب الأندلس ابن أبي الخصال الغافقي الّذي وجد قرطبة مركز إشعاع أدبيّ وحاضرة التّصنيف العلميّ فتبوّء مكان الرّيادة وصنّف عددا من المصنّفات.[3]

وفي هذا المضمار يقول ابن حزم وصاحباه:<< أمّا قرطبة فكرسي المملكة القديم، ومركز العلم، ومنار التّقى، ومحل التّعظيم والتّقديم ... وكان ملوكها يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم، ويصدرون عن آرائهم، وأنّهم كانوا لا يقدّمون وزيرا ،ولا مشاورا ما لم يكن عالما[4]>>

حقاّ، كانت قرطبة مهدا للحضارة ومركز إشعاع للعلم ضمّت أهل النّبوغ بالبزوغ.

كما استقطبت إشبيليا جموعاً من طلاّب العلم والّلغة والأدب ،فكانت مهنة الوراقة رائجة لتدوين المصنّفات والكتب وهذا دليل على تشجيع الحكّام للعلماء للتّصنيف والتّدريس والرّحلات العلميّة[5]،لقد <<جعلها الله أمّ القرى الأندلسيّة ،ومركز فخرها وعلاها إذ هي أكبر مدنها وأعظم أمصارها[6].>>، يجدر التّنويه بأنّ إشبيلية كانت حاضرة العلم والأدب كما كانت مشتهرة بمجالس الطّرب والّلهو والغناء والآلات الموسيقيّة على حدّ تعليق ابن

---

[1]- ينظر: م ن، ج 5، ص 172.

[2]- ينظر: ترجمته: الطبيعة في الشّعر الأندلسي، ص283.

[3]- ينظر: ترجمته: تاريخ الأدب، عمر فروخ 261.

[4]- ابن حزم وصاحباه، فضائل الأندلس وأهلها، رسالة الشّقندي، نشرها وقدمها صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، 1968م، ص 52.

[5]- فاتن كوكة، التّصنيف الأدبي واللّغوي، ص 26.

[6]- فضائل الأندلس وأهلها، رسالة الشقندي ص 52.

رشد:<<إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتّى تباع فيها ،وإذا مات بقرطبة فأريد بيع آلاته حُملت إلى إشبيلية>>[1] وهذا خير دليل على المكانة المرموقة للثّقافة بشتّى أنواعها في حاضرتي إشبيليا وقرطبة ،و ممّا لا يمكن إنكاره أنّ التّاريخ حلقات متواصلة بدأت معالم الحضارة ترتسم في عهد ملوك الطّوائف ،وامتدّ باعها للمرابطين ،ولم تقف عجلة الرّكب الحضاري عندهم بل استمرّت ردحا من الزّمن بعد سقوط المرابطين .

وشهدت غرناطة حركة التّأليف وتصدّرت حواضر العلم والمعرفة بعدما أثمرت نتاجا معتبرا<< فكانت، دمشق الأندلس ومسرح الأبصار ،ومطمح الأنفسّ ،ولم تخل من أشراف أماثل ،وعلماء أكابر ،وشعراء أفاضل>>[2]؛ فقد ترعرعت طائفة من الشّعراء والشّواعر بين أحضان غرناطة كحفصة الرّكونية(ت536هـ)ونزهون القلاعيّة(ت550هـ) وزينب وأختها حمدونة بنت زياد(ت 600هـ)[3] وغيرهم كثير؛ إنّما بزغ نجمهم بتشجيع من ولاة الأمر الّذين حفّزوهم بنظم المدائح وعقد المجالس والمناظرات بين الأدباء كما انتعشت علوم اللّغة العربية إلى جانب الأدب وفنونه ،حيث استقرّ بها اللّغويّون والنّحاة يدرسون اللّغة وينشرونها بين صفوف المتعلّمين الّذين أقبلوا عليها بنهم.[4]

أمّا بلنسية فقد عرفت نشاطا لغويّا منقطع النّظير مسّ التّدريس والتّصنيف والإقراء فنبذ التزمّت الفكريّ واعتبرت الحرّية أساسا في الإبداع وجزءً لا يتجزّأ منه ،كابن خلصة فقيه اللّغة

---

[1]- حضارة العرب في الأندلس، ص 70 نقلا عن فاتن كوكة ص 25.

[2]- فضائل الأندلس وأهلها، رسالة الشقندي ص 56.

[3]- ينظر: المرأة المغربية، ص 347.

[4]- ينظر التّصنيف الأدبي واللّغوي ص 27.

واللّسان والأدب حتى اشتهر بإقراء كتاب سيبويه في بلنسية ودانية[1]،وتصدّر التّأليف والتّدريس فيها ابن السّيد البطليوسي(ت521هـ)[2]، وقد برع في النّحو واللّغة إمام جامع بلنسية ومقرؤها أبو عبد الله محمّد بن أبي العافية (ت509هـ) وتتلمذ على يديه الكثير من العلماء أمثال أبي القاسم الكلاعي[3]رفقة أبي محمد عبد الله بن الفضل اللّخمي (ت490هـ) [4] بعدما شاعت الحلقات التّعليميّة في أغلب الجوامع ،وملأت المكتبات بشتّى فروع العلم والمعرفة[5]، وهذا يجرّنا للتّساؤل عن نوعيّة المواضيع والمناهج الّتي انتهجها المعلّمون في تلقين تلاميذهم حتّى تقحّموا غمار الحضارة بمؤلّفاتهم ؟

وإذا نحن بحثنا عن المصادر الّتي استقى منها العلماء في بدايات مشوارهم نجد كتب المشرق قد طفت على السّطح أمثال: **النّوادر** لأبي منصور الثّعالبي و**الكامل** للمبرّد الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلاّم[6] هذا ما وجدناه في البحوث ولا شكّ أنّهم اعتمدوا على باقي أمّهات المصنّفات غير مهملين كتاب العزيز المقتدر،- إذ لا يمكنهم البدء من العدم - هذا، وقد كان للمجالس الأدبيّة الّتي عقدها السّاهرون على العلم والأدب الدّور البالغ في الإبداع والتّبريز،

---

[1]- تحفة القادم لابن الأبار،تحقيق إحسان عباس ،دار الغرب الإسلامي، لبنان،ط1، 1986م، ص 7

[2]- ينظر ترجمته: تحفة القادم، ابن الأبار، ص 60، تاريخ الأدب لعمر فروخ ص 153.

[3]- ينظر التفاصيل: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ج 5، ص 482.

[4]- ينظر: الحياة العلمية في بلنسية، كريم عجيل حسين، ص 464،447.

[5]- ينظر: العلم والتعليم في الأندلس، أنور محمود زناتي 7- 8-2015 https://www.alukah.net/sharia تاريخ الولوج 6- 9-2019 على السّاعة 23:55سا

[6]- ينظر التّصنيف الأدبي في العهد المرابطي، ص 28.

كما وردنا أنّ المتنبّي الجزيري ،وأمير بلنسية أبابكر بن عبد العزيز وغيرهما من وجهاء المدينة كانوا يرتادون منتزهات بلنسية وحدائقها للإبداع والتّميّز[1] .

إنّ الباحث عن المناهج يجدها ركّزت على النّهل من أمّهات كتب المشارقة فالانجذاب للشّرق كان ولايزال قائما كمؤلف المبرّد (الكامل)،(الأمثال) لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، والنّوادر لأبي منصور الثّعالبي[2]؛ فقد حثّ العلماء طلاّبهم على تشرّب الثّقافة الأدبيّة واللّغوية القحّة والمتنوّعة' على أن يجري الطّلبة امتحانا عُرف بالتبّريز في شكل نظام الإجازة [3]

وظهرت في الأفق عدّة حواضر ثقافيّة في المدن الأندلسيّة شملت المريّة ومالقة ومرسية وسرقسطة، ولا ننسى مراكش وفاس في الضّفّة الأخرى، والّتي ساهمت بالقدر الكبير في دفع عجلة الحركة الثّقافيّة في هذا العهد[4] ،وبُنيت عدّة ملحقات بالمساجد لإيواء الطّلبة تضمّ مرافق السّكنى والدّراسة والمطالعة والصّلاة مع تدعيم بمرتبات شهريّة تعين على البحث.[5]

وقد أضحى مسجد مراكش مركز الإشعاع الأوّل في عهد المرابطين، ولقد ضمّ علوم الّلغة والدّين؛ فتفتّحت أبواب المغرب على الحضارة[6]، بمصراعيْها لتستقبل العلم والعلماء <<فالمغرب ظلّت تبذل حمايتها للأندلس، والأندلس تقدّم ثقافتها إلى المغرب ،وطفقت مراك

---

[1]- ينظر تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج 5/، ص 131، 174، 218،

[2]- ينظر: التّصنيف الأدبي واللّغوي، ص 28

[3]- ينظر: الحضارة الإسلامية في المغرب، ص 175.

[4]- ينظر دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، سلامة الهرفي، ص330.

[5]- ينظر الحضارة الإسلامية في المغرب، الحسن السّائح، ص 176.

[6]- ينظر دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، سلامة الهرفي،312ص.

ش حاضرة المغرب مهوى أفئدة المثقّفين ومطمح أنظار المتأدّبين>>[1]؛ فالعدوتيْن انضوتا تحت لواء واحد يكمّل كلّ منهما الآخر المغرب للدّفاع والحماية من الفرنجة ،والأندلس ساهم في انتعاش العلم ورقيّه ،وقد استعان حكّام المغرب بالبلغاء والكتّاب من أجل تدبيج الأوامر ،وكتابة الرّسائل وصياغة المراسيم خدمة للمصالح – ما داموا حديثي العهد باللّغة العربيّة – فعيّن[2] هؤلاء في أرقى المراتب من هؤلاء عبد الرّحمن بن أسباط (ت 487هـ) من كتّاب البلاط المرّاكشي دبّج الرّسائل والأوامر والمراسم، كما استشاره أمير المرابطين يوسف ابن تاشفين بمصير المعتمد بن عبّاد. نردف محمّد بن سليمان الولبي الكلاعي الّذي عُرف بابن القصيرة (ت508هـ)، فقد أصبح كاتب الأمير الخاصّ في بلاط عليّ بن يوسف بن تاشفين بعدما كان مقرّبا من الحكاّم عند المعتضد[3] وأمّا عبد المجيد بن عبدون، فقد عمل في بلاط مراكش لابن تاشفين ومُلئت المصادر بأشعاره المتميّزة والمتنوّعة.[4]

لقد ذكرنا آنفا أنّ الحكّام استعانوا من هم أهلا بالسّلطة وأكثر دراية بخبايا السّياسة والحُكم، فلا غرو أن وظّفوا عمّالا كانوا في خدمة سابقيهم ومخلصين لهم كما أثبتت المصادر فابن عبدون كتب رائيّته المشهورة الّتي يرثي فيها بني الأفطس سمّيت بالبشامة بأطواق الحمامة[5] بكى فيها عن تداعي ملك بني الأفطس وحسرته على ماضيهم التّليد.

---

[1]-ينظر النّبوغ المغربي، عبد الله كنون ص71.

[2]- ينظر: الحلل المراكشية ،مؤلف مجهول، ص 51،49.

[3]- ينظر: المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد ج1/، 350.

[4]- ينظر ترجمته: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ج5/، ص192، وأخباره: الصلة بابن بشكوال، ج2 /ص،566.

[5]- ينظر: م ن، ص 193.

وقد استمرّ تشجيع الحكّام للمساجد ودور العلم إذ أمر عليّ بن يوسف ابن تاشفين بناء وتأسيس الجامعة اليوسفيّة سنة514هـ الّتي ضمّت العلماء والكتّاب والمفكّرين للتّدريس فيها خاصّة علوم الدّين واللّغة وآدابها، حتّى تحاكي مراكز العلم في الضّفّة الأخرى[1]،وقد سلك الأمير نهج أبيه في تحفيز العلماء وتثبيت الحضارة في المغرب مستعينا بنخبة متميّزة من الأندلس أمثال ابن أبي الخصال الغافقيّ المعروف بذي الوزارتين فترأّس كتّاب الأندلس ،ثمّ تولّى كاتب الأمير عليّ في المغرب[2]، وشغل المنصب كذلك أبو القاسم محمّد بن عبد الله بن يحيى الفهري المعروف بالأحدب الشّاعر المسترسل المتمكّن والفقيه المحدّث[3]

وقرّب عليّ بن يوسف أبا محمد طلحة المعروف بابن القبطرنوه الّذي ضمّه تحت جناحه في كنف البلاط المرابطيّ[4] ،ولا نهمل دور بن عبدون الّذي خدم يوسف بن تاشفين ثمّ عليّا من بعده وشُهد له بالجدارة والاستحقاق ولاغرو في ذلك لحاجة الحكّام لخبرة سابقيهم وحنكتهم في تسيير أمور الدّولة.

وليس ببعيد عن مراكش ،وفي أوائل القرن الخامس الهجري وهج شعاع العلم بفاس مع مدرسة المرابطين والّتي بناها واجاج بن زلو اللّمطي[5] ؛ فاستقطبت الوافدين عليها من كلّ حدب وصوب ليغرفوا من نبعها الصّافي (مدرسة الصّابرين)الّتي أسّسها يوسف بن تاشفين والّتي وُسمت –فيما بعد– بمدرسة أبي مدين[6] ونافسها في العلم والبحث جامع القيروان ومسجد

[1]– ينظر النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ص 76.

[2]– ينظر تاريخ الأدب عمر فروخ، ج5/، ص 261.

[3]– ينظر ترجمته: تاريخ الأدب، عمر فروخ، ج5/، 109.

[4]– ينظر النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ص 82، تاريخ الأدب عمر فروخ ج5/، ص 122.

[5]– ينظر الحضارة الإسلامية في المغرب، الحسن السّائح، ص 175.

[6]– ينظر التفاصيل: النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ص 75.

ابن حنين[1] الّذي قصده القاصي والدّاني[2] وتصدّر الإقراء بمسجد الحوراء أبوبكر محمد بن عبد الله بن مغاور اللّخمي الإشبيلي الأديب المبدع والفقيه الورع [3] ونردف جامعي فاس وطريانة قبلة المتعطّشين للأدب والفقه حيث كان يلقي الشّيخ أبي مدين دروسه[4].

وتشارف سبتة على الأندلس بمزيجها المتفرّد بين الحضارة الأندلسيّة والثّقافة المغربيّة أين وُجد القاضي عياض(ت 544هـ)[5] متنفّسه؛ فخاض غمار التّدريس وتبحّر في علوم شتّى بعدما خبر علوم القراءات واللّغة والنّحو والآداب فألّف المصنّفات كالشّروح والرّدود يغرف منها المتعطّشون للعلم من العدوتين؛ فتخرّج من مدرسة سبتة كبار علماء العربيّة، واعتمدوا في مناهجهم على تدريس كتاب الإيضاح للفارسي، والواضح للزّبيدي، وكتاب سيبويه والمخصّص والمحكم لابن سيده ،والممدود والمقصور والمهموز لأبي عليّ القالي وغير ذلك من كتب النّحو واللّغة ،و ارتكزوا في الأدب على أشعار المغاربة والمشارقة [6]

ونستخلص ممّا سبق أنّ المغرب عرف عدّة حواضر ساهمت بقدر وافر في بناء حضارة جذورها نبتت بالأندلس و ترعرعت في المدارس والمساجد والجوامع ومجالس الإبداع، ثمّ نمت وتفرّعت بين شعاب المغرب أينعت بثمار العلم والمعرفة من هذه المراكز مراكش ،فاس مكناسة طنجة وأغمات ،سبتة تلمسان ،وعبق رحيقها بتشجيع الحكّام بعد يوسف بن تاشفين الّذي

---

[1]- مسجد كان يقرئ به أحمد بن بكر الكتاني القرطبي المعروف بابن حنين ينظر التّصنيف ص 33.

[2]- ينظر التّصنيف، ص 33.

[3]- ينظر ترجمته: تاريخ الأدب عمر فروخ، ص 484.

[4]-ينظر الحضارة الإسلامية في المغرب، الحسن ص 187-188

[5]- ينظر ترجمته: تاريخ الأدب عمر فروخ، ج 5/،290، النّبوغ المغربي، ص87.

[6]- ينظر الحضارة الإسلامية في المغرب للحسن السّائح، ص 184.

شقّ الطّريق لمن بعده حتّى يوطّدوا الحركة العلميّة والثّقافيّة ويحدث التّثاقف بين عدوتي المغرب والأندلس.

❖ *علم التاريخ:*

وصلنا تاريخ المرابطين عن طريق كتب ألّفها أصحابها يفصّلون في الوقائع التّاريخية الّتي عاشها الملثّمون وتوالت الوقائع نظرا لتشعّب الأحداث وتشابكها في العدوتين، ناهيك عن كثرة المؤلّفين في هذا المجال، وأوّل مؤلّف هو: الأمير عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس (ت483هـ) التّبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة وهو عبارة عن ترجمة الأمير عبد الله بن بلكين وحادث عصره في فتري ملوك الطوائف إلى عهد يوسف بن تاشفين ،كتبه وهو في الأسر في أغمات[1]، وعدّ حقّا تفصيل للوقائع بحذافيرها ولقد استفدنا منه كثيرا في الفصل الأوّل، كما نجد كتاب البيذق لأبي بكر الصّنهاجي[2] يفصّل في نشأة الموحّدين وظهور المهدي ابن تومرت الّذي مات في عهد المرابطين، ووضع القاضي عياض كتاب ترتيب المدارك[3] وفيه تفصيل لحياة الأئمة المالكية الذين نبغوا في عصره وقد عدّ الكتاب حقّا ترجمة وافية للأئمّة وتفصيلا مدقّقا للحياة في تلك الحقبة ،وأردف في تأليف كتاب المستفاد في مناقب العبّاد والزّهّاد بفاس ومن والاها[4] وممّن كتب في التّاريخ والأخبار في عدوة الأندلس: ابن بشكوال(ت578هـ) في كتابه الصّلة في تاريخ علماء الأندلس حيث واصل فيه كتاب تاريخ

---

[1]- التّبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحرير علي عمر، مكتبة الثّقافة الدّينية، ط1، 2006م، مقدّمة النّاشر، عدد صفحاته 278.

[2]- الكتاب متوفّر ومطبوع: البيذق

[3]- ينظر تاريخ المغرب، ابراهيم حركات، ص 227.

[4]- ينظر: م ن، ص ن

علماء الأندلس لابن الفرضي كما أرّخ للحياة العلميّة وترجم للأندلسيّين والأجانب في تلك الحقبة حيث عاصر نهاية المرابطين وجزءً من الموحّدين[1]، ومن تواليفه أيضا كتاب الغوامض والمبهمات في اثني عشر جزء[2] وكتاب المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل في واحد وعشرين جزء[3]وكتب الضّبّي ابن عميرة (ت 599هـ) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس أمّا ابن بسام الشّنتريني؛ فقد أبدع في تأريخ الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة وأرّخ عبد الملك المراكشي(ت 549هـ) اشترك المؤرّخون جميعا في ترجمة رجال الأندلس في القرن الخامس والسّادس هجري على أنّهم لم يفصلوا بين المرابطين والموحّدين مادامت الحقبتين متداخلتين وقد تخضرموا مع كليْهما.

وقد نبغ من أهل بلنسية أبو عبد الله محمد بن خلف بن الحسن بن إسماعيل الصّدفي المعروف بابن علقمة البيان الواضح في الملمّ الفادح تفاصيل الكتاب تسرد وقائع تغلّب الرّوم على بلنسية [4] وألّف أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي السالمي كتابا في التّاريخ أسماه درر القلائد وغرر الفوائد.[5]

---

[1]- ينظر: الإسهام العلمي للبربر في الأندلس، إعداد الحبيب حاكمي، إشراف عبد القادر بوباية، جامعة وهرا ن، قسم التّاريخ والآثار،2010م، ص 12.

[2]- ينظر: الغوامض والمبهمات، ابن بشكوال، تحقيق محمود مغراوي، المجلد الأوّل، دار الأندلس الخضراء، جدّة، ط1، 1994م، مقدمة النّاشر

[3]- ابن الأبار: التّكملة، ج1، / 304- 307.

[4]- ينظر:http://www.taraajem.com:دار العلم للملايين- بيروت-ط 15(2002)،ج/ 6- ص 115.

[5]- ابن الأبار: التّكملة، ج 2/، ص 495.

أمّا الفتح بن خاقان فأتحفنا بكتابه قلائد العقيان في محاسن الأعيان ومطمح الأنفس ومسرح التأنّس وكتاب رواية المحاسن وغاية المحاسن [1]

كما يعتمد الدّارس في تاريخ المرابطين على الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ فاس(ت 726هـ)ولا يمكننا الاستغناء عن البيان المغرب في أخبار المغرب وفاس لابن عذارى المراكشي (ت 712هـ) ويثلج صدرنا في التّاريخ لتلك الحقبة كتاب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول لكنّه بأخباره صار معلوما شرح وفسّر وحلّل تاريخ المرابطين وركّز على الجانب التّجاري آنذاك .ومؤلف مجهول آخر عاش في القرن السّادس هجري أرّخ للملثّمين في مؤلفه كتاب الاستبصار في عجائب الأبصار ولا نهمل أو نغفل نفح الطيب في غصن الأندلس الرّطيب للمقّري شهاب الدّين (ت1041هـ)

ومن المؤلّفات التّأريخ المفقودة نجد:الدّيباجة في أخبار صنهاجة لمحمد بن علي بن حماد القلعي 629هـ[2] والأنوار الجلية في أخبار المرابطية لأبي بكربن الصّيرفي الغرناطي[3] 557هـ

---

[1]- ينظر التّاريخ السّياسي والحضاري في المغرب والأندلس في عصر المرابطين 402.

[2]- ينظر:https://www.asjp.cerist.dz نصوص من التّاريخ المفقود، لابن أبي الصّلت الدّاني، دراسة في المحتوى والمنهج التّاريخي، محمد علي دبور مجلة عصور الجديدة- المجلد 9 - العدد 1 ماي 1440هـ/2019م.

[3]- ينظر الأنوار الجليّة في أخبار الدّولة المرابطية، تحقيق محمد علي دبور، دار النّابغة، جامعة القاهرة، سلسلة تحقيق التراث، ص 17.

والمغرب في تاريخ المغرب لليسع بن عيسى بن حزم 575هـ[1] والنّبذة المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة لعليّ بن حمادة الصّنهاجي 616هـ وقد أخذ عنه صاحب نبذ تاريخيّة.[2]

❖ *الجغرافيا:*

في مجال الجغرافيا نبغ كثير من الذين اهتموا بهذا العلم في عدوتي المغرب والأندلس وعلى رأسهم الشّريف أبو عبد الله محمد الإدريسي من سبتة صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق والّذي استفدنا منه كثيرا في التّعريف بمناطق العدوتين وقد ألّفه الكاتب لصاحب صقليّة روجر الثاّني، ولم يكتف بالكتاب فقط بل وضع خريطة مفصّلة للعالم قسمها إلى أقاليم واستفاد الغرب منها كثيرا[3]، وعرف بالكتاب الرّوجاري description de l'Afrique[4]،ومن الجغرافيين الّذين برعوا في عهد علي بن يوسف عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري مؤلّف كتاب المسهب في غرائب المغرب؛ فقد اتّخذ بنوسعيد المؤلف سندا لهم المغرب في حلى المغرب ،<<تبنته أسرة من الأدباء ،وهواة التّأليف فالرّجوع إليه ضرورة لا معدى عنها لكلّ من تعرض للتّأليف في أدب الأندلس وجغرافيته وتاريخه[5].>>

---

[1]- ينظر: https://search.emarefa.net:مجلة آداب ذي قار ، جنان جودة جابر ،المجلد الخامس ،العدد 18. العراق، تاريخ النشر: 30- 6- 2016، 276- 307.

[2]- ابراهيم حركات، تاريخ المغرب، ص 228.

[3]- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأوّل، مكتبة الثقافة الدّينية، 2002، القاهرة، مقدّمة المؤلّف.

[4]- ينظر: سالم، المغرب الكبير، 112،113.

[5]- ينظر، المسالك والممالك الكبرى، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، حسين مؤنس، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة مدبولي، ط1986،2، 149ص.

ويعد عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري من الجغرافيين المتمكّنين في عهد علي بن تاشفين، كتب كتاب (المسهب في غرائب المغرب)،اعتمد عليه بنو سعيد في "المغرب في حلى المغرب"[1]إذ<< يندر أن نجد مؤلّفا أندلسيّا كتب بعد الحجاري دون أن يشير إليه ممّا يدلّ على أنّ كتابه كان مرجعا وحجّة ،وأنّه أضاف إلى المكتبة الأندلسية شيئا فريدا تميّز به عمّن سواه، ممّا جعل الرّجوع إليه والأخذ به عنه ضرورة لا معدى عنها لكلّ من تعرّض للتّأليف في أدب الأندلس وجغرافيّته وتاريخه[2].>>

ب- العلوم العقلية :

تختصّ العلوم العقليّة بترويد العقل على التّفكير وتضمّ علم المنطق والهندسة وعلم الموسيقى وعلم الهيئة وعلم الطّبّ وغيرها[3] :

❖***التصوّف:***

ظهرت حركة دينية صوفية في عهد علي بن يوسف حمل لواءها ابن العريف (536هـ)،شيخ الصوفية في الأندلس اسمه الكامل أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصّنهاجيّ الأندلسيّ الّذي زهد في الدّنيا وألّف كتاب محاسن المجالس تبعه جمهرة من النّاس وتصدّى له الحكّام لموقفهم المتزمّت من التّصوّف جوهرها الزّهد في كلّ شيء ماعدا الله[4]،ومن أقطاب الصّوفية في عهد عليّ بن يوسف أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى وكيل

---

[1]- ينظر التّاريخ السّياسيّ والحضاريّ للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، ص 409.

[2]- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، حسين مؤنس، مكتبة مدبولي، ط 2، 1986م، 169.

[3]- ينظر: مقدمة ابن خلدون، ج 3، ص 71.

[4]- ينظر: المغرب الكبير، سالم، ص 183. 184، التّاريخ السّياسي، ص 410.

التّجيبي الزّاهد، ويعرف بابن الإقليشي(ت551هـ)[1] احتكّ بابن العريف[2] وعبد الحق بن عطيّة ومن تواليفه كتاب الكواكب وكتاب النّجم من كلام سيّد العرب والعجم وكتاب ضياء الأولياء، واشتهر في أواخر العهد المتصوّف أحمد بن قصيّ المريدي زعيم المريدين[3]بشلب استغلّ فرصة المشاكل الّتي تخبّط فيها المرابطون في آخر حياتهم وأعلن الثّورة في غرب الأندلس.[4]

لقد ظهر نجم التّصوّف خافتا مقارنة بالعهد لموحّدي نتيجة الخوف من ردع المرابطين الّذين أظهروا اعتراضهم على علم الكلام وحاربوه كثيرا، وما استفادنا منه غير تلك الأشعار الّتي نظمها أصحابها في الزّهد والتّصوّف.

❖ ***علم الطبّ:***

لقد ازدهر علم الطّبّ والصّيدلة في عصري المرابطين والموحّدين حيث خصّه الحكّام والأمراء بالعناية والتّشجيع ،فعمدوا إلى تأسيس بيمارستانات كما ألّفت مصنّفات ومؤلّفات تنظّم مهنة الطّبّ لأجل تطويره ،وزادت العناية بعد أيّام الأوبئة الّتي اكتسحت المغرب[5] ومن أشهر الأطبّاء في تلك الحقبة ابن زهر AVENZOAR (525هـ) الّذي ترك بصمة لا تمّحي في تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وهو من عائلة عريقة[6] امتدّت جذورها في أديم الأندلس نتيجة الانجازات المثمرة الّتي لاحت في أفق الحضارة حيث ولجوا شتّى الميادين وبرعوا في الشّعر

---

[1]- ينظر عصر المرابطين، عبد الله عنان، ص467.

[2]- ابن الأبار، التّكملة ج 1، ص 67.

[3]- ينظر التفاصيل: الأندلس في نهاية المرابطين تاريخ سياسي وحضارة، عصمت دندش، ص 51.

[4]- ينظر التّفاصيل: التّاريخ السّياسي، ص 412.

[5]- ينظر: م ن، ص ن.

[6]- ينظر التفاصيل: التيسير في المداواة والتّدبير، أبو مروان عبد الملك بن زهر الإيادي الأندلسي، دار الكتب العلميّة ،2007م، ص 6.

والأدب والطبّ والكيمياء عميدهم الأكبر هو أبو مروان عبد الملك بن الفقيه ابن زهر الإشبيلي[1] ،ووالده الفقيه المبرّز في الفقه والحديث، ومن تواليف أبي العلاء ابن زهر كتاب "الخواص" والأدوية المفردة والإيضاح بشواهد الافتضاح وكتاب النّكت الطّبيّة، ومقالة في تركيب الأدوية، وقد خلفه نجله أبو مروان عبد الملك بن زاهر (557هـ) يعرف في الغرب بـ AVENZOORالّذي ذاع في أصقاع العالم كنار على علم وكتب مؤلفه الاقتصاد في صلاح الأجساد ،ومن تواليفه أيضا التّيسير في المداواة والتّدبير، وهو من أنبغ مراجع الطّبّ في العصور الوسطى ،ولا ننسى كتاب الأدوية ناهيك عن مقالة في علل الكلى والبرص والبهاق، وجاء من بعده الحفيد أبي بكر بن زهر الّذي نهج سبيلهم في طلب العلم وحمل مشعلهم في جانب الطّبّ حتىّ لقي المكانة السّامقة في عهد الموحّدين[2].

كما بزغ نجم أبي بكر محمد بن يحي بن الصّائغ المعروف بابن باجه(ت 533هـ) وهو شيخ ابن رشد ،وقد كان وزيرا في عهدة الأمير أبي بكر يحي بن تاشفين مدّة عشرين عاما استطاع أن يشارك الأطبّاء في علومهم ويكون همزة وصل بينهم[3]،ولا نهمل جهود الطبّيب أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي الإشبيلي (ت537هـ)[4]،وكتب أبوعامر محمد بن أحمد بن عامر

---

[1]- ينظر ترجمته: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي صبيعة، شرح وتحقيق نزار رضا: جزءان في مجلد طبعة بيروت/1965، ص465.

[2]- ينظر تفاصيل حياتهم في تاريخ الأدب، عمر فروخ، ص 376.

[3]- ينظر تاريخ الأدب عمر فروخ، 305.

[4]ينظر م ن، ص 306.

البلوي كتابا سماه الشّفا[1]،ولازم الطّبيب محمّد أبو عامر بن ينق أبا العلاء بن زهر فاستقى منه الطّبّ والأدب.[2]

وممّا يؤكد أن المرابطين اهتموا بليغا بالطّبّ؛ فقد وجد منصب يعرف بالصّناعة الطّبّيّة[3] وقد احتلّ صاحبه المكانة السّامقة في المجتمع لأنّه كان بمثابة المسؤول الأوّل أمام الأمير، وملزم بتكوين العقاقير ومراقبة الأدوية؛ وهذا يجعلنا نقدّر قيمة العلم والعلماء على عهد المرابطين.

❖*علم الحساب والهندسة:*

اشتغل رجال هذا العصر بالجبر والمقابلة، واشتغلوا بفن المعاملات وممّن ألّف في هذا العلم أبو بكر بن خلف الأنصاري (ت 590هـ)، فقد كان له مقالات في المكاييل والأوزان.[4]

لقد شح التّأليف في هذا الباب إذ لم يجد إلاّ نزرا ولاغرو أنّه كان موجودا لكنّه انضوى في العلوم العقليّة الأخرى كالطّبّ والكيمياء والفلك وإلاّ فكيف نفسّر الأشكال الهندسيّة الّتي دمشقت المساجد والحمّامات؟ وكيف أمكن للدّولة الفتيّة أن ترسي دعائم اقتصادها لولا الدّقّة في الحساب وحسن التّخطيط؟

1- ينظر التكملة، ابن الأبار، ج 1/، ص 495.

2- ينظر: المعجم، ابن الأبار، ص 168.

3- ينظر: التكملة، ابن الأبار، ج/1، ص334.

4- ينظر: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحّدين، جمال أحمد طه، ص 304.

❖**_علم الفلك والهيئة:_**

وهو العلم المتخصص بتعيين أشكال الأفلاك وحصر أنواعها وتعدادها، والقيام على رصد الحركات السّماوية الموجودة لكلّ واحد منها من رجوعها وإدبارها وإقبالها.[1]

لم نجد في عهد المرابطين من اهتم بهذا العلم سوى محمد أبوبكر بن الصائغ(ت 533ه) فقد كان له بعد نظر في الأجرام السّماوية والأفلاك وحدود الأقاليم[2]، ويشار إليه بالبنان في الأندلس وخارجها حتّى شاع خبره في أوربا وسمي بـAVENPACE(ت 533ه)[3]؛فقد شرح فلسفة القدامى، وكان موسيقيّا وأديبا وشاعرا وفيلسوفا، ومن فلاسفة عصره كذلك نجد الوزير مالك بن وهيب الإشبيليّ[4]

كما نبغ في عصر علي بن يوسف عدد من علماء الفلك والتّنجيم أمثال :أبو العباس أحمد بن يوسف التّنوخي المعروف بابن الكماد ومن تواليفه كتاب القبس والمستنبط على أرصاد أبي إسحاق الطّليطلي والّذي عرف بالزّرقالة[5]،وكتب أبو الحسن موفق مولى يوسف ابن إبراهيم المعروف بالمسنالي كتاب الاهتداء بمصابيح السّماء وتفرّد أبو الحسن علي بن خلف الأموي في كتابه اللؤلؤ المنظوم في معرفة أخبار النّجوم[6]

---

[1]- ينظر م ن، ص 188.

[2]-ينظر: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرّباط دار المنصور ،1973م ،ج1/، 256.

[3]- ينظر التاريخ السياسي ، ص 417.

[4]- ينظر المعجب ، المراكشي ، ص 185.

[5]- ينظر :التكملة ،ابن الأبار ، ج1، ص 29.

[6]- ينظر، م ن ، ص 263- 264.

لقد لمع نجم عديد من الأعلام في العدوتين ولم يفل نجمهم ليومنا هذا نظرا للإنجازات الّتي تركوها خالدة في كتب التاريخ شاهدة على اجتهاد أصحابها، وخوضهم بحر العلم بلا هوادة.

الفصل الثّالث

الشعر في عهد المرابطين

لقد ازدهر الشّعر في عهد ملوك الطّوائف نظرا للاستقرار الّذي عرفته الأندلس آنذاك وقد شجّع الملوك القريض بل وألّف المعتمد بن عبّاد أشعارا لا تزال شاهدة على روعة تلك الفترة من الزّمن، وقد ساعدت الطّبيعة الغنّاء في ذلك، ولما وطأت أقدام المرابطين أرض الأندلس أصيب الشّعر بركود نظرا لانشغال النّاس بأمور الحكم واستتباب الأمن –كما علمنا ذلك –، ناهيك عن معالجة المشاكل الدّاخلية في العدوتين إذ كان خطر البربر يتربّص بهم بالمغرب وخطر النّصارى بقيادة الأدفنش بالأندلس، لأنّ العصر في عهد يوسف بن تاشفين كان جهاد وكفاح[1]، إلى جانب أنّ الولاة المرابطين لم يكونوا ذوي دراية وافية باللّغة العربيّة[2] وما إن استقرت الأوضاع وهدأ أجيج الحرب عاد نشاط الشعر لسابق عهده في عهد علي بن يوسف، وراج القريض بعد تشجيع الحكّام له فكتب الشّعراء في شتّى المواضيع وخاضوا في العامّ والخاصّ، بل وركب بعضهم غمار الموشّحات والأزجال تعبيرا عن مكنوناتهم وعمر قفار المجالس بالشّعر والمادحين على عهد عليّ بن يوسف فالشّعر لم يمت على حدّ تعبير غرسيه غومت :<< وكلّ ما حدث أنّه كيّف نفسه بما يلائم الظّروف الجديدة الّتي أحاطت به، بيد أنّه من الإنصاف أن نقرّر أنّ خلفاء يوسف بن تاشفين لم يلبثوا أن استسلموا لسلطان الثّقافة الأندلسيّة القاهرة، وأصبحوا أقرب إلى الأندلسية منهم إلى الأفارقة.[3]>> القائل يشير إلى مسلمة لابدّ من الاعتراف بها وهو أنّ حكّام المرابطين كانوا بربرا لغتهم السّلاح وهمّهم الوحيد هو ردع الهجومات وإفشال[4] المؤامرات لأجل

---

[1]– ينظر: التاريخ السياسي والحضاري في المغرب والأندلس، 382.

[2]– ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ص 37.

[3]– غرسية غومث، الشّعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، (د ط)1952، ص27-،28.

إثبات الوجود وفرض السّيطرة في الحكم بالعدوتين، وما إن هدأت الأوضاع ورست أقدامهم بالأندلس حتّى تشرّبوا من ثقافته ومالوا بالضّرورة لطبائع الأندلسيين وتفتّحوا على المدنيّة الحديثة* بتشجيع من الأمراء والحكّام، وقد وُجد كثير من الشّعراء الّذين نالوا المناصب والحظوة الكبيرة عند الأمراء –كما رأينا ذلك آنفا – وقد اشتهر عدد كبير من فحول القريض أمثال ابن خفاجة الوصّاف ابن الطّبيعة والّذي تغنّى بأمجاد المرابطين[1]، وابن حمديس الصّقلي المثقّف الّذي برعت موهبته وعلمه وطفح ذلك في وصفه، وابن قزمان المشهور بأغانيه الزّجلية كما بصّرنا الأعمى التّطيلي بمدحه وهجائه لمظاهر حياة كناّ نجهل تفاصيلها وأبو بكر الأبيض وابن اللّبانة والباذش الغرناطي وابن عبدون وابن العريف المتصوّف[2] وغيرهم.

ومهما يكن من أحوال الشّعراء؛ فإنّهم حاولوا التّعبير عن انفعالاتهم ومكنوناتهم بغضّ النّظر عن نوعيّتها، وسنحاول في هذا الفصل التّطرّق إلى أهمّ الأغراض الشّعريّة الّتي شاعت في عصر المرابطين متوخّين أبرز المميّزات الّتي طبعت شعر هذه الفترة.

1–الهجاء:

إنّ الهجاء درب من دروب الشّعر عرف منذ القدم، وظهر نتيجة احتكاك النّاس ببعضهم، وهو نقيض المدح؛ فرغم تحذير الإسلام للخوض فيه إلاّ أنّه لم يتراجع بل، وقد أبدع وتفنّن الشّعراء في نظمه و شقّ طريق الهجاء وجهتين في عهد المرابطين أمّا

*– يقصد بالمدنية الحديثة: الحضارة والعمران في معجم المعاني الجامع https://www.almaany.com/

[1]– الحسن السّائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1986م، ص 181.

[2]– ينظر الأدب العربي، عمر فروخ 37.

الأوّل فتمثّل في الهجاء السّياسي الّذي شمل صوت الشّعب المتذمّر من الفقهاء والقضاة بصفتهم وتدا يُتّكأ عليه في تسيير الحكم، وأمّا الآخر فهجاء اجتماعي يأخذ غالبا منحى صفة التّشهير بين شاعر وآخر أو مع أحد خصومه، وتغلب عليه الذّاتية وما وصلنا من أسماء هؤلاء الهجّائين هم:المخزومي، واليكي والأبيض ونزهون الكلاعي وابن صارة الشّنتريني وعلي بن حزمون ومن خصائص هذا الهجاء الاجتماعي استعمال ألفاظ السبّ والفحش والإقذاع والّتي تتعلّق غالبيّتها بخلق المهجوّ وشرفه وسلوكه من صفات القبح الّتي تعيب قدر صاحبها وتقلّل من شأنه.[1]

أ. *الشّعر الاجتماعي:*

لقد نُظم الهجاء الاجتماعي بأسلوب بسيط، واضح ليسهل فهمه ومن أبيات نزهون الكلاعي[2]الّتي كانت تنشد الجمال فوصفت رجلا حين تقدم لخطبتها قبيح الوجه بالحمق وقلّة الحياء؛ فقالت:

عَذِيرِي منْ أنُوكٍ[3] أَصْلَعَ — سَفيهِ الإِشَارَةِ وَالمنْـــزَعِ
يرُومُ الوِصَالَ بمَا لَوْ أتَى — يرُومُ بهِ الصَّفْعُ لمْ يصْفَعِ
برَأْسِ فَقِـــيرٍ إلىَ كِيَــةٍ — وَوَجْهِ فَقِيرٍ إِلَى بُـرْقُـــعِ[4]

---

[1] ينظر الشّعر في عهد المرابطين والموحدين: محمد مجيد سعيد، ص 275.

[2]نزهون بنت القلاعي شاعرة أندلسية عاشت في أوائل القرن الثاني عشر في مدينة غرناطة في عصر ازدهرت فيه العلوم في الأندلس وعمّ البلد الرّخاء وكان والدها محمد بن أحمد بن خلف القليعي الغساني قاضياً، ينظر ترجمتها: المقتضب لابن الأبار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 3 ،1989م، ص 164.

[3]– أنوك: أحمق

[4] ابن الأبار: أبو عبد الله: المقتضب: تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب الّلبناني، بيروت، 1410هـ 1989م، ص 216.

وقد سلّط الأعمى المخزومي لسانه على العامّة، ولم يكد يسلم أحد من هجائه – حتّى لقّب ببشّار الأندلس، فكانت النّاس ترهبه، وتخصّه بالتّحف والهدايا والطّرف اتّقاء لسانه اللاّذع[1]، وقد تراشق بهجاء وافر مع نزهون حكم عليه بالسّوقية والتّفاهة بعدما<< اغترفت من مستنقعها>>[2]، كما هجا المخزوميّ عبد الملك بن سعيد جدّ صاحب المغِرب ووصفه بالبخل والشّحّ رغم كرمه معه، وإحسانه إليه:

لا ترْجَوْنَ بنِي سَعِيدٍ للنَّدَى ... فَالظِّـلُ أفْيَدُ منْهُمْ للسَّائِـلِ

فلقدْ مرَرْتُ عَلَى مَنازِلِهِمْ فَمَا ... أبْصَرْتُ منْهَا غيْر بُعْدِ مَنَازِلِ

قوْمٌ مُصيبَتُهُمْ بِطَلْعَةِ وافدٍ ... وَسُرُورُهُمْ أبَـدًا بِخَيْبَةِ رَاحِلِ[3]

ولم يكتف بهجاء الآخرين، بل هجا نفسه وابنه أيضا[4]،وبلغت به النّقمة على الحياة أن هجا مدينة بأكملها ولعن أهلها ونسب إليهم الشّرّ والأذى[5]، وقال في أهل مرسيه من بحر المتقارب:

عَلَى أهْلِ مرْســـيَةَ لعْنَةً ... تَـعُمُّ الدِّيَـارَ وَأرْبَابَـــــهَا

فمَا غُلقَتْ قطُّ مُذْ فُتِحَتْ ... علَىَ فاضِلِ الطَّبْعِ أبْوَابُهَـا

كلابٌ تَهِـــرُّ إلَى شَـاعِرٍ ... وَتَكْشِفُ للشَّـرِّ أنْيَابُـــهَا[6]

---

[1] ينظر: خريدة القصر وجريدة العصر، أبوعبد الله محمد بن حامد بن عبد الله بن علي العماد الأصفهاني (ت579هـ) .: تحقيق الأستاذين عمر الدّسوقي وعلي عبد العظيم، القسم الرّابع ، القاهرة ،مطبعة الرّسالة 1969م ج2/،ص 255.

[2] ينظر الخريدة، الأصفهاني: ق4، ج2/، ص 154-،155.

[3] ينظر المغرب: ابن سعيد، ج 1/، ص 231.

[4] ينظر المغرب، م ن، ص 229.

[5] ينظر م ن، ج1/ص 229-.231.

[6] أبو بحر صفوان ابن إدريس التجيبي:"زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر"، إعداد وتعليق عبد القادر محداد، دار النّشر بيروت (د ط) 1939م، ص 88

نلمس أخلاق الجاهليّة قد طغت على الشّاعر النّاقم على الحياة والنّاس فسلّط لسانه البذيء باللّعان والهجاء ضاربا قول الرّسول الكريم ﷺ:<< ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان، ولا الفاحش، ولا البذيء.[1]>>

ومن الهجّائين نجد ابن صارة الشّنتريني[2] (ت517هـ)، والّذي له مقطوعات كثيرة كأنّها النّبل في حدّتها وقسوتها على حدّ تعبير صاحب الذّخيرة[3] ومن أهاجيه حين يصف صديقه المزيّف الطّماع كحاجة الذّئب لرعيّة الرّاعي، فيثني عليه ويمدحه لحاجته له كثناء هند لزوجها الّذي مقتته، والصّورة هنا ربّما تكون صادقة للمنافق الّذي كان يتحيّن الفرص للنّيل منه وأحسن الشّاعر حين ضرب مَثَلَ هند زوج روح بن زنباع:

وَصَاحِبٌ لِي كَدَاءِ البَطْنِ صَحِبْتُهُ ... يَوَدُّنِي كَـوِدَادِ الذِّئْـــــبِ للرَّاعِي

يُثْــــــنِي عَلَيَّ، جَزَاهُ اللهُ صَالِحَةً ... ثنَاءَ هـــــنْد عَلَى رَوحٍ بْنَ زِنْبَاعِ[4]

والهجاء الاجتماعي بصورة عامّة لا يخرج عن الشّتائم والسّب والسّوقية في التّعبير، كما خلا من الزّخرف اللّفظي والمعنوي، ضاهى في تصويره الكلام العادي بعفوية ما استساغه الخلق والعرف الاجتماعي.

---

[1]- ينظر رياض الصّالحين، الإمام النووي، تخريج محمد ناصر الدّين الألباني، إشراف زهير الشّاويش، ط1، 1996م، المكتب الإسلامي، بيروت، باب تحريم لعن الإنسان بعينه، ص 538.

[2]- ينظر ترجمته: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار ط1، 1989م، الأردن، ص (809.-810).

[3]- أبو الحسن علي ابن بسام الشّنتريني (ت.542هـ)، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثّاني، مخطوط دار الكتب المصرية تحت رقم 2347أدب، نقلا عن محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 278.

[4]- هند بنت النّعمان بن بشير الأنصاري كانت تكره روح بن زنباع الجذامى الذي تزوّجها ينظر: البداية والنّهاية، ابن كثير / ج 9

ب.الهجاء السّياسي:

في زمن يوسف بن تاشفين ظهرت طبقة الفقهاء – لم يعهدها الأندلسيّون قبل ذلك –، وقد اغتنت على حساب الجماهير الفقيرة، وبلغت الذّروة في زمام الحكم، فلم يحكم من أمور الدّولة إلاّ بمشورتهم وآرائهم[1] ممّا جعل الشّعراء يهجمون عليهم ويهجونهم بألذع ما يقال من الشّعر: أبيات ابن البنّي يخاطب فيها قاضي قرطبة:

أَهْلُ الرِّيَاءِ لبِسْتُمْ نَامُوسَكُــــــمْ كَالذِّئْبِ يَخْتلُ فِي الظَّـــلاَمِ القَاتِمِ[2]

فَمَلَكْتُمِ الدُّنْيَا بِمَذْهَبِ مَالـــــكِ وَقَسَمْتُـمِ الأَمْوَال بِأبْنِ القَـاسِـــمِ*

وَرَكَبْتُمْ شُهْبَ الدَّوَابِ بِأشْهبٍ** وَبِأَصْبَـغٍ* صبغت لَكُمْ فِـي العَالَمِ[3]

وصف الشّاعر الأئمة والقضاة بالرّياء وشبّههم بالذّئاب في الاحتيال بجنح الظّلام، حيث تظاهروا بتطبيق المذهب المالكي زاعمين سيرهم على نهج كبار المالكيّين.

وعلى نهج التّعبير وصف ابنُ الزّقاق قاضيا بالرّياء حيال الأقوياء والجور تنكيلا بالضّعفاء، هائما بالرّشوة كما يهيم المتيّم بالرّشا حيث يقول:

---

[1]– ينظر: المعجب، المراكشي، ص 235.

[2]– التّجيبي: زاد المسافر، ص113

*ابن القاسم: هو أبو عبد الله عبد الرحّمن بن القاسم تلميذ الإمام مالك توفي سنة 191

*أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي فقيه من أصحاب الإمام مالك توفي 204هـ وأصبغ بن الفرج، فقيه من كبار المالكية بمصر توفي سنة 225هـ

[3]– محمد مجيد السّعيد، الشّعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، دار الرّاية والتّوزيع عمّان، (د ط)، 2008، ص .288

*الأحنف بن قيس: سيّد قبيلة تميم يضرب له المثل في الحلم عند العرب

قَاضٍ يَجُورُ عَلَى الضَّعِيفِ وَرُبَّمَا لَقِيَ القَــــوِيُّ بِمِثْلِ حِلْمِ الأَحْنَفِ[*]

لَعِبَتْ بِطَلْعَتِهِ الرُّشَا لَعِبَ الرَّشَا بِفُؤَادٍ خَفَّاقِ الجَـــــــــوَانِحِ مُدْنَفِ[1]

يستعمل الشّاعر الجناس النّاقص بين الرّشا والرّشا وهو من المحسنات اللّفظية يكمن جماله في لفظه وسمعه ويوظّف الكناية في قوله خفاق الجوانب فهي كناية عن ولعه وتعطّشه للكسب الحرام.

وينقم أبو بكر بن مغاور[2] من طوال اللّحى العثانين المتسرّين باسم الدّين، اتّبعوا هواهم وغيّروا مبادئ الشّرع متّخذين الشّياطين أخذانا بعدما نطقت ألسنتهم بالزّور إذ يقول:

إِنَّا إِلَى اللهِ مَاذَا حَـلّ بِالدّيــنِ مِن الطّوَالِ اللُّحَى البِيضِ العَثَانِينِ

بَاعُوا رِضَى الله وَابْتَاعُوا مَسَاخِطَهُ وَغيّـرُوا الشَّــرْعَ يَا الله للدِّيــــــنِ

أَضْحَتْ شَهَادَتُهُمْ بِالزُّورِ نَاطِـقَةً إِنَّ الشُّــهُودَ لأَعْوَانُ الشَّيَاطِيـــــنِ[3]

ويستوقفنا قول أبي بكر أحمد بن محمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بالأبيض[4] الّذي صبّ نيران هجائه على أمير قرطبة الزّبير المرابطي والّذي ما إن سمع الأبيات، حتّى أمر بقتله بعد أن قال له: <<لم أر أحقّ بالهجو منك ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لجو تنفسك إنصافا ولم تكلها إلى أحد[5]>>

---

*– الأحنف بن قيس بن معاوية بن الحصين التميمي سيد تميم، وأحد العظماء الدّهاة الفصحاء الشّجعان الفاتحين. يضرب له المثل في الحلم، ينظر https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الولوج 3-6- 2020 على 12:45سا .

1– ابن الزقاق، ديوان ابن الزقاق، تحقيق عفيفة محمود ديراني، بيروت دار الثّقافة، مطبعة سميا، ص 295.

2– الأحنف: أبو مغاور عبد الرحمن بن محمد مغاور السّلمي: ت 587هـ

3– محمد مجيد السّعيد، م س، ص 289.

4– ورد اسمه في نفح الطّيب ج 3/ 489

5– نفح الطّيب ج3/ 490.

عَكَفَ الزُّبَيْرُ عَلَى الضَّلاَلَةِ جَاهِدًا وَوَزِيرُهُ المِشْهُورُ كَلْـــــــــــــبُ النَّارِ
مازَالَ يأْخُذُ سَجْدَةً فِي سَــــجْدَةٍ بيْنَ الكُؤُوسِ وَنَغْمـــــــــــةِ الأَوْتَارِ
فإذاَ اعْتَرَاهُ السَّهْوُ سَبّحَ خَلْفـهُ صَوْتُ القِـــــــــــــيَانِ وَرَنَّةُ المِزْمَار[1]

يصوّر الشّاعر حالة الزّيغ الّتي آل إليها الأمير المرابطي مع بطانته السّيّئة وهو الوزير الّذي وصفه بالكلب وهذا ما نآخذه عليه لأنّ الكلب معروف بالوفاء والإخلاص لسيده لا بالدّناءة والخسّة وحالتهم لا تسرّ أحدا جمعت بين المتناقضات الصّلاة والتّقرّب لله بالسّجود وطرب ولهو ومجون ما دفع الشّاعر استنكار الأمر ولفظ الصّراحة الّتي شقّت عنقه.

وله فيه أيضا:

أَمَّا زُبيْرُ فَقَدْ أَوْدَى بِأَنْدَلُــسٍ مَا كَانَ مِنْ حُرْمَةٍ فِيهَا وَصِــــدِّيقُ
وَصَــدُّهُ عَنْ قِرَاعِ الدَّارِ عَيْنٌ بِهَا قَرْعُ القَوَافِيزِ*أَفْوَاهُ الأَبَارِيــــــــقُ[2]

يُرجع الشّاعر هتك الحرمة في الأندلس للزّبير الأمير المرابطي الّذي سلبه قرع القوافيز ومعاقرة الخمر حرمة الدّين والأصل.

ولقد شُرّد وطُرد الشّاعر أبو بكر يحيى بن سهل اليكي فأحسّ بالجوْر والظّلم بحقّه ففاضت قريحته بهجاء لاذع صبّ فيه نقمته وحقده الدّفين ليصفهم بأبشع الصّفات وينسبهم للدّناءة والخسّة، وقد تجرّدوا من ثوب العفّة إذ يقول:

---

[1] ابن سعيد: المغرب، ص 127-128* القوافيز : إناء لشرب الخمر .
**- القوافيز: صوت الماء عند صبه داخل القازوزة.
[2] محمد مجيد سعيد: الشعر في عهد المرابطين ، ص 284.

فِي كلِّ مَنْ رَبَطَ اللِّثَامَ دَنَـــــاءَةً	وَلَوْ أنّهُ يَعْلُو عَلَى كِيـــــــــوَانِ
مَا الفَخْرُ عِنْدَهُمْ سِوَى أَنْ يَنْقُلُوا	مِنْ بَطْنِ زَانِيَةٍ لِظَهْرِ حِصَـــــانِ
المنْتَمُونَ لِحِمْـــيرٍ لَكِـنَّهُــــــــمْ	وَضَعُوا القُرُونَ مَوَاضِعَ التِّيجَانِ
لاَ تَطْلُـبَنَّ مُرَابِطًا ذَا عِفـــــــــةٍ	وَاطْلُبْ شُعَاعَ النَّارِ فِي الغُدْرَانِ[1]

لم يخرج الشّعر السّياسي عن غرضه المنوط وهو التّصوير الدّقيق للحالة المزرية الّتي كابدها المجتمع من لدن الحكّام وأهل الدّين، وما نآخذ الشّعراء الهجّائين الطّعن بالنّسب والتّشبيه بالحيوان والشّيطان، وهذا مخالف لما جاء في الدّين.

ج. هجاء الأهل والأقارب:

يوحي العنوان بالحالة المؤلمة الّتي استحالت لها العائلة في كنف تعقّد جوانب الحياة والتّفتّح في ظلّ المدنيّة الحديثة، منها تقهقر علاقات الأزواج، والآباء والأبناء كحال شعراء فصموا عروة الرّباط المقدّس (الزّواج) بهجائهم لزوجاتهم أمثال الأعمى المخزومي والّذي عُرف بهذا الغرض، ولا ننسى ابن حزمون وابن صارة الشنتريني وعلى ابن بسّام وغيرهم كثر ممّن حملوا لواء الهجاء في سماء الأندلس ومثال ذلك ابن بسّام الشّنتريني الّذي هجا زوجته بعد طلاقه وراح يثني على الزّمان الّذي فرقه عنها وهو خير صنيع وأروع جميل، لأنّها حيّة رقشاء وذئبة ماكرة، أهدرت دمه بنفاقها الّذي فاق حدّ السّيف، وهنا تظهر سمة الهجاء نقيض الغزل في الوصف إذ يقول من بحر البسيط مصرّحا :

أَمَا الزَّمَانُ فَرق لِي مِنْ طَلَّةٍ[2]	كَانَتْ تَطُلُّ دَمِي بِسَيْفِ نِفاَقِــــهَا
الذِّئْبَةُ الطَّلْسَاءُ عِنْدَ نِفاَقِهَا	وَالحَيَّةُ الرَّقْشَاءُ عِنْدَ نِفـــــــــاقِهَا [3]

---

[1]- ابن سعيد: المغرب ج2/ 267.

[2]- طلّة: امرأة الرّجل، معجم اللغة مادة طلة

[3]- فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2007، ص 144.

ويذمّ الشّاعر محمد بن مسعود[1] طيف محبوبته في قالب هزلي ساخر حيث يصوّر فتور لحظها الّذي ينفّر، وقد أصابه بالفتور، حيث يعبّر من بحر البسيط:

مَا زَارَنِي طَيْـــفُكِ يَا هَذِهِ   إِلاَّ تَمَنَّيْـــــتُ بِأَلاَّ يَـــــزُورُ

فُتُورُ أَلْحَاظِكِ ذَاكَ الَّــذِي   أَعَارَ أَعْضَـــــائِي هَذَا الفُتُورُ

وَقَدُّكِ المَائِسُ فَوْقَ النَّقَــا   قـــــدَّ فُؤَادِي الهَائِمُ المسْتَطِيرُ

كَمْ قَائِلٍ صِفْهَا لَنَا واخْتَصِرْ   وَلاَ تَطُولُ قُلْتُ شَمْسُ القُــدُورُ[2]

لقد تعوّد الشّعراء على المقدّمة الطّللية والشّاعر هنا إذ يحاول أن يعبّر عن اشمئزازه من زيارة خيال زوجته الّتي ضاق بها ذرعا ومن لمحها فأصابه الفتور كما أنّ رائحة أنفاسها تذكّره بالجيفة وكلّما تزيّنت به لتخفي قبحها إلاّ وزاد نفورا لأنّها شهادة زور على ذمامتها.

وأمّا ابن خفاجة (ت 533هـ)؛ فقد هجا النّساء المستتّرات بالزّينة حتّى يخفين طباعهنّ الخبيثة حيث شبّهها بنبات الدّفلى ضمن تشبيه ضمني فهذا النّبات يزهر ويروقك منظره إلاّ أنّه مرّ لا يؤكل ولا ينفع إلا للزّينة وكذلك تلكم النّساء المزيّنات؛ وقد ألزم نفسه حرف اللاّم المشبّع حتّى يوصل فكرة اشمئزازه من الموقف من بحر المنسرح:

أَلاَ بَكَى الدُّرُ فَوْقَ حَالِيَهْ   حَلَى بِهَا العِقْدُ شَرَّ مَـــا حَلَى

تَرَى بِهَا مَا يَمُرُّ مِنْ خَلْقٍ   مُخَبَّأً تَحْـــتَ مَنْــــظَرٍ يَحْلــَى

قَدْ رَاقَ مَرْأَى وَسَاءَ مُخْتَبِرًا   فَهَـــلْ تَرى أَزْهَرَتْ بِهَا دِفْلَى[3]

وأسهم الأعمى المخزومي (ت550هـ) الشّاعر الّذي كان شديد الهجاء مسلّطاً على الأعراض سابقاً في ميدان الهجاء وإذا مدح ضعف شعره[4] حيث نعت ولده بأبشع

---

[1]– أبو عبد الله محمد بن مسعود القرطبي، المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، تحقيق، شوقي ضيف، دار المعارف، ط 4، 134

[2]– ابن بسام الشّنتريني، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 557.

[3]– ديوان ابن خفاجة: تحقيق عبد الله سنده ، دار المعرفة بيروت ،ط2006،1م، 261

[4]– ينظر: ترجمته، تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ص271.

الأوصاف كسوء الأخلاق ونقص العقل وخشونة الطّبع همّه الوحيد هو إدخال الأكل وطرحه بأسلوب لاذع يعبّر من بحر البسيط:

الحَقُّ أَبْلَجُ لَيْسَ أنْتَ وَحَـــقٌّ مِنْ	أَحْبَابِكَ الأَجْلاَف مِمَّنْ يَفلَحُ
لاَ تَهْتَدِي بِفَضِيـــــلَةٍ لاَ تَرْعَوى	بِمَلاَمَةٍ، لاَ أَنْتَ مِمَّنْ يَصْلُـحُ
يَزْدَادُ عَقلُكَ مَا كَبُـرْتَ تَنَاقُصًا	وَتَلِجُ فِي صَمَمٍ إِذَا مَا تَنْصَحُ
أَكْلٌ وَسَلــحٌ كُلَّ حِينٍ لاَ تَرَى	لِسَوَاهُمَا مَا دُمْتَ حَيًّا تَطْمَحُ
أَسْخَنْتَ عَيْنَ المجْدِ يَا ابْنَ عُمَيْرَةَ	وَلَقَدْ تَقَرُّ عُيُونُهُ لَوْ تُذْبَـــحُ[1]

تخصّص الشّاعر في الهجاء وقد ألّف أبياتا يهجو فيها بني سعيد مؤلفي كتاب المغرب في حُلى المغرب، ونعتهما بالشّحّ وضعة الأصل لأنّهم لم يكرموه، ولم يعبّروه من بحر البسيط [2]:

لاَ تَرْجُوَنَّ بَـنِي سَعِيدٍ للنَّدَى	فَالظِّلُّ أفْيَدُ مِنْهُمْ للسَّائِـــلِ
فَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فَمَا	أبْصَرْتُ مِنْهَا غَيْرَ بُعْدِ مَنَازِلِ
قوْمٌ مُصِيبَتهُمْ بِطَلْعـــةِ وَافِدٍ	وَسُرُورُهُمْ أَبَدًا بِخَيــبْةِ رَاحِلِ[3]

وفي الموضوع نفسه، وبرائيته ينعت بني سعيد بعدم الوفاء بالوعد فبعدما مدحهم، ولم يجزلوا له العطاء، بل بخلوا بنزر لم يستسغه، فاستبدله بنعتهم بالحمير الّذين استقبلوا الفرس، ولم يكرموه والأبيات لغتها مبتذلة توحي بوضاعة الهجاء وانحطاط قائله الّذي تعمّد تشنيع بني سعيد حتّى يحطّ من قيمتهم، لكن عكس المستوى الوضيع الّذي وصله الهجاء آنذاك من بحر الكامل قال [4] :

---

[1]- م ن، ص 274.

[2]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 272.

[3]- م ن، ص، 273.

[4]- م ن، ص، 273.

أَبَنِي سَعِيدٍ، قدْ شَقِيتُ بِقُرْبِكُمْ فَلْتَتْرُكَنِّي حَيْـــثُ شِئْتُ أَسِيرُ

أفْنِي المِدَائِحَ فِيكُمْ: لاَ وَعْدَكُمْ يَقْضِى وَقَلْبِي فِي الِمطَالِ أَسِيرُ

أعْطَيْتُمْ نَزْرًا عَلَى طُولِ المِدَى وَيَقُولُ وَغْــــدٌ إِنَّهُ لَكَــثِيرُ

وَلَشَدَّ مَا عَرَضْتُمُـــونِي لْلعَنَا فَـــرَسٌ عَتِيقٌ عَاشَــرَتْهُ حَمِيرُ

فإِذَا صَهَلْتُ غَدَا النُّهَاقُ مُجَاوِبِي يَا رَبُّ أنْتَ عَلَى الخَلاَصِ قَدِيرُ

ولم تسلم المدن من هجاء الأعمى المخزومي إذ هجا مرسية واصفا أهلها بالجبن والنّذالة وفساد الأخلاق وسوء الطّباع إذ يقول من بحر الطويل:

عَلَى أَهْلِ مَرْسِيَّةَ لَـــعْنَةٌ تَعُمُّ الدِّيَارَ وَأَرْبَــابُـــــــــهَا

فَمَا غَلَقَتْ قَطُّ مُذْ فَتَحَتْ عَلَى فَاضِلِ الطَّبـــــــعِ أَبْوَابُهَا

كِلاَبٌ تَهِـرُّ إِلَى شَـــاعِرٍ وَتَكْشِفُ لِلشَّرِّ أَنْيَابُـــــــهَا[1]

ولم يكتف الشّعراء بهجاء المدن بل وقف أبو الحسن بن الإمام الغرناطي[2] كاتب الأمير تميم ابن يوسف بن تاشفين يهجو مراكش حاضرة المرابطين[3]، فوصف جوّها الكدر ومياهها الآسنة، كما هجا سكّانها الغادرين المتسبّبين في نشر البلاء حيث يقول:

يَا حَضْرَةَ المُلْكِ مَا أشْهاَكِ لِي وَطَنًا لوْلاَ ضُرُوبُ بلاَءٍ فِيكِ مَصْبُوبُ

مَاءٌ زُعَاقٌ وَجَوٌّ كَلُّهُ كَدَرُ وَأُكْلَةٌ مِنْ بَاذِنْجَانِ ابْنُ مَعْيُوبُ[4]

ونهج ابن حزمون نهج الحطيئة، وقيل أنّه لقى العناية والحظوة والمال والجاه عند الوزراء والحكّام خوفا من لاذع لسانه[5] وأورد المراكشي أخباره قائلا: << إنّ له في الهجاء

---

[1]- فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 151.

[2]- نفح الطيب ج 4/، ص 12.

[3]- المغرب في حلى المغرب، ج 2/، ص 116.

[4]- نفح الطيب ج 4/، ص 12.

[5]- ينظر: المعجب، عبد الواحد المراكشي: ص 217.

يدا لا تطاول، غير أنّه يفحش في كثير منها >>[1] حيث وصفها بالعجوز، ويُخيّل لمن يرمقه أنّه أعور، ولو كان نباتا ما استلذه أحد، وصوت أمعائه تدوّي مثل قرقرة الرّعد إذ يقول من بحر الطويل[2]:

تَأَمّلْتُ فِي المِـــرْآةِ وَجْهِي فَخِلتُـهُ   كَوَجْهِ عَجُوزٍ قَدْ أشَارَتْ إلَى اللَّهْــوِ

إذَا شِئْتَ أنْ تَهْجُوَ فَتَأَمَّلْ خَلِيقَـتِي   فَإنَّ بِهَا مَا قدْ أَرَدْتُ مِـــــنَ الهَجْوِ

كَأنَّ عَـــــلَى الأَزْرَارِ مِنّي عَـــوْرَةٌ   تُنَادِي الوَرَى: غُضُّوا وَلاَ تَنْظرُوا نَحْوِي

وَلَوْ كُنْتُ مِمَّنْ تُنْبِتُ الأَرْضُ لَمْ أَكُنْ   مِنَ الرَّائِقِ البَاهِي وَلاَ الطِّيبِ الحُلْـــوِ

وَأقـــــبْحُ مِنْ مَرْآيَ بَطْنِي فَإنَّـــــهُ   يُقَـــرْقِرُ مِثْلَ الرَّعْـــــــدِ فِي هَمِّهِ دَوِ

وما نلاحظه على الهجاء عموما في عهد المرابطين أنّه نظمت مقطوعات ولم تطل حتّى يسهل حفظها وتداولها بين النّاس، حرص فيها القائل على الفكرة الّتي يريد إيصالها مع إيلام المهجوّ، وهذا ليس جديدا؛ فقد عمد القدماء الطّريقة نفسها أمثال الحطيئة وجرير والفرزدق[3]،وقد ارتبط الغرض وثيقا باتّجاه المشرق في التّصوير واللّغة وطريقة الهجاء، فنسخ بعضهم طريقة الحطيئة في هجو نفسه —كما رأينا مع ابن حزمون –، وذهب آخرون لطريق الهزل في عرض أهاجيهم —كما رأينا مع محمد بن مسعود — ونهل بعضهم نهج سيرة التّراشق بالهجاء كشعراء النقائض جرير والفرزدق —كما اطّلعنا على تبادل الهجاء بين نزهون الغرناطية والأعمى المخزومي وابن قزمان –، وقد مالوا إلى اللّغة البسيطة القريبة من العاميّة، واعتمد بعضهم على الاقتباس من القرآن، ونال الهجاء السّياسّي الحصّة الكبيرة في الأندلس آنذاك، ولقد راج لارتباطه الوثيق بالدّوافع السّياسية، فتنوّعت المواضيع من هجاء للملوك والحكّام والقادة والقضاة والولاّة وهجاء اجتماعي شمل الأهل

---

[1]– عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 216

[2]– ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج 2/، ص 214.

[3]– ينظر: الجاء في الأدب الأندلسي، فوزي عيسى، ص191.

والأقارب والعلماء والمدن وجميع المظاهر الحضاريّة، كما مال إلى الدّعابة والطّرافة في العرض المثير للسّخرية والإضحاك.

2-الشعر الدّيني:

عرفت الحقبة ازدهارا واسعا في الشّعر الدّيني لقيام الدّولة على مبادئه، خاصّة أنّ المجتمع عرف عدّة فتن طالته وأرّقته، وقد صُنّف إلى ثلاث أقسام منها الزّهد والنّبويات والتّصوّف كلّ قسم من هذه الأقسام يتّسم بملامح معيّنة ويعالج موضوعا محدّدا:

أ. *الزّهد:*

وهو في حقيقته دعوة للعزوف عن الرّغائب ومتاع الحياة الدّنيا، وتمسّك بحبل الله المتين الّذي عدّ أساس نجاة العمل الصّالح، والسّلوك السّوي لأنّه عمل وممارسة، إيمان وعقيدة وتربية نفس، وقد اختلفت بواعث الزّهد من شخص لآخر منها الورع كما سنلمسه عند الحافظ المحدّث أبي بكر بن عطيّة أحد شيوخ القاضي عيّاض والّذي قال فيه الفتح بن خاقان: <<إنّه شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النّبي ﷺ وكوكب سماته...نشأ في بنية كريمة وأرومة من الشّرف غير مرمومة[1]>>

أيّهَا المطْرُودُ مِنْ بَابِ الرِّضَا ... كَـــمْ يَرَــــــاكَ اللهُ مُعْرِضَا

كمْ إلَى كَمْ أنْتَ في جهْل الصّبا ... قدْ مَضَى عُمْرُ الصِّباَ وَانْقَرَضَا

قمْ إذَا اللّيْلُ دَجَتْ ظُلْمَتُــهُ ... واسْتلَذَّ الجَفْـــنُ أنْ يَغْتَــمِضَا

فضَعِ الخَدَّ عَنِ الأَرْضِ وَنُحْ ... وَاقْرَعِ السِّنَ عَلَى مَا قَدْ مَضَى[2]

---

[1]- الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، مطبعة التّقدّم العلميّة مصر 1320م / ص 215- 216

[2]- ينظر الشّعر في عهد المرابطين، محمد مجيد السعيد، ص 295

لقد كان للفقهاء منزلة خاصّة في الحياة المرابطيّة وكان التّيّار الفقهي موافقا للتحضّر ومعايشة المدنيّة الحديثة، فلم يقف في وجه تقدّم الآداب والعلوم –كما يدّعي الكثير من الباحثين– بل إنّ التيّار لم يؤثّر في الأدب ولم نجد في الأشعار الّتي وصلت إلينا اهتمام الشّعراء بالمذهب المرابطي عكس ما حصل مع الموحّدين. وهذا يدلّ على أنّ الفقهاء لم يحشروا أنفسهم في الآداب.

وتظلّ تلك الدّولة إلى أن تأتي دولة الموحّدين، والّتي كانت تهتمّ بالعلوم الدّينية لأنّ سياستها تقوم على التّوحيد فظهر العلماء في العلوم الدّينية. وظلّ الصّراع مع الممالك الشّمالية كما كان الأمر أيّام دولة المرابطين، ولقد نبغ في العلوم الدّينية ثلّة من الفقهاء أمثال: أبو علي الصّفدي، أبو عليّ الغساني، ابن أبي الخصال، ابن أيوب الفهري، أبو بكر المعافري المعروف بابن الجوزي، أحمد بن عبد الله بن الحطيئة اللّخمي[1].

يجد المتصفّح في هذه الفترة أنّ شعر الزّهد تفرّع لقسمين يمشي الواحد منهما جنبا للآخر:

أمّا الأوّل فشمل معاني الوعظ فرغّب من أسباب دخول الجنّة بعدم الانصياع لإغراء الشّيطان مادامت الدّنيا فانية، والحثّ على التّفكير في الموت والحساب والعقاب.

وأمّا الآخر فحثّ على التّوبة والاهتداء إلى سبيل الفلاح بالتّضرّع لله لأنّه وحده غافر الذّنوب.

ومن شعراء القسم الأوّل نجد أبا بكر الطّرطوشي (ت 450هـ) الزّاهد في الدّنيا الرّاضي منها باليسير، وكان يقول: إذا عرض لك أمران دنيا وأمر أخرى فبادر بأمر الأخرى

[1]– ينظر تاريخ الأدب، عمر فروخ، 198.

يحصل لك أمر الدّنيا والأخرى[1] يستهلّ الأبيات بوصف الزّهّاد، وكيف تركوا الحياة الدّنيا وإغواءها لأنّهم تفطّنوا أنّها فانية والآخرة خير وأبقى، فهرعوا بزرع صالح الأعمال كسفن جهّزت للسّفر بلا عودة من بحر الرّمل أنشد نونيّته:

إِنَّ لِلَّهِ عِبـاداً فُـطَــنـا — تَرَكُـوا الدُّنيــا وَخافوا الفِتَنـا

نَـظَروا فيها فَلَمّا عَلِموا — أَنَّهـا لَيـسَـت لِحَـيٍّ وَطَنــا

جَـعَـلوهـا لُجَّةً وَاِتَّخَذوا — صالِحَ الأَعمالِ فيها سُفُنا[2]

لقد سلك الشّاعر سبيل الوعظ في شعره بغية إصلاح المجتمع، فحثّ على مكارم الأخلاق وظهرت على أقواله صبغة الحكمة حيث نصح السّامع بضرورة الاستماع للنّاصح المجرّب في الحياة لأنّه يدلّك لسبيل الفلاح، ويوصي بعدم سلب الحقّ لأنّه قطيعة مع الله عزّ وجلّ ويشير لزهده في الدّنيا حيث خصّص اللّيل للعبادة والدّهر كلّه:

إِذا كُنتَ في حاجَةٍ مُرسِلاً — فَأَرسِل حَكيماً وَلا توصِــــهِ

وَإِنْ ناصِحٌ مِنكَ يَوماً دَنَا — فَلا تَنْأَ عَنـــهُ وَلا تُقصِــــــهِ

وَإِن بابُ أَمرٍ عَلَيكَ اِلتَوى — فَشاوِر لَبيباً وَلا تَعصــــــــهِ

وَذو الحَقِّ لا تَنتَقِص حَقَّهُ — فَإِنَّ القَطـــيعَةَ في نَقصِـــهِ

لَبِستُ اللَيالي فَأَفنَينَني — وَسَربَلَني الدَهرُ في قُمصــــهِ[3]

---

[1]- ينظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان، حسان عباس، دار صادر، بيروت،ط1،: 1971م،ج 4/ 262- 265 وكذلك: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال: مكتبة الخانجي،ط2، 1374هـ _1955م، ص545.

[2]- ينظر:https://www.arabehome.com/poetry/tags تاريخ الولوج: 16_4-2020على الساعة 2:37سا

[3]- ينظر:https://www.arabehome.com/poetry/tags تاريخ،16_4- 2020 الوقت: 3:29سا

وبأسلوب تهكّميّ وسخرية يتحدّث عن الرّاشي الّذي يريد إغواء صاحب المنصب بالمال لأجل قضاء مصالحه إذ يعبّر قائلا:

إذا كُنتَ في حاجَةٍ مُرسِلاً   وَأنْتَ بِإنْجَــــــــــازِهَا مُــــغْرَمُ
فأرْسِلْ بِأكْمَهَ جُلاَّبَةٍ   بِهِ صَــــــــمَمٌ أغْطَشُ أبكـــــمُ
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى   رَسُولٌ يُـــــــــقَاَلُ لَهُ: الدِّرْهَمُ[1]

كما يذكر ابن سارة (ت 517هـ)[2] الدّهر ويربطه بتقدّم العمر والشّيب ونضج السّمع والبصر، وبتعاقب الشّمس والقمر يفنى العمر، لذلك وجب على الإنسان الاعتبار من ذلك، فلا تغويه الدّنيا ويعرف حقيقة وجوده في الدّار الفانية فيقول من بحر الكامل:

يَا مَنْ يُصِيخُ إلَى دَاعِي السِّفَاهِ وَقَدْ   نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشِّيبُ وَالكِبَرُ
إنْ كُنْتَ لاَ تسْمَعُ الذِّكْرَى فَفِيمَ ثَوَى   فِي رَأْسِكَ الوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالبَصَرُ
لَيْسَ الأَصَمُّ وَلاَ الأَعْمَى سِوَى رَجُلٌ   لَمْ يَهْدِهِ الهَادِيَــــانِ العَيْنُ وَالأَثَرُ
لاَ الدَّهْرُ يَبْقَى وَلاَ الدُّنْيَا وَلَا الفَلَكُ الـ   أَعْلَى وَلاَ النَّيِرَانُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ
لاَ يَرْحَلَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَإنْ كَرِهَــــا   فِرَاقَــهَا الثَّاوِيَانِ البَدْوُ وَالحَضَرُ[3]

---

[1]- محمد مجيد سعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحّدين، ص 294.

[2]- ينظر ترجمته: المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1954م، ص 78.

[3]- أحمد بن محمد المقرّي التّلمساني، نفح الطّيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1968م، المجلد 4/ص 325.

وكتب الزّاهد أبوبكر محمد خطاب القيسي(546هـ)[1] متحدّثا عن الدّهر وقد ربطه بالموت والفناء مذكّرا بأنّ الموت يرتقبنا في كل حين ولابدّ من كبح جماح هوى النّفس منذ نشأتها حتى لا تندم بعد فوات الأوان وهو بذلك يعظ بدغدغته أوتار النّفس البشريّة وليصحو الضّمير فيها وتنبثق عنه روح التّفكير والتّأمّل في حقيقة الوجود إذ يقول :

المَوْتُ يَطْلُبُناَ وَاللَّهـــــوُ يَشْغَلُنَـــا ... وَالنَّفْسُ فِي كُلِّ حِينٍ أَمْرُهَا خَبَلُ
تَبْلَى النُّفُوسُ وَلاَ تَبْقَى وَإِنْ كَبُرَتْ ... عَلَى الحَيَاةِ وَلاَ يَبْقَى لَهَا أَمَـــلُ

وذكر ابن خفاجة أنّ الإنسان مصيره محتوم ولا بدّ من العمل حتّى يضمن الحياة الرّغدة في دار البقاء، معدّدا نعمة الله عليه حسن خلقه من تراب ثم سوّاه وعدّله ليرجعه إليه، وقد استلهم قوله من القرآن الكريم ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ[2]﴾ يقول:

كَفَى حِكْمَةَ للهِ أَنَّكَ صَائِــــرُ ... تُرَابًا كَـــــمَا سَوَّاكَ قَبْـلُ فَعَدَّلَكَ
وَلَيْسَ بِخَافٍ كَيْفَ كَوْنكَ ثَانِيَا ... وَهَا أنْـــــتَ رَاءٍ كَيْفَ كَوَّنَ أَوَّلَكَ
فَهَلْ أَنْتَ فِي دَارِ الفَنَاءِ مُمَهِّدُ ... مَحَلَّكَ فِي دَارِ البَقَــــــاءِ وَمَنْزِلَكَ[3]

وأمّا القسم الآخر من الأشعار فقد حملت في ثناياها معاني التّوبة والتّضرّع إلى الله والمغفرة منه وانبثقت إمّا عن زهد في الحياة بعد قلع الأسنان والتقدّم في العمر– كما رأينا مع ابن سلام المالقي وإمّا أنّه افترسه المرض وأقعده الفراش ودنا منه الرّدى قاب قوسين أو أدنى، ومن أمثلة الشّعراء الّذين حملوا لواء الاستسلام للتّوبة بعد كبر السّن ؛فعزفوا عن الانغماس في الملذّات وطاعة الهوى مع الخمر والنّساء والغلمان ومن هؤلاء الشّعراء نجد أبي الصّلت

[1]– ينظر ترجمته: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ص 59.والمعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصّدفي، ابن الأبار، مكتبة الثّقافة الدينّية، ط1، 2000م، ص 151.
[2]– سورة الانفطار، رواية ورش عن نافع الآية 7.
[3]– ينظر ديوان ابن خفاجة: ص 235.

أميّة بن عبد العزيز الدّاني (ت460هـ)[1] يقول من بحر البسيط بنوع من الإحساس بالذّنب والخجل:

حَسْبِيَ فَكَمْ بَعُدْتُ فِي اللَّهْوِ أَشْوَاطِي ... وَطَالَ فِي الغَيِّ إِسْرَافِي وَإِفْرَاطِي

أَنْفَقْتُ فِي اللَّهْوِ عُمُرِي غَيْرَ مُزْدَجِرٍ ... وَجَدْتُ فِيهِ فوفري غَيْرَ مُحْتَاطِ

فَكَيْفَ أَخْلُصُ مِنْ بَحْرِ الذُّنُوبِ وَقَدْ ... غَرَقْتُ فِيهِ عَلَى بُعْدٍ مِنَ الشَّاطِي

يَا رَبُّ مَالِي مَا أَرْجُو رِضَاكَ بِهِ ... إِلاَّ اعْتِرَافِي بِأَنِّي المُذْنِبُ الخَاطِي[2]

ولما أحسّ بدنو أجله أوصى بأن يكتب على قبره بأنّ الحياة الباقية هي دار الآخرة، وأمّا الدّنيا؛ فهي فانية ومصير كلّ إنسان الوقوف بين العادل ويتمنّى عفو ورحمة الله، وقد أثقل بالذّنوب وذاك أمله والأبيات بمثابة العظة للواقفين على قبره من بحر الطويل:

سَكَنْتُكِ يَا دَارَ الفَنَاءِ مُصَدِّقًا ... بِأَنِّي إِلَى دَارِ البَقَاءِ أَصِيرُ

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ بَعْدَهَا ... وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ

فَإِنْ أَكُ مُجْزِيًا بِذَنْبِي فَإِنَّنِي ... بِشَرِّ عِقَابِ المُذْنِبِينَ جَدِيرُ

وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ مِنْهُ عَنِّي وَرَحْمَةٌ ... فَثَمَّ نَعِيمٌ دَائِرٌ وَسُرُورُ[3]

أمّا ابن الزّقاق الّذي مات ولم يبلغ الأربعين من عمره فهو يناجي ربّه حتّى يخفّف عنه سكرات الموت ويغفر ذنوبه، فكان وسيلة للتّنفيس عن الحالة الشّعورية الرّهيبة من فقدانه أمل الحياة بعد مرضه العضال[4]من بحر المجتثّ يقول:

---

[1]- ينظر ترجمته: المقتضب من كتاب تحفة القادم، ابن الأبار، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ،ط3، 1989م، ص 56/، تاريخ الأدب العربي ،عمر فروخ، ص 182.

[2]- أمية بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الأندلسي: الدّيوان ،تحقيق عبد الله محمد الهوني ،دار الأوزاعي ،الدوحة قطر ط1، 1990م، ق 36،/ ص 39.

[3]- م ن، ق 31، ص 147.

[4]- ينظر ترجمته وتفاصيل حياته، م ن، ص30.

يَا عَالِمَ السِـــــــــــرِّ مِنِّي	اصْفَحْ بِفَضْـــــــــلِكَ عَنِّي
مَنَّيْتُ نَفْـــــــــسِي بِعَفْوِ	مَوْلاَيَ مِنْكَ وَمِـــــــــنِّي
وَكَانَ ظَـــــــــنِّي جَمِيـلاً	فَكُنْ إذًا عِنْدَ حُسْـــنِ ظَنِّي[1]

لقد سلك الشّعراء نهج المشرقيّين في الزّهد خاصّة في استعمال المعاني إذ استهلّ جلّهم أشعارهم بالحديث عن الموت والدّهر، مؤكّدين ضرورة العمل من أجل الآخرة محذّرين من الانغماس والاغترار بملذّات الدّنيا مادامت الآخرة خير وأبقى راجين من المولى عزّ وجلّ العفو والمغفرة ضاربين المثل بالأمم المعمّرة قبلهم، وكيف هلكت حتّى تكون عبرة لمن يعتبر.

ب. التّصوّف:

هو التّوق إلى لقيا الله تعالى، وهو حالة من العشق الإلهي الّذي لا يكون لأيّ غرض من الأغراض، بل هو حبّ منزّه من كلّ مكسب ومجرّد من كلّ مطلب، غايته الأسمى الحبّ السّامي ولا شيء غيره، ويتحقّق بمجاهدة النّفس وإدخالها في حالة من الزّهد المطلق، فالزّهد مرحلة أولى من التّصوف، وهو أوّل مراتب التّصوّف، وقد ظهر في العصر الأندلسي ونضج فيه حيث لعبت البيئة الّتي تشكّلت فيها ملامح القصيدة الصّوفية والمكان الّذي نما فيه معجم الشّعراء الصّوفيين، ودورا بالغا في إرساء شطحات القصيدة الصّوفية بمعجمها اللّغوي المتميّز، إذ تدور ألفاظه حول مناسك الصّوفية من حضرات ومجالس ذكر، ومن أبرز ألفاظ المعجم الصّوفي: المدامة، الكأس، السّاقي، النّشوة، الخمر الحضرة، الحب، الهُيام[2] المتصفّح لعصر المرابطين يجد حامل لواء التّصوّف محمد بن أحمد بن العريف الصنهاجي[3]

---

[1]- ينظر ديوان ابن الزقاق، ص 247.

[2]- ينظر أشعار صوفية محمد سالم،https://sotor.com/: تاريخ الولوج 20- 04- 2020على الساعة 1:32سا

[3]- ينظر تفاصيل حياته: مقدمة المحقق: مفتاح السعادة وتحقيق طريق السّعادة ، أبو العباس بن العريف، تحقيق عصمت دندش عبد اللّطيف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1993م، ص14.

الذي كتب كتاب مطالع الأنوار ومنابع الأسرار[1] قصائد تتحدّث عن حبّه الكبير للرّسول صلى الله عليه وسلم ،فمن يحبّه يتقرّب من الله وعشقه سكن الفؤاد وسرى في العروق ونبض به القلب لأنّه صافي ولا تكدره الشّوائب إذ يقول:

وَحَقُّكَ يَا مُحَمَّدُ إنَّ قَلْبِي   يُحِبُّكَ قُرْبَة نَحْوَ الإِلَـــــــهِ
جَرَتْ أمْوَاهُ حُبّكَ فِي فُؤَادِي   فَهَامَ القَلْبُ فِي طِيبِ المِيَاهِ[2]

ويواصل قائلا من نفس القافية ومعتمدا على المعجم الصّوفي في الكلمات: المستهام، الشّوق، الهيام الحنين الشغف.... حيث يرى أنّ الله نوّر بصيرته وبصره؛ فأصبح يعي الأمور الّتي كانت محجوبة عنه وقد تنوّر العقل بالشّغف والشّوق لرؤية الله تعالى وقد اطمأنّ قلبه لذلك وأحسّ براحة نفسيّة لا توصف:

فَصِرْتُ أرَى الأُمُورَ بِعيْنِ حَقٍّ   وَكُنْتُ أَرَى الأُمُورَ بِعَيْنِ سَاهِي
إذْ شُغِفَ بِهِ الفُـــؤادُ وِدَادًا   فَهلْ يَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرَاهُ نَاهِــي؟
يَهيمُ بِذِكْرِهِ وَيَهِيمُ شَـــــوْقًا   حَنِينَ المِسْتهَامِ إلَى المِلاَهِــي
يُخَامِرُهُ ارْتِيَاحٌ مِنْهُ حَـــــــتَّى   يَقُولَ أُولُو الجَهَالَةِ ذَاكَ لاَهِي[3]

ويواصل تعبيره بأنّ كلّ من أحبّ محمدا حبيب الله إلاّ وأحبّه الله ويجازي في الدّنيا بأن يعيش مسرورا وفي الآخرة يتبوّأ مقعدا مرموقا ويكون محبورا مجبورا بلغة بسيطة وألفاظ موحية معبّرة وحرف رويّ مناسب للتّعبير عن المكنونات عبّر:

وَمَا هُوَ حَقُّ فَضــــلٍ قَدْ رَآهُ   فَصَارَ يَجِدُ فِي طَـــلَبِ المِلاَهِي
فَسَوْفَ يَنَالُ فِي الدُّنْيَا سُـــرُورًا   وَفِي الدَّارِ الأَخِيرَةِ كُلَّ جَـــــاهِ

---

[1]- نفح الطّيب، المقّري، ج7، 497.
[2]- م ن، ص ن
[3]- م ن، ص ن .

وَيُعْطَى مَا تَمَنَّى مِنْ أَمَـــــــانٍ　　كَمَا قَدْ حَبَّ مَحْبُـــــوبَ الإِلَهِ[1]

ويصوّر أبو العباس بن العريف في نفحة صوفيّة لهفته، وهو يرقب وفود الحجيج تتقاطر فجرا ووجهتها البقاع المقدّسة؛ وقد غمره الشّوق والحنين لوطأة تلك الأماكن وزيارة قبر المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ولو منعه القدر من السّفر معهم إلا أن روحه ظلّت معلّقة بهم ويرى أنّ عذره يشفع له فتكتب له حجة بإذن الله إذ يعبّر قائلا:

شُدُّوا المطِيَّ وَقَدْ نَالُوا المنَى بِمِنَى　　وَكُلُّهُمْ بِأَلِيمِ الشَّـــوْقِ قَـــدْ بَاحَا

سَارَتْ رَكَائِبُهُمْ تَنْدَى رَوَائِحُهاَ　　طِيبًا بِمَا طَابَ ذَاكَ الوَفْدُ أَشْبَاحَـــا

نَسِيمُ قَبْرِ النَبِيّ المصْطَفَى لَهُمْ　　رُوحٌ إِذَا شَرِبُوا مِنْ ذِكْرِهِ رَاحَـــا

يَا وَاصِلِينَ إِلَى المخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ　　زُرْتُمْ جُسُومًا وَزُرْنَا نَحْنُ أرْوَاحَـــا

إنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ وَعَنْ قَدَرٍ　　وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَـــا

ومن المعجم الصّوفي وظف: الشّوق، ألم، البوح، الأرواح، كذلك نلمس إيمان الشّاعر القويّ بالقدر ورضاه بالقضاء الّذي منعه من الحجّ، وقد اختار حرف الرويّ المناسب للتّجربة الشّعورية الّتي عاشها وهي اللّوعة والشّوق لزيارة البقاع المقدّسة وحرف الهاء ترجمان مناسب للوجع والتألّم.

نلاحظ أنّ الشّعراء قد خاضوا في الزّهد وذكر الجنّة والنّار ترهيبا منها وترغيبا في رضوان الله تعالى لكن الإقبال على التّصوّف كان محتشما يرجع ذلك للتّزمّت الّذي كان الحكاّم وذوو السّلطة يرغمونه على النّاس؛ فرأيهم كان بترك كل ما يمسّ التّجسيد وخاصّة بعد إنزال العقاب بالخائضين في موضوع الإله والفكر الفلسفيّ وموقفهم البارز من كتاب إحياء علوم الدّين لأبي حامد الغزالي.

[1]– م ن، ص ن

ج. المديح النّبوي:

وهو كلّ شعر يهتمّ بمدح الرّسول الكريم (عليه صلوات الله وسلامه) بذكر صفاته الخلقيّة وتعداد مناقبه الخلقيّة مع إبراز شوق لقياه ولوعة زيارة الأماكن المقدّسة التي وطأتها قدماه الشّريفتان مع التّركيز على سيرته والإشادة بغزواته وصفاته والصّلاة عليه إجلالا وتكريما لسيّد الخلق أجمعين، وقد تداخل كثيرا مع التّصوّف وقصائد المولد النّبوي، ورصّعت القصائد في الشّعر ومثّلت المشاعر المتأجّجة بحبّ الرّسول الكريم، وقد نبعت عن صدق الشّعور وعمق الإيمان بالرّسالة المحمّديّة.

ومن الشّعراء الّذين أضناهم الشّوق لزيارة بيت الله الحرام، ولم يحقّقوا مبتغاهم نجد الشّاعر أبو بكر يحي بن بقي المعروف بالسّلاوي (ت 540هـ) [1] حيث يناجي القافلة الّتي قصدت البقاع المقدسة وقد حنّ لمنى حيث يكون محرما، وقد غطّى أعضاء جسمه، ويعرج على عرفات حيث تغفر الذّنوب جميعا ثم تختم المناسك بزيارة المدينة المنورة، وقد اكتحلوا برؤيتها آملين المغفرة من الله تعالى بعد رحلة طويلة وممتعة ونلحظ أنّ الشّاعر استقى الصّورة الشّعرية من المشارقة لأنّ الحجّاج بالمغرب وخاصّة الأندلس كانوا يركبون عباب البحر وصولا للمشرق ولم يستعملوا قوافل الجمال إذ يقول:

يَا حَدَاةَ العِيسِ مَهْلاً فَعَسَى	يَبْلُغِ الصَّبُّ لَدَيْـكُمْ أَمَلاَ
آهٍ مِنْ جِسْمٍ غَدَا مُسْتَوْطِنًا	وَفُؤَادٌ قَدْ غَـــــدَا مُرْتَحِلاَ
يَا رِجَالاً بَيْنَ أَعْـــلاَمِ مِنًى	الثُمُوا الأَسْتَارَ وَاسْعَوْا زَمَلاَ
وَقِفُوا فِي عَـــــرَفَاتٍ وَقْفَةً	تَمْحُوا عَنْ ذِي زَلَّةٍ مَا عَمِلاَ

[1]– ينظر ترجمته: تاريخ الأدب العربي، عمر فرخ ، ص 256.

وَإذَا زُرْتُمْ وَلاَحَــــتْ يَثْرِبُ فَاكْحِلُوا بِالنُّورِ مِنْهَا المقَلِ[1]

وزهد الشّاعر المخضرم أحمد بن الصّقر الخزرجي (ت 559هـ)[2]، حيث يناجي ربّه في أبيات يبيّن فيها عظيم سلطانه وبيّن أنّ العبد ضعيف مهما قويت شوكته وتشعّب سلطانه إلاّ أنّه ضعيف، وفقير إلى الله لا سلطان له، <<وهي طريقة لا ينفذ فيها إلا من قويت عارضته، وتوفّرت مادّته >>[3] من بحر الطويل مختارا الرّاء كحرف رويّ:

إلَهِي لَكَ الملْكُ العَظِيمُ حَقِيقَةً وَمَا لِلْوَرَى مَهْمَا مَنَعْتَ نَقِيرُ

تَجَافَى بَنُو الدُّنْيَا مَكَانِي فَسَرَّنِي وَمَا قَدْرُ مَخْلُوقٍ جَدَاهُ حَقِيرُ

وَقَالُوا فَقِيرٌ وَهُمْ عِنْدِي جَلاَلَةٌ نَعَمْ صَدَقُوا إنِّي إلَيْكَ فَقِيرُ

وفي مناسبة ودّع فيها قبر الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وتمنّى العودة، واصفا حاله الحزينة بمبارحة البقاع المقدّسة، وقد انهمرت الدّموع وكانت أحسن تعبير عن الحالة الشّعورية للحاج بمفارقة يثرب، الّتي ضمّت قبر عظيم خلق الله ﷺ، وتمنّيه العودة لو كُتب له ذلك من بحر البسيط أنشد:

حَسْبُ المحِبِّ مِنَ المحِبِّ سَلاَمُ يقْضِي بِهِ يَوْمَ الوَدَاعِ ذِمَامُ

رُحْنَا وَرَوْعُ البَيْنِ يَخْرُسُ نُطْقَنَا وَمِنَ الدُّمُوعِ إشَارَةٌ وَكَــلاَمُ

يَا أرْضَ يَثْرِبَ لاَعَدَاكِ غَمَامٌ أنْت المنَى لَوْ تُسْعِفُ الأَيَّامُ

---

[1]- ينظر: زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السّافر التجيبي المرسي أبو بحر صفوان ابن إدريس، تحقيق عبد القادر محداد، ط1، 1980م، دار الرّائد العربي، بيروت، ص 158- 159.

[2]- ينظر ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، موقع الوراق:http://islamport.com/ تاريخ الولوج: 23- 4 – 2020 على السّاعة 35: 1 سا، الأعلام، خير الدّين الزركلي، ج 1/، ص 146. http://shiaonlinelibrary.com/ تاريخ الولوج 23-4-2020عل الساعة :58 1 سا

[3]- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973، ج183/1، - 186.

قبْرٌ تَضَمَّنَ أَعْظَمَا تَعْظِيمَا عَنْهُ يَصِحُّ الدِّينُ وَالإِسْلاَمُ[1]

لقد عرف الشّعر الدّيني رواجا في عهد المرابطين حيث نفّس فيه الشّعراء عن مكنوناتهم من حبّ الله وعرض خلاصات تجاربهم إذ نطقوا بالحكم القاضية بالعودة لنهج الدّين؛ فهو السّبيل الأنجع للفوز بالجنّة والنّجاة من النّار ،ومنهم من حبّذ المديح النّبوي ؛فكان مهدا لّلبنات الأولى للشّعر الزّهد و التصوّف، وقد لمسناه نزرا في العهد المرابطي وربّما يرجع السّبب الرّئيس في ذلك لمنعه من الانتشار والذّيوع بين صفوف الشّعراء خاصّة بعد إحراق كتاب إحياء علوم الدّين وموقف الحكّام المتزمت منه، فقد همّوا بقتل الشّاعر أبو القاسم أحمد القيسي2 ممّا دفع ذلك الشّعراء لتجنّب الخوض في التأمّل الفلسفي والاكتفاء بالسّطحية في عرض أشعارهم اتّقاء لبطش الحكّام، وشعر المديح النّبوي ما هو إلاّ امتداد لغرض المدح وكان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم محور الثّناء عليه إمّا بذكر مناقبه وخصاله والثّناء عليه وإمّا بوصف شوق لقياه وتوق زيارة البقاع المقدّسة مقتبسين صور سفر الحجيج من البيئة الصّحراويّة ومن تعابير المشرقيّين عن السّفر، وأمّا اللّغة المعتمدة ؛فقد كانت بسيطة مناسبة لفهم العامّة ببحور متداولة قديما كالطّويل والبسيط وحروف الرّوي المناسبة لغرض الزّهد والمديح.

3- الرثاء:

إنّ الموت حقّ لا يمكن ردّه يحلّ ببني آدم كالصّاعقة تصيب الشّعور محدثة أثارا تحزّ في نفس الأحباب والأعزّاء وسرعان ما يهمّ الأهل في النّحيب وذكر مناقب المفقود، وقد برع الشّعراء أروع الوصف في التّعبير عن المشاعر والأحاسيس الّتي تهزّ الكيان وتحرّك

---

[1]- ينظر: أعلام المغرب العربي، عبد الوهاب بن منصور، الرّباط المكتبة الملكية، ط1، 1979، ص 213.

[2]- ينظر التفاصيل: تاريخ الأدب، عمر فروخ ، ص 59

الوجدان، وقد احتلّ غرض الرّثاء المكانة السّامقة في العهد الأندلسي بين الأغراض الأخرى، ولا غرو في ذلك فهو من الأغراض القديمة مادام أنّ الإنسان اجتماعي بطبيعته، ومن الشّعراء في عهد المرابطين الّذين نبغوا في هذا الغرض نجد: المعتمد بن عبّاد (ت488هـ)[1]،وابن اللّبانة (ت507هـ)[2]، والأعمى التّطيلي(ت 525هـ)[3]،وابن حمديس (ت527هـ)[4] وابن الزّقاق البلنسي(ت528هـ)[5]، وأميّة بن أبي الصّلت الدّاني

[1]– المعتمد بن عباد – سبق وأن أشرنا إليه في الفصل الأول، ملك إشبيلية اهتم بالشعر والشعراء قال عنه صاحب الذّخيرة: <<له شعر كما انشق له الكمام عن الزّهر، لو صدر مثله عمن جعل الشّعر صناعة، واتّخذ بضاعة، لكان رائعا معجبا، ناذرا مستغربا.>> ينظر ابن بسّام الشّنتريني، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم البدري، دار الكتب العلميّة، بيروت 1419هـ، مج 2/، ص 22.

[2]– ابن اللّبانة: هو محمّد بن عيسى بن محمد اللّخمي الدّاني، شاعر الوفاء قال عنه صاحب الذّخيرة: <<كان أبو بكر شاعرا يتصرف وقادرا لا يتكلّف، مرصوص المباني، ممتزج الألفاظ والمعاني، وكان من امتداد الباع والانفراد بالطّباع، كسيف الصّقيل الفرد، توحّد بالإبداع وانفرد >> ينظر المرجع السابق، م 3، ص 429.

[3]– هو أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي التّطيلي، شاعر وأديب قال عنه الفتح بن خاقان: <<له ذهن يبصر الغامض الذي يخفى، ويعرف رسم المشكل وإن عفا، جاء بالنّادر الّذي أعجز، وعطل التّطويل بالمقتضب الموجز>>، ينظر قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، الفتح بن خاقان، حقّقه وعلّق عليه حسين خريوش، مكتبة المنار الزرقاء (الأردن)، ط 1، 1989م، ص850.

[4]– هو عبد الجبار بن أبي بكر بن محمّد، شاعر صقليّة، قال عنه بن دحية:<< شاعر جيّد السّبك، مليح الاستعارة، حسن الأخذ، لطيف التّناول، رقيق حواشي المعاني، عذب اللّفظ.>>ينظر المطرب من أشعار أهل المغرب، بن دحية الكلبي، تحقيق ابراهيم الأبياري، وآخرون، راجعه، طه حسين، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1954م، ص 54.

[5]– هو علي بن إبراهيم بن عطية، لشعره تعشق بالقلوب وتعلق بالسّمع وأعانه على ذلك مع الطّبع القابل كونه استمدّه من خاله ابن خفاجة ونزع منزعه، قال عنه بن سعيد: << المطبوع بالإصفاق، وذو الأنفاس السّحرية الرّقاق، المتصرّف بين مطبوع الحجاز ومصنوع العراق >> ينظر المغرب في حلى المغرب، بن سعيد، حقّقه وعلق عليه: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د ت)، ج2/، 323،

(ت529هـ)[1]، وابن خفاجة (ت533هـ)[2] ولا شك كثيرون لم تصلنا أشعارهم ومراثيهم، فهل أضاف هؤلاء الشّعراء صبغة جديدة لمراثيهم؟ وما هو طابعهم الّذي تميّزوا به عن غيرهم؟

والمتتبّع لخطى الشّعراء يعترضه الشّاعر المبدع المعتمد بن عبّاد أمير إشبيلية الّذي جادت قريحته كثيرا في مجال الرّثاء بعد فقده لزمام الحكم ونفيه بعيدا عن موطنه –كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأوّل حيث نظم أبياتا يرثي فيها حاله وما آل إليه من ذلّ بعدما ذاق العزّ ردحا من الزّمن ممثّلا حاله بقمرية عبّرت بشجن عن فقدها لوكرها، وأمامها طائران يتمتّعان بعزّ وكرهما وحاله كحال الكثيرين الّذين فقدوا منازلهم وتشرّدوا عن أوطانهم من بحر الطّويل أنشد واصفا [3]:

بَكَتْ أنْ رَأَتْ إِلْفَيْنِ ضَمَّهُماَ وَكْرُ	مَسَاءً وَقَدْ أَخْنَى عَلَى إِلْفِهَا الدَّهْـــرُ
وَنَاحَتْ وبَاحَتْ فاسْتَرَاحَتْ بِسِرِّهاَ	وَمَـا نَطَــقَتْ حَرْفًـا يَبــــُوحُ بِهِ سِرُّ
فمَالِي لاَ أبْكِي، أَمِ القَلْبُ صَخـرَةٌ	وَكَمْ صَخْرَةٍ فِي الأَرْضِ يَجْرِي بِهَا نَهْرُ
بَكَتْ وَاحِداً لَمْ يُشْجِهَا غيْرُ فَقْدِهِ	وَأبْكِي لأُلّافٍ عَــــدِيـدُهُمْ كُثْـــرُ

---

[1]– هو أميّة أبو الصّلت بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الدّاني، كان متبحّرا في العلوم، وأفضل فضائله إنشاء المنثور والمنظوم، قال عنه عماد الأصفهاني:<<كل شعره منقّح ملقّح، ممدح مستملح، صحيح السّبك، محكم الحوك، نظيم السّلك >> ينظر خريدة وجريدة العصر، العماد الأصفهاني، حققه محمد المرزوقي وآخرون، قسم شعراء المغرب والأندلس، دار التّونسية للنّشر،تونس،ط3، 1983م، ج1/، 189.

[2]– هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة، شاعر الطبيعة الأول، وصفه ابن خاقان في جملة:<<تصرّف في فنون الإبداع كما شاء، وأتبع دلوه في الإجارة الرّشاء، فشعشع القول وروّقه، ومد في ميدان الإعجاز طلقه، نجاء نظامه أرق من نسيم العليل، وآنق من الرّوض البليل، يكاد يمتزج بالرّوح، وترتاح إليه النّفس كالفصّ المروح ... >> ينظر قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، الفتح بن خاقان، 739.

[3]– قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبو النصر الفتح بن خاقان، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار اليرموك، ط 1، 1989م، ص 86.

ويشير لفقده ابنيه المأمون والرّاضي قائلا[1] :

بُنَيٌّ صَغِيرٌ أوْ خَلِيلٌ مُرَافِـقٌ   يمَـزّقُ ذَا قَفَـــــــرُ وَيُغْرِقُ ذَا بَحْـرُ
وَنجْمَانِ زَيْنٌ للزَّمَانِ احْتَوَاهُـمَا   بِقُرْطُبَةَ النَّكـــــــدَاءُ أوْ رُنْدَةَ[2] القَبْـرُ
غَدَرْتُ إذًا إنْ ضَنَّ جَفْنِي بِقطْرَةٍ   وإنْ لؤمَتُ نَفْسِي فَصَاحبهَا الصَّبْرُ
فَقُلْ للنُّجُومِ الزُّهْرِ تبَكِيهِمَا مَعاً   لمِثْــلِهِمَا مَعاً فَلْتَحْزَنِ الأَنْجُمُ الزُّهْرُ [3]

لقد وجد القائل الصّعوبة في السّفر إلى المنفى، ناهيك عن الحالة النّفسية الصّعبة التّي اعترته أثناء تنقّله رفقة الأبناء والخلاّن متقحّمين غمار الفقر وعباب البحر الّذي قد يهلكهم ويغرقهم بين أمواجه المتلاطمة بعد أن أفل نجم السّعد عندهم وبزغ نجم النّحس والنّكد من قرطبة إلى منفى المرابطين الّذي أشارت له الدّراسات في أغمات مدينة المرابطين بالعدوة الأخرى، ولا مفرّ من هول الموقف بعد فقد نجليْه إلاّ الصّبر والجلد ولعلّها أشد التّجارب تأثّرا، وأكثرها إيلاما، جعلته ينعي ابنيه الفتح ويزيد في قصيدة نونيّة من بحر البسيط:

يَا غَيْمُ، عيْنِي أقْوَى مِنْكِ هُتَانَا   أبْكَى لحُزْنِي وَمَا حَمَلَتْ أحْزَانًا
وَنارُ بَرْقِكَ تخْبُو إثْرَ وَقْدَتِهَـا   وَنَارُ قـلْبِي تَبْقَى الدَّهْرَ بُرْكَانًا
نَارٌ وَمَاءٌ صَمِيمُ القَلْبِ أصْلُهُمَا   مَتَى حَوَى القلبُ نيرانًا وطوفانًا
بكيْتُ فتْحًا، فإذْ مَا رُمْتُ سَلْوَتَهُ   ثَوَى يَزِيدُ، فَزَادَ القَلْب نِيرَانًا[4]

[1]- ديوان المعتمد كتاب الكتروني https://archive.org/details/waq، ص 68.

[2]- معنى الرندة: مسجدة يبنى على قبر المرابطين والكلمة إسبانية Ronda ينظر https://torjoman.com/dictionary

[3]- م ن، ص ن

[4]- ديوان المعتمد م ن، ص 70، https://ia800605.us.archive.org

يصوّر الشّاعر حالة الحزن التي خيّمت على العائلة نتيجة فقده لابنه الفتح ثم يزيد من بعده ويخاطب الغيم بأنّ المدمع جاد بدموع فاقت نداه، كما عبّر عن حرّ الفقد بنار تأجّجت في قلبه وكأنّها بركان لا يخمد وبذلك جمع قلبه بين البركان والطّوفان فما لبثت النّفس على سلوان الفقيد الأوّل حتّى فُجعت لفقدها النّجل الثّاني والجمع بين المتناقضين أضفى جمالا على القول.

والقارئ يلمس المشاعر الجيّاشة للقائل ممزوجة بالرّضا بقضاء الله وقدره والصّبر على المصيبة الّتي ألمت به وبعائلته، ولما أحسّ بدنوّ أجله كتب أبياتا يرثي فيها حاله كيف استحالت حياته من الرّغد والبذخ إلى الأسر ودنو الشّأن من بحر البسيط:

قَبْرُ الغَرِيبِ سَقَـاكَ الرَّائِحُ الغَادِي ... حَقاً ظَفِرْتَ بِأشْـلاَءِ ابْنِ عَبَّـادِ

بِالْحِلْمِ، بالْعِلْمِ، بِالنُّعْمَى إِذَا اتَّصَلَتْ ... بِالْخَصْبِ إنْ أجْدَبُوا بِالرَيِّ لِلصَّادِي

بِالطَّاعِـنِ الضَّارِبِ إذاَ اقْتِتَلُـوا ... بِالموْتِ أحمْرَ، بِالضِّـرْغَامَةِ العَادِي

وَلمْ أكُنْ قبْل ذاَكَ النَّعْشِ أَعْلمُـهُ ... أنَّ الجِبَالَ تَهَـادَى فَوْقَ أَعْـوَادِ[1]

ملئت الأبيات بالعبر وتلخيص لمضمون الإنسان في هذه الحياة، من القوّة إلى الضّعف ومن السّيادة إلى الأسر والعزّ إلى الذّلّ وكلّ مصيرهم واحد وهو القبر وكلّ ما يتمنّاه ساكنه هو دعاء من وقف على رسومه منهيا حديثه ومذكّرا بالدّعاء بعد موته:

وَلاَ تَزَلْ صَلَوَاتُ اللهِ دَائِمَةً ... عَلىَ دَفِينِكِ لاَ تُحْصَـى بِتِعْدَادِ[2]

رثى الشّاعر في أبيات كثيرة نفسه على حاله الّتي وصل إليها بعد العيش في بلهنية واستحال الأمر بين سجن الأسر، وبُعد عن الأهل والأحباب والخدم والحشم ومكلوما لأنّه

[1]- م ن، ص 96.

[2]- ديوان المعتمد، م ن ، ص 96 .

فقد أعزّ نور عينيْه نجليْه –كما ذكرنا آنفا– وما أدرجناه من الأبيات ماهي إلاّ نزر ممّا فاضت قريحته وإنّما اخترنا نماذج لنشير أنّ الرّثاء عند المعتمد في عهد المرابطين اقتصر على نوعين رثاء الحال ورثاء الأحباب والأبناء.

وفي رثاء تلاشي حكم بني عباد كتب الشّاعر ابن اللّبّانة ديوانا في ذكر أمجاد بني عباد وسمه بنظم السّلوك في وعظ الملوك [1] من بحر الكامل تحسّر عن ضياع ملكهم، وتسبّب في لوعة بالقلب وأسى حتّى فاضت عيناه من الدّموع لفرط الحزن كالسّيل بلغ الزّبى:

وَقَفَ الفِرَاقُ أَمَامَ عَيْنِي غَيْهَــــباَ فَقَعَدْتُ لاَ أَدْرِي لِنَفْسِي مَذْهَبَا

يَا مَوْقِدًا بِجَوَانِحِي نارَ الأَسَــــــى رِفْقاً فَمَاءُ الدّمْعِ قدْ بَلَــغَ الزُّبَى

نَبَتَ الصّبَا فِي صَحْنِ خدّكِ رَوْضَةً لوْ لمْ يدب الصَّدْغُ فِيهَا عَقْــرَبَا

وَكَفَاكَ حَبْسُ الحُسْنِ نَوْعَيْهِ فمـنْ بردٍ أذْيب وَمِنْ عَقِيقٍ ألْهَبَـــــا [2]

ولقد خصّ ابن اللّبّانة المعتمد بالرّثاء على ملكه الضّائع وكتب فيه أبياتا من بحر الطّويل يصف فيها استحالة العيش في المكان بعد أن برحه المعتمد متمنّيا عودته إلى سابق العهد ولات يكون ذلك:

بُرُوقُ الأمَانِي دُونَ لُقْيَاكَ خَلَبُ وَمَشْرِقُ أُفقٍ لمْ تَلُـــــــحْ فِيهِ مَغْرِبُ

عدمتُ مُرَادِي فِيكَ لاَ الماءُ نَافِعٌ وَلاَ الظِلُّ مَمْدُودٌ وَلاَ الرَّوْضُ مُخْصِــبُ

ولاَ أنَا فِي تلْكَ الحَدِيقَةِ زَهْـــرَةٌ وَلاَ أنَا فِي تلْكَ المجَرَّةِ كَوْكَـــــــبُ

سَقَى اللهُ عَهْدًا كُنْتَ صَيّبَ عَهْدِهِ بِمِثلِ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَسْقِي وتَشْرَبُ [3]

[1]– ابن اللّبانة الدّاني، ديوان ابن اللبّانة الدّاني، جمع، وتحقيق: محمد مجيد سعيد، دار الرّاية، عمّان، ط2، 2008، ص 14

[2]– م ن، ص 23.

[3]– م ن، ص 26

وتظهر الثّقافة الواسعة للأعمى التّطيلي حين ينهي تأبينه لخليله عبيد الله بحكم تدلّ على فهمه الواسع لحقيقة الحياة مستقيا أفكاره من أسطورة لقمان بن عاد ونسره لُبَد[1] إذ يقول:

تَنَافَسَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَقدْ عَلِمُوا   أنْ سَوْفَ تَقْتُلُهُمْ لَذَّاتُهُـــــــــمْ بَدَدَا

تَبَادَرُوهَا وَقَدْ آذَتْهُمْ فَشَـــــلاً   وَكَاثَرُوهَا وَقَدْ أحْصَـــــــتْهُمْ عَدَدَا

قُلْ لِلْمُحَدِّثِ عَنْ لقْمَانَ أوْ لُبَـدِ   لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ لُقْمَـــــاناً وَلاَ لُبَــدَا

وَللّذِي هَمُّهُ البُنْيَانُ يَرْفَعُــــــهُ   إنَّ الرَّدَى لمْ يُغَادِرْ فِي الشَّرَى أَسَــــدَا

وَمَا لابْنِ آدَمَ لاَ تفْنَى مَطَالِبُـــــهُ   يَرْجُو غَدًا وَعَسَى أنْ لاَ يَعِيشَ غَــدَا[2]

لقد اغتنم الشّاعر فرصة تأبين خليله الّذي أثّر في خواجه ليمرّر رسالة للنّاس أنّ الدّنيا فانية ولا يفلح فيها إلاّ من يعمل عملا صالحا، فلا ينفع مال ولا بنيان ولو نفع لخلد لقمان ونسره لُبد ؛ فقد عمّرا طويلا ولكنّهما آلا إلى ما آلت إليه كلّ المخلوقات، وهنا تظهر ثقافة الشّاعر في نهل المعلومات وحسن توظيفها، اعتبارا بالأمم السّابقة، والقارئ لمراثي الأعمى التّطيلي يلحظ أنّه اقتفى نهج طريق القدامى في رثاء مفقوديهم في الرّثاء كما نوّه بذلك ابن بسّام :<< من ضربهم بالأمثال في التّأبين والرّثاء بالملوك الأعزّة وبالوعول الممتنعة في قلل الجبال والأسود الخادرة في الفيافي، وبالنّسور والعقبان والحيّات في طول الأعمار وغير ذلك ممّا هو في أشعارهم موجود[3]. >>إنّ القول مناسب جدّا لما عبّر عنه الشّاعر ويوحي بأنّه متأثّر بالقدامى في توظيف بيئتهم في أشعارهم.

---

[1]- ينظر تفاصيل القصة: كتاب التيجان في ملوك حمير عبد الملك بن هشام:-https://al maktaba.org/book

[2]- ديوان الأعمى التّطيلي، م ن، ص 58.

[3]- ابن بسام، الذّخيرة، ق 1، م 2- 315، نقلا: عن محمد مجيد السّعيد، الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين،ص 332

أ. رثاء الأهل:

ويختلف رثاء الأهل عن الأحباب في تأجّج المشاعر وطفحها بارزة في القريض من أمثلة ذلك قصيدة رائعة من بحر المتقارب، وقد ألّفها ابن حمديس الصّقلّي[1] حين مات والده بصقليّة ووصله نعيه، فراح يعبّر عن حاله مستقيا ومتضمّنا مطلعها من القرآن الكريم:

يَدُ الدَّهْرِ جَارِحَةٌ آسِـــيَهْ   وَدُنْيَاكَ مُفْـنِيَةٌ فَانِيَـــهْ

وَرَبُّــكَ وَارِثُ أرْبَابِهـــا   وَمُحْيِي عِظَامَهُمْ البَالِيـــهْ

رَأَيْتُ الحِـمَامَ يَبِيدُ الأَنَامَ   وَلَدْغَتُهُ مَا لَهَا رَاقِيَـــهْ

وَأَرْوَاحُـنَا ثَمَرَاتٌ لَـــهُ   يَمُدُّ إِلَيْهَا يَـــدًا جَانِيَهْ[2]

نهل الشّاعر قوله من سورة الرّحمن:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ[3]﴾ وضمّن كذلك قوله تعالى: ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ[4]﴾ وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ[5]﴾يقرّ الشّاعر حقيقة لايمكن غفلها، حتىّ يواسي نفسه من ألم فراق والده وأنّ كل نفس ذائقة الموت، وكل سيرحل ويفنى ولن يبقي الموت على أحد، فهو يجني الأرواح كجني الثّمار ويبقى الواحد الأحد ذو الجلال والإكرام، وقد شخّص للموت يد وتقطف الأرواح على سبيل الاستعارة المكنية، وقد مكّن التّجسيد من توجيه اللّوم والعتاب للدّهر الّذي خطف والده، ويصوّر لحظة تلقّيه الخبر المفجع بقوله:

أَتاَنِي بِداَرِ النَّوَى نَعْيـــهُ   فَيَا رَوْعَةَ السَّمْعِ بِالدَّاهِيَـــهْ

---

[1]- ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق وتقديم: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط 2، 1433 هـ، ص255.

[2]- ديوان ابن حمديس الصّقلي، ص255.

[3]- سورة الرّحمن الآية 26-27

[4]- سورة يس الآية 78

[5]- سورة يس الآية 79

فَحَمِرَ مَا ابْيَضَّ مِنْ عَبْرَتِـي وَبْيَضَّ لِمَـتِي الدَّاجِيَـهْ
بِدَارِ اغْتِرَابٍ كَأَنَّ الحَيَـاةَ لِذِكْرِ الحَبِيبِ بِهَا نَاسِيَـهْ
فَمَثَّلْتُ فِي خَلَدِي شَخْصَهُ وَقَرَّبْتُ تُرْبَتَهُ القَاصِـيَهْ[1]

ولهول الخبر فقد احمرّت عيناه بكاء، وابيضّ شعره بالشّيب حزنا على فقيده، وما زاد لوعة الفراق والبعد بدار الغربة، ولم يجد من يشاطره حزنه ويشدّ أزره؛ وقد تخيّل أنّه قرّب تربته ليشفي غليل اللّوعة، ويسقي ظمأ الشّجن، وقد وظّف بحر المتقارب المناسب لغرض الرّثاء فهو يوحي بمشية المعزّين أثناء التّشييع متفاعلن متفاعلن متفاعلن×2 كما ساهم اختيار حرف الرّوي الرّاء في تجسيد الحالة الشّعورية الصّعبة الّتي أحسّها الشّاعر، والمعبرّة عن الآهات والأنّات الّتي يلفظها المتوجّع.

ولم يقتصر رثاء ابن حمديس على أهله بل رثى جارية تدعى جوهرة له ماتت غريقة في المركب الّذي عطب به في خروجه من الأندلس إلى إفريقيا[2] معبّرا عن حزنه العميق إثر فقدها معدّدا مناقبها وشعوره الجيّاش حيالها حيث قال من بحر البسيط:

مَا خِلْتُ قَلْبِي وَتبْرِيحِي يَقْـلِبُهُ إِلاَّ جَنَاحَ قَطَاةٍ فِي اعْتِقَـالِ شَرَكِ
لاَ صَبْرَ عَنْكِ وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكِ وَقَدْ طَوَاكِ عَنْ عَيْنِي المَوْجُ الَّذِي نَشَرَكِ[3]

والخلاصة أنّ الشّاعر في جميع مراثيه نهج السّبيل نفسه، حيث ذكر مناقب الفقيد ليؤكّد في الأخير التّحلّي بالصّبر والسّلوان لأنّه لا مفرّ منه، كما يؤكّد حقيقة واحدة هي

---

[1]- ديوان ابن حمديس الصقلّي، ص 523.
[2]- ديوا ن ابن حمديس: ذكر في رثاء الجارية ثلاثين بيتا، ص 213.
[3]- م ن، ص 213.

أنّ الإنسان وإن عمّر ردحا من الزّمن سيأتي يوم الرّحيل ضاربا مثال عاد في التّعمير، يقول الله تعالى :﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا.[1] ﴾

ومن رثاء الأحباب وجدنا الشّاعر الأندلسي لم يتحرّج في رثاء زوجاته، إذ اعتبرها الدّين النّصف الثّاني لزوجها وسكنه ألّذي لا يمكنه إنكاره في تخطّي صعوبات الحياة كما هو الحال لابن الزّقّاق الّذي رثى زوجته درّة من بحر الطويل:

أظَاعِنَةً وَالحُزْنُ لَيْـــسَ بِظَاعِنٍ	لقدْ أوْحَشَ الأَيّاَمَ يوْمُ نَــــواكِ
نَوًى لاَ يَشُدُّ السَّفَرُ رَاحِلَةً لَهَـــا	وَلاَ تَشْتَكِيهَا العِيسُ ليْلَ سرَاكِ
وَلكِنَّهَا تَطْوِي المِحَاسِنَ فِي الثَّرَى	فَياَ حُسْنُ مَا يُطْوَى عَلَيْهِ ثَرَاكِ
فَيَا دُرُّ إنْ أمْسيْتِ عُطْلاً فَطَالَمَا	غَداَ الدُّرُّ وَاليَاقُوتُ بَعْضَ حُلاَكِ
وَيَا زَهْرَةً أذْوَى الحِمَامُ رِيَاضُهَا	لَقْدْ فجعَتْ كَفُّ الحِمَامِ رباكِ[2]

ب.رثاء الدّواب و الأثاث

ولم يقتصر الشّاعر المرابطي على رثاء الإنسان بل قد تجاوزه لرثاء الحيوان والأثاث فيروى عن عبد الله بن المظفر [3] أنّه ألّف ديوانا في الشّعر سمّاه (نهج الوضاعة لأولي الخلاعة) <<رثى فيه أنواعا من الدّواب وأنواعا من الأثاث وخلقا من المغنّين والأطراف[4]>> ورثى أبو محمد المصري[5] مهرا أُخذ له وقيل له أنّ الذئب أكله فأنشد من بحر البسيط:

---

[1]- سورة الفرقان الآية 36.

[2]- ديوان ابن الزقاق، ص 227.

[3]- عبد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الأندلسي، مات عام 549هـ، ينظر ترجمته: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري، ج /2، 637.

[4]- م ن، ص 638.

[5]- عبد الله بن خليفة القرطبي المصري، اشتهر بالطّبّ ورواية الشّعر مات سنة 496هـ ينظر ترجمته: معجم الأعلام، الزركلي، ج 4/، ص85.

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَهْرٍ تَعَمَّـــــــدَنِي	بِالنَّائِبَاتِ فَلاَذَتْ بِي يَدُ النُّوبِ
حَتَّى بِمَهْرٍ هَضِيمِ الكَشْحِ[1] ذِي هَيفٍ[2]	كَأَنَّ أَجْزَاءَهُ جَأبٌ عَلَى نَسَبِ
يَا يُوسُفَ الخَيْلِ يَا مَقْتُولَ إِخْوَتِــــــهِ	قَلْبِي لِفَقْدِكَ بَيْنَ الحَرْبِ وَالحَرَبِ
إِنْ كَانَ يَعْقُوبُ لَمْ يَقْنَعْ بِكَذِبِهِـــــــمْ	إِنِّي لأَقْنَعُ مِنْهُمْ بِالدَّمِ الكَذِبِ[3]

يشير الشّاعر للنّوائب الّتي طوّحت به، بعد فقده لمهر استقامت ضُلُوعُهُ وَدَخَلَتْ أَعَالِيهَا، ضَامِرُ البَطْنِ، وقد شبّه النّوائب بالإنسان الذي يبطش به فحذف المشبّه وأبقى على قرينة لفظيّة دالّة عليه وهي اليد على سبيل الاستعارة المكنية أثرها تقوية المعنى وتوضيح الفكرة، وما برح يعزّي قلبه بفقدانه المهر الّذي أوهموه أن الذّئب قتله، وفي البيتين تناصّ دينيّ مع قصّة يوسف عليه السّلام وإخوته مع الذّئب، عندما ادّعى إخوته أنّ الذّئب أكله فلطّخوا قميصه دما، وهو يؤكّد أنّه مقتنع بأنّ الأمر كذب حتىّ وإن رأى الدّم، وقد اختار للأبيات بحر البسيط المناسب لتقرير الحقائق، وحرف الباء الانفجاري في صفاته الملائم لهيجان مشاعره نتيجة الفقد، وما يمكننا استخلاصه أن الشّاعر المرابطي تجاوز رثاء الأشخاص لرثاء الحيوان وخاصّة صلته الوشيجة بالمهر رفيق الإنسان الوفي، وقد عبّر بصدق عمّا جاش في خاطره من وجْد.

ج. رثاء الملوك:

وبما أنّ الفترة عرفت اضطرابات كثيرة في الحكم منذ تولّيها زمامه، فقد تهاوت دول الطّوائف الواحدة تلو الأخرى.

---

[1]- الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي، المعجم الوسيط، مادة كشح

[2]- أي الضامر، المعجم الوسيط، مادة هيف

[3] – ابن بسّام الشّنتريني، الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م /4، ص 210.

وكذلك رثى عزّ الدّولة بن المعتصم بن صمادح[1] حاله وما آلت إليه أيّام عزّه من بحر الطّويل:

لَكَ الحَمْدُ بَعْدَ المُلْكِ أَصْبَحَ خَامِلاً ... بِأَرْضِ اغْتِرَابٍ لاَ أَمِـرُّ وَلَا أَحْــــلِي

طَرِيدًا شَرِيدًا لاَ أُؤَمِّلُ رَجْـــــعَةً ... إِلَى مَوَاطِنٍ بُوعِدْتُ عَنْهُ وَلاَ أَهْـــلِ

وَقدْ كُنتُ مَتْبُوعًا فَأمْسَيْتُ تَابعًــا ... لدَى مَعْشَرٍ لَيْسُوا بِجِنْسِي وَلاَ شَكْــلِي

وَقَدْ كُنْـــتُ عِزًّا بِالزَّمَانِ وَصــرْفِهِ ... فَقدْ بَانَ قَدْرُ العِـــزِّ عِنْدِي وَالـــذُّلِّ

عَزَاءً فَكَمْ لَيْثٍ يُصَـــــادُ بَغِيلِهِ[2] ... وَيُصْبِحُ مِنْ بَعْدِ النَّشَاطِ لَفــــِي حَبْلِ[3]

نلاحظ الرّثاء دائما ممزوجا بالحكمة والعودة إلى الله حين يحمده الشّاعر على البلاء الّذي حلّ بهم بعد الأسر وضياع الملك والبعد عن الأهل والأحباب، واستحالت العزّة ذلّة ضاربا مثله باللّيث الّذي كبّل وعُقِل بالحبال بعدما كان يصول ويجول، الصّورة تشبيه ضمنيّ أثره تقوية المعنى وتوضيح فكرة العلاقة الوطيدة بين حاله وحال الأسد بعد ضعته.

د. رثاء المدن

وأخيرا فقد جاء رثاء المدن في عهد المرابطين واحتلّ مكانة معتبرة في دواوين الشّعراء؛ فأكثروا من النّحيب والنّدب والتّفجّع على فقد المدن في قبضة المرابطين، كما عُرفوا بلوم الدّهر وتقلّباته غير مهملين التّمسّك بعروة الله الوثقى والتّحلّي بالصّبر والجلد

---

[1] هو عبيد الله بن المعتصم بن صمادح، قال عنه بن سعيد:<< قمر عاجله المحاق قبل التّمام، فنثر من يديه ما كان عقده أبوه من ذلك النّظام، وقد كان خصه بولاية عهده، ورشحه للملك من بعده، وآل أمره إلى أن حل ببجاية في دولة بني حماد مستوحشا >>ينظر المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، ج2/، ص 201.

[2]- الغيل: موضع الأسد. القاموس الوسيط المادة: غيل

[3]- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج 2، ص 201.

لمواجهة الشّدائد، ولقد تميّز هذا اللّون الأدبيّ بصدق العاطفة لصدق الشّعور المتأجّج في الوجدان.

4-المدح:

يعدّ المدح من الأغراض القديمة التي استهوت الشّعراء لتعداد مناقب الممدوح والتّقرّب منه ولقد انصرف المرابطون عن الشّعر في بداية عهدهم لانشغالهم بأمور جمّة منها استتباب الأمن في العدوتين والتّحكّم في زمام الأمور ممّا جعلهم ينصرفون لأجل إرساء أقدامهم ولما حكم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين ازدهرت الحركة الأدبية في عهده بعد اهتمامه وتشجيعه للشّعر والنّثر على حدّ سواء، فتقاطر الوفود من أهل الأندلس على بلاطه تقرّبا منه خاصّة وأنّهم عهدوا ملوك الطّوائف يهتمّون لذلك ومن أبرز الشّعراء في هذا الباب الأعمى التّطيلي، الّذي احتلّ الصّدارة في هذا المضمار حيث اتّخذ قريضه كوسيلة للتّقرّب من الحكّام والفقهاء والقضاة فكان شغله الشّاغل استرضاء الممدوحين ومن هؤلاء الأمير علي بن تاشفين الّذي قال في حقّه قصيدة جمعت في ديوانه تجاوزت الثّمانية والسّبعين بيتا أشاد فيها ببطولات الممدوح وخصاله وشيمه الرّاقية قولا وفعلا، وقد ورثها عن سابقيه:

يَا عَلَيّ العُلاَء فِي كُلِّ يَوْمٍ والمعَالِي بِهِ فِي كُلِّ الأَحْـوَالِ

يَا رَبِيعَ البِلاَدِ يَا غَيْمَةَ العَا لَمِ مِـنْ بَيْن مُـؤْتـلٍ وَمُــوَالِ

ياَ قَرِيعَ الأَيَّامِ عَنْ كُلِّ مَجْدِ يَا سَـــلِيلَ الأَذْوَاءِ وَالأَقيْاَلِ

لَكَ مِنْ تَاشْفِينَ أَوْ مِنْ أَبِي يَعْقُوبٍ ذِكْرَ مَكَارِمٍ وَفِعَالِ[1]

[1]- ينظر ديوان الأعمى التّطيلي، تحقيق محي الدّين ديب، ص 127

وأبيات كثيرة خصّها الشّاعر لمدح عليّ منها ميميّة فاقت السّبعين بيتا من بحر الخفيف حيث ذكر فيها بأس وشجاعة الأمير في الصّول في ساحة الوغى وحكمته السّديدة في تسيير أمور البلاد جعلته يتبوّأ المراتب العليا يقول في مطلعها:

طَلِيعَةُ جَيْشِكَ الرُّوحُ الأَمِينُ   وَظِلُّ لِوَائِكَ الفَتْـــــحُ المبِــينُ
وَهَزَّةُ رُمْحِكَ الظُّفْرُ المـــوَاتِي   وَرَوْنَقُ سَيْفِـــــكَ الحَقُّ اليَقِينُ

كما حظي الأمير أبو يحي[1] بمدح الأعمى التّطيلي حيث أنشد من بحر الطّويل نونيّته يشير إلى حبّه الكبير له، وقد مال له لشيمه الشّهمة وخلقه الكريم الّذي غمر النّاس بحبّه وعطفه من شتّى فئات المجتمع، فهو بمثابة المنجي من الغرق على يده رست الأوضاع وزادت ببذل عطائه، وهنا إشارة للتكسّب حتّى يغدق عليه من كرمه إذ يشيد:

أَقُولُ وهَــزَّتْنِي إِلَيْـكَ أَرِيحَةٌ   كَمَا مَالَ غُصْــنٌ أَوْ تَرَنَّح نَشْوَانُ
يَجِدُ بِقلْبِي حُبَّهُ وَهُـوَ لاَعِبٌ   وَيَبْعَثُ هَمِّي ذِكْرُهُ وَهُـــوَ جَذْلاَنُ
وُجُودُ أَمِيرٍ كُلَّمَا مَرَّ ذِكْــرُهُ   فَهَاتِ اسْقِنِي إنَّ الأَحَـادِيثَ أَلْحَانُ
فَتًى قَلَّمَا تَلْقاهُ إلاَّ مُرَحِّبًا   تَلُوذ بِحَـــــــقَوَيْهِ كُهُولٌ وَشُبَّانُ
وَلاَ هُوَ نُوحٌ غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُهُ   وَرَأَفْتُــــهُ جُودِي وَجُودَاهُ طُوفَانُ[2]

اتّجه شعراء كثيرون صوب مدح الأمراء لنيل البذل والحظوة الحسنة عندهم من هؤلاء نجد ابن حمديس الصّقلي الّذي مدح الأمير يحيى بن تميم بن المعزّ[3] حيث شبّهه بالشّهاب في الدّجى والسّراج الوهّاج بل العروس المتزيّنة بأحلى الحلل ناهيك عن روحه

---

[1]- أبو زكريا يحي بن علي بن يوسف المسوفي الشّهير بيحيي بن غانية المتوفي سنة 543هـ ينظر: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، حسن أحمد محمود، ص455.

[2]- ينظر ديوان الأعمى التّطيلي، ص 235.

[3]- الممدوح أبو الطاهر يحي بن تميم بن المعز بن باديس، صاحب إفريقيا، ينظر ديوان ابن حمديس الصقلي، ص 45

الخفيفة الّتي تألفها القلوب وتنجذب إلى الأرواح فهو أهل العزّ والكرم والجود أبا عن جدّ من بحر الرّمل أشاد

أَ شِهَابٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ ثُقْبُ أَمْ سِرَاجٌ مَاؤُهُ نَـــــارُ العِنَــــبْ
أَمْ عَـرُوسٌ فَوْقَ كُـرْسِي يَدي يَجْتَلِيهَا اللَّهْوُ فِي عُقَدِ الحُبَـــــبْ
يَا شَقِيقَ النَّفْسِ أنْفَاسُ الصَّبَا بَرَدَتْ وَالصُّبْحُ لاَشَكَّ اقْتَــــرَبْ

وبالموازاة مع ذلك فقد بقي بعض الشّعراء مخلص الولاء لملوك الطّوائف بل وعمد إلى مدحهم رغم أفول نجمهم-كما فعل-أبو بكر بن اللّبّانة حين سيق المعتمد بن عبّاد رفقة أهله إلى أغمات فراح يستذكر عزّه وسؤدده قائلا:

تَبْكِي السَّمَاءُ بِمُزْنٍ رَائِحٍ غَـــادِي عَلَى البَهَالِيلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَــــبَّادِ
عَلَى الجِبَالِ التّي هَدَتْ قَوَاعِدُهَـــا وَكَانَتِ الأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتِ الأَوْتَادِ
يَا ضَيْفُ أَقفَرَ بَيْتُ المِكْرُمَاتِ فَخُذْ فِي ضَمِّ رَحْلِكَ وَاجْمَعْ فُضْلَةَ الزَّادِ
يَا مُؤَمِّلُ وَادِيهِمْ لِيَسْـــــكُنَـــهُ خَفَّ القَطِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالوَادِي
وَأنْتَ يَا فَارِسُ الخَيْلِ الَّتِي جَعَلَتْ تَخْتَالُ فِي عَدَدٍ مِنْهُمْ وَأعْـــدَادِ[1]

لقد أثّرت شخصيّة ابن عبّاد في الشّعراء حتّى مدحوه بعد انقلاب أحواله وهذا دليل على مدحهم الذي طُعّم بالعاطفة الجياشة والمشاعر الفيّاضة رغم بطش المرابطين وتنكيلهم بمن أظهروا الولاء لغيرهم.

ووصل المديح إلى العلماء الفقهاء لمكانتهم السّامية في دولة المرابطين، فهذا الأعمى التّطيلي يمدح القاضي الفقيه ابن أحمد قاضى الجماعة بقرطبة المعروف بابن حمدين، حيث وصفه بالشّجاعة وقوة الجيش من بحر البسيط أنشد:

---

[1]- م ن، ص 85.

إلَيْكَ ابْنَ حَمْدِينٍ وَإِنْ بَعُدَ المدَى وَإِنْ غَرَّبَتْ بِي عَنْكَ إِحْدَى المغَارِبِ

صُبَابَةُ وِدٍّ لَمْ يُكَدِّرْ جِمَامَــــهُ مُرُورَ اللَّيَالِي وَازْدِحَـــامَ الشَّوَائِبِ

وَذِكْرُ عَسَاهَا أنْ تَكُونَ مــهَزَّةً تَرَى عَلَى أَعْقَابِهِ كُلَّ شَـــاغِبِ

بِأَيةِ مَا كَانَ الهَوَى مُتَقَـــارِبًا وَخَطْوِيَ فِيهِ لَيْـــسَ بِالمتَقَارِبِ

صُبَابَةُ وِدٍّ لمْ يُكَدَّرْ جِمَامُـــهُ مُرُورَ اللّيَالِي وَازْدِحَامَ الشَّوَائِـــبِ[1]

لقد حظي بن حمدين بمدح وإعجاب شعراء الأندلس لأنّه مثّل قضاء قرطبة، لبس ثياب العلم والأدب والهمّة والشّجاعة ناهيك عن حمله لواء الشّخصية الوطنيّة الّتي تزعّمت الثّورة القوميّة في قرطبة سنة 539هـ[2] وهو بذلك أمسك قطبين حسّاسين السّيف والقلم فخاض المعركتين ببسالة وثبات وفي هذا المضمار أشار الأعمى التّطيلي من بحر البسيط:

اسْتَوْفِ شَأْوَيْكَ: مِنْ عِزٍّ وَتَمْكِينِ وَاذْهَبْ بِحَظَّيْكَ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ

وَافْرَغْ لِشَأْنَيْكَ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ كَرَمٍ بَطْشٌ شَدِيدٌ، وَمِنْ غَيْرِ مَمْنُونِ

وَارْتَحْ إِلَى الحَمْدِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ فَإِنَّهُ خَلْـقٌ مِنْ آلِ حَمْـــدِين

أَقْمَارُ حُسْنٍ وَإِحْسَانٍ، أُسُودُ شَرى وَغَاثَة، مُزْنُ تَأْمِــــيلٍ وَتَأْمِينِ

مَا شِئْتَ فِي السِّلْمِ مِنْ حِلْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَفِي لَظَى الحَرْبِ أَمْثَالُ المجَانِينِ[3]

ومن مادحي أبي العلاء ابن زهر (ت 525هـ) الشّاعر ابن خفاجة حيث يشيد بخصال الممدوح وكرمه وإن طلب للخوض في ميدان الوغى، فهو لها وقد ورث الشّرف والرّيادة عن آبائه وأجداده من بحر المتقارب كتب:

تَصُوبُ السَّمَاءُ إِذَا مَا حَبَا وَيُمَثِّلُ رَضْوَى إِذَا مَا احْــــتَبَى

---

[1]- ديوان الأعمى التّطيلي، ص 38-39.

[2]- ينظر التّفاصيل: الشعر في عهد المرابطين والموحّدين، محمد مجيد السّعيد، ص 91.

[3]- الأعمى التّطيلي، ديوانه، ص 220.

وَتَعْشُو الضُّـيُوفُ إِلَى نَارِهِ فَتَلْقَى هُنَاكَ أَلَّا مَرْحَـــــــبَـــا

وَتَمْضِي بِهِ فِي الوَغَى نَجْدَةً مَضَى السَّيْفُ فِي كَفِّهِ أَوْ نَـبَا

فَتَرْضَى الصّـوَارِمُ عَنْهُ أَخًا وَتَشْكُرُ مِنـــــــــهُ المِعَالِي أَبَا

تَطُولُ السَّـــــــمَاءُ بِآبَائِهِ وَتُحْصِي بِهِمْ كَوْكَبًا كَوْكَـــبَا[1]

ويواصل بالإشارة للمشاكل التي أرّقت الممدوح سالفا وكيف استطاع تجاوزها بفضل صرامته وحسن تدبيره للأمور[2]، فهمّ المهنّئون لأنّهم فرحوا بتولّيه المنصب الأعلى في الدّولة:

تُقِلُّ الوِزَارَةُ فِي حَقِّـــــــهِ وَتَنْزِلُ عَنْ قَدْرِهِ مَنْـــــــصِبا

وَتَنْقَادُ غُرَّ المِعَالِي لَـــــــهُ فَيَقْتَادُهَا مِقْنَبًا مِقْنَـــــــبَا

وَيَلْأَمُ شَتَّى العُلَى وَالحِلِىَ عَلَى حِينِ أَصْبَحْنَ أَيْدِي سَبَا

تَوَالَتْ رِقَاعُكَ تَتْرَى بِـهِ وَشُكْرِي لَهَا مَوْكِبًا مَوْكِبـــــــا

تَرَكْتُ القُلُوبَ لَهُ مَرْبِطًا وَصَدْرُ النَّدِيّ بِهِ مَلْــــــعَبَا[3]

كما مدح ابن زهر آخرون أمثال ابن بقي[4] وابن خلصة[5] النحوي وغيرهم كثيرون[6]وإذ كانت نظرتهم له نظرة إجلال وإكبار لأنّه شخصيّة وطنيّة استحوذت على قلوب العامّة بفضل خصاله الحميدة وعلمه وأدبه وبسالته ضف إلى ذلك عراقة أصله الكريم.

---

[1]- ديوان ابن خفاجة، ص 55.

[2]- ينظر التفاصيل: البيان المغرب، ابن عذارى، ج 4/، ص 65، 66.

[3]- ديوان ابن خفاجة، ص 56.

[4]- ينظر الذّخيرة، الشّنتريني، ج 2، 382

[5]- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصبهاني قسم شعراء المغرب ج/ 2،المكتبة الشّاملة رابط الكتاب ،2021م، ص 37

[6]- ينظر الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين، محمد مجيد السّعيد، ص 91.

ولقد كان المدح كثيرا واخترنا نماذج من الممدوحين لما أقبل الشعراء على الإشادة بخصالهم، وسواء أكان تكسّبا أم صادقا فقد غلب عليه طابع معين أعطاه صبغة عصر غالبة، لكنّه في جلّه اعتمد على القالب القديم الّذي عرف به من حيث تعدّد المواضيع في الموضوع الواحد فنجد المزاوجة بين الفخر والرّثاء والوصف والشّكوى محافظين على المقدّمة الطّللية الّتي عهدوها منذ العصر الجاهلي وغيّرت حسب طبيعة الأندلس وجمالها الأخّاذ.

وفي أبيات من بحر البسيط مدح الأعمى التّطيلي الحرّة حوّاء[1] إذ مازج الوصف والمدح عارضا نسبها الشّريف وجمالها الماديّ والمعنويّ ليستطرد في وصف الحبّ وجواه حتىّ يستعطف الممدوحة لتغدق عليه العطاء حيث يقول:

بَنَى لَكِ ابنُ عَلِيٍّ بَيْتَ مَكْرُمَـــــةٍ　　لَهُ العَوَالِي عِمَادٌ وَالظُّبَا طُنُـــــبُ

وَلأَّكَ أَبْهَجَ فَخْرٍ تَفْخَرِينَ بِـــــهِ　　إذَا انْتَدَى للفَخَّارِ السَّادَةُ النّجَبُ

يَا أُخْتَ خيْرِ مُلُوكِ الأَرْضِ قَاطِبَـةً　　وَإنْ أعَدُّوا وَإنْ أَسْمُوا وإنْ نَسَـــبُوا

مُحَمَّدُ وَأبُو بَكْرٍ وَخَيْـــــــرُهـــم　　يَحْيَى وَحَسْبُكَ عِزًّا كُلَّمَا حُـــسِبُوا

ثَلاَثَةٌ هُمْ مُرَادُ النَّاسِ كُلِّـــــــهِمْ　　كَالدَّهْرِ مَاضٍ وَمَوْجُودٌ وَمُرْتَقَبُ[2]

وعلى عكس المطلعيْن السّابقيْن نجد الشّاعر نفسه الأعمى التّطيلي يمدح ابن يناقي[3] مستهلاّ قصيدته مباشرة دون مقدّمة أو إدراج غرض آخر بالإشادة بالممدوح وتعبيره عن مدى حبّه وتعلّق روحه وقلبه به، إذ ينشد من بحر الرّمل:

أَيْنَمَا كُنْتَ تُمَنّي وَتَـــــــعِــدْ　　جَارَ بِي فِيكَ هَوَايَ وَقَصَـــــد

---

[1]– الحرّة حواء زوجة سير بن أبي بكر والي إشبيلية، أديبة وشاعرة جليلة، شهد لها بالمهارة، كانت تعقد مجلس الكتاب والشّعراء وتحاضرهم: ينظر البيان المغرب ج 3/، ص 47.

[2]– ديوان الأعمى التّطيلي، ص 50.

[3]– وردت القصيدة في الدّيوان، كان بنو يناقي من أعيان إشبيلية وكان الشاعر أبو عامر محمد بن ينق من تلامذة ابن زهر وأخذ عنه الطّبّ (ت 547هـ) ينظر ديوانه: ص 67.

يَا جَلِيدًا لَمْ يَدَعْ لِي جَلَـــــــدًا هَلْ لِيَوْمِ الصَبِّ مِنْ بَعْـدِكَ غَد
لاَ أُشَاجِيكَ وَقَدْ بَرَّحَتْ بـــــِي دُونَكَ اليَوْمَ فَذَرْنِي وَالسَّـــــهَد
يَا شَقِيقَ النَّفْسِ رَأْيًا وَهَــوًى أَنْتَ فِي قَلْبِي رُوحٌ وَجَسَـــــد[1]

ويمدح في مقطوعة من السّريع شخصًا و يستعطفه بأن يغدق عليه لأنّه يربي أطفالا صغارا عاجزين كطير القطا ويعيل جدّهم أيضا إذ يعبّر قائلا:

الحَمْدُ للهِ وَشُكْرًا لَــــــــهُ لاَ طَارِفٌ عِنْدِي وَلَا تَالِـــدُ
صِرْتُ وَلاَ أُنَبِّيكَ عَنْ غَائِبٍ فِي حَالَةٍ يَرْثِي لَهَا الحَاسِـــدُ
إنْ يَنُبْ بِي دَهْرِي فَوَاللهِ لِي وَالمِتَرَجِّى لِلنّدَى خَالِــــــدُ
يَا وَاحِدًا أَفْضَالُهُ شِرْكَــــةٌ فِينَا وَلَكِنْ مَجْدُهُ وَاحِــــــدُ
حَوْلِي أَفْرَاخٌ كَزُغْبِ القَطَـا لَيْلِي مِنْ هَمٍّ بِهِمْ سَاهِـــــدُ
أَنْتَ أَبٌ لِي وَلَهُمْ عَاطِــفٌ رَبِّ ابْنَ خَمْسِينَ لَهُ وَالِـــدُ[2]

في البيت الخامس استعارة تصريحية حيث شبّه الشّاعر صغاره بالفراخ نظرا لضعفهم وعدم قوّتهم على تأمين غذائهم حذف الأبناء وصرّح بدلا منهم بالفراخ والقرينة الدّالّة على ذلك عقلية وهذا البيت يذكّرنا بالشّاعر المخضرم الحطيئة الّذي سلّط لسانه على القوم فزج به في السّجن وراح يستعطف عمر ابن الخطّاب ليعفو عنه مستعينا بالضّغط على الوتر الحسّاس وهو الأطفال الصّغار ومن يعولهم فهذا تضمين يوحي باطّلاع الشّاعر على أشعار سابقيه وغرفه من نهر القدامى في المشرق وأبيات الحطيئة [3]يقول فيها من بحر البسيط:

مَاذَا تَقُولُ لأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ زُغْبُ الحَوَاصِلِ لاَ مَاءٌ وَلاَ شَجَرُ

[1]- ينظر: الأبيات في الدّيوان، ص 67.
[2]- ينظر: ديوان الأعمى التّطيلي، ص 71.
[3]- ينظر: التّفاصيل:https://www.marefa.org

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ يَا عُمَـــرُ[1]

ولم يكتف الأعمى التّطيلي بمدح الشّخص بل تعدّاه لمدح وتعداد مناقب القوم كمدحه لبني حضرم عيسى ومحمّد[2] حيث كتب عارضا المدح بلا مقدّمات مؤكّدا في مدحه على جود وبذل الممدوحين طمعًا في الغدق وقد وصفهم بالبهاليل الّذين لبسوا ثوب الجود والكرم وتحلّوا بالبأس والشّجاعة وليس ذلك بغريب على أصلهم الكريم الّذي نبت من قحطان:

غَنِينًا بِآلِ الحَضْرَمِيِّ وَإِنَّمَـــــــا غَنِينًا بِآثَارِ السَّحَابِ الموَاطِـــرِ

بِكُلِّ فَتىً كَالسَّيْفِ إلاَّ ارْتِيَاحَـــهُ لِطَلْعَةِ شَاكٍ أوْ لِنَغْمَةِ شَـــاكِرِ

كَرِيمُ المِسَاعِي هَزَّ عَطْفِي عَطْفَـــهُ إِلَى أَثَرٍ مِنْ مَجْدِهِ وَمَـــــآثِــرِ

بُنًى شَادَهَا عِيسَى وَشَادَ مُحَمَّــدُ فَيَا فَلَكُ أَمْسِكْهَا بِفَلَكِ المفَاخِرِ

بَهَالِيلُ مِنْ قَحْطَانَ سَارُوا بِذِكْرِهِمْ إِلَى مَثَلٍ فِي الجُودِ وَالبَأْسِ سَائِرِ[3]

وتقرّب الشّاعر من صاحب الأحباس أبي العبّاس علّه يجود عليه بكرمه واستهلّ قصيدته بالمدح قصد بلوغ الهدف المرجو من ممدوحه قال من بحر الكامل واختار سينية ليكون حرف رويّ، وهو أجود الحروف في هزّ إحساس المتلقّي لما له من رنين على الأذن ووقع على الجانب الشّعوري إذ يقول:

شِعْرِي وَجُودُكَ يَا أبَا العَبَّــاسِ مَثَلاَنِ قَدْ سَارَ بِنَا فِي النَّــــاسِ

---

[1]- ينظر: ديوان الحطيئة، شرح ابن السّكّيت، تبويب: مفيدة محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1993م، ص 107- 108.

[2]- محمد بن عيسى الحضرمي، أحد أعيان القواد في الأندلس، ينظر http://www.wata.cc/forums/showthread.php تاريخ الولوج 27-4-2020 على الساعة 1:40سا

[3]- ينظر: ديوان الأعمى التّطيلي، ص 80

أدْنَى سَمَاحَكَ كُلَّ شَأْوٍ نَـازِحٍ وَالآنَ شِعْرِي كُلَّ قلْبٍ قَـــاسِ

فَإذَا الْتَقَيْنَا مَتَّ طُلاَّبُ العُلاَ بِأوَاصِرٍ وَبَنَوْا عَلَى أَسَـــــاسِ

وَإذَا افْتَرَقْنَا لمْ يَزَلْ مَا بَيْنَـــنَا أَرِجَ المهَبِّ مُعَطَّرَ الأَنْفَـــــاسِ

وَإشَارَةٌ لكَ فِي المكَارِمِ زَاحَمَتْ ضِيقَ الهُمُومِ بِفُرْجَةِ الإينَـــــاسِ

وَأزُفُّ مِنْ شِعْرِي إلَيْكَ عَقِيلَةً أَحْظَيْتُهَا مِنْ حِلْيَةٍ وَلِبَـــــاسِ[1]

ويسرّنا قراءة مدح ابن مجبر الصّقلي (ت 540هـ)[2] لرجل كريم حيث ظهر تأثّره بالطّبيعة جليّا منها: الورد، النّرجس، البنفسج، الرّياض كما نلمس الرّقّة في التّعبير باستعمال العبارات كهالة القمر الّتي توحي بالسّمر والتّرف في أيّام الأنس ويجلبنا طيب العنبر والدّرّ الّتي تفيد بتشرّب الشّاعر ببذخ العيش وقد انعكس على قريضه إذ يعبّر قائلا:

أَسْتَوْدِعُ اللهَ القِبَـابَ وَأَوْجُهًــــــا فِيهِنَّ كَالأَقْمَارِ فِي هَـــالاَتِهَا

وَالوَرْدُ يَحْسُدُ نَرْجِسًا وَبَنَفْسَجًــــا فِي شَهْلِ أَعْيُنِهَا وَلَمْسِ لَثَّاتِهَا

تِلْكَ الرِّيَاضُ اللاَّءِ مَا بَرِحَتْ يَدِي تَجْنِي ثِمَارَ الوَصْلِ مِنْ وَجَنَاتِهَا

مَا زِلْتُ أَنْظُمُ طِيبَ ذِكْرِكَ عَنْبَــرًا أَرِجًا خِلاَلَ الدُّرِّ مِنْ كَلِمَاتِهَا[3]

ويمدح ابن خفاجة الفقيه أبا أميّة فذكر البحر كمقدّمة واصفا إيّاه مستطردا وصف الرّماح والسّيوف والصّحاري ثم يمدح ممدوحه ليشير أخيرا بكلمة ختاميّة لها الوقع الحسن على نفسيّة الفقيه بعدما أشار للنّدى قاصدا به الجود والعطاء من بحر الطّويل نقرأ:

وَيَسْحَبُ أَذْيَالَ الرَّبَابِ عَلَى الرُّبَى فَيَلْقُطُ مِنْ دُرِّ النَّــدَى مَا يُبَدَّدُ

تَحْمِلُ إلَى قَاضِي القُضَــاةِ تَحِيَّةً تَبِيـــــتُ بِمَلْقَى رَحْلِهِ تَتَــرَدَّدُ

---

[1]- ديوان الأعمى التّطيلي، ص 102.

[2]- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ص 254.

[3]- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ص 255.

تَضُوعُ كَمَا فَاحَتْ مَعَ الفَــجْرِ وَطَابَ بِريحِ المَنْدِلِ الرَّطْبِ مُوقِدُ
وَتَهْوَي إِلَى لثْمِ البِسَـــاطِ وَإِنَّمَا تُصَلِّي إِلَى رُكْنِ المَعَالِي فَتَسْجُـدُ[1]

وفي أبيات قالها أبو الحسن بن الباذش مدح وأشاد ببداهة وفائدة كتاب الإيضاح لأبي علي الفاسي محفّزا على حفظه والتّمعّن فيه لأنّه ضالّة المتعلّم ومفتاح نجاحه، ثمّ يمدح من ألّفه فشهد له بالنّجاعة والفلاح فيقول:

أَضِعِ الكَرَى لِتَحَفُّظِ الإِيضَاحِ وَصِلِ الغُدُوَّ لِفَهْمِهِ بِصَبَاحِ
هُوَ بُغْيَةُ المتَعَلِّمِينَ، وَمَنْ بَغَى حَمْلَ الكِتابِ يَلِجُهُ بِالمِفْتَاحِ
لأَبِي عَلِيٍّ فِي الكِتَابِ إِمَامَةٌ شَهِدَ الرُّوَاةُ لَهَا لفَوْزِ القِدَاحِ
يَقْضِي عَلَى أَسْرَارِهِ بِنَوَافِذٍ مِنْ عِلْمِهِ بَهَرَتْ قِوَى الأَمْدَاحِ

لقد تصدّر الأعمى التّطيلي غرض المدح في العصر المرابطي ممّا سهّل لنا مهمّة معرفة السّمات الغالبة على غرض المدح الّذي ارتبط وثيقا بالشّعر المشرقي من حيث بناء القصيدة، واختيار الوزن والقافية، وقد نهل الشّعراء من القرآن والحديث متأثّرين بالألفاظ والمعاني. وانعكست بيئة الأندلس في بعض الأشعار بينما فضّل البعض الآخر استقاء الصّور من المتقدّمين الأندلسيّين والمشارقة.

5-الوصف:

لقد أخذت البيئة الأندلسيّة بعيون ساكنيها لما حباها الله به من روعة وجمال ورقّة مناظر، وقد اصطبغت بظلال وارفة وألوان أخّاذة منها الجبال الرّاسيات والأنهار الجاريات والنّباتات الزّكيات والطّيور الشّذيات فقد بهتت العقول وجذبت الأحاسيس، فتغنّى بها الشّعراء والكتّاب الّذين تغزّلوا بحسنها البهيج وهاموا بها حبّا منقطع النّظير فهمسوا في

[1]- ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده دار المعرفة لبنان، ط1، 2006م، ص 102

الآذان لرقّتها وناجوا فيها كلّ صور طبيعتها الغناء حتّى نُعتت بالفردوس المفقود فهل الجمال وحده من حرّك قرائح الشّعراء والأدباء؟ أم هناك بواعث أخرى وراء ذلك؟

يُقال أنّ العلاقة بين ثالوث الطّبيعة والحبّ والطّرب هي من هزّت قرائح الشّعراء وأقلام الأدباء على الخوض في الإبداع والعطاء، ولقد بلغ فنّ الوصف الذّروة في عهد ملوك الطّوائف بعد الاستقرار الّذي تنعمّوا به في تلك الفترة فنال هذا الصّنف الأدبي مكانته السّامقة لأنّ الشّعراء لاقوا الحظوة الكبيرة من سامعيهم وصقلوا مواهبهم بشتّى ألوان الطّبيعة الغناء وبذخ العيش الرّغيد ومجالس الأنس والطّرب والموائد الفارهة المصفوفة بأجود أنواع المدام، ولقد استمرّ هذا اللّون الأدبي معزّزا مكرّما في بلوغ الصّدارة من الإبداع والتّفوّق وبقيت العناية مركّزة على ألوان البيان من تشبيهات واستعارات ومنقّحا بالمحسّنات البديعيّة << وقد شمل كلّ شيء وطرق كل ما وقع تحت السّمع والبصر لاتّساع مجال الخيال لديهم، ووفرة مادّة المشاهدات في بيئتهم، لذلك لم يدع شعراؤهم جليلا ولا حقيرا ولا مبتذلا ولا عظيما، ولا مظهرا من مظاهر الطّبيعة ومناظر الكون إلاّ ووصفوه بعذب شعرهم ورسموه رسما واضحا جليّا يجعل السّامع كأنّه ينظر بعيني رأسه ما يسمع بكلتا أذنيه[1]>>

والمطلّع لعهد المرابطين يجد أنّ الوصف تفرّع إلى ثلاثة مواضيع رئيسة منها وصف الطّبيعة ووصف الأشياء ووصف الحيوانات والحشرات ناهيك عن وصف الأشخاص وجعله موضوعا ضمن أغراض أخرى كالرّثاء والغزل والمدح وغيرها من الأغراض، وقد شهد هذا العصر ظهور عدد كبير مِن الشّعراء الّذين نبغوا في هذا الفنّ الشّعري، نذكر منهم: ابن سارة الشّنتريني، وابن الزّقاق، وابن خفاجة البلنسي، وعبد الحقّ بن عطيّة... وغيرهم.

---

[1]- عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د ط) 1936م، ص118

أ. وصف الطّبيعة ومظاهرها:

ولقد تربّع الشّاعر ابن خفاجة على عرش الوصف، وذاع صيته في أرجاء الدّولة نظرا لحذاقة تصويره ورقّة شعره وروعة تعبيره نظم أبياتا من أروع ما قيل عن الأندلس من بحر البسيط:

يَا أهلَ أَنْدَلُـــــسٍ! لِلَّهِ دَرُّكُـمُ ... ماءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشْـــجارُ

ما جَنَّةُ الخُلدِ إلّا في دِيارِكُـــمُ ... وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَخـتارُ

لا تَخْشَوْا بَعْدَ ذَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقْراً ... فَلَيْسَ تُدخَلُ بَعْدَ الجَنَّةِ النارُ[1]

ويشتاق لجوّ الأندلس فيصفها بالجنّة في جمالها تمتّع النّفس ويحنّ لنسيمها العليل الّذي لا يمكنه نسيانه، متغزّلا مشتاقا لها اشتياق الرّجل لمحبوبته، وقد اختار السّين كحرف روي ليظهر حالته النّفسية المشتاقة لوطوء الأندلس والتّمتّع بطبيعتها الغنّاء:

إنَّ للجَنَّةِ فِي الأَنْدَلُـــسِ ... مُجْتلَى حُسْـنٍ وريَّا نَفْـــسِ

فَسَنَا صُبحَتِهَا مِنْ شَنَبٍ ... وَدُجَى ظُلْمَتِهَا مِنْ لَعَـــسِ

فإذَا مَا هَبّتِ الرِّيحُ صَبًا ... صَحَتْ: وَاشَوْقِي إلَى الأَنْدَلُسِ[2]

إنّنا حين نقرأ وصف الطّبيعة وكأنّنا أمام لوحة رسّام وتشخص الصّورة أمامنا كلوحة جميلة ناطقة بالأصوات مفعمة بالألوان مريحة للخاطر مؤثّرة في النّفس من ذلك وصف ابن خفاجة لنهر حيث شبّه جماله بفتنة المرأة لما لها من تأثير في خاطر الرّجل بحر الكامل:

للهِ نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْـــحَاءِ ... أَشْهَى وُرُودًا مِنْ لَمَى الحَسْنَاءِ

مُتَعَطِّفٌ مِثْلَ السِّوَارِ كَأنَّـــهُ ... وَالزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجَرُّ سَمَـــاءِ

---

[1]- ديوان ابن خفاجة، 133

[2]- ديوان ابن خفاجة ص، 178.

قَدْ رَقَّ حَتَّى ظَنَّ قُرْصًا مُفْـرَغًا مِنْ فِضَّةٍ فِي بُرْدَةٍ خَضْـــــــرَاءِ
وَغَدَتْ تَحُفُّ بِهِ الغُصُونَ كَأَنَّهَا هُدُبٌ يَحُفُّ بِمُقْـــــــــلَةٍ زَرْقَاءِ
وَالوَرْدُ فِي شَطِّ الخَلِيـــــجِ كَأَنَّهُ رَمَدُ أَلَمٍّ بِمُقْلَةٍ كَـــــــــــحْلاَءِ[1]

يمثّل الشّاعر سيلان الماء في البطحاء بجمال شفة الحسناء محفوف بالأزهار كما حقّت السّوار بمعصمها وبدا صفاؤه كقرص فضّة في غطاء أخضر وغدت الغصون المحفوفة به كأهداب تحفّ مقلة عيون زرقاء أمّا الورد في الخليج فكأنّه رمد بعيون سوداء اختار الشّاعر الألوان المناسبة في وصفه وجعل الصّورة تشخص أمامنا فلون الفضّة إشارة لصفاء ورقرقة ماء النّهر وتناسقه مع الغطاء الأخضر الّذي حفّ به مولّدا صورة متميّزة تأخذ العقل، كما حوّطت الغصون به كما تحيط الأهداب بالعيون لأنّها تبرز في العيون الزّرقاء وأمّا الورد الأحمر فمثل مرض العيون الرّمد وكيف يظهر بالعيون السّوداء استعمال الشّاعر للخيال جعل الصّورة تشخص وقوّى الفكرة وخدم المعنى.

وفي نفس المعنى وصف نهرا محفوفا بشتى أنواع الأزهار منها الأقحوان والآس والبنفسج وخال الخدّ شبيهه وما زاد المنظر جمالا الأغصان المتدلّية على المياه محدثة اصطخابا تأنس له الأذن، وقد زيّنت بجدولين فتحا مصراعيهما يمينا وشمالا إذ يصوّر من الكامل:

نَهْرٌ كَمَا سَالَ اللَّمَى سِلْسَالُ وَصَبَا بِلَيْـــــلٍ ذَيْلُـــــــــهَا مِكْسَـــــالُ
وَمَهَبٌّ نَفْحَةِ رَوْضَةٍ مَطْلُولَةٍ فِي جِهَتَيْهَا للنَّســـــــــيِمِ مَجَـــــــالُ
غَازَلْتُهُ وَالأَقْحُوَانَةُ مَبْسِـــــمٌ وَالآسُ صُدْغٌ وَالبَنَفْـــــسَجُ خَـــــالُ
وَكَأَنَّ مَا بَيْنَ الغُصُونِ تَنَازُعٌ فِيهِ وَمَا بَيْنَ الِمـــــــيَاهِ جِـــــــدَالُ

[1]- ديوان ابن خفاجة، ص 13

مَا بيْنَ رَوْضَةِ جَدْوَلَيْنِ كَأنَّمَا بُسِطَتْ يَمِينٌ مِنْهـــــــــمَا وَشِمَـــالُ[1]

ومن مظاهر الطّبيعة الّتي استهوت الشّعراء الأزهار ومنظرها الجميل ورائحتها العبقة الّتي ذرتها الرّيح؛ ففاحت قويّا صوّرها الشّاعر ابن خفاجة فامتزجت الصّورة بالرّائحة وأتمّها بصوت الحمام وهو يشذو بالمنظر الخلاّب وبالتّصوير استطاع استحضار الحواس الثّلاث وهي: السّمع والبصر والرّؤية ليكون حقّا مبدعا في تشخيص الصّورة من الكامل قال:

وَصَقِيلَةِ الأَنْوَارِ تَلْوِي عِطْــــــفَهَا رِيحٌ تَلُفُّ فُرُوعَــــــهَا مِــعْطَــارُ
عَاطَى بِهَا الصَّهْبَاءَ أَحْوَى أَحْــــوَرٌ سَحَّابُ أَذْيَالِ السُّرَى سَحَّـــــارُ
وَالنُّورُ عَقْدٌ وَالغُصُونُ سَوَالِــــفٌ وَالجِذْعُ زَنْدٌ وَالخَلِيجُ ســــــوَارُ
بِحَدِيقَةٍ ظَلَّ اللُّمَى ظِـــــــلًّا بِهَا وَتَطَلَعَتْ شَنَبًا بِهَا الأَنْـــــــوَارُ
رَقَصَ القَضِيبُ بِهَا وَقَدْ شَرِبَ الثَرَى وَشَدَا الحَمَامُ وَصَفَّقَ التَيـــــَّارُ[2]

وفي مناسبة أتيح للشّاعر ابن خفاجة أن يصف زيارة الطّيف اللّيل الّذي كان خفيفا خفّة الظّبي على الرّمال امتزج ريق الطّيف بشراب الصّهباء مازجها بالخمرة الحمراء الّتي شبّهها بالوجنة الحمراء واللّيل يسير الهوينى كشيخ هرم اشتعل الشّيب برأسه وصاحبته العصا في التّثاقل ثم عاد يسحب رداءه الأسود لاقتراب الصّبح، وهو طرب هائم وقد فاح من نداه عطر الأزهار وشداها عبق الأرجاء من بحر الكامل قال:

وَرِدَاءُ لَيْلٍ بَــاتَ فِيهِ مُعَــــانِقِي طَيْفٌ أَلَمَّ كَظَبْيَةِ الوَعْــــــسَاءِ
فَجُمِعــــــَتْ بَيْنَ رُضَا بِهِ وَشَرَابِهِ وَشَرِبْتُ مِنْ رِيقٍ وَمِنْ صَهْــــبَاءِ
وَلَثَمْتُ فِي ظَلْمـــــاءِ لَيْلَةِ وَفْرَةٍ شَفَقًا هُنَـــــاكَ لِوَجْنَةٍ حَمْــرَاءِ
وَاللَّيْلُ مُشْمَـــطٌّ الذَّوَائِبِ كَبِرَةً خَرِفٌ يَدِبُّ عَلَى عَصَا الجَـــوْزَاءِ

[1]- ديوان ابن خفاجة، ص 235.
[2]- ديوان ابن خفاجة 130.

ثمَّ انْثَنَى وَالسُّكْرُ يَسْحَبُ فَرْعَهُ ... وَيَجُرُّ مِنْ طَرَبٍ فُـــــضُـولِ رِدَاءِ

تَنْدَى بِفِيهِ أُقْحُوَانَةَ أجْـــــرَعٍ ... قَدْ غَازَلَتْهَا الشَّمْسُ غِـبَّ سَمَاءِ [1]

امتزجت الحواس في الأبيات ببراعة تصوير الشّاعر الّذي سرح بخياله موظّفا شتّى دروب المجاز، وقد احتاجنا إلى عناية كبيرة لفكّ شفرات التّصوير الرّائع اّلذي عرضه<< فازدحم شعره بالمعاني، وتشابكت الصّور فيه وتداخلت ليستغلق معناها ويصعب فهمها ويعسر هضمها، وقد فطن إلى ذلك القدماء وعابوا عليه تلك الخاصّية [2].>> كما راح ابن حمديس الصقلّي يصف البحر وغمرات الأهوال الّتي واجهها في عرضه فيصوّره إذا غضب كالّذي يتخبّطه الشّيطان من المسّ لهول الموقف فلا يمكن التّحكّم في غضبه وقد وظّف التّشبيه التّمثيلي خدمة لتصويره الدّقيق <<فالصّورة الفنّية هي وسيلة من وسائل التّعبير عن التّجربة الشّعريّة، وتتطلب تضافر و تآلف الصّور الجزئيّة فيما بينها لتكوين الصّورة الكليّة[3]>>:

وَأَخْضَرٍ حَصَلَتْ نَفْسِي بِهِ وَنَجَتْ ... وَمَا تَفَارَقَ مِنْهُ رَوْعَـــــــــةٌ رُوعِـــي

رَغَا وَأَزْبَدَ وَالنَّكْبَاءُ تُغْـــــضِبُهُ ... كَمَا تَعَبَّثُ شَيْطَــــــانٌ بِمَصْرُوعِ [4]

ومن مظاهر الطّبيعة الّتي راعت ابن خفاجة وصف الرّيح وهي تلاعب النّار وهال الأمر حين فقدت السّيطرة على الأمر؛ فاضطرمت بعد الاضطراب حتّى يخيّل للنّاظر أنّ منظرها وهي تشتعل كالذّهب إذ يصوّرها في مقطوعة من بحر الرّجز:

---

[1]- ديوان ابن خفاجة، ص11

[2]- ينظر مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدّرويش دار يعرب، دمشق، ط 1، 2004م، ج2/ ص 275.

[3]- ينظر: الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، حمدي محمود ناجي، إشراف عصمة غوشة ، جامعة الأردن ، 1982م،ص 233.

[4]- ديوان ابن حمديس الصقلي، ص 311.

لأَعَبَ تِلْكَ الرِّيحَ ذَاكَ اللَّـهَـبُ فَعَادَ عَيْنُ الجِدِّ ذَاكَ اللَّعِـــــــــبُ
وَبَاتَ فِي مَسْرَى الصَّبَا يَتْبَـــعُهُ فَهُوَ لَهَا مُضْطَرِمٌ مُضْـــــــــطَـــرِبُ
سَاهَرْتُهُ أحْسَبُـــــهُ مُنْتَشِـــــيًا يَهُزُّ عِطْفَـــــــــيْهِ هُنَاكَ الطَّـــرَبُ
لوْ جَـــاءَهُ مُنْتَقِـــــدٌ لمِا دَرَى أَلَهَـــــــــبٌ مُتَّقِدٌ أمْ ذَهَـــــــبُ[1]

ويواصل تصويره باستعارة مكنية الهدف منها تقوية المعنى وتوضيح الفكرة حيث يشبّه الرّيح بالإنسان الّذي يقبل النّار لتضرم شرارا دلّ على خجلها وأمّا المكان الّذي التقى فيه بالنّار، فهو الموقد الّذي خبت ناره مع تباشير الصّبح بقطرات النّدى واستحالت النّار إلى رماد أزرق وجمرات خافتة تبعث تبرا يمكنها أن تشتعل إن قلبت وقد خبت كأنّما السّماء أطبقت عليها وطوردت النّار كالشّهب التي تطارد الشّياطين، والشّعر من النّاريات الّتي تذكر الشّاعر بمجالس الأنس والسّمر عند النّار[2]

تَلْثُمُ مِنْهُ الرِّيحُ خَــدًّا خَـــجِلاً حَيْثُ الشَّـــــرَارُ أَعْيُنٌ تَرْتَــقِــبُ
فِي مَوْقِدٍ قَدْ رَقْــرَقَ الصُّبْحُ بِـــهِ مَاءً عَلَيْـهِ مِنْ نُجُومٍ حَــــبَـــــبُ
مُنْقَسِـــمٌ بَيْنَ رَمَـــــــادٍ أزْرَقٍ وَبيْن جَمْرٍ خَلْـــــفَهُ يَلتَهِـــــــبُ
كَأَنَّمَا خَـــــرَّتْ سَمَاءٌ فَوْقَـــــهُ وَانْكَـــدَرَتْ لَيْلاً عَلَيْهِ شُهُـــبُ[3]

ومن الظّواهر الّتي جذبت الشّاعر منذ العصر الجاهلي: القمر الّذي وصفه ابن حمديس في آخره حيث يشبّه آخره أوله، وكأنّه حافر الجواد الأسود ألقاه ليظهر بشعاع الشّهاب في اللّيلة الظّلماء:

وَرُبَّ صُبْحٍ رَقَبْنَاهُ وَقدْ طَلَعَتْ بَقِيّــــــــةُ البَدْرِ فِي أُولَى بَشَـــائِرِهِ

---

[1]- ديوان ابن خفاجة، ص28.

[2]- ينظر: كتاب ابن صارة الأندلسي حياته وشعره، مصطفى عوض الكريم، مطبعة مصر بجامعة الخرطوم، (د ط)1960م، ص45.

[3]- م ن، ص ن.

كَأنَّمَا أدْهَمُ الظَّلَمَاءِ حِينَ نَجَا مِنْ أشْهَبِ الصُّبْحِ ألْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ[1]

ولم يترك ابن حمديس خسوف القمر يمرّ دون وصفه إذ شبّهه بالمرآة التّي أحميت بالنّار فخالط احمرارها بياضها لتكون هالة حمراء على أطرافها إذ يقول:

صَدَّتْ وَبَدْرُ التَّمِّ مَكْسُوفٌ بِـهِ فَحَسِبَتْ أنَّ كُسُوفهُ مِنْ صَدِّهَـا
وَالبَدْرُ قدْ ذَهَبَ الخُسُوفُ بِنُورِهِ فِي لَيْلَةٍ حَسَرَتْ أوَاخِرُ مَدِّهـا
فَكَـأنَّهُ مِرْآةُ قَيْنٍ أُحْمِيَتْ فَمَشَى احْمِرَارُ النَّارِ فِي مُسْوَدِّهَـا[2]

يحاول الشّاعر ابن خفاجة وصف حالة الشّمس بأنّها شاحبة كالمريض، والرّيح مضطربة العصف مبلولة والبرق مقتضب ويرمي بالرّياح بعيدا ويسكتها؛ فالهدف من البيتين ليس الوصف بعينه وإنّما هو يحاول نقل مشاعره المصطخبة التي شبّهها بالشّمس المريضة والرّياح المدمّرة والبرق المخرّب من بحر الكامل:

وَالشَّمْسُ شَاحِبَةُ الجَبِينِ مَرِيضَةٌ وَالرِّيحُ خَـافِقَةُ الجَنَاحِ بَليـلُ
وَالبَرْقُ مُنْخَزِلٌ يَكُبُّ لِوَجْـهِهِ وَيَمُجُّ رُوحَ الرَّاحِ مِـنْهُ قَتِيـلُ[3]

وفي وصف الغمام كتب ابن خفاجة من بحر الكامل وهو يصف سحابة محمّلة بالماء سارت سيرا حثيثا بطيئا، ولقربها من الأرض كادت تلامسها وكأنّ سوادها حبر للدّلالة على شدّته؛ وقد حمّلت بالصّقيع والثّلج فصار السّواد بياضا كحمامة بيضاء وكست الثّلوج الرّبى واشمطّ كل غصن بالثّلج النّاعم التّصوير رائع شبّه الشّاعر فيه الثّلج بالشّيب

[1]- ديوان ابن حمديس، ص 192.
[2]- ديوان ابن حمديس، ص 143.
[3]- ديوان ابن خفاجة ص 245.

من باب الاستعارة التّصريحية وما زاد المعنى وضوحا وجمالا حين صور تغطية الثّلج للأغصان بمخالطة البياض بالسّواد كالأشمط من الشّعر أثر الصّورة تقوية المعنى وتوضيح الفكرة حيث يقول:

وَغَمَامَةٍ لمْ يَسْتَقِلّ بِهَا السَّـــرَى فَمَشَتْ عَلَى الظَّلْمـــاءِ مَشْيَ مُقيَّدِ
حَمَلَتْ بِهَا رِيحُ القَبُولِ سَحَابَــةً سَحَابَةَ الأذْيَالِ تُلـــتمَسُ بِاليَـــدِ
فِي لَيْلَةٍ قَدْ بَاتَ يَلْحَسُ تَحْتَهَا حِبْرًا لِسَـــانُ البَارِقِ المتَّقِـــــدِ
نَسَجَ الضَّرِيبُ بِهَا الظَّلامَ حَمَامَــةً فَابْيَـــضَّ كُلُّ غُرَابِ لَيْلٍ أسـودِ
شَابَتْ وَرَاءَ قِنَاعِهَا لِمَمُ الرُّبَــى وَاشْمَطَّ مَفْرِقُ كُـلِّ عَضَـبٍ أَمْلَـدِ[1]

أمّا ابن حمديس فقد أبدع في وصف بركة حيث ذكر لونها الأزرق الصّافي، هبّت عليها ريح، وقد شجّ وسطها جدول يستعمل لسقي البساتين المختلفة الألوان واختار صورة تمثيلية تضاهي توسّط الجدول للبركة جرح المحارب الشّجاع من الخصر إلى الخصر فاستحال جسمه شقّين، وانساب منه الماء انسياب الحيّة في البساتين الغنّاء لترتوي من مائه العذب، وقد امتنت الرّياض لسقيا البركة وتمنّت واشتاقت لزيارته كل حين؛ من بحر الطّويل أبدع:

وَزَرْقَاءَ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ تَنَبَّهَـــتْ لِتَحْبِيكِهَا رِيحٌ تَهُـبُّ مَعَ الفَجْـرِ
يَشُقُّ حَشَاهَا جَدْوَلٌ مُتَكَفِّـــلٌ بِسَقْيِ رِيَاضٍ أَلبَسَتْ حُلَـلَ الزَّهْرِ
كَمَا طَعَنَ المِقْدَامُ فِي الحَرْبِ دَارِعًا بِعضْبٍ فَشَقَّ الخِصْرَ مِنْهُ إِلَى الخِصْـرِ
يُرِيكَ رُؤُوسًا مِنْهُ فِي جِسْمِ حَيّـةٍ سَعَتْ مِنْ حَياةٍ فِي حَدَائِقِهِ الخُضْـرِ
فَلاَ رَوْضَةٌ إِلّا اسْتَعَارَتْ لشُكْـرِهِ لِسَانَ صَبًا تَسْرِي مُطَيَّبَةَ النَّشْـرِ[2]

[1]- ديوان ابن خفاجة، 95.
[2]- ديوان ابن حمديس، ص 187.

وفي قصيدة قالها ابن خفاجة في وردة صغيرة طرأت عليه في غير زمانها تجلّى تعلّق الشّاعر بالطّبيعة وشغفه وعشقه لفات المرأة وملامحها، ولم يتردّد في التّغزّل بها غزلا حسّيا، وكأنّه أمام فتاة يهواها <<وهذا لون من السموّ بالطّبيعة وإحلال لها محل ما أعزّ ما يهواه العربي ويكرمه ويقدره وهو المرأة[1]>> من بحر الكامل:

وَغَرِيبَةٍ هَشَّتْ إِلَيَّ غَـــــــرِيرَةً	فَوَدِدْتُ لَوْ نَسَجَ الضِّيَاءُ ظَلاَمَـــا
طَرَأَتْ عَلَيَّ مَعَ المِشِيبِ تُشَوِّقُـــنِي	شَيْخًا، كَمَا كَانَتْ تُشَوِّقُ غُلاَمَــا
مَقْبُولَةٌ قَبَّلْتُهَا مِنْ لَـــــوْعَةٍ	نَظَرًا يَكُونُ، إِذَا اعْتَبَرَتْ، كَلاَمَــا
عَذَرْتُ وَقَدْ أَحْلَلْتُهَا عَنْ نِسْــوَةٍ	كِبْرًا، وَأَوْسَعْتُ الزَّمَانَ مَلاَمَــا
عَبِقَتْ، وَقدْ حَنَّ الرَّبِيعُ عَلَى النَّدَى	كَرَمًا، فَاهْــــدِهَا إِلَيَّ سَلاَمَــا[2]

يلمس المطّلع على الأبيات منها غزلا في الظاهر بشابّة لم تذق طعم الحبّ واشتهاها الشّاعر وتمنىّ رجوع الزّمن به ليستمتع بحلاوتها وأنوثتها، وفي البيت الأخير ندرك أنّ المقصودة ليست بطفلة وإنّما هي زهرة الرّبيع الّتي تعجب تعشّقها الجميع بعد بروزها فتيّة بين الأعشاب.

ومن وصّافي الطّبيعة ابن صارة الشّنتريني الّذي اجتمعت عنده قوّة التّشخيص، وحسن انتقاء الصّورة الخميلة بتوهّج الحياة بعناصرها[3] :

وَحَدِيقَةٍ مِنْ نَرْجِــــسٍ وَبَهَارِ	رَفَعَتْ لِوَاءَ الحُسْنِ لِلنُّظَّـــــارِ
فَكَأَنَّمَا هَذَا ضُـــحًى مُتهَلِّـل	وَكَأَنمَّا هَــــذَا أصِيلُ نَهَـــارِ

---

[1]- ينظر البيئة الأندلسية وأثرها في الشّعر – عصر ملوك الطوائف – رسالة جامعية، مضروبة على الآلة الكاتبة مقدمة إلى كلية العلوم، جامعة القاهرة، 1970م نقلا عن الشّعر في عهد المرابطين ،محمد مجيد السّعيد ، ص 127.

[2]- ديوان ابن خفاجة ص 270.

[3]- ينظر: الشّعر في عهد المرابطين والموحدين، محمد مجيد السّعيد، ص 135.

أَخَوَانِ أمُّهُمَا مَعًا شمْسُ الضُّحَى	وَأبُوهمُا قَــمَرُ السَّمَـاءِ السَّـــارِ
شَرَبَا سُلاَفَ القَطْرِ حَتىَّ عَرْبَدَا	وَتُرْجَمَا بِـكَوَاكِبِ الأزْهَـــــــارِ
وَاسْتَوْدَعَا قَمَرَيْهِمَا نَفَسَ الصبّا	فَـأَذاَعَ مَا كَتَمَا مِنَ الأَسْـــــرَارِ
فَبَكَى النَّدَى لهُمَا ضَحِيًا وَالنَّدَى	مُذْ كَانَ للأَزْهَارِ أكْرَمَ جَــــارِ[1]

زاوج الشّاعر بين الشّمس والقمر لكونهما حنونين على النّرجس والبهار أجمل وأنضر الأزهار وهما يشبهان جمال وقت الضحى وروعة أفول النّهار، وهو تشبيه بليغ جسّد فيه المعنوي في الملموس وصبغهما بصبغة إنسانية وهي تعاطي الخمر والعربدة وذيوع الأسرار، فبكى النّدى لحاليْهما وجاد بنداه على الأزهار لينعا و يظهر جمالا فاتنا فتّانا لقد صوّر الشّاعر ذلك الحسن في قالب قصصي سرد فيه حكاية زواج الشّمس بالقمر وهنا يلفت انتباهنا إلى روح ابن خفاجة في التّصوير وعمق المعنى وحسن انتقاء الألفاظ من حركة وألوان وذكر الصَّبا والنّدى.

لقد احتلّ شعر الطّبيعة مكانة عالية في العهد المرابطي وقد عُرف بدقّة التّصوير ورقّة الوصف تشهد لابن خفاجة التّبريز في ذلك، <<فكان شعرهم طرفة فنّية ممتعة، جميلة الشّكل نادرة المثال حسنة المنظر... على حين هو أصعب أنواع الشّعر منالا وأعزّها مطلبا إذ لا يحسن حتّى يدقّ التّشبيه ويسبح الخيال ويندر المجاز وتغرب الاستعارة، ويكون ذلك وحيا من الخاطر وإلهاما من العقل[2]>>وما الأبيات المدرجة في باب وصف الطّبيعة إلاّ تعبير عن البيئة الّتي عاشها الشّعراء آنذاك في عهد المرابطين متمتّعين بأجمل المناظر وأعبق الأماكن وأشدى الأصوات، فقد أصبح المنظر الطبيعيّ<< كالقاعدة أو العامل الكيميائي

---

[1]- ينظر ابن صارة الشّنتريني حياته وشعره، ص 43.

[2]- ينظر الأدب العربي في الأندلس، ص 121.

المساعد في القصيدة الأندلسيّة [1]>> إذ استطاع الشّاعر أن يحوّل وجه الطّبيعة الجميل كما يتصوّره هو ناطقا بشتّى ألوان الجمال والإبداع.

ب.وصف الحيوانات والهوام:

عمد الشّعراء للخوض في الطّبيعة، كما تأثّروا بالحيوانات وراحوا يصفونها إعجابا بها أو تحذيرا من خطرها، ونجد ابن حمديس يصف أدهمَ معبّرا عن إعجابه بسرعته وبلونه اللّيلي الجميل، حين يعدو في الحقول المزروعة بالسّنابل فإنّه يقطعها كقطع الصّارم، ويصرع من يقف في طريقه وتفوّق سرعته الأسد؛ فلا يدركه بل هو معقود بناصيته الخير والفضل فقد كان أحسن وجه سعد عليه من الرّمل وصف:

وَمُنْغَمِسٍ فِي صَبْغَةِ اللَّيْـــــــلِ يَمْتَطِي   إِلَى آجِلِ الآسَادِ قَيْدَ الأَوَابِـــــــدِ

يُخَتِّمُ يُمْنَـــاهُ قَبِيعَةَ صَـــــــــارِمٍ   لما قدْ طَغَى منْ سُنْبُلِ الهَامِ حَاصِدِ

يَكِرُّ فَكَمْ جِسْم عَلَى الأَرْضِ سَاقِطٍ   صَرِيعٍ وَكَمْ رُوحٍ إِلَى الجَوِّ صَـــاعِدِ[2]

فالمتمعّن في ألفاظ الأبيات يجد تضمينا من وصف امرئ القيس لجواده بقوله قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ، و يكرّ كما يستقي صورة أنّها تجلب الفضل من قول الرّسول ﷺ <<الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[3]>>وليس ببعيد عن المعنى يشير إلى سرعته في السّباق؛ فيفوز في كل رهان، بل وتحسبه الوحيد بالحلبة، وكأنّ عيناه في أذنه يرى بها أشخاصا قبل أوانهم ولو قيّد لسبق منافسيه، والصّورة تعكس مظهرا من مظاهر الحياة المترفة وهي السّباق والتّنافس والرّهان من بحر الطويل وصف مدقّقا:

---

[1]- ينظر تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطّوائف والمرابطين، إحسان عباس، ص203.

[2]- ديوان ابن حمديس، ص 137.

[3]- ينظر https://islamqa.info/ar/answersروى البخاري (2852)، ومسلم (1873) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الجَعْدِ رضي الله عنه تاريخ الولوج 1- 5- 2022 على 12:30سا

وَمُنْقَطِعٍ بالسَّبْقِ مِنْ كُلِّ حَلَبَةٍ فَتَحْسَبُهُ يَجْرِي إِلَى الرَّهْنِ مُنْفَـــرِدَا
كَأَنَّ لَهُ فِي أُذْنِهِ مُقْلَة يَرَى بِهَا اليَوْمَ أَشْخَاصًا تَمُرُّ بِهِ غَـــدَا
تَقَيَّدَ بِالسَّبْقِ الأَوَابِدُ فَوْقَهُ وَلَوْ مَرَّ فِي آثَارِهِـــنَّ مُقيَّدَا[1]

ومن الوحوش المفترسة اختار ابن حمديس وصف الأسد رمز الشّجاعة والإقدام، أمير الوحوش في القفر، يحمي شبليْه ويطعمهما من لحوم الفرائس ويقطع دابر كلّ مقرّب من عرينه له النّار في فمّه وأسنان حادّة كالشّفرة تمزّق الفرائس إربًا، وعيناه كالسّراج تنير دروبه ليلا حين يمشي في ظلمة الدّجى حيث لا يستطيع أحد غيره المسير في الحندس، ومن صفات جبهته الصّلابة السّاترة للرّأس كالتّرس الّذي يقي صاحبه من ضربة السّيف وأمّا معطسه فقد برقش بالأسود كالحبر ومشى مختالا بكفّ عريض و مخالبه أحدّ من ضربة الخنجر والسّيف القطّاع من بحر الطويل أنشد:

وَلَيْثٍ مُقِيمٍ فِي غِيَاضٍ مَنِيعَةٍ أَمِيرٌ عَلَى الوَحْشِ المقِيمَةِ فِي القَفْرِ
يُوَسِّدُ شِبْلَيْهِ لُحُومَ فَوَارِسٍ وَيَقْطَعُ كَاللِّصِّ السَّبِيلَ عَلَى السَّفَرِ
هَزْبَرٌ لَهُ فِي فِيهِ نَارٌ وَشَفْرَةٌ فَمَا يَشْتَوِي لَحْمُ القَتِيلِ عَلَى الجَمْرِ

وأمّا ابن خفاجة فقد وصف الطّير الفصيح الّذي شدّت ألحانه ورقص على الغصن الفينان الطّري وقد جال بين أرجاء الحديقة بالطّرب والغناء فالتّصوير مرئي وسمعي تنطق به الأبيات من المتقارب نظم:

أَلاَ أَفْصَحَ الطَّيْرُ حَتَّى خَطَبْ وَخَفَّ لَهُ الحُزْنُ حَتَّى اضْطَرَبْ
فَمِلْ طَرَبًا بَيْنَ ظِـــلٍّ هَفَا رَطِيبٍ وَمَـــاءٍ هُنَاكَ انْثَعَبْ*

---

[1]- م ن، ص 144.

* انثعب: جرى الماء واندفع

وَجُلْ فِي الحَدِيقَةِ أُخْتِ المنَى				ودِنْ بالمدَاوَمـــــةِ أمِ الطَّرَبْ [1]

وخصّ ابن حمديس حمامة بالوصف وكأنّك تراها وتسمعها حيث وصف صوتها بأنّه حرف الرّاء مسجوع تردّد كانسياب المياه من الجداول وقد زيّن جيدها بطوق من الجمان الأخّاذ وزانها الكحل على جفونها وكأنّها غزال في لحها وأروع ما يشاهد شربها للماء وتزوّدها ممّا جادت يده من بحر الطويل:

وَنَاطِقَةٍ بِـالرَّاءِ سَجْـــــعًا مُـرَدَّدًا				كَحُسْنِ خَرِيرٍ مِنْ تَكَسُّرِ جَدْوَلِ
مُغَرِّدَةٌ فِي القُضْبِ تَحْسَبُ جِيــدَهَا				مُقَلَّدَ طَــــوْقٍ بِالجُمَانِ المفَصَّلِ
إِذَا مَا امَّحَى كُحْلُ الدُّجَى مِنْ جُفُونِهَا				دَعَتْكَ إِلَى كَأْسِ الغَزَالِ المكْحَلِ
مَلَأْتُ لَهَــــا كَفَّ الصُّبُوحِ زُجَاجَةً				مُذَهَّبَــــــــةً بِالرَّاحِ فِضَّةَ أَنْمُلِ [2]

يظهر مظهر الحضارة في تقديم الأكل والماء للحمام في الزّجاج، كما يصف زرافة ونعلم أنّ موطنها الأصلي هو إفريقيا وإنّما تسنى له رؤيتها نتيجة الأسفار إلى موطنها وهنا يظهر مظهر من مظاهر الحضارة وهو وصف حيوان الغابة الحصان والجمل سفينة الصّحراء والزّرافة رمز المناطق الاستوائيّة إذ يقول من بحر الطّويل:

وَنُـــوبِيَّةٍ* فِي الخَــــلْقِ مِنْهَا خَلاَئِـــقُ				مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهَا تَسَهَّــــــــلِ
إِذَا مَا اسْمُهَا أَلْقَاهُ فِي السَّمْعِ ذَاكِـــــرُ				رَأَى الطَّرْفُ مِنْهُ مَا عَنَاهُ بِمَــــــقُولِ

---

[1]- ديوان ابن خفاجة، ص 26.

[2]- ديوان ابن حمديس، ص 361.

*- نوبة بلادٌ واسعةٌ للسُّودانِ بِجَنوبِ الصَّعيد ونوبية نوع من الزّرافات كانت منتشرة في كل مكان في شمال شرق إفريقيا

لَهَا فَخِذَا قَرَمٍ* وَأظْلاَفُ قَرْهَــــــــبٍ* وَنَاظِرَتاَ رِئَمٍ*، وَهــــاَمَةَ أَيْــــــــلِ*

مُبَطَّـــــــنَةُ الأَخْلاَقِ كِبَرًا وَعــــــزَّةً فَمَهْمَا تَجُدْ بِالْمِشْيِ فِي المِشْيِ تَبْخَــلِ

كَأَنَّ الخُطُوطَ البِيضَ وَالصُّفْرَ أَشْبَهَتْ عَلَى جِسْمِهَا تَرْصِيعَ عَاجٍ* بِصَنْدَلِ*[1]

رأى الشّاعر الزّرافة من فصيلة نوبيّة ضخمة الجسم، والفخذ عيناها عيني غزال وجسمها يشبه جسم الأيل وهنا دليل ثقافته؛ فالحيوان من أوربا وآسيا ولينتهي بوصف مشيتها الدّالّة على العزّ والشّموخ وزانها ألوان الخطوط البيضاء والصّفراء الّتي ملأت جسمها؛ فرصّع الجسم كما رصّع العاج بالصّندل من باب التّشبيه التّمثيل.

ظهرت براعة تصوير الشّعراء في وصف الحيوانات والدّواب والهوام، كما أُثبت الثّقافة الواسعة وسعة الصّور البيانيّة في تقريب مبتغى الشّعراء.

*– القرم: صغارُ الزراف

*– القرهب الكبير الضَّخْم،

*– الرّئم: ولد الظّبي

*– الأيل: حَيَوَانٌ مِنْ فَصِيلَةِ الأَيِّلِيَّاتِ، مِنْ رُتْبَةِ شَفْعِيَّاتِ الأظْلاَفِ، لِذُكُورِهِ قُرُونٌ مُتَشَعِّبَةٌ بِهَا تَجْوِيفٌ يُعْرَفُ أيْضاً بِالوَعْلِ.

*– العاج مادة تتكون منها أنياب الفيل وتتوفّر في أفريقيا التي تعدّ من أهم مصادره، كذلك يوجد في الهند وبلدان شرق آسيا ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الولوج 3-5- 2020على الساعة 20:51سا

*– الصندل: شجرٌ خَشَبُهُ طيّبُ الرائحةِ يَظْهَرُ طِيبَهُ بالدَّلْكِ أو بالإحراقِ، ولخشبِهِ أَلوانٌ مختلفةٌ: حُمرٌ وبيضٌ وصُفْر.

[1]– م ن، ص 380.

ج. وصف مظاهر الحياة الحضارية:

يدخل في هذا الباب منها الأدوات كالسّيف والشّمع والثّريا في الجامع والدّار والحمّام والموقد والسّفينة والرّحى والدّرع في الحرب ومراكب الغزو والنّيروز ومجالس الأنس والطّرب والغانيات وأخيرا وصف القطع الشّعرية والقصائد والمأكولات المتنوعة و القصور الفارهة والحلي المغرية.

لقد تجلّت ظاهرة وصف صورة الحرب بأدواتها وعدّتها وعددها ومآسيها وغنائمها ودمائها وسباياها وغبطة فرحها ويعود ذلك للتذبذب الحالة السّياسية للأندلس والمغرب خلال العهد المرابطي والمعاناة الدّائمة جراء الحروب والمعارك الكثيرة بين المسلمين والنّصارى والمرابطين وقبائل البربر ممّا انجرّ عنه تخضيب الكون باللّون الأحمر ونزيفه الدّائم فيعبّر عن ذلك القاضي عياض:

انْظُر إلَى الزَّرْعِ وَخامَاتِهِ تَحْكِي إذَا مَاسَتْ أَمَامَ الرِّيَاحِ

كَتَائِبًا تُدْبِرُ مَهْزُومَةً شَقَائِقُ النُّعْمَانِ فِيهَا جِرَاحُ[1]

وكتب أبو محمد بن الرّئيس أبي القاسم بن عبد الغفور الكلاعي المسمّى صاحب الوزارتين[2] كاتب الملك عليّ بن يوسف بن تاشفين يصف الدّرع في ساحة الوغى من بحر البسيط:

---

[1]– ينظر :رايات المبرزين وغايات المميزين ،أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد الأندلسي تحقيق محمد رضوان الداية ، دار طلاس ،دمشق ط 1 ، 1987م، ص193.

[2]– ينظر ترجمته: في نفح الطيب ج 3/ص 552، ومطمح الأنفس 219، المغرب ج 1/ص 241.

وَنَثْرَةٍ* نَثَرَتْ عَنِّي النِّصَالَ* كَمَا تَنَاثَرَ العَذْلُ عَنْ سَمْعِ الشَّجِيِّ* الدَّنِفِ*
إِذَا رَمَيْتُ بِهَا فِي القَاعِ مُطَّــرِفًا حَسَبْتُهَا نُطَـــفًا تَجْرِي إِلَى نُطَـفِ*
وَإِنْ تَسَرْبَلْتُهَا أُغْرِي الجُفُونَ بِهَا. حَزْمِي وَعَزْمِي فَلَمْ تَقْطُرْ وَلَمْ تَكُــف [1]

يشبّه الشّاعر الدّرع المحبوك وبجمال منقطع النظير حيث تبدو لك مزركشة بالجواهر؛ فإذا لبستها أغرت العيون لجمالها وبهاء نسجها وقت الحزم يأخذ الأمر بشدّة ويضبطه بثبات ولن ينفرط نسجه بل يبقى صامدا حيال الهجمات، وقد استعمل الجناس النّاقص بين الحزم والعزم، وهو محسّن لفظي يكمن جماله في لفظه وسمعه.

وفي الموضوع نفسه؛ وصف ابن حمديس درعا محبوك النّسج جميل الّلون أخضر فضفاض ليّن الملمس واق لضربات الحسام، محبك النّسج وتروقك زرقته بلون السّماء صاحية، تدفع الموت بعيدا كحصن اللّسان يدفع الأذى عن قائله والشّاعر إذ قال الأبيات إنّما استقى عباراته من قول كعب بن زهير في قوله:

شُمُّ العَرانِينِ أَبْطالٌ لَبوسُهُمُ من نَسْـجِ دَاوُدَ في الهَيْجــا سَرابِيلُ

لقد أوتي النبيّ داود الملك والنّبوة والقوّة، فكان مقاتلا صنديدا ومحاربا ماهرا وسيفا جرّده الله كما تفنّن في تعليم النّاس ما علّمه الله من فنون القتال الدّفاعية الّتي ترد بأس الظّالمين، وكان النّاس من قبل يتفنّنون في استحداث أدوات القتل من سيوف ورماح،

*– النّثرة: الدّرع السّلس الملبس .

*– النصل حد حامي للسّيف أو السّهم أو الرّمح أو السّكين عادة ما تكون مصنوعة من مواد أصلد :ينظر معجم اللّغة مادة نصل.

*– الشجي الحزين .، *الدّنف الذي ثقل مرضه ويراد به المحبّ.

* النّطف ج نطفة: اللّؤلؤة الصّافية .

[1]– ينظر: رايات المبرزين ، ابن سعيد ، ص 53.

فصاروا مع داود يتعلّمون كيف يصنعون لباس الدّفع، وينسجون الدّروع السّابغات1 تردّ عنهم البأس حتّى ضرب بها المثل في الإتقان والجودة؛ فيقول من بحر الطّويل:

وَفَضْفَاضَةٍ خَضْرَاءَ ذَات حَبَائِكٍ إذَا لَبِسَتْ فَاضَتْ عَلَى بَطَلٍ كُفْــوِ
لَهَا لِينُ لَمْسٍ لاَ يَخَافُ خُشُونَةً تُشَافِهُهَا مِنْ حَدِّ ذِي شُطَبٍ مُهْــوِ
عَلَى أنَّهَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ نَثْرَةٌ أَدَقُّ عَلَى الأَبْصَارِ مِنْ أَثَرِ الرَّفْـــوِ
تَرُوقُـــكَ مِنْهَا زُرْقَةٌ فَكَأَنَّهَا سَمَاءٌ بَدَتْ لِلْعَيْنِ فِي رَوْنَقِ الصَّحْوِ
تَرُدُّ الرَّدَى عَنْ ذِمْرِهَا فَكَأَنَّهَا تَذَرُّعُ مِنْ سُخْطِ الأَلْسِنَةِ بِالعَفْـــوِ[2]

تدلّ الأبيات على سعة ثقافة الشّاعر واطّلاعه على أشعار القدامى وتمكّنه من تفاصيل وصف الدّروع عند العرب، وهو رمز العزم والحزم مثلما قال سابقوه: أمثال المتنبّي حين وصف درعًا من بحر الطويل:

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسجُ داوُدَ عِندَهَا إذا وَقَعَتْ فيهِ كنَسْجِ الخدَرْنَق[3]

وليس ببعيد عن الحرب يصف ابن اللّبانة مراكب الغزو في البحر قائلا:

لَكَ المُنْشَآتُ الجَارِيَاتُ كأَنَّهَا ضَوَارِي شَـــوَاهِينُ عَلَى المَاءِ حُومِ
فَظَلَّتْ بِهَا بيْنَ النَّوَاظِرِ وَالكَرَى فَمِنْ مُحْرِمٍ يَسْـــرِي الخَيَالُ لِمُحْرِمِ
حَمَدْنَا لَهَا فَضْلَ التَّأَخُّرِ أنَّـــهُ يُقَالُ: يَكُونُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَـــدِّمِ
أَقَامَتْ عَذَارَى بِالعَذَارَى حَوَامِلاً وَلَمْ تَرَ إِلَّا أنْ تَجِـــيءَ بِتـــــوْأَمِ[4]

---

[1]- ينظر: http://almahajjafes.net تاريخ الولوج: 5-5-2022 على: السّاعة: سا8: 43د.
[2]- ديوان ابن حمديس، ص 392.
[3]- ديوان المتنبي أحمد بن حسين الجعفي، المتنبّي، أبو الطيب، دار بيروت، د ط ،1983، ص 346، الخرندق هو العنكبوت.
[4]- ينظر ديوان ابن اللّبانة، ص 137.

لقد شبّه الشّاعر السّفن في رسوها في الماء وهي تحوم كأنّها طيور الشّاهين الصّقر الكاسر الّذي لا يهاب شيئا وظلت راسية متيقّظة لا يهدأ لها بال ولا تنام البتة، وحتى وإن تعطلت في التّقدّم، ففيه خير كثير لأن التأخّر قد يجلب الرّزق المضاعف كعذراء إذا تزوّجت حملت بالتّوأم.

وأمّا ابن حمديس فيورد خفّاقة الرّايات وهي كناية عن الحرب، وقد أعد فيها العتاد المكدّس استعدادا للنّزال تعجبك في منظرها ولكن واقعها مريب كالحسناء تروقك إذا ضحكت ووحش إذا عبست وكشّرت عن أنيابها، فهي ترغم أنوف الأعداء وتغير صدروهم عند حزم الأمر فيطعن العدى بطعنات تشبه عيون النّجلاء في اتّساعها، وأصابت السيوف الصّوارم مواطن الكتمان وقضت على الأنفس غير آبهين بالرّدى حتّى وإن ماتوا صغارا فمن بحر الطّويل:

وَخَفَّاقَةِ الرَّايَاتِ فِي جَوْفِ نَقْعِهَا تَرَى الجُرْدَ فِيهَا بِالكماة* تُكَدَّسِ
تَرُوقُكَ كَالحَسْنَاءِ يَضْحَكُ سِنُّهَا وَتَرْتَاعُ مِنْهَا وَهِيَ كَالغُولِ تَعْبَس
وَتَقْلَعُ أَرْوَاحَ العــــــداةِ أسنّةٌ تَرَاهَنَّ مِنْهُمْ فِي الحَيَــازِيمِ تُغْرَس[1]

فتظهر في الأبيات شخصيّة المقاتل الفذّة الّتي تنازل ببسالة في ساحة الوغى، وقد يخوض غمار الموت بكل حزم ورجولة.

ومن بحر المتقارب وصف المعركة يقول ابن حمديس:

وَباكِيَةٍ بِعُيُـــــــونِ الجِرَاحِ إِذَا ضَحِكَتْ عَنْ ثُغُـــورِ الأَسَــــلْ
لبِسَـــــتِ الغَمَامَ لهَـا نَثْـرَةٌ وَجَرَدَتْ بَارِقَهَا المِشْتَـــــــــعِــلْ
قَدَدْتُ بِهَا الدَّرْعَ فَوْقَ الكُمِّي كَمَا شُـــقَّ مَتْـــــنُ غَــدِيرٍ غَلَلْ
بِأَدْهَمَ يَسْقُطُ مِـــــنْ ذِمْرِهِ عَلَى عُــمْرِ كُلِّ شُـــــجَاعٍ أَجَـلْ
يَطِيرُ بِهِ حَافِرٌ، رَيْثُهُ فَكَأَنَّــهَا شَأَى البَرْقَ فِي خَـطْفَةٍ عَنْ عَـــجَلْ[2]

يجمع الشّاعر بين المتناقضين البكاء والضّحك حين وصف المعركة بالباكية لما تزهق فيها من أرواح ومفترّ فمه لما تلحق من انتصارات المقاتل البواسل الّذين التفت صورهم بالدّروع الزّرق كغمامة غطت السّماء وكغدير شقّ الغلل، وقد امتطى المقاتل صهوة جواده السّريع الشّجاع الّذي لا يضارعه أحد كأنّه لمح البرق خطف في عجلة من رؤيته.

وفي أبيات استغلّ ابن حمديس براعته في التّصوير وعقد علاقات المشابهة في وصف شراع سفينة إثر نزهة على ظهر زورق حيث يصف من بحر الطّويل:

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لِي بِبَابِ الزَّخَارِفِ رَقِيقُ حَوَاشِي الحُسْنِ، حُلْوُ المَرَاشِفِ

*- الكماة: بالدِّرْعِ وَالخُوذَةِ
[1]- ينظر ديوان ابن حمديس، ص 279.
[2]- ديوان ابن حمديس، ص 362.

لهَوت بهِ وَالدَّهْرُ وَسْنَانُ ذَاهـــِلُ وَغُصْنُ الصَّبَى رَيانُ لَدن المِعَاطِــفِ

أعَاطِي تحَاياَ الكَاسِ وَالآسِ فتيَةٌ تخايَل سُودُ العُذْرِ بيضُ السَّوَالِـــفِ

وَذيْلُ رِدَاءِ الغَيْمِ يخْفِقُ وَالصـــّبَا تَخُبُ، وَموْجُ النَّهْرِ ضَخْمُ الرَّوادِفِ

يَطيرُ بنَا فيِــــــــهِ شِراَعٌ كَأَنَّهُ إذَا ضَرَبَتْهُ الرّيــحُ أحْشَاءُ خَائِـــفِ

وَقدْ بَلَّ أعْطَافُ الرُّبَى دَمْع مُزْنَةٍ تحِيرُ فِي جَفْنٍ مِنَ النُّورِ طَـــــارِفِ [1]

أغرم الشّاعر بالطّبيعة فراح يستكشفها ويغمر وجده بالحبور، فمرح بين رياض الحقول المزهرة، والبساتين المثمرة، حيث الأغصان المورقة والأشجار النديّة والأطيار الشذيّة والخلاّن المؤنسة، والسّماء الغائمة بعيدا عن ضوضاء المدينة وقد ركب سفينة على النّهر، دفعت الرّياح شراعها وطوّحت به ليرتعد كأحشاء الخائف من فرط الفزع، وهنا تظهر براعة التّصوير والرّيادة في انتقاء التّشبيه، كذلك تظهر مظاهر الحضارة في استعمال السّفينة في النّزهة، والبحث عن أسباب الرّاحة والاستجمام.

ويصف ابن خفاجة قوسا حيث شبّهها بالحيّة تنساب وشبّه السّهم خارج منها كأنّه هلال انقض منه شهاب تجسيد الصورة جعلها تشخص أمامنا حيث يقول من بحر الكامل:

عَرْجَاءُ تَعْطِفُ ثُمَّ تُرْسِلُ تَارَةً فَكَأنَّمَا هِيَ حَيَّةٌ تَنْسَــــــــابُ

وَإذَا انْتَحَتْ وَالسَّهْمُ مِنْهَا خَارِجٌ فَهِيَ الهِلاَلُ انْقَضَّ مِنْهُ شِهَابُ [2]

وقال أبو جعفر أحمد بن الوضّاح (ت 542هـ) الملقّب بالبقيرة[3] في القوس الّتي يصاد بها الطّيور:

عَجَبِي مِنَ القَوْسِ الكَرِيهَةُ أنَّهَا لَمْ تَرْعَ حَقَّ حَمَائِمِ الأَغْصَــانِ

---

[1]- ديوان ابن حمديس، 210.

[2]- ينظر: الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز محمد عيسى، ص 122، ديوان ابن خفاجة، ص 40

[3]- ينظر ترجمته: م ن، ص 199،

أَضْحَتْ لَهَا حَتْفًا وَكَانَتْ مَأْلَفًا وَكَذاكَ حُكْمُ حَوَادِثِ الأَزْمَانِ[1]

يحاول الشّاعر علاقة المشابهة بين الأغصان الّتي حوت الطّيور يوما وكان بينهما عشرة وأصبحت وسيلة أن يقيم القضاء حتفها كذلك الإنسان قد يكون لك مسالما ويتسبّب في هلاكك يوما فقد استعمل الوصف والغرض منه النّصح والإرشاد.

وفي وصف الأماكن نجد ابن حمديس يصف حمّاما يعجّ بالنّاس وينقص هواؤه النّقي ومياهه قليلة وحنياته تزعج النّفس وخاصّة أنها تقطر على الزّبائن كالسّهام وسخونته كبيرة تذكّرنا بنار جهنّم ويخالها أنّها وقود لعظامه ويطلب العفو والعافية من كلّ ذنب يغمسنا في النّار من بحر المتقارب:

وَحَمَّامِ سُـــــوءٍ وَخـــيمِ الهَوَاءِ قَلِـــــيلِ الميَـــاهِ كَثِيرِ الزّحَامِ

فَمَا لِلقِيَامِ قُعُـــودٌ بِـــــهِ وَلاَ للقُعـــــــــُودِ بِهِ مِنْ قِيَامِ

حَنِيَّاتُهُ قَانِصَـــــاتٌ لِنفْسِي وَقَطَرَاتُهُ صَائِبَاتُ السِّهــاَمِ

ذَكَرْتُ بِهِ النَّارَ حَتَّى لَقَـــدْ تَخَيَّلْتُ إيقَادَهَا فِي عِظَامِي

فَيَا رَبُّ عَفْوَكَ عَنْ مُذْنِبٍ يَخَافُ لِقَاءَكَ بَعْدَ الحِمَامِ[2]

ومن مظاهر الحضارة في الأبيات جمال العمران والإبداع في تسخينه لدرجة لا تطاق والحنيات والقرنصات التي ملأت أرجاءه واستقى فكرة وقد النارّ من قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ .﴾[3]

---

[1]- م ن، ص ن

[2]- ينظر ديوان ابن حمديس، ص 559.

[3]- سورةالبقرة: الآية 24رواية ورش عن نافع.

ووصف قصرا[1] بناها المنصور بن أعلى الناس (علناس) ببجاية من بحر البسيط:

وَاعْمُرْ بِقَصْرِ المِلْكِ نَادِيكَ الَّذِي	أَضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتَهُ مَعْمُورَا
قَصْرٌ لَوْ أَنَّكَ قدْ كَحَلْتَ بِنوُرِهِ	أَعْمَى لَعَادَ إِلَى المِقَامِ بَصِيرَا
وَاشْتَقّ مِنْ مَعْنَى الحَيَاةِ نَسِيمَهُ	فيَكَادُ يَحْدُثُ لِلْعِظَامِ نَشُورَا
ولوْ أنّ بِالألْوَانِ قُوبِلَ حُسْنُهُ	مَا كَانَ شَيْءٌ عِنْدَهُ مَذْكُورَا
وَمَضَتْ عَلَى الرُّوم الدُّهُورُ وَمَا بَنُوْا	لِمُلُوكِهِمْ شَبَهًا لَهُ وَنَظِيرًا[2]

انبهر الشّاعر بحسن بناء القصر الّذي أعلى من شأنه، ويشيد بجماله فمن فرط جماله يكتحل الأعمى فيبصر في حينه إذا ولجه، فهو رمز الحياة وترفيه للنفس فألوانه لا يضاهيها منظر ولا يضارعه بنيان وحتّى الرّوم ولم يصلوا لمثله تشييدا ويواصل وصفه بعرض تفاصيل أرجائه بدءا بأبوابه المرحبة بالضّيوف بصوتها الرنّان حيث يقول :

وَإِذَا الوَلَائِـدُ فَتَحَتْ أَبْوَابَـهُ	جَعَلَتْ تُرَحِّبُ بِالعُـفَاةِ صَرِيرَا
عَضَّتْ عَلَى حَلقَاتِهِنَّ ضَرَاغِمٌ	فَغَرَتْ بِهَا أَفْوَاهُـهَا تَكْـسِيرَا
بِمُرَخَّمِ السَّاحَاتِ تَحْسِـبُ أَنَّهُ	فُرِشَ المهَا وَتَوَشَّـحَ الكَافُـورَا
وَمُحَصّبٍ بِالدُّرِّ تَحْسَـبُ تُرْبَهُ	مِسْكًا تَضَوَّعَ نَشْرهُ وَعَبِـيرَا
وَضَرَاغِمٌ سَكَنَتْ عَرِينَ رِئَاسَةٍ	تَرَكَتْ خَرِيرَ المَاءِ بِهِ زَئِيـرَا[3]

---

[1]– ينظر: المنصور بن النّاصر بن علناس بن حماد ابن بلكين الصنهاجي: سادس ملوك الدّولة الحمّادية بالقلعة وبجاية بالمغرب الأوسط. بويع بعد وفاة أبيه الناصر (الآتية ترجمته) سنة 481هـ/ 1088م، كان مقره بقلعة بني حماد، ثم انتقل إلى بجاية سنة 483هـ واتّخذها عاصمة لدولته. وفي سنة 484هـ استولى المرابطون على المرية بالأندلس، ففر صاحبها معز الدولة، تزوج الناصر بُلارة ابنت تميم بن المعز، التي ابتنى لها قصر سماه قصر بُلارة، ص322 – كتاب معجم أعلام الجزائر – المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد ابن بلكين الصّنهاجي – المكتبة الشاملة الحديثة الرابط:/https://al-maktaba.org/bookتاريخ الولوج 4- 5- 2022على 19:37سا .

[2]– ديوان ابن حمديس، 546.

[3]– ديوان ابن حمديس، ص 546

وإذا دخلت السّاحات سرك الرّخام المفرش على الأرضيات وكأنّه جلد المها في زركشته وأشكاله الأخّاذة ورائحة الكافور لا تبرحه وأمّا تربته فمسك وعنبر تفوح رائحته العبقة التي عمّت الأرجاء وهمّ يصف صورة الضّراغم في السّاحة الّتي سكنت عرين الباحة مصدرة خرير المياه من أفواهها بدل الزّئير ويواصل التّدقيق في وصفه قائلا:

أُسْدٌ كَأَنّ سُكُونَهَا مُتَحــرّكٌ	فِي النَّفْسِ لوْ وَجَدَتْ هُنَاكَ مُثِيرَا
وَتَذَكَّرْتُ فَتَكَــاتِهاَ فَكَأَنَّمَــا	أقعَتْ عَلَى أدْبَــــــارِهَا لِتثُورَا
وَضَعَتْ بِهِ صُنَّاعُهُ أقلْاَمَهَا	فَأَرَتْكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْــــــوِيرَا
وَمُصَفَّحِ الأَبْوَابِ تِبْرًا نَظَّرُوا	بِالنَّقْشِ بيْنَ شُــــــكُولِهِ تَنْظِيرَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلىَ غَرَائِبِ سَقْفِهِ	أبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرَا[1]

ولحسن جمال المكان فإنّنا واصلنا التمتع بوصف القصر الذي أعجب به ابن حمديس الصقلي وهو ينم بذوقه الرفيع وحسن تذوقه للفن الراقي ناهيك عن إبداعه في العرض حيث استغلّ الوصف في جعل الصورة تتحرّك أمامنا وتشمّ وتسمع وهذا هو التّجسيد بذاته فيصوّر أخيرا أنّ الأسود ساكنة وتبدو متحرّكة لأنّها مقرفصة قابعة على أدبارها وكأنّها على أهبة الثّوران ويندهش لجودة الصّنّاع في رسم الطّرائد على الجدار وكأنّها حقيقة لا مناص منها، وأمّا مصفح الأبواب فمنقوش بتشكيلات دقيقة، وحتّى السّقف فقد احتوى على غرائب الصّنيع على السّقف؛ فهو روضة نضرة في السّماء.

وقال ابن حمديس في وصف ثريا الجامع أنّها تشبه الشّمس في إنارتها فسناها يخفي كل ظلام دامس وتحرّكها يحدث صلالا حادّا لضخامتها وجدّة المادّة الّتي صنعت منها، وهنا

---

[1]- ديوان ابن حمديس، ص 547.

يظهر تطوّر الصّنّاع في صنع الثّريا بالخزف كمادة أوّليّة، والمتمعّن في النّظر إليها يراها كوكبا ناريّا توسّط بروج الزّجاج من بحر الطّويل صوّر:

وَمُشَبَّهَةٍ فِي الجَوِّ أَنْوَارَ أُخْـــتِهَا ... يُضِيءُ سَنَاهَا كُلَّ أَسْحَـــــمَ دَاجِ

كَأنَّ صَلاَلاً* وَسَطَهَا فِي مَكَامِنٍ ... تُحَـــــرِّكُ فِيهَا أَلْسُـــنًا بِلُجَاجِ

وَتَحْسَبُهَا تَجْلُو عَلَى كُلِّ نَاظِــــرٍ ... كَوَاكِبُ نَارٍ فِي بُـــــرُوجِ زُجَاجِ[1]

ووصف أبو الصّلت أميّة بن عبد العزيز مجمرة طيبٍ من بحر الطّويل حيث يشبّه وسطها بأحشاء الإنسان وبها حرارة تضاهي حرارة الحبّ في قلب المحبّ، وقيمتها عالية عند السّمر فتتعالى قطرات بخارها لتعمّ الجوّ لطافة وانتعاشا وكلّما خبا جمرها إلاّ ولقيت النّديم يذكيها ليشعشع ظمأ الحاضرين المجالسين:

وَمَحْرُورَةِ الأَحْشَاءِ لَمْ تدْرِ مَا النَّوَى ... وَلَمْ تَدْرِ مَا يَلْقَ المحِبُّ مِنَ الوَجْدِ

إِذَا مَا بَدَا بَرْقُ المِدَامِ رَأَيْتَـــــهَا ... تُثِيرُ غَمَامًا فِي النَّدي مِنَ النّــــدِّ

وَلَمْ أَرَ نَارًا كُلَّمَا شَبَّ جَمـــــرُهَا ... رَأَيْتُ النَّدَامَى مِنْهُ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ[2]

وليس بعيدا عن مجالس السّمر والشّرب نجد محمدا بن البين البطليوسي في وصف الغانيات يصفهنّ بالمها والظّباء تزيّن بالحليّ كأنّه نجوم متلألئة وقدّهنّ رشيق ونهودهنّ مغريات وضفائرهن جالبات نهبن قلوب وعقول الرّجال الّذين بدورهم شبّههم بالأسود:

غَصَبُوا الصَّبَاحَ فَقَسَمُوهُ خُدُودَا ... وَاسْتَنْهَبُوا قُضُبَ الأَرَاكِ قُدُودَا

وَرَأَوْا حَصَا اليَـــــاقُوتِ دُون نُحُورِهِمْ ... فَاسَتبْدَلُوا مِنْهُ النُّجُومَ عُــقُودَا

وَاسْتَوْدَعُوا حَـــــدْقَ المهَا أجْفَانَهُمْ ... فَسَبَوْا بِهِنَّ ضَرَاغِمًا وَأُسُـــودَا

---

*- الصّلال: صوت الخزف الجديد.

[1]- ينظر ديوان ابن حمديس، ص 77.

[2]- ينظر: م ن، ص 65.

لَمْ يَكْفِهِمْ حَمْلُ الأَسِنَّةِ وَالظِّبَا حَتَّى اسْتَعَارُوا أَعْيُنًا وَنُهُودَا

وَتَضَافَرُوا بِضَفَائِرَ أَبْدَوْا لَنَا ضَوْءَ النَّهَارِ بِلَيْلِهَا مَعْقُودَا

صَاغُوا الثُّغُورَ مِنَ الأَقَاحِي* بَيْنَهَا مَاءُ الحَيَاةِ لَوْ اغْتَدَى مَوْرُودَا[1]

ومّما أثار دهشتنا في الوصف أنّ الشّاعر ابن خفاجة وصف خيلا ويخيّل إليك أنه يصف خمرا:

وَالكَأسُ طِرْفٌ أَشْقَرٌ قدْ جَالَ فِي عَرَقٍ عَلَيْهِ مِنْ الحَبَابِ يَسِيلُ

يَسْعَى بِهَا قَمَرٌ لَهُ وَلكَأْسِهِ وَجْهٌ أَغَرٌّ وَمْبسِمٌ مَعْسُولُ [2]

وَصف ابن خفاجة خاتما بنفسجيّ اللّون كأنّه ماء يترقق صفاء وجمالا، وهو مع فصّه المتميّز؛ كأنّه حبيب يصعب فراقه، ولأن كتب على حامله فراق، فهو حتما كمن بهت وتحيّر في مصاب جلل[3]

وَمُزَرْقَقِ الإفْرِنْدِ أَبْرَقَ بَهْجَةً وَدَجَا فَأَطْلَعَ فِي الظَّلاَمِ ضِيَاءَ

كَسَفَتْ بِهِ للشَّمْسِ حُسْنًا آيَةٌ تَسْتَوْقِفُ الرَّائِي لَهَا حِرْبَاءَ

وَتَخَتَّمَتْ مِنْ فَصِّهِ بِغَمَامَةٍ كَفٌّ تَكُونُ عَلَى السَّمَاحِ سَمَاءَ

قَدْ صِيغَ صِيغَةَ حِكْمَةٍ أصْبَى لَهَا نَفْسُ الحَكِيمِ وَضَاجَعَ العَذْرَاءَ

مَا إنْ تَرِفُّ لهَا بَنَفْسَجَةٌ بِهِ حَتَّى تَرِقُّ لَهَا فَتَجْرِي مَاءَ[4]

---

* – الأقاحي: نَبَاتٌ مِنَ الفَصِيلَةِ الْمُرَكَّبَةِ، لَهُ زَهْرٌ أَبْيَضُ وَرَحيقٌ أَصْفَرُ، ذُو رَائِحَةٍ عَطِرَةٍ، تَحْمِلُ رُؤُوسُ أَغْصَانِهِ زُهُورَهُ، يَنْبُتُ بَرِّيّاً وَيَكْثَرُ فِي الْمُرُوجِ.

[1] – ينظر: الأدب العربي في الأندلس، ص 126.

[2] – ينظر ديوان ابن خفاجة، ص 245.

[3] – ينظر شرح الأبيات في ص ن، ديوان ابن خفاجة.

[4] – ينظر: ديوان ابن خفاجة، ص 10

ومن مظاهر الاحتفالات الّتي جلبت ابن الّلبّانة: النيّروز[1] وهو يوم يحتفل به النّاس في المغرب والأندلس مستبشرين خيرا بالعام الجديد من شهر يناير يتميز باحتفالات خاصة وتزين الموائد بأشهى الأطباق حيث يصف الموكب البهيج بالبدر المنير في طلعته ويتمنّى لو كان يانعا في فترة الصبا لما تركه حتّى تنتهي المراسم في صباح الغد حيث يتهادى الأحباب العطايا، يوم مميّز برائحة الكافور تعبق الأرجاء في كل النواحي تلعب فيه كل حسناء رشيقة مياس في مشيتها فيقول :

يَا كَوْكَبَ النَّيْرُوزُ فِي بَهْجَةٍ أَسْنَى مِنَ البَـدْرِ المنِيرِ اللّــــــــيَّاحِ
جَاءَتْ عَطَايَا تَهَادَى بِــهِ تَهَادِيَ الغِـيدِ غَدَاةَ اقْتــــــــرَاحِ
لَوْ أنَّ لِي قُوَّةَ عَهْدِ الصّـــبَا لَمْ أتْرُكِ النَّيْـــرُوزَ دُونَ اصْـــــطِبَاحِ
يَوْمٌ رَقِيقٌ ثَائِرٌ نَاظِـــــمٌ كَافــُورُهُ فَوْقَ الرُّبَى وَالبِطَــــــاحِ
تَلْعَبُ فِيهِ كُلُّ مَيَّاسَـــــةٍ مَيْـــسَ غُصُونِ تَحْتَ رَوْحِ الرّوَاحِ [2]

ويواصل وصف تفاصيل الاحتفال حيث يذكر أنّ المياس تتلوّى كأخبث الحيّات، ومعجبة بنفسها، كالخيل في مرحها شامخة بارزة كالرّبوة بين الأراضي وغزالة في مشيتها وتبخترها مرهفة الحسّ وجميلة القدّ والعنق، وهنا كناية عن الحسن والجمال تلبس رداء من صوف أسود متبخترة وتتدلّل في وسطه وطرفاه تحت إبطيها ومغطّ صدرها فيقول:

فِي مُلْتَوَى الأَرْقَمِ فِي جِلْـــدِهِ فِي خَيْلاَءِ الخَيْلِ عِنْدَ المـــــرَاحِ
إنْ قَعَدْتَ قُلْتَ رُبًى فِي ثَرَى وَإِنْ مَشَتْ قلْتَ مَهًى فِي مَرَاحِ
غَيْدَاءُ جَيْدَاءُ لَهَا مِعْطَـــفٌ يَرْفُلُ مِنْ دِيَاجهِ فِي اتِّشَــــــاحِ[*]

---

[1]- ينظر التّفاصيل: الذّيل والتّكملة، عبد الملك المراكشي، ج 2/، ص 565.

[2]- ديوان ابن الّلبانة، ص 47.

[*]- تتشح: تغطى به ثم أَخْرَجَ طَرَفَه الذي أَلقاه على عاتقه الأَيسر من تحت يده اليمنى، ثم عقد طرفيهما على صدرِه

إِنْسَانِيَّةٌ وَحْشِيَّةٌ رَكَبَــــــتْ مِنْ صُورَةِ الجِدِّ وَشَكْلِ الهَــزْلِ
سَاكِنَةٌ فِي جَوْفِهَا نَاطِــــــقٌ يَنْطــِقُ عَنْـــــهَا بِمَعَانٍ فَصَاحِ [1]

فالحسناء ساكتة لا تتحدّث وقلبها من يحدّثك عن رصانتها ورقّتها وحسن طبعها وزينتها الّتي تجلب النّاظرين إليها وتملك قلب كلّ رجل شجاع حتّى يخدمها ويتيّم بحبّها ويحارب لأجلها في سبيل لمحة منها فهو يتغزّل بجمالها، ويصف حسنها الفاتن الفتّان فيقول:

كَأَنَّمَا حِلْيَتُهَا أَلْـــــــسُـــنٌ تَمْلأُ سَمْعَ الدَّهْرَ فِيكِ امْتــــِدَاحِ
يَخْدِمُهَا كُلُّ كَمـــــــــيّ لَهُ وَجْهٌ حَيٌّ وَفُـــــــــؤَادٌ وَقَّاحِ
يَخْرُجُ رَوْحَ الرَّوْعِ صِمْصَامُـــــهُ وَوَجْهُهُ يَجْرَحُهُ الالتَمـــــــاحِ
مُرْهَفُهُ نَارٌ وَفَضْــفَاضَـــــهُ مَاءٌ وَبَيْنَ الحَالَتَيْنِ اصْطِــــلاَحِ [2]

ونحن إذ عرضنا الأبيات الكثيرة حتّى نبيّن مظاهر الاحتفال بالنّيروز وهو مظهر من عراقة القوم واستمتعنا بتفاصيله الّتي لم نكن نسمع عنها سابقا وقراءتنا زادتنا شغفا بمعرفة تفاصيل الاحتفال بفضل وصف الشّاعر وتجسيده النّاجح للأحداث.

لقد أطال الشّعراء النّظر في الطّبيعة، فرسموا لوحات فنّية من البيئة المحيطة بهم وقد ألهمتهم وصفها وتجسيدها ممّا تطلّب الاهتمام ا بأدقّ التّفاصيل، ولم يلجموا أنفسهم من التّغنّي بها وذكر بديع صنعها، ومنهم من ذكر تفاصيل حياته من أدوات ومنازل ومواقف تستدعي التّفصيل فيها، وقد استطعنا من خلالها إدراك تفاصيل الحياة في تلك الفترة وتعرّفنا على عناصر الحضارة والرّفاهية آنذاك والأغراض الشّعرية التي اتّصلت وثيقا بالوصف حتّى أصبح كلّ شاعر يجعل الوصف كوعاء للشّعر فجعلوا المدح متّصلا بوصف جمال الطّبيعة

[1]– م ن، ص ن
[2]– م ن، ص 48.

والتّغزّل جزء لا يتجزّأ منه يستقي منها عناصر يتغزّل بها ويعبّر عن مكنوناته لمحبوبته، ووجدنا الحكمة والهجاء كذلك.

6-الغزل:

لقد احتلّ الغزل – بعد الوصف- مكانة مرموقة في العصر الأندلسي، فقد وجدنا رسائل الحبّ والحنين والشّوق للقيا المحبوبة والمفعمة بثمار العشق والإحساس المرهف، ولقد وُلد في البيئة الأندلسيّة، وترعرع بين أحضانها ثم نما وينع مع مظاهر الحضارة والعلاقات الإنسانيّة <<...فالأندلس شاميّة في طيبها وهوائها، يمانيّة في اعتدالها واستوائها، هنديّة في عطرها وذكائها، أهوازيّة في عظم جباياتها، صينيّة في جوهر معدنها[1].>>

ومن المعلوم أنّ للبيئة الأندلسيّة أثر بالغ في تحريك عواطف الشّعراء، وإثارة وجدانهم، والتّعبير عن مكنوناتهم، كما كان لمجاس اللّهو الدّور الفعّال في إطلاق العنان لفضفضة المكنونات والمكبوتات تطلّعًا للحرّية والإفصاح عن معاناة الفراق وصده وإعراضه، وقد غلبت عليها الرّقّة والعذوبة فقد عشّش الغزل في هذه المجالس لأنّه وجدها متنفّسا ومكانا مناسبا للمتع والنّعم خاصّة وأنّ كأس المدام لم يفارقها، حيث كانت كأس الخمر لا تبرح يد السّاقي<<فالشّاعر يعبّر عن عاطفة الحب الّتي تختلج بقلبه وتعتلج بنفسه، مصوّرا هذا الجمال كما يراه هو، لا كما يراه غيره، حيث يصوّر مشاعره، ويصف آلامه وآماله، ويبقى هذا الجمال أهمّ باعث من بواعث الغزل[2]>>، فكلّ تعبير عن المشاعر يكون حتما نابعا عن مكنونات دفينة بالقلب حرّكها الإعجاب بالجمال أو القبح .

---

[1]- ينظر، أزهار الرياض في أخبار عياض، المقري،ج 1/ ص 60.

[2]- ينظر: الغزل في العصر الجاهلي، الحوفي أحمد محمد، دار النّهضة، مصر للطّبع والنّشر، الفجالة، القاهرة /مصر ط3، (د.ت)، ص11.

لقد احتلّت المرأة في العهد المرابطي المكانة العالية في قلب الرّجل ولبّ القريض، ممّا قوّى الشّعور باحترام المرأة وربّة الدّار[1]، ناهيك عن المجالس العلميّة والأدبيّة الّتي كانت تعقدها بعض الشّاعرات في مجالسهنّ أمثال الشّاعرة نزهون بنت القلاعي الّتي كانت تجالس الوزراء وأخبارها مع الشّاعر الزّجّال ابن قزمان والوزير أبي بكر بن سعيد[2] وأجادت حمدة بنت زياد بن بقي من واد آش[3] في وصف الطّبيعة والغزل حتّى لقّبت بخنساء المغرب[4]

فالمتصفّح للشّعر نجد أنّه شقّ نهجين في الغزل الأوّل يتمثّل في حبّ المرأة الزّوجة، والآخر غزل الحبيبة.

أ. *الغزل الحسي للمرأة الحرة سواء كانت زوجة أو حبيبة:*

وهو تصوير لوجد الشّاعر انطلاقا من وصف الطّبيعة وتصوير مجالس الخمر ودمجها بالتّجربة الشّعورية الّتي تصوّر المعاناة الوجدانيّة والانفعالات العاطفيّة محدّدا ملامح المرأة دون الخوض في المشاهد المثيرة للغريزة[5]؛ فقد تودّد الشّعراء لزوجاتهنّ وهذا دليل محبّة الزّوج لزوجته، فمنهم من هنّأ زوجته على سلامتها بعد ولادتها وآلام المخاض كابن عبيد الله بن محمد بن الرّشيد (ت 530هـ) الّذي كتب أبيات تهنئة لزوجه إثر ازديان فراشه بولده المعلى يقول فيها:

أُهَنِّيكِ بلْ نَفْسِي أُهَنِّئُكِ فَإِنَّنِي بَلَغْتُ الَّذِي كَانَ اقْتِرَاحِي عَلَى الدَّهْرِ

---

[1]- ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، ص 31.

[2]- ينظر: المرأة المغربية المرابطية في عهد المرابطين /مليكة حميدي، ص 341.

[3]- مدينة قريبة من غرناطة، مناظرها خلابة بها نهر ينحدر من جبل شلير بجانبها الشّرقي بها شتّى صنوف الأشجار المثمرة تسمى guadix معجم البلدان الحموي، مج 1/ ص 198.

[4]- ينظر: نفح الطّيب، المقري، ج4/ ص 287- 237.

[5]- ينظر الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين، محمد مجيد السّعيد /، ص 164.

خلاَصُكِ مِنْ أيْدِي المَنُونِ وَغْرَةٌ بَدَتْ لِلمُعلّي مِثْــــــــلَ دَائِرَةِ البَدْرِ
فَقَرَّتْ بِهِ عَيْنِي وَعَيْنُكِ فِي العُلاَ وَلاَ زَالَ اسْمِي فِي المـــــحَلِّ مِنَ الغَفَرِ[1]

لقد هنّأ الزّوج زوجته على خلاصها من يد الردّى، وهذا دليل على مكانتها البالغة في قلبه، ووصلت الفرحة قمّتها حين رأى مولوده النّورَ سالما غانما فقرّت عيناهم.

ولحرص الشّاعر أبي بكر الأبيض (ت 520هـ)[2] على زوجته كتب أبياتا يوصيها فيها بضرورة الحذر من الذّئاب البشرية حتّى لا يطمع فيها من بقلبه المرض إذ يقول:

كُونِي عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ عُدَاتَنَا يَتَرَقَّبُونَكِ بِالمِكَانِ البَلْقَــــعِ
فإذَا لَقِيتِ سُرَاتَهُمْ فَتَقَنّعِي حَذَرًا عَلَىَ خُلُقِ الهُمَامِ الأَرْوَعِ
لُفّي بَنَانَكِ بِالرِّدَاءِ وَسَلِّمِي تَكْفِي الكَرِيمَ إشَارَةً بِالأُصْبُعِ[3]

ويحرص الشّاعر على أن تعتني زوجه بمشيتها وتغطّي أصبعها حتّى لا تترك مجالا لمن يطمع بها فالعلاقة قائمة على الحبّ والغيرة على العرض والعاطفة – لا شك – صادقة مشحونة بالحبّ والتقدير.

ويتأجّج الشّوق والحنين حين يحدث النّأي بين الحبيبين ولمح البرق ليلا يبعث فيه الشّجن، ليحنّ لأهله وأحبابه فينفطر قلبه حزنا وشوقا على الفراق، وهذا ما صوّره الشّاعر الأعمى التّطيلي في أبياته على بُعد محبوبته من بحر الطّويل أنشد:

فُؤَادٌ عَلَى حُكْمِ الهَــــــوَى يَهِيـــمُ عَلَى إِثْرِ البَخِيلَةِ أَوْ يُهْــمِي
مَتَى أَشْتَفُّ مِنْ لوْعَتِي وَأُطِيقُهَا إذَا كَانَ بِجَنْبِهَا فُؤَادِي عَلَى جِسْمِي

[1]– ينظر: الحلّة السّيراء، ابن الأبار أبو عبد الله القضاعي، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1963م، ج 2/ ص 69.
[2]– ينظر ترجمته: الأدب العرب عمر فروخ، ص 295.
[3]– ينظر م ن، ص 298.

هَنِيئًا لِسَلْمَى فَرْطَ شَوْقِي وَأَنَّنِي ذَكَرْتُ اسْمَهَا يَوْمَ النَّوَى وَنَسِيتُ اسْمِي

غَدَاةَ وَقَفْنَا يَقْسِمُ الشَّوْقُ بَيْنَنَا عَلىَ مَا اشْتَرَطْنَا وَارْتَضَيْتُ سُنّـــَةَ القسْمِ

خَلِيلَيَّ هَلْ بَعْدَ النَّسِيبِ تَعِلَّةٌ لِذِي الجَهْلِ أَوْ فِي الحُبِّ شُغْل لِذِي حِلْمِ[1]

وقال الشّاعر أبياتا في مدح صاحب الوزارتين أبو جعفر بن أبيّ[2] وقد بدأها بمقدّمة طلليّة يصوّر فيها هُيامه بسلمى الّتي ترسّخت في فؤاده بعد نأيها، فاشتاق لطلّتها بعد أن كُتب بُعدُهما ولم يصفها حسّيا بل ركّز على الوجد الّذي أضناه وأرّقه كثيرا ولم يصفها مادّيا .

لقد نالت المرأة حظوة قلب الشّاعر سواء كانت حرّة أو جارية، فمن نظر إليها افتتن بجمال وجهها وبياضه، شقرة شعرها أو حندسه، وميس القدود ورشاقة جسمها الممشوق، وقد أثارت في قلبه وجدا فراح يصفها ماديّا وحسّيا ومن مواطن النّسيب: نجد الخصر والوسط والعينين والطول والوجه والجيد والفم والأسنان والرّيق والصّدر والرّدف والبطن وإلى غير ذلك من المفاتن.

يصف الأعمى التّطيلي محبوبته ويشيرّ إلى مقلتيها الفاتنتين الّلتيْن سلبتاه القلب فجمالها يضارع البدر ويتمنّى رؤيته قبل السّرار والمحاق ويقصد هنا نأي المحبوبة حيث اختار التّشبيه بظواهر الطّبيعة من بدر ثم سرار وأخيرا محاق لأنّهما سحرتا عقله ولن ينفع معه شيء حتّى الرّاقي، فلن تجدي رقيته إذ يقول من بحر الخفيف:

أَسْلِمِي مُقْلَتَيْكِ قبْلَ الفِرَاقِ فِي الَّذِي جَرَّتاَ عَلَى العُشَّاقِ

---

[1]- ديوان الأعمى التطيلي، ص 193

[2]- ينظر ترجمته : المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، ص 175.

قَبْلَ أَنْ يُقْلَعَ الوَدَاعُ بُدُورًا يَقْتَضِيهَا السِّرَارُ* قَبْلَ المحَاقِ*

آهٍ مِمَّا لَقِيتُ مِنْ طَرْفِكِ الشَّا ئِقِ أَوْ مِنْ فُؤَادِي المشْتَاقِ

نَفَثَتْ مُقْلَتَاكِ فِي عِقْدِ السِّحْـ ـرِ فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِنَفْثِ*الرَّاقِي[1]

وجاء الغزل عند أميّة بن أبي الصّلت زاخرا بالوصف المادّي والحسّي لحسن المرأة وجمالها حيث يمزج في أبيات من بحر السّريع صورة المرأة بصورة الغزال الّتي أصابته بسهام لحظها ويعترف أنّه قدر محتوم أن يتيّم بحبّها والدّرة البكر الّتي لم تشبها شائبة وثمينة لا يضاهيها أحد بنظرتها الحادّة كسيف عليّ بن أبي طالب الّذي لا يخطئ في التّصويب ندّه من بحر السّريع:

بِي مِنْ بَنِي الأَصْفَرِ رِيمٌ – رَمَى قَلْبِي بِسَهْمِ الحُورِ الصَّائِـــبِ

سَهْمٌ مِنَ الَّلحْظِ رَمَتْنِي بِـــهِ عَنْ كَثَبِ قَوْسٍ مِنَ الحَاجِبِ

وَكَمْ تَحَرَّزَتْ فلمْ يُغْـــــنِنِي مَا حِيلَتِي فِي القَدَرِ الغَالِــبِ

كَالدُّرَّةِ البِكْرِ* الَّتِي لمْ تُشَـنْ بِالْعَيْبِ مِنْ قُطْرٍ وَلاَ جَالِـبِ

كَأنَّمَا مُقْلَتَهُ فِي الحَـــــشَا سَيْفُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِــبِ[2]

*– السّرار آخِرُ لَيْلَةٍ في الشَّهْرِ القَمَرِيِّ

*– المحاق: مَا يُلاَحَظُ مِنْ نُقْصَانٍ فِي القَمَرِ بَعْدَ اكْتِمَالِهِ.

*نفَث– الرَّاقي في العقدة : نفخ فيها.

[1]– ديوان الأعمى التّطيلي، ص 113.

*– الدرةواحدة الدُّرّ، وهي اللّؤلؤة العظيمة الكبيرة ولا يشوبها عيب.

[2*]– أمية بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الأندلسي، الديوان، تحقيق عبد الله محمد الهوني، دار الأوزاعي، الدّوحة، قطر، ط 1، 1990م، ق 4/، ص 23.

وفي موضع آخر يصوّر الجانب المعنوي من شخصيّتها بعدما وصف المادّيّ سالفا إذ يقول معبّرا عن وجده الكبير حيال جمالها الأخّاذ الّذي سلبه الكرى، وهي غير آبهة بفرط وجده بحر الخفيف :

أَسْلَفَتْنِي الغَرَامَ سَالِفَــــــــتَاهُ * وَأَطَارَتْ عَنِّي الكَــــرَى طُرْتَاهُ*

وَأَعَانَتْ وَجْدِي عَلَى الصَّبْرِ عَيْنًا هُ فَوَيْحِي مِمَّا جَنَــــتْ عَيْنَاهُ

رَشَأٌ* وَرْدَهُ المـــــدَامِعُ وَالأَضْـ لُعُ مَأْوَاهُ وَالحَشَا مَــــرْعَـاهُ

لَمْ يَعِدْنِي بِالوَصْلِ يَوْمًا فَأَخْشَى بِتَمَادِي الصُّدُودِ أَنْ يَنْسَـــاهُ[1]

ويتغزّل ابن الزّقّاق الأندلسي البلنسي بمحبوبته؛ فجعلها كالصّبح في إشراقه وكالنّور في انبلاجه، وأنفاسها، كأنّها البخور المجمر والمعبّق بالرّائحة، كما أنّها بيضاء، حوراء تأثيرها في وجده كالسّنان الّذي يغادر السّقم، وهيفاء تضاهي الظّبيات في الحسن والجمال من بحر الكامل تغزّل:

سَفَرَتْ* وَرَيْعَانُ التَّبَلُّجِ*مُسْفِرُ فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا الصَّبَاحُ الأَنْــوَرُ

وَتَنَفَّسَتْ وَقَدْ اسْتَحَرَ تَنَفُّسِي فَوَشَى بِذَلِكَ النَّدِّ هَذَا المِجْمَرُ

مَقْصُورَةٌ بَيْضَاءُ دُونَ قِبَابِهَـــا هَنَدِيَّةٌ* وَأَســـنَّةٌ وَسَــنَوَّرُ*

لاَ تُشْرِعِي طِرْفَ السِّنَانِ لمِغْرَمٍ مِثْلِي فَحَسْبُكَ مِنْهُ طَرْفٌ أَحْوَرُ [2]

---

* – سالف: خُصْلَةُ الشَّعْرِ الْمُرْسَلَةُ عَلَى الخَدِّ.

* – طرتاه: المرأةُ من الشَّعْرِ الموفِي على جَبْهَتِها وتصفِّفُه؛ وهي القُصَّةُ.

* – الرّشَا ولد الظَّبية إذا قويَ وتحرك ومشى مع أُمِّه.

[1]– ديوان أبي الصلت: ق75/، ص 76.

* – أسفرت: كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِهَا.

* – أبلج الصبح: أشرق وأضاء.

* – هندية: أورثته عشقا بالملاطفة والمغازلة.

* – سنور: عظام حلوق الجمال.

[2]– ديوان: ابن الزّقاق ص 162.

في حين أنّ ابن خفاجة حبّذ صاحبة الشّعر اللّيلي كدامس الظّلام ووجهها المشرق الصّبّاح وخدّها وجيدها صفحتان بيضاويتان كبياض السّوسن وأناملها عُنّب شهيّ إذ يتغزّل من بحر الكامل:

فَتَقَ الشَّبَابُ بِوَجْنَتَـــــيْهَا وَرْدَةً وَفِي فَرْعِ أَسْحَـــلَةٍ تَمِيدُ شَبَابَا
ضَمَّتْ سَوَالِفُ جِيدِهَا سُوسَانَةً وَتَوَرَّدَتْ أَطْرَافُـــــــهَا عُنَّابَا
بَيْضَاءُ فَاضَ الحُسْنُ مَاءً فَوْقَهَا وَطَفَا بِهِ الدُّرُّ النَّفِيسُ حُبَابَا
بَيْنَ النُّحُورِ قِلاَدَةً تَحْتَ الظَّـــلاَ مِ غَمَامَةً دُونَ الصَّبَاحِ نِقَابَا[1]

ما نلاحظه أنّ سمات الجمال اختلفت من شاعر لآخر واتّفق الجميع على توظيف رموز الطّبيعة في عرض نسيبهم.

واتّكأ على البيئة الصّحراويّة في غزله الرّصافي البلنسي(ت 572هـ)[2]منتهجا بذلك نهج القدامى حيث وظّف(الأجرع، سقط اللّوى، كثيبه واديه مورده) عوض طبيعة الأندلس المرهفة، كما أشار إلى ليل السّرى والفزع الّذي يركب صاحبه في الفلاة، وطول اللّيل وحلكه الحندس، ناهيك خيام الأحبّة ولقائهم والاستمتاع بغريبهم فتذكّرها يقدح في القلب شررا لا يخبو:

وَلِقَاءُ جِيرَتِنَا غَـــــدَائِذٍ مُتيَسِّرٌ وَمَرَامُـــــــهُمْ قَصْدُ
الأَجْرَعُ* تَحْتَلُّهُ هـــنْدُ يَنْدَى النَّسِيمُ وَيأْرَجُ* الرَّنْـدُ

---

[1]- ديوان ابن خفاجة: ص 37.

[2]- ينظر حياته: مقدمة الديوان أبي عبد الله محمد بن غالب الرّصافي البلنسي، تقديم إحسان عبّاس، دار الشّروق ط2، 1983م، ص10.

* الأجرع: أرض ذات حزونة تشاكل الرمل

*يأرج: تتضوع رائحتها،

وَخِيَامُهُمْ أيَّامَ مَضْرَبِهَا سِقْطُ* اللِّوَى وَكَثِيبُهُ الفَرْدُ
وَيَطِيبُ وَادِيهِ بِمَوْرِدِهَا حَتَّى ادَّعَى فِي مَائِهِ الـوَرْدُ
أَغْدُو بِهَا طَـوْرًا وَرُبَّمَا رَعَتِ الفَلاَ وَاللَّيْلُ مُسَوَّدُ[1]

فما يميّز الأشعار السّابقة ملامح الغزل العفيف وقد اتّسمت بتسامي العواطف ونزاهتها وترفعها عن المعاني الحسّية والصّور للمثيرة للإحساس والشّهوة.

ويفحش الشّاعر في مناسبات حين يغدق في الغزل الحسّي الماجن،مثل ابن خفاجة في قصيدة مدح أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين حيث استهلّها بالحديث عن محبوبته الّتي لم يفرقه طيفها طول سهره، حتى شاب، وقد اتّصفت مقدّمته بالحسّية من حديث عن الّلثم والعناق وارتشاف معسول الكلام، ولمسات يده طيبا وعطاء ونضارة، فيقول [2]:

فَتَعَــــاقَدْنَا يَدًا بِيـــــَدٍ وَتَعَاهَـــــــــــدْنَا فَمًا لِفَمِ
وَالْتِثَامٍ بَـــــيْنَ مُعْـــــتنِقٍ وَاعْتِنَاقٍ بَـيْنَ مُلْتَـــــــثِمِ
بِكَلاَمٍ رَقَّ جَانِبُـــــــــهُ بَيْنَ مَنْـــثُورٍ وَمُنْـــــــتَظَمِ
وَقَبَّلْتُ الكَأسَ مِنْ يَـــدِهِ فاجْتَنَيْنَا الوَرْدَ مِنْ عـــــنَمِ*

وتعبّر الأبيات عن غزل صريح حسّي ماجن تناول الغريزة صريحا؛ حين يرسم الأعمى التّطيلي في أبياته صورة حسّية مجسّمة، ويمجن حين يصرّح بالبذل والعطاء كقوله في أبيات:

صَبٌّ لَهُ فِي كُلِّ عُضْوٍ مَدَامــــعُ هَجَعَ الخَلِيُّ وَلَيْلُهُ مَا يَهْجَـــعُ

---

*السّقط: الشّرر، الزّند أداة القدح

[1]- ديوان الرّصافي البلنسي، ص 59.

[2]- ديوان ابن الزقاق، 295.

*- عنم: شجر لأغصانه عصارة، ويشبه أصابع العذارى.

يَا وَصْلَ ذَاتِ الخَالِ هَلْ مِنْ مُرْجِعٍ هَيْهَاتِ لَيْسَ لِمَا تَوَلَّى مُرْجِـــعُ
بِحَيَاةِ عِصْيَانِي عَلَيْكِ عَـــوَاذِلِي هَلْ كَانَتِ القُرُبَاتُ عِنْدَكِ تَشْفَعُ
هَلْ تَذْكُرِينَ لَيَالِيًا بِتْـــنَا بِهَا لاَ أَنْتِ بَاخِلَةٌ وَلاَ أَنَا أَمْنَـــعُ [1]

وهذا ابن قزمان(ت 555هـ) تزوره صاحبته، فيقضي منها بعض لذّته ومتعته فيطرب لفرط فرحه معبّرا:

يَا رُبَّ يَومٍ زَارَنِي فِيهِ مَنْ أَطْلَعَ مَنْ غُرَّتُهِ كَوْكَـــبَا
ذُو شَفَةٍ لَمْيَاءَ مَعْسُولَةٍ يَنْشَعُ مِنْ خَدَّيْهِ مَاءُ الصِّبَا
قُلْتُ لَهُ هَبْ لِي بِهَا قُبْلَةً فقَالَ لِي مُبْتَسِمًا مُرَحِّـبَا
فَذُقْتُ شَيْئًا لَمْ أَذُقْ مِثْلَهُ للهِ مَا أحْلَى وَمَا أَعْـــذَبَا[2]

وصف الشّاعر حسّي، لكنّه لا يصل إلى حدّ الشبقية والمجون والانزلاق الكبير للّهو والعبث مالت ألفاظه للسّهولة والعذوبة مع جمال التّصوير.

لقد ازدهر الغزل بنوعيه العفيف والماجن لتوفّر دواعيه من سحر جمال الطّبيعة، وبذخ العيش، وانتشار الجواري والقيان، فضلا عن مجالس اللّهو والطرب، ضِف إلى ذلك نفسية الشّاعر الأندلسي المفعمة بالحسّ المرهف وإقباله على رغد العيش، وقد عرف هذا العصر ظهور مَوْجَة غناء قويّة أثّرت في الغزل وشجّعت على ازدهار الموشّحات؛ كما نالت المرأة حرّية كبيرة في زمن المرابطين؛ فقد أتيح لها التّعبير عن مشاعرها بصراحة بلغت حَدّ الجرأة، وتُعدّ حفصة بنت الحاج الرّكنونية[3] نموذجا للمرأة العاشقة لحبيبها أبي جعفر بن

[1]- ديوان الأعمى التّطيلي: ص 106.
[2]- ينظر نفح الطيب، المقري، ج4/، ص 24.
[3]- وصفها المقري بقوله: الشّاعرة الأديبة لمشهورة بالجمال، والحسن والمال، ينظر نفح الطيب، ج4/، ص 171، وقد اعتبرها عمر فروخ: أشعر شواعر الأندلس على الإطلاق نظرا لجرأتها وفصاحتها، ينظر ص: 339.

سعيد[1] وقد دفعها هواه إلى التّصريح بحبّها دون تحرّج، وها هي في هذه الأبيات تدعوه[2]إلى موعد وصالها:

أَزُورُكَ أَمْ تَزُورُ فَإِنَّ قَلْبِي   إِلَى مَا تَشْتَهِي أَبَداً يَمِيلُ
فَثَغْرِي مُورِدٌ عَذْبٌ زُلاَلٌ   وَفَرْعُ ذُؤَابَتِي ظِلٌّ ظَلِيلٌ
وَقَدْ أَمَّلْتُ أَنْ تَظْمَا وَتَضْحَى   إِذَا وَافَى إِلَيْكَ بِي المَقِيلُ
فَعَجِّلْ بِالجَوَابِ فَمَا جَمِيلٌ   إِبَاؤُكَ عَنْ بُثَيْنَةَ يَا جَمِيلُ[3]

تُعتبَر هذه الأبيات أنموذجا حقيقيّا لجرأة المرأة وهي تبادِر البوح بحبّها بلا خجل، فهي تخيّر حبيبها بين أن تبادره بالزّيارة أم تترك الأمر له، كما أنّها لا تجد حَرجا في إعلان شَوقها وشغفها به، وتطنب بعد ذلك في عرض مفاتنها بُغية إثارته، وطمعا في وصله، وقد ألحت على سماع ردّه، فاستعملت اسمي جميل وبثينة رمز الحبّ العذريّ بدل اسميهما، وكانت المواعدة بينهما تكون عبر رسائل شعريّة تنضح عذوبة.

ب.غزل القيان والجواري :

لا شك أنّ ظاهرة الجواري والقيان قد أدّت دورا هامّا في التّحرّر والانفتاح في علاقة المرأة بالرّجل، فالجارية من سلبت حرّيتها وسيقت أسيرة عقب حرب مع الأعداء، وقد نقلت عنوة من بلادها فاهتمّ بها الشّاعر للغناء والخدمة والرّعاية وقد استطاعت الجواري

---

[1]– هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي، وهو أحد مؤلفي كتاب المغرب الذي أتمه ابن سعيد الذي قال فيه "كان والدي شديد الإعجاب بشعره مقدما له على أقاربه"، ينظر ترجمته، المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، ج2/، ص:164-167، نفح الطيب، المقري، ج/4، ص:179
[2]– قصّته مع حفصة ينظر التفاصيل: الأدب العربي، عمر فروخ، ص 340.
[3]– نفح الطيب، المقري، ج4/، ص 178

احتلال مكانة عظيمة في قصور وقلوب الأندلسيين لقد أثبتت السّبايا جدارتهنّ وحسن تملّكهن زمام الأمور وسرعان ما زاحمت الجواري المرأة العربية في بيتها وقلب زوجها [1] وكنّ يخرجن سافرات غير محجبات تشارك في مجالس الأنس والشّرب والرّقص والغناء ويبدو أنّ الشّاعر ابن بقي لم يستغن عن المقدّمة الطّللية في مديحه؛ فقد وقف على ديار سلمى مشتاقا لرؤياها بعدما كانت تعجّ قصور ملوك الطوائف بالغواني والجواري:

مَنَازِلُ لَكِ يَا سَلْمَى بِذِي مَنَال — هَيَّجْنَ لاَعِجَ أَوْصَابِي وَبِلْبَـالِي
تُعَاقِرُهَا اللَّيَالِي بعْدَ قَاطِنِهَا — بمَا حِيينَ لهَا سَافٍ وَهطَـالِ
هُنَّ المَنَازِلُ قدْ أَوْدَتْ مَعَالمهَا — فَبدَّلتْ مَنْ بِوَرْدِ سحْق أَسْمَالِ[2]

ومن الشّعراء ابن خفاجة الّذي هام بجارية نصرانيّة حبّا فراح يتغزّل بها من بحر الكامل:

يا بارِقاً قَدَحَ الزِنـادَ وَعارِضاً — مُتَهَـلِّلاً رَكِبَ الرِياحَ فَسارا
قولا لِأَحوى بِاللِوى مُتَنَـصِّرٍ — عَقَدَ النُحولُ بِخَصـرِهِ زِنّارا
يا غُصنَ حُسنٍ قامَ يَنشُرُ فَرعَهُ — وَرَقاً وَيَفتُقُ نورَهُ نُـوّارا
ما كانَ ضَرَّكَ لَو هَصَرتُكَ لَيلَةً — فَنَثَرتَ مِن قُبَلٍ عَلَيَّ ثِمـارا[3]

ويكرّر الشّاعر النّداء كما يكرّر حرف الرّاء محدثا رقّة ونغما ينساب مع ألفاظ الأبيات انسيابا محدثة وقعا في نفس المتلقّي، وقد وصف الجارية بأرقى الأوصاف، فهي ضامرة الخصر، شعرها أسود، معتدلة القامة كأنّها غصن بان وفي شفتها لمية مستحسنة.

وكثرت محبوبات ابن خفاجة حيث تغزّل بجارية صفراء تدعى عفراء فقال:

---

[1]- ينظر: صورة المرأة في الشّعر الأموي، نصيرة أمال، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، 2000م، ص 341.

[2]- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ص 260.

[3]- ينظر: ديوان ابن خفاجة، ص128.

–

أَرِقتُ لِذِكرى مَنزِلٍ شَــطَّ نازِحٍ كَلِفتُ بِأَنفاسِ الشَّمالِ لَهُ شَمّا

فَقُلتُ لِبَرقٍ يَصْدَعُ اللَّيلَ لامِحٍ أَلا حَيِّ عَنّي ذَلِكَ الرَبعَ وَالرَسما

وَأَبلِغ قَطينَ الدارِ أَنّيَ أَحِــبُّهُ عَلى النَأيِ حُبّاً لَو جَزاني بِهِ جَمّا

وأقرِئ عُفَيراءَ السَّلامَ وَقــُل لَها أَلا هَل أَرى ذاكَ السُّها قَمَراً تَمّا

وَهَل يَتَثَنّى ذَلِكَ الغُصنُ نَضــرَةً بِجَزعي وَهَل أَلوي مَعاطِفَهُ ضَمّا

وَمَن لي بِذاكَ الخِشفِ مِن مُتَقَنَّصٍ فَآكُلَهُ عَضّاً وَأَشــــرَبَهُ شَمّا[1]

وأرّق الشّاعر تذكّر وجْد عفيْراء حين نزل ديار المحبوبة واشتدّ كلفه بالنّسيم الّذي يهبّ من جهتها، وقد استقى صورة القدامى الّذين يتذكّرون المحبوبة؛ فيخاطب البرق مجتهدا كلّما صدع ظلمة اللّيل؛ فيبعث رسالة تحيّة وسلام لها مخلصا لعهده لها على الوفاء ودوام المحبّة.

ويتغزّل بجارية سوداء تضاهي الغسق في سواده، وأسنانها تحاكي الفلق في نصاعة بياضه وإشراقه، وممّا زادها جمالا ثوبها المشرق اللّون الجذّاب من مجزوء الرّمل يقول:

تَجَرَّدَت عَــن غَسَــقٍ وَابتَسَمَت عَن فَلــَقِ

وَأَمكَنَــت مِن خُلُــقٍ مُلتَهِــبٍ مُــحتَرِقِ

ثُمَّ نَضَــت تَعــثُرُ في فَضــلَةِ بُردٍ شَــرِقِ

كَمــَا تَوَلَّت لَيــلَةٌ تَســحَبُ ذَيلَ الغَسَقِ[2]

---

[1]– ديوان ابن خفاجة، ص 179.

[2]ديوان ابن خفاجة، ص 211.

وتيّم أبو الصّلت أمية بن عبد العزيز الدّاني بجارية سوداء تدعى عزّ؛ فبدت له آية في الجمال حتّى جعلها والمسك في مرتبة واحدة حيث يقول:

يَا عِزُّ عَزَّ الوَجْـدُ صَبْرِي بِمَـا   أَصْبَحَتْ مِنْ حُسْنِكَ تُبْدِينَهُ

وَقَدْ أَخَذَتِ المِسْكَ فَخْرًا بِأَنْ   أَصْبَحَ يُحْكِيكِ وَتَحْكـــــينَهُ

لاَ شَكَّ إِذاَ لَوَنُكُمَا وَاحِـــدٌ   أَنَّكُمَا فِي الأَصْلِ مِنْ طِيـــنَهُ [1]

ومِمّا لاشكّ فيه فقد بلغت الجواري مرتبة عالية جعلت ابن خفاجة يهيم بحبّها فصوّرها —بما أنّه بارع في ذلك — وقد صنعت من ورق الرّيحان وتعطّرت به وازدانت بحليّ ثمينة أظهرت حسنها:

وَلَقَدْ زفَّ بِنْتًا لِلخَمِيلَةِ طَلْقَةً   يَهُزُّ إِلَيْهَا الدَّسْتُ* أَعْطَافَ مَغرِسِ*

تُشِيرُ إِلَيْهَا كُلُّ رَاحَةِ سَوْسَنِ   وَتشْخَصُ فِيهَا كُلُّ مُقلَةِ نَرْجِـــسِ

تَنُوبُ عَنِ الحَسْنَاءِ وَالدَّارُ غُرْبَةٌ   فَمَا شِئْتَ مِنْ لَهْـوٍ بِهَا وَتَـــأَنُّسِ

وَتَمْلأُ عَيْنَ الشَّمْسِ لأْلاَءَ بَهْجَةِ   وَحُسْنٍ، وَأَنْفِ الرِّيحِ طِيبَ تَنَفُّسِ [2]

وجلب صوت الغواني والجواري الشّاعر ابن خفاجة فتغنّى بأصواتهنّ ووصف لذّة الاستماع لهنّ حيث يقول:

وَفَتَاةُ حُسْنٍ كُلُّهَا أَعْجَازُ   غَنَّـــــتْ غِنَاءً كُلُّهُ إِعْجَازُ

لَذَّتْ أَغَانِيهَا وَخَفَّتْ مَوْقِعًا   فَكَأَنَّمَا تَطْـــــوِيلُهَا إِيجَازُ

---

[1]– ديوان أميّة ابن أبي الصّلت، تحقيق، عبد الله الرّهوني، دار الأوزاعي، لبنان، 1998م، ص 147.

*– الدّست: *المجلس المغرس: النّخلة.

[2]– ديوان ابن خفاجة، ص 175.

كما تغزّل ابن حمديس بالجواري المتزيّنات بالحليّ والخضاب مستمتعا برقصاتهنّ المتناسقة والمتناغمة حيث يقول:

طَرِبْتُ مَتَى كُنْتُ غَيْرَ الطَرُوبِ ... فَلَمْ أُعْرِ طَرِفَ الصِّبَا مِنْ رَكُوبِ
فَيَوْماً إلى سَـــــبْيٍ زقّ رَوِيّ ... وَيَوْماً إلَى صَيْدِ ظَبْيٍ رَبِيــــبِ
وَمَهْمـا كبَا بِي فَمِنْ نِـــسْوَةٍ ... يوافِقُهَا بَيْنَ كَأسٍ وَكُــــــوبِ
ليَاليَ بيْنَ المهَـــــــا غَيْــرَة ... عَلَيَّ تَخُوضُ بهَا فِي حُــــــرُوبِ
فتَخْرُجُ مِنْ قَعْرِهَا لؤْلُـــــــؤاً ... يُنَظِّمُ للكَأسِ فَوْقَ التّـــــــرَيُّبِ[1]

ويظهر ممّا سبق أنّ غزل الجواري لم يختلف كثيرا عن الحرائر فكلتاهما ملكن قلوب الشّعراء، وأخذن بعقولهم وقلوبهم؛ فراحوا يصفونهنّ وصفا ماديّا ومعنويّا.

وممّا نلاحظه أنّ شعر الغواني والقيان قد راج بعد أن أعجب الشّعراء بهنّ على غرار الحرائر، وقد تباينت درجات الجمال من شاعر لآخر فمنهم من حبّذ المسيحيّات ومنهم من عشق الزّنوج و الصّفر والحمر ولكلّ معياره في الحسن، وقد استقى معظمهم وصف النّساء انطلاقا من الطّبيعة؛ فمنهم من شبّه المحبوبة بالغزال وأسمائه، ومنهم من اختار غصن البان ليدلّ على القدّ الممشوق ومنهم من اختار ألوان الأزهار والطّبيعة ليترجم وجدَه، كما عبّر الشّعراء عن لوعتهم بنار الجوى وألم الفراق رابطين ذلك بصور القدامى كسقط اللّوى وديار سلمى ... رامزين للأسى واللّوعة بالبرق الخاطف في اللّيلة الظّلماء، وقد طغى الشّعر المحافظ على الغزل العذري الخالي من الشّهوة بما أنّ البيئة كانت دينيّة وتحارب الفساد بأشكاله، وقد وجد النّزر من الماجن عبّر في استعراض الشّهوة صريحا عن جرأة

---

[1]- ديوان ابن حمديس، ص 12.

المحبوبة حيال معشوقها، حيث زاحمت الشّواعر الرّجال في جرأتها بالغزل الصّريح وهذا دليل على التّفتّح على المجتمع ونشر سبل التّحرر التي لم تكن معهودة قبل ذلك، وزاوج أغلب الشّعراء بين الغزل والمدح والوصف والهجاء والفخر وغالب الأبيات الّتي قيلت في الغزل كانت مقطوعات صغيرة.

وأخيرا لم نتتبّع كلّ أغراض الشّعر في العهد المرابطي لأنّ ذلك يمكن أن يستقلّ ببحث وحده، وإنّما اكتفينا بنماذج استطعنا من خلالها أخذ صورة حيّة على واقع الشّعر في تلك الفترة.

7-الموشحات والأزجال:

بعدما لوّحت راية الموشّح في سماء ملوك الطّوائف ردحا من الزّمن ،لكن سرعان ما تراجع في عهد المرابطين لاعتماد الشّعراء على ما قاله المشارقة ،<< ولم تكتسب القصائد المقلّدة كثيرا من صحّة الشّعر المشرقي ومتانته ... لكنّه لم يمنع جانبا من الشّعر الأندلسيّ من الاستمرار على سمته الأولى[1].>> ينوّه القائل إلى تراجع فنّ التّوشيح الّذي استقى من أشعار الفطاحل في المشرق أمثال المتنبّي والمعرّي ،لكنّه تفرّد بصبغة الأندلس وبيئتها الخلاّبة ،وقد عرفنا شعراء كثر إمام الزّجّالين نجد ابن قزمان الأصغر (ت555هـ) [2]الّذي اعتبر طرفة شيّقة في حلّة معضلة أذهلت المجتهدين في حلّها ،وكشفت ستر المتوقّر ووأدت الوقار والحشمة من المستمع حين ذكر اللّذات والشّهوات الدّنيويّة في شهر رمضان[3]، وقد ترك

---

[1]- تاريخ الأدب العربي ج5، عمر فروخ ،ص 43.

[2] – ينظر: نظرات في الأدب الأندلسي كامل كيلاني، مطبعة المكتبة التّجارية، مصر، ط1، 1924م، ص 300.

[3]– ينظر ديوان ابن قزمان القرطبي، تحقيق كوري بينتي ف، دار أبي قراق 2013م

ديوانا ضخما من حوالي ألف صفحة إصابة الأغراض في وصف الأعراض منوّعا في أغراض القريض من مديح ووصف وغزل ،لقد بدأ حياته شاعرا ،ثمّ تفوّق في الزّجل على معاصريه[1]، وتعدّدت مواضيعه من وصف ومديح وغزل عبّر عن انغماسه في الملّذات ببراعة التّصوير وحسن النّظم والتّخيير والحوار القصصي في التّعبير[2].

وأشعار وموشّحات ابن الّلبانة (ت 505 ه) وردت أنّها مدوّنة لكنّها لم تصلنا[3]، ،وقصيدة المنفرجة لأبي الفضل (ت513ه) الّتي لقيت إقبالا منقطع النّظير، حيث ذاعت بين النّاس أنّها تفرّج الهمّ وتزيل الغمّ وتحقّق الأماني لأنّه نظمها شكرا لله بعدما استرجع مالا فقد له ،وقد نُسبت للعطّار محمّد بن أحمد القرشي 590ه ونُسبت للغزالي أيضا[4] .

ولا ننسى فضل الزّجالين ابن الزّقاق (ت530ه) وابن خفاجة (ت533ه)، وابن بقي القرطبي (540ه) حين برعوا في أزجالهم ونظموا الموشّحات لتغنّى، كما فعل ذلك ابن باجه الموسيقي البارع على تلحين وتعليم الموسيقى، وكانت له القيان يصنع لهنّ التلّاحين ويعلمهنّ الغناء[5] وضمّ ديوان الأعمى التّطيلي بين دفّتيه اثنين وعشرين موشّحا تراوحت مواضيعها بين الغزل والمديح ورسائل شعريّة للأصدقاء والأحباب[6]، واعتمد على الخرجة الرّومانسية في نهاية موشّحاته[7].

---

[1]- ينظر، المغرب، ابن سعيد، ج1، / 99-100، تاريخ الأدب ج5/ ص328.

[2]- ينظر، الأدب العربي في الأندلس، علي محمد سلامة، 429-،431.

[3]ينظر المغرب، ابن سعيد، ج 2/، ص 409.

[4]- ينظر: تاريخ الأدب عمر فروخ، ص 109.

[5]- تاريخ الأدب، عمر فروخ، ص 43.

[6]- ينظر ترجمته الديوان: تحقيق محي الدّين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ط1 /،2014، مقدمة الدّيوان 9.

[7]- ينظر تاريخ الأدب ج 5، ص 257.

وشاعت أزجال التصوّف مع أبي الحسن الشّشتري برع في تصويره للحبّ الإلهي بمستوى العاميّة، لأنّه فنّ شعبيّ لكنّه لاقى دعما وإقبالا في تلك الحقبة ويقودنا للحديث عن أرجوزة أبي عبد الله محمد بن مسعود خاطب بها الوزير بقنة على لسان جارية، وقد اشتهر بالجدّ والهزل فيما وصل[1] وأخيرا موشّحات ابن بقي القرطبي (ت540هـ)، وقد كانت فنونه الشّكوى والمديح والغزل والنّسيب[2].

في العصر العباسي امتزجت الحضارات مع أمم أخرى؛ فتلقّف الشّعراء الثّقافات الأخرى وظهر أثر هذه الحضارات في شعرهم وطفقت تظهر فنون شعريّة جديدة [3]كالشّعر التّعليمي الّذي غرفه العرب والمسلمون عن الهنود اليونان والفرس ،وقد وجدها الطّلبة متنفّسا لهم ليسر الحفظ شعرا عن ترديده نثرا ،كانت في عهد المرابطين نزرة مقارنة بالعصر السّلف والعهد الموالي ربّما يكون لانصراف المهتمّين بأصناف التّعبير الأخرى والفنون الأكثر شيوعا والأيسر ذيوعا ،وأوّل أرجوزة في النّحو تستوقفنا منظومة حيدرة النّحوي علي بن سليمان (ت 599 هـ) في جموع التّكسير ،وقد تألّفت من ثمانية أبيات، كما نظم سعيد بن المبارك بن الدّهان(ت569 هـ) قصيدة في عويص الإعراب ضمّنها أحاجي وألغاز نحوية ناهزت الثلاثين بيتا، أوّل ما يجذبنا من الأراجيز في هذا العهد أبو الحجّاج الكلبي (ت520هـ)، ونظم ابن السيّد البطليوسي مقطوعات لغويّة نحويّة ،كما أورد أجوبة عن الأسئلة الّلغوية والنّحوية ضمن قالب علميّ محض أمّا ابن عظيمة أبو الحسن محمد بن عبد الرّحمن (ت540هـ)؛ فقد ألّف أرجوزة في مخارج الحروف ،وقد اتّصلت بعلم الصّوتيات ،وهو علم حظي بالعناية الفائقة من لدن المغاربة والأندلسيين لأنّه مرتبط باللّسان العربي

---

[1]ينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام ج 1/،553 -،554.

[2]- ينظر الإحاطة لابن الخطيب ج 4/،418.

[3] - حسين علي صافي، الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع هجري، دار المعارف بمصر ،1964م، ص 177.

،وخصائصه واختلاف مخارج الحروف وتباين طرائق النّطق تبعا للبيئة وأهلها ،ونظم الأديب أبو طالب عبد الجبّار من أهل جزيرة شقرا (ت537هـ) أرجوزة ذات طابع أدبي تاريخي.

ومن خلال دراستنا للأشعار لاحظنا ما يلي:

• أن غرض الهجاء سلك منحى تميّز بذكر صفات وعيوب الممدوحين وتراجعت اللّغة المستعملة فيه حتّى وصلت للابتذال والرّكاكة وكان المهجوّون إمّا أقارب أو حكّام أو عامّة النّاس.

• اعتدّ الشّعراء في غرض الرّثاء على التّضمين من القرآن الكريم وشمل رثاء الأصحاب والعلّية والأحباب والنّفس والأماكن والغلمان والجواري وحتّى الحيوان والأثاث نال حظّه من هذا اللّون الأدبيّ، مؤكّدين على حتميّة الموت ،وضرورة التّمسّك بحبل الله المتين .

• احتلّ الشّعر الدّينيّ الحظ الوافر في العهد المرابطي وارتكز على مناجاة الله وذكر قدرته وصفاته والثّناء على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما اختار الشّعراء عرض خلاصات تجاربهم المتمثّلة في حقيقة الحياة الفانية محفّزين على العمل والالتزام بصراط الله المستقيم للفوز في الحياة الباقية متجنبين الخوض في المسائل الفلسفية اتّقاء لبطش الحكّام وثورة المتزمّتين.

• جادت قريحة الشّعراء في غرض المدح وكان التكسّب نهجه؛ فخصّ به أصحاب النّفوذ والمكانة المرموقة في المجتمع المرابطي، حتّى ينالوا حظوة عند الحكام ومن أشهر الممدوحين نجد شخصيّتين سياسيتين معروفتين : ابن حمدين وابن زهر.

• غرض الوصف طرقه جلّ الشّعراء مسّ مظاهر الطّبيعة والمظاهر الحياة الحضاريّة، وقد هام الوصّافون بعقد أجود الصّور البيانيّة ممّا جعلت شعرهم متميّزا مصقولا بروح وجمال الطّبيعة الغنّاء الّتي عاشوا فيها وليس هذا فحسب بل وسّعوا قريضهم بسعة ثقافتهم وتفتّحوا على الشّعوب المجاورة في نقل مكنوناتهم.

الفصل الرّابع

النثر في عهد المرابطين

لقد سار النّثر جنبا إلى جنب مع الشّعر ،وخاض الكتّاب في الرّسائل الدّيوانية تمثّلت في المراسلات الرّسميّة والقرارات والرّسائل الإخوانية ورسائل علميّة بطابع أدبيّ ولقد وُسمت بخصائص ومميّزات تعلّقت بالجانب الفنّي مع غلبة الصّناعة والسّجع والإبداع في الكتابة، ولا ننسى المقامات والخطب والمصنّفات؛كما نب طائفة من الكتّاب منهم الفتح بن خاقان، وابن عبدون، وابن أبي خصال وغيرهم سنحاول في هذا الفصل إدراج أهمّ فنون النّثر على عهد المرابطين معرّجين على أهمّ المؤلّفات والمدوّنات الّتي وصلت نفحتها، ولازالت تصدح شهرتها إلى يومنا هذا، مع استعراض نماذج لتوجّس مميّزاتها وسبر أغوارها:

1-فن الرّسالة:

هي فنّ لا يقلّ أهمّيته عن الفنون الأخرى ،وقد تنوّعت من حيث مضموناتها إلى رسائل ديوانية وإخوانية وأخرى مسّت الجوانب النّحويّة واللّغويّة ،الأدبيّة والتّاريخيّة والجغرافيّة...وغير ذلك، وأوّل ما يعترضنا في هذا العهد الرّسالة المصريّة[1] الّتي أبدع في تأليفها أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الدّاني (ت528هـ) لوليّ نعمته أبي الطّاهر يحي بن تميم بن المعزّ بن باديس (ت509هـ)[2] <<...فالرّسالة وثيقة مهمّة يرجع إليها البلداني، والمؤرّخ وباحث الآثار، والاجتماعي ،والحكيم ،والطّبيب ،والمنجّم ،والأديب...>>[3]؛

---

[1] – الرّسالة مطبوعة، حققها عبد السّلام هارون وتتضمن 25رسالة وكتابا في مجلدين، ينظر التّصنيف، ص178.

[2] – ينظر التفاصيل، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، ابن غلبون، نشره، الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة 1349هـ، ص 36

[3] – مقدمة تحقيق الرسالة المصرية: نوادر المخطوطات، تحقيق، ج1، ص6

وقد برع في تصوير و وصف مصر ونيلها بالشّعر والنّثر، كما تكلّم عن سكّانها وأجناسها وأخلاقهم وعقائدهم من عهد الفراعنة إلى ظهور الإسلام وفصل في وصف الآثار العجيبة ،كما عدّد الأطباء وعلماء الفلك والنّجوم بعد رحلة شاقّة أرغم عليها[1]، وقد عبّر فيها للمرسل إليه(الملك أبو الطّاهر يحي بن تميم بن المعزّ بن باديس) عن مدى احترامه وتقديره لحسن صنيعه[2]،وكان يأمل في بسطة العيش، وثراء المال[3]؛ فهي قمّة في الإبداع ضمّت عدّة علوم وآداب إنّما دلّت على ثقافة ودراية المؤلّف في شتّى الميادين،<<حيث برع في الطّبّ والفلك وفي الفلسفة والطّبيعيات والرّياضيات والموسيقى، ومع ذلك كان بارعا في الأدب[4]>>كما مثّلت وثيقة يرجع إليها البلداني، والمؤرّخ، وباحث الآثار، والاجتماعي، والحكيم، والطّبيب والمنجّم، والأديب[5] وإن كانت حالته الشّعورية متدهورة؛ فقد أبدع حين أدرج الشّعر في الرّسالة وممّا جاء فيها:<< كنت إبّان الشّباب مونق ،وغصن الصِّبا مورق وممّن سامحه الدّهر بغفلة من غفلاته، وتجافى له عن غفوة من غفواته ،فعاش آمن السّرب سائغ الشّرب، لا يتفرّغ من أدب يرود رياضه ،ويردّ حياضه إلاّ إلى طرب يعمر يداه ،ويسحب ذيوله وأردانه .ثمّ تلوّن فقلب لي ظهر مجنّه ...واضطررت إلى مفارقة الوطن ،والخروج عن العطن[6]...>>.

---

[1] - ينظر م ن، ص 9، وينظر تفاصيل رحلته: تاريخ الأدب، عمر فروخ، ص 181.

[2] - ينظر نوادر المخطوطات، عبد السلام هارون، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1973م، مقدمة المحقق، ص 7.

[3] - ينظر نوادر المخطوطات، ص 6

[4] - ينظر: تاريخ الأدب، عمر فروخ، ص181.

[5] - ينظر م ن، ص 9.

[6] - ينظر: نوادر المخطوطات، ص 12.

إذْ لِمَّتِي مَوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِي رَوْنَقُ[1]

ويشير الكاتب إلى فترة ينوعه حيث كان نقيّا ومثمرا إنجازاته قيمة، وتجمعه مودّة برفاقه وبهاء وجهه ورونقه طافح، والبيت الشّعري مقتبس من قول المتنبّي حين يقول:

وَلَقَدْ بَكِيتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمتِي مُسَوَّدَةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِي رَوْنَقُ

نلاحظ أنّ الكاتب أتخم الرّسالة بالمحسّنات البديعيّة اللّفظية الّتي تستحسنها الأذن؛ فتطرب لنطقها وسمعها.

ويواصل معربا عن سبب قدومه لمصر قائلا: <<فكانت مصر ما وقع عليه اختياري، وصدّقت حسن ظنّي قبل اختباري، وسرت قاصدا إليها أعتسف المجاهل والتنائف، وأخوض المهالك والمتالف، فطورا أمتطى كل حالكة الإهاب، مسودّة الجلباب، ثابتة كصبغة الشّباب، قد فسح ميدانها، ووضع براحة الرّيح عنانها، فجرت جري الطِّرف الجموح، وفاتت مدى الطَّرف الطّموح[2]>>

إنّما أضفنا هذا الجزء حتّى نلاحظ أنّ الكاتب كان يستعمل نهاية الفواصل بحرف يستعمل مرّتين في قوله اختياري واختياري، والتنائف والمتالف مما أحدثت نغما موسيقيّا مميّزا للانتقال من فاصل لآخر، وترك أثرا منقطع النّظير في فكر القارئ، ورغم التّكلّف إلاّ أنّ الجمال باق، فقد اهتمّ بالمبنى دون إهمال المعنى؛ <<...ومن الخصائص العامّة لأسلوبها الصّنعة واضحة مع التّلاعب في الألفاظ لإظهار المقدرة والتّمكّن من اللّغة [3] >>

---

[1] – ينظر: م ن، ص 6.

[2] – ينظر: م ن، ص 12.

[3] – حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس 495.

ويعبّر بن أبي أميّة الدّاني –دائما– عن إعجابه لجمال مصر يشير أنّه أُذهل بها لجمالها وحسنها وقد عبّر عن ذلك نثرا حيث يقول:<<ضالّتي المنشودة وبغيتي المقصودة، ههنا ألبث وأقيم فلا أبرح ولا أريم، "بلدة طيبة ورب غفور" وحيث التفتَّ فروضة وغدير، وخورنق* وسدير*، وظلّ ظليل، ونسيم عليل[1]>>ويسرد وقائع ولوجوده بمصر قائلا في أبيات شعريّة:

وَكمْ تَمَنّيْتُ أنْ ألْقَى بهَا أحَدَا ... يُسَلِّي مِنَ الهَمِّ أوْ يُعْدِي مِنَ النُّوَبِ

فَمَا وَجَدْتُ سِوَى قَوْمٌ إذَا صَدَقُوا ... كانَتْ مَوَاعِيدُهُمْ كَالآلِ فِي الكَـذِبِ

وَكَانَ لِي سَبَبٌ قدْ كُنْتُ أَحْسِبَنِي ... أحْظَى بِهِ فإذَا دَائي مِنَ السَّبَـــبِ

فَمَا مُقلِّمُ أظْفَارِي سِوَى قَلَمِي ... وَلَا كَتَائِبَ أعْدَائِي سِوَى كُتُــــبِي[2]

يعرب الشّاعر عن تمنّيه قبل ولوج مصر رفيقا يسلّي همومه ويعينه على النّوائب لكنّه أصيب بخيبة الأمل فقد وجد الكذب معشّشا في المجتمع واستخلص أنّه لا يمكنه استئمان أحد ويواصل نثرا معبّرا<<ولم تطل مدّة اللّبث حتى تبينت بما شاهدته أني فيها مبخوس البضاعة، موكوس الصّناعة، مخصوص بالإهانة والإضاعة؛ وأنّ عيشها الرّغد، مقصور على الوغد، وعقابها المرَّ، موقوف على الحرِّ، فلو تقدّمت فعلمت ذلك لخفّ عنّي

---

*قصْرٌ كان للنّعمان الأَكْبر بالعراق، ينظر معجم المعاني: المادة خورنق، *السّدير: بناءٌ ذو ثلاث شُعَب، أو قُبَّة في ثلاث قباب متداخلَ ويراد بها الأهرام، https://www.almaany.com/ar/dict.

1 – ابن أبي الصلت، الرسالة المصرية، ص 13.

2 – م ن، ص ن.

مركبي وصرفت إلى سواها وجه مطلبي، وكان لي في الأرض مرمى شاسع ومنتاب واسع ،بل تثبّطت حتّى تورّطت[1]>>

ويحمد الله أنّه تعرّف على الكريم، أبي الطاهر يحي بن تميم بن المعز بن باديس <<الّذي لم تزل حضرته مصاد العناة، ومراد العفاة، ومجتمع الفضائل، ومنتجع الفضائل، ومشرع الجود، ومشعر الوفود[2]...>>ويورد بيتا شعريا يمدحه فيه قائلا:

كَرِيمٌ رَفَضَتِ النَّاسُ لِمَا بَلَغْتَهُ   كَأَنَّهُمْ مَا خَفَّ مَنْ زَادَ قَادِمُ[3].

وينتقل إلى موضوع مخالفا ما سبق، وهو وصف مصر جغرافيا من حيث الموقع <<أرض مصر بأسرها واقعة في المعمورة في قسمي الإقليم الثّاني والإقليم الثّالث ومعظمها في الثّالث[4]>> يبدو أنّ الكاتب مطّلع جيّد على موقع مصر وتقسيماتها ومدنها الّتي يذكر فيما بعد موقعها بالتّدقيق وإذا عدنا إلى كتاب الإدريسي نجده يثمّن ما قاله وخاصّة حين يصف النيّل ومجراه:<<وأمّا النّيل فينبوعه من وراء خط الاستواء، من جبل هناك يعرف بجبل القمر ،فإنّه يبتدئ بالتّزيد في شهر أبيب، الّذي هو بالرّومية يولية والمصريّون يقولون :"إذا دخل أبيب ،كان للماء دبيب"، وعند ابتدائه في التّزايد تتغير جميع كيفياته وتفسد والسّبب مروره بنقائع مياه آجنة يخالطها فيجتلبها ،ويستخرجها معه ويستصحبها...[5]>> ويصف الإدريسي موقع النّيل من نفس الأوصاف قائلا:<<نيل

---

[1] – أبو الصّلت الدّاني، الرّسالة المصرية، ص 13.

[2] – م ن ص 14.

[3] – م ن ص 14.

[4] – م ن، ص15

[5] – م ن، ص 17.

مصر الّذي شقّ أرضها وجريه من الجنوب إلى الشّمال وأكثر مدن مصر على ضفتيه ... والقسم الثّاني من النّيل مخرجه من جبل القمر الّذي أوّله فوق خطّ الاستواء بستّ عشرة درجة... [1]>>

تناول مؤلّف الرّسالة المصريّة مواضيع جمّة أثبتت جدارته وتألّقه في علوم متشعّبة ؛حيث تناول الوصف الجغرافي للدّيار المصرية مركّزا على رافدها النيّل ،وقد أبدع في تصوير جمال ربوعها مستعينا بالنّثر حينا وبالشّعر أحيانا ثمّ أسهب في الكلام عن سكانها، وأجناسهم، ومذاهبهم، وأخلاقهم وعقائدهم منذ عهد الفراعنة حتّى مجيء الإسلام، وقد برع في الحديث عن آثارها العجيبة كالأهرام ،وقد ذكر عواصمها قديما وحديثا ، مستطردا أهمّ الفلاسفة والأطبّاء اليونانييّن والرّوم؛ ومتأسّفا أنّ العلم في مصر لم يشقّ طريقه للنّور نظرا لعزوف أهلها عن العلم والطّبّ والحكمة، وقد ركّزوا عنايتهم برصد النّجوم[2]؛ وبذلك عدّت بحقّ كشكول معارف يعود إليه المؤرّخ والجغرافي والاجتماعي والحكيم والطّبيب والمنجّم والأديب وحتّى من يريد التّنفيس عن خاطره .

وبزغ نجم أبي الحسن سراج بن عبد الملك بن سراج (ت.508هـ)[3] والّذي ابتدع الفكاهة والسّخرية في الرّسائل حيث ابتدع رجلا سمّاه بالزّريزير وقارن بين صفاته

[1] – م ن، ص 32.

[2] – لمزيد من التفاصيل ينظر: مقدمة الرّسالة المصريّة، أبو الصّلت أمية الدّاني، ص 9.

[3] – ينظر ترجمته: تاريخ الأدب، عمر فروخ، ص 307.

وبين صفات طائر الزّرزور؛ ومن هذا المنطلق نشأ فنّ الزّرزوريات[1] حيث أعطى الرّسالة ملامح الخطبة [2]

ومن تلك الرّسائل رسالة استهلّها بالحمد والثّناء على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم مثل الخطبة في بدايتها، وقد ضمّنها شعرا يشفع فيه للزّرزور<< قائلا:

هاَ إِنَّ زَرْزُورَكُمْ خَـــفِيٌّ ... بِكُمْ عَنِ القَصْدِ لاَيَجُورُ

يَفْتَرُّ فِي الشُدُوِّ كُلُّ طَيْرٍ ... وَمَا لَـــهُ عَنْكُمْ فُتُـــورُ

... وقد عافاكم زرزوركم من النّصب ومدّ إلى السّماء من ألفاظ الدّعاء بسبب فأمدّوه—رحمكم الله – من ضمائركم الأرجة بعرف، وصلوه من التّأمين بحرف، ليحظى بالوصول، ويبلغ مدى القبول[3] >>

كما وُجد في تلك الحقبة كتّاب لم يتمكّنوا من السّفر للبقاع المقدّسة لأداء الحجّ فكتبوا رسائل يناجون فيها الرّسول الكريم صلّى الله عليهم وسلّم فيها كثير من

---

[1] – الزّرزوريات: رسائل تبادلها عدد من كتاب الأندلس في زمن المؤلف، وأصلها لمحة عابرة في رسالة أبي الحسين بن سراج أحد كتاب الأندلس، يشفع فيها لرجل لقبه (الزرزور)؛ فكان يتكلم عنه كأنه طائر الزّرزورّ ويستعير له الريش، والطيران والفراخ وشارك في هذا النوع من الرسائل أبو القاسم بن الجد وابن أبي الخصال، وحاول كل واحد منهم أن يتناول الرّسالة الزّرزورية بأسلوبه الخاص ينظر التصنيف، ص 163.

[2] – عمر فروخ /م ن، ص ن، مقدمة المحقق، رسائل ابن أبي الخصال ، تحقيق محمد رضوان الداية دار الفكر ،دمشق 1988م ص31.

[3] – ينظر: التّصنيف، ص 164,

الشّوق والتّوسّل، ثمّ يبعثونها مع الوفود الّتي تقصد المكان؛ وقد حملت معها القصائد كما فعل ابن أبي الخصال[1] وابن السّيد البطليوسي.[2]

ومن هؤلاء المبدعين نجد أبا الفتح ابن خاقان(ت529هـ) صاحب كتاب قلائد العقيان[3] حيث كتب رسائل ديوانيّة مرتبطة بالوعظ من أجل اتّباع سبيل الحقّ والنّأي عن طريق البغض والضّغائن، مرغّبا أهل الأندلس بطاعة أولي الأمر منهم و محذّرا من مغبّة شقّ عصا الطّاعة ؛ وثمّة رسائل إخوانيّة أرسلها إلى الكتّاب الأندلسيّين والوزراء للتّهنئة والمدح والتّعزية والعتاب والوصف بأسلوب لا يبتعد عن مؤلّفاته السّابقة[4].

حقّا جمع الكتاب الألوان الأدبيّة المتنوّعة حيث حاول الكاتب القطف من كل بستان زهرة بأسلوب راق جيّد يحيي الفنّ السّمق المنمّق حتّى يعيد للأدب مكانته المعهودة ويلفت الانتباه للّغة العربيّة فيرجع لها مكانتها المستحقّة، كما كتب الحصريّ رسائل إخوانيّة حملت في ثناياها غرض الهجاء والشّكوى، كما حملت مشاعر جيّاشة بأسلوب منمّق يعجّ بالزّخرف اللّفظي والخيال الرّحب متأثّرا في أشعاره بأسلوب المعرّي (اللّزوميات) [5] خاصّة في ديوانه اقتراح القريح واجتراح الجريح، وهو من أهم وأغزر أشعاره نظمه في رثاء ابنه عبد الغني وقد قدم له بثلاث مقدّمات الأولى :خالية من النّقاط والثّانية كلماتها معجمة ،والثّالثة مازج فيها بين كلمات معجمة وعاطلة [6]،<<وضمّنته قصائد على حروف المعجم وإن

---

[1] – ينظر تاريخ الأدب، عمر فروخ ص 45

[2] – ينظر: تاريخ النقد الأندلسي، ص 183.

[3] – ينظر المغرب في حلى المغرب ابن سعيد ج2 ،253، 254،387.

[4] –ينظر قلائد الأعيان، الفتح بن خاقان، مقدمة المحقق، ص13.

[5] – ينظر التصنيف، ص 155.

[6] البخاري عبد المحمود الشيخ إبراهيم، أبو الحسن الحصيري القيرواني حياته وشعره إشراف: بشير عباس بشير، جامعة أم درمان الإسلامية ،قسم الأدب والنقد، 2009م، ص .58.

كنت من الأحزان كالملجم، ومقطعات تقفو كل قصيدة في قافيتها[1]>>؛ولقد رتّب الحروف ترتيبا متقنا ومكلّفا أحيانا تعبّر عن ملكته الشّعريّة المتميّزة فكلّ قصيدة تحتوي على خمسة عشر بيتا مرتبة قوافيها ترتيب حروف الهجاء [2] ،وقد عبّر عنه الشّيخ حسين المرصفي بقوله:<<...فهو لا يحفل بترتيب المسائل، ولا بتبويب الموضوعات، وإنّما يتّصف بالجدّ إلى الهزل ومن الأوصاف إلى التّشبيهات، ومن الشّعر إلى النّثر، ومن الشّعر إلى النّثر، ومن المطبوع إلى المصنوع، وهذه الطّريقة من أهمّ الطّرق في التأليف.[3]>>ومن ذلك قوله:<<السّلام عليك أيّها القلب الثّاني، والبعيد الدّاني الرّاقي في سماء المعالي، الواقي من دواء اللّيالي، أوّل من عددت، وأفضل من أعددت[4]>>وله في مدح والإشادة بصديقه إذ يعبّر قائلا:<<ما أفصح لسانك، وأفسح ميدانك، وأوضح بيانك، وأرجح ميزانك، وأنور صباحك، وأزهر مصباحك، أيّها السّابق المتمهّل في ميدان النّبل، والسّامق المتطوّل بفضائل الذّكاء والفضل[5]>> لقد بدا السّجع جليا في القول ولم يهمل المعنى في تعبيره

وأبدع ابن عبدون في رسائل نثريّة خاطب فيها أعيان عصره كالوزير أبي القاسم بن الجدّ وابن أبي الخصال والفتح بن خاقان ،كانت في جلّها رسائل رسميّة لاشتغاله في بلاط بني الأفطس أوّلا ثمّ المرابطين لاحقا ،وقد لمس في أسلوبه النّمط المشرقي أمثال

---

[1] – أبو الحسن الحصري القيرواني، محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي مطبعة المنار تونس 1963م، ص 264

[2] – أبو الحسن الحصري حياته وشعره، 59.

[3] – ينظر زهر الآداب وثمر الألباب، أبو الحسن الحصري القيرواني تحقيق زكي مبارك، دار الجيل لبنان، ج 1،ط4، ص 14

[4] – أبو الحسن الحصري الدمشقي حياته وشعره، البخاري عبد المحمود الشيخ إبراهيم ص68

[5] – أبو الحسن الحصري القيرواني، المرزوقي والجيلاني، ص 98.

امرئ القيس وبشار بن برد وأبي تمام وأبي نوّاس والموصلي ... وقد استقى المعاني حسب ما يقتضيه الغرض[1] كمّا له رسائل عدّة في نظام الحسبة؛ فكانت بمثابة القانون الّذي يسيّر الأمّة فمثلا في باب الحرث يقول:<<ويأمر الرّئيس بالحرث وبالمحافظة عليه، وبالرّفق لأهله، والحماية لهم في أعمالهم ويأمر وزراءه وأهل القدرة من أهل بلده بالحرث ؛فيكون له ولهم أنفع ،ولأحواله وللنّاس أمتع وأشبع؛ ولبلاده أطيب وأرخى، ولحمايته أنمى وأزك؛ فالفلاحة هي العمران ومنها العيش كلّه، والصلاح جلّه[2]...>>نلاحظ أنّ الكاتب لجأ كغيره للمحسّنات البديعيّة بالرّغم من أنّه في مقام تعداد قوانين الحسبة في قوله جلّه وكلّه ترادف وفي الوقت نفسه جناس ناقص

وتنوّعت رسائل بن خفاجة الإخوانيّة لأغراض الاعتذار والحنين والفخر والعتاب ورسائل الاستدعاء، والوصف المداعبة وأردفها بأبيات شعريّة حسب المناسبة وهذا خير دليل على الكتابة الفنيّة المتميّزة[3]

. ونوّع ابن أبي الخصال (548هـ) في كتابته للرّسائل السّلطانية والدّيوانية ورسائل الرّدود الّتي ردّ بها على إخوانه مجيبا على رسائلهم سمّاها لمحة البارق وقذف المارق ورسائل المعارضة الّتي عارض فيها الكتّاب والأدباء، ردّ فيها على ابن غرسية وفضّل فيها العجم عن العرب[4]أمثال ابن السّيد البطليوسي من أجود الرّسائل وحملت عنه[5] ،وقد

---

[1] – ينظر التّصنيف، ص 158.

[2] – ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، ليفي برفنسال المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م، المجلد الثاني، ص 7.

[3] ينظر م ن، ص 159.

[4] – ينظر مقدمة المحقق، رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الداية دار الفكر، دمشق 1988م ص 14.

[5] – ينظر: تاريخ النقد الأندلسي، ص 183.

عرف بالرّسالة السّراجية الّتي نظمها بتكلّف السّجع وحسن البديع وقد ذكرها ابن سعيد في مقدّمته عن الأندلس.[1]،كما عرف بالرّسائل الزرزورية[2]، وقد أعطى الرّسائل منحى الخطبة، ومن أمثلة ذلك قوله:<<القول – أيّدكم الله ينصات وقد طال الإنصات ؛والبركة ترفرف على سمائكم، وتحوم حول فنائكم، وتستشرف إلى دعائكم وتستبطئ مسموع ندائكم ،وتستأنس بناديكم ،وتنحطّ على أيديكم؛ فاستنزلوا بالدّعاء ديمتها وحقّقوا بالتّأمين عزيمها ؛...وقد أعفاكم زرزوركم من النّصب ،ومدّ إلى السّماء من ألفاظ الدّعاء؛ فأمدّوه من ضمائركم الأرجة بعرف ،وصلوه من التّأمين بحرف ليحظى بالوصول ،ويبلغ مدى القبول[3]...>>ويواصل الكاتب حديثه معتمدا على البديع ومنهيّا رسالته على نمط الخطبة بالدّعاء، والصّلاة على الرّسول الكريم حيث يقول:<<...ورحم الله من أمدّنا بالتّأمين؛ وصليّ الله على الرّسول الأمين ،صلّى الله عليه وعلى آله الطيّبين، وعلى جميع الأنبياء الصّالحين، وعليه التوّكّل وبه نستعين، وهو المؤيّد المعين ؛لا ربّ سواه ولا نعمى إلاّ نعماه ولا ندعو ولا نعبد إلاّ إيّاه[4] >>

وانبجس عن احتكاك عدوة المغرب بالأندلس مفاضلات ومفاخرات بين الأندلسيّين الّذين تعصّبوا وافتخروا ببيئتهم وثقافتهم وتراثهم فراحوا يتبخترون ويفخرون

---

[1] – ابن سعيد، المغرب ج 2/ ص 66،67.

[2] – الزرزوريات رسائل تبالها عدد من الكتاّب في زمن المؤلف وأصلها لمحة عابرة في رسالة أبي الحسن بن سراج يشفع فيها لرجل لقبه الزرزور وأدار الحديث وكأنّه الزّرزور فاستعان منه الريش والطيران والفراخ وقد عالج الزورزورية بطريقته الخاصّة المختلفة عن الكتّاب الآخرين: ينظر رسائل ابن أبي الخصال ص 31

[3] – ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص 38.

[4] – م ن، ص 38.

بتلك الفضائل مثالنا من ذلك أبو الوليد الشّقندي الّذي ناظر أبا يحيى بن معلم الطّنجي[1] كلّ منهم ينصر بيئته ويحطّ من نظيره فكانت المفاضلة في الغلبة والسّبق في شتّى الميادين <<وهل لكم في حفاظ اللّغة كابن سيدة صاحب كتاب المحكم وكتاب السّماء ،العالم الّذي إنْ أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته وهل لكم في النّحو مثل أبي محمد بن السّيّد وتصانيفه ومثل ابن الطّراوة ومثل أبي علي الشلوبين ...وهل لكم في علوم النّحو والفلسفة كابن باجة.[2] >>

الجميل في الرّسالة أنّ المتحدّث أورد العلماء والأدباء الّذين عاشوا في الأندلس إبّان المرابطين فقد لمّ شتاتهم، وجمع فرقتهم، ثمّ خصّص كلّ علم وبما لمع نجمه، ولم يهمل القوّاد ولا الفقهاء، وحتّى الحواضر العلميّة؛ فقد كان لها القسط من مفاخرته، وما نستغرب له أنّه أنكر فضل المرابطين في إعلاء راية الإسلام بعدما فشل وذهبت ريحه مع ملوك الطّوائف ومؤامراتهم الدّنيئة ،وما لمسناه من الرّسالة ينمّ عن عودة الحميّة الجاهليّة والعصبيّة العرقيّة الّتي حاربها الإسلام وقضى عليها.

لقد ضاهى أسلوب الكتّاب أسلوب المشارقة في التّأليف[3]كسير بن أبي الخصال(ت540هـ) نهج ابن نباتة الفارقيّ الخطيب (ت 374هـ) وأبي العلاء المعرّي (449هـ) والحريري صاحب المقامات (ت 516هـ) [4] ،وأمّا محمّد بن فغور الكلاعي (542هـ)؛فقد كان متأثّرا بأبي العلاء المعرّي حيث كتب رسالة (السّاجعة والغربيب)

---

[1] – ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، ط4، دار الثقافة ،1983م، ص 530.

[2] – نفخ الطيب، ج 4، ص 177.

[3] ينظر م ن، ص 31.

[4] – عمر فروخ تاريخ الأدب العربي ج 5، ص 44.

مضاهيا (الصّاهل والشّاحج)، كما استقى (ثمرة الألباب) من (سقط الزّند)[1] السّير على نهج المشارقة يقودنا للتّفكير باطّلاع المغاربة على نتاجات غيرهم والنّهل من روافدهم وهذا يقودنا للتّساؤل طويلا كيف استطاعوا الوصول إلى تلك النّتاجات رغم بعد المسافات ؟

2-فن التّأليف:

خاض كثير من الكّتاب والأدباء في تأليف الكتب والمصنّفات وعلى الرّغم من الزّحم الهائل ممّا وصلنا إلاّ أنّ العصر حكم عليه جزافا من لدن المستشرقين والمؤرّخين الّذين ينظرون للعهد نظرة شزراء و أنّ التأليف فيه قد شحّ وما نصدره من أحكام يكون عن دليل من غير اعتباط؛ فهذا ابن عبدون الّذي نال الحظّ الوفير بفضل علمه ودرايته وشاعريّته الفذّة [2] وابن الجدّ وابن أبي الخصال والّذي روي عنه أنّه ألّف كتاب المنهج في معارضة المبهج ،وكتاب ظلّ الغمامة وطوق الإمامة في مناقب من خصّه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بالكرامة ،كما برع في السّماع والرّواية حتى روي عنه سيرة الرّسول الكريم صلّوات الله عليه وسلامه [3]،وابن الصّيرفي الّذي جاد في علوم اللّغة وخاض في التّاريخ [4] ،الوقسي ، والشّلطيشي ،وابن الأزرق القرطبي[5] أمّا ابن باجه؛ فقد اشتغل في التّأليف والموسيقى

---

[1] -م ن .، ص ن .

[2] - - ينظر قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، ص 360.

[3] - ينظر: م ن، ص ن.

[4] - ينظر م ن، ص ن

[5] - التّاريخ السياسي والحضاري في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 390.

والفلسفة وناهز العشرين عاما في بلاط أمراء غرناطة وسرقسطة [1] ،هؤلاء جميعا تحدّثنا عنهم سابقا على أنّهم شعراء ،وكتّاب وتميّزوا في علوم شتّى.

وكما احتضن قصر الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين أهل الأدب والعلم، فكان معقل الآمال لما لقوه من رعاية وحفاوة وتشجيع فألّف الوزير أبو عامر بن الأرقم مقامة أدبيّة [2]، كما كان تاشفين بن علي – أثناء ولايته للأندلس يحضر المجالس العلميّة ويشارك فيها بمعيّة كبار العلماء كالقاضي والكاتب أبو القاسم أخيل بن إدريس الرّندي [3] ،وقد خصّص كلّ يوم جمعة في الأسبوع للمناظرات [4] الّتي كانت في الحواضر الكبرى كسبتة وفاس ومراكش فشملت ميادين شتّى منها الأدب واللّغة والفقه ممّا جعل الحركة الأدبيّة والثّقافيّة في تقدّم مستمرّ[5] ،خاصّة بعد الحفاوة الّتي طبعت حكّامهم واستقطبت جمهورا من الوافدين على المدارس ينهلون من نبعها ،و يصبّون عصارة ما شربوه من روافد عدّة كمدرسة فاس الّتي قصدها العالم المتبحّر في اللّغة العربيّة محمد بن أغلب بن موسى المرسي (ت511هـ) وإمام اللّغة محمد بن الحكم بن أحمد بن باق السّرقسطي (ت538 هـ)[6]، ولاشك أنّ المعلّمين وجدوا تحفيزات كبيرة حتّى تمكّنوا من الاستقرار في دور العلم ودرايتهم الكافية، ومناهجهم المتنوّعة فأينعت و أثمرت بظهور تلامذة أفذاذ تشرّبوا من النّبع الصّافي فأجادوا وأبدعوا في كلّ الميادين؛ وقد ساهمت المكتبات بالقسط الوافر في إشباع نهم المتّعلّمين كمكتبة مراكش التي ضمّت بين جوانحها مصنّفات الكتب النّادرة ،وقد عني

---

[1] – ينظر قيام دولة المرابطين، ص 360.

[2] – ينظر النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ص 83.

[3] – ينظر: المغرب في حلى المغرب ج1/ ص336.

[4] – ينظر: التاريخ الأندلسي، عبد الرّحمن حجي ،ص 448.

[5] –ينظر الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، لحسن علي لحسن، ص 417.

[6] – ينظر: التصنيف اللغوي ،ص 70.

الأمير المنصور بن محمد الحاج اللّمتوني على جمع الكتب والدّواوين تشجيعا للعلم ورفعا لرايته عاليا [1] فشُهد للفطاحل منهم بامتلاك المصنّفات أمثال ابن زهر وابن ماجه وأبي بكر بن العربي[2] في الأندلس وابن أحمد البيراني التّجيبي في العدوة الأخرى وإن فصلنا بينهما لندلّل أنّ التشجيع والحركة العلميّة رست بالعدوتين، بل وتجاوز العلماء الحدود إلى المشرق لينهلوا من روافده أمثال أميّة بن أبي الصّلت(ت 546هـ) الّذي رحل إلى المشرق وألّف كتبا منها كتاب الحديقة على أسلوب كتاب اليتيمة. [3] وكان عارفا بفن الحكمة، فاضلا في علوم الآداب [4]

والملفت للانتباه انشغال العلماء اللّغويين بترجمة وشرح معاني الأشعار المشرقيّة من هؤلاء: أبو بكر عاصم بن أيوب البلوي البطليوسي (ت494هـ) النّحوي فقد كتب كتابا في شرح الأشعار السّتة الجاهليّة، وشرح اللّغة، وأوضح المعاني ووضع الملاحظات اللّغوية والنّحوية مشيرا إلى مصطلحات العرب وعاداتهم ،مستشهدا بالمأثور والمرويّ[5]

إنّ الاهتمام انعكس إيجابا على تذوّق الفنّ القديم ثمّ فجّر مواهب الإبداع.

3-أدب الرّحلة:

دبّ بصيص الرّحلة العلميّة مع الرّحالة العالم القاضي أبي بكر بن العربي محمد بن عبد الله الإشبيلي (543هـ) الّذي سافر إلى المشرق رفقة أبيه بعيدا في رحلة دامت ثماني سنوات

---

[1] ينظر: التصنيف ،م ن ،ص 71.

[2] -ينظر دولة المرابطين، سلامة الهرفي ،314،315.

[3] - تاريخ النقد الأندلسي، ص 46.

[4] - ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس ،دار صادر بيروت، (د ت) ،ج 1/، ص243.

[5] - ينظر تاريخ النقد، ص 135.

جابا فيهما بجاية والمهديّة ،مصر وبيت المقدس والشّام وبغداد قاصدين البقاع المقدّسة و مركّزا على سرد تفاصيلها في كتابه (ترتيب الرّحلة وترغيب الملّة) وعدّا من الدّبلوماسييّن للوساطة بين سكّان المشرق والمغرب على شرعيّة المرابطين في الإمساك بزمام الحكم بعد استهتار وخلاف ملوك الطّوائف[1]؛ وقد كان لها الوقع البالغ من الجانب العلميّ والدّينيّ والسّياسيّ.[2]

ولقد شدّ العالم والطّبيب الفيلسوف والشّاعر أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الدّاني إلى مصر في الرّسالة المصريّة حيث وصف الآثار بجذافيرها فالتقى بأصحاب العقول النيّرة ممّن عرفوا من أهل النّهى[3]-كما رأينا ذلك سابقا- مثلما ألّف الرّحّالة التّجيبي السّبتي رحلته ،وابن رشيد الفهري وغيرهم[4]- فيما بعد- ،والمتمعّن في هذا اللّون الأدبي يجد نوعين بارزين من الرّحلة الدّاخلية بين المغرب والأندلس وخارجيّة من الحدود نحو المشرق ومن ذلك رحلة الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التّميمي الفاسي(ت505هـ) والّذي انتقل إلى سبتة ثم إشبيلية فالمريّة، وقد حصل بذلك ثقافة موسوعيّة منقطعة النّظير جعلته يتقلّد مناصب سامقة في الحكم والقضاء.[5]

كما خاض القاضي عياض (ت 544هـ)غمار العلوم بعد رحلته الدّاخلية من سبتة إلى الجزائر الشّرقية فبرع في اللّغة والنّحو والحديث وخبر أيّام العرب وأنسابهم وكلامهم[6]

---

[1] - ينظر من أدب الرحلات في الأندلس، بشرى محمد طه البشير ،كلية التربية الجامعة المستنصرية ،العدد السادس 2005موقع التحميل : https://ebook.univeyes.com/ -

[2] - التّصنيف، ص 191.

[3] - ينظر التصنيف، ص 122.

[4] - ينظر التصنيف، ص 119.

[5] ينظر، النبوغ المغربي عبد الله كنون، ص 87.

[6] - ينظر النبوغ المغربي، ص 87.

،ومن الّذين رحلوا إلى المشرق ابراهيم بن أحمد السّلمي المسمّى ابن صدقة (ت558ه)[1]؛فقد سمع عن العالم الأندلسي أبي بكر الطّرطوشي (ت520ه)[2] ورحل حسن بن إبراهيم بن محمد بن تقي المالقي إلى الإسكندرية سنة (515ه)[3]، وولج مصر كذلك الفيلسوف والطّبيب البارع أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الدّاني (529ه) فكان لرحلته أثر بالغ في بزوغ نتاجه الفكريّ والأدبيّ ولمّ شتات ما لاحظه بوصفه لأحوال مصر جغرافيّا وبشريّا واجتماعيّا و فصّل في ذكر تراجم من التقاهم في كتابه الرّسالة المصريّة [4] ،وأخيرا نورد اسم الرّحّالة المتميز أبو عبد الله محمد الشّريف الإدريسي (ت 559ه) صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذي عاش في سبتة ردحا من الزّمن وعاصر المرابطين والموحّدين ورغم أنّه ألّف الكتاب بعد هجرته لصقليّة وعدّ من الآثار الجغرافيّة العربيّة المهمّة ومرجعا ثمينا للأوربيّين لعهود متتالية، إلاّ أنّنا نفخر بنسبته للمرابطين فلا غرو أن يكون قد استقى من ثقافة وعلوم معاصريه قبل الهجرة ،خصوصا أنّه تعلّم في جامع القروييّن ،ثمّ في جامع قرطبة .[5]

ولقد رحل عدد هائل من العلماء إلى مصر والشّام والحجاز والعراق كعلي بن الإمام كاتب الأمير المرابطي تميم بن يوسف بن تاشفين[6] فحدث تلاقح كبير بين النّتاجات

---

[1] – ينظر ترجمته: تاريخ المقريزي الكبير (المقفى الكبير)، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية بيروت ،1978م ،ج/1 ص49.

[2] – ينظر التفاصيل: https://al-maktaba.org/author/80 تاريخ الولوج :15-9-2021على السّاعة 12:00سا.

[3] – ينظر التّصنيف، ص 122.

[4] – ينظر التفاصيل: https://search.mandumah.com تاريخ الولوج:15-9-2021على00 9سا

[5] – ينظر ترجمته: تاريخ الأدب ج5، ص 374.

[6] – ينظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، ج2/، ص 116.

المشرقيّة والمغربيّة نتيجة الرّحلات العلميّة، وكان الرّحالة يأخذون معهم مخطوطاتهم إلى المشرق ويحمّلون ما وجدوه من علم وأدب في البلاد الّتي زاروها وبذلك ربطت الصّلات بين المغرب والأندلس من جهة وبين المشرق والمغرب من جهة أخرى بوشائج متينة .

4-فنّ التّراجم:

ما يلفت الانتباه في هذا العهد هو تراجم الأدباء والشّعراء مغاربة وأندلسييّن وما يتعلّق بأخبارهم، وقد ساعد في تطوير حركة التّرجمة بقدوم الكتب المشرقيّة[1] لتكون الأنموذج المنسوج على منواله، فنجد الفتح بن خاقان في قلائد العقيان ومطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس[2] وهو مجلّد ضخم ضمّنه الكاتب تراجم أعلام عصره من أدباء ووزراء وشعراء وأمراء وملوك ومازج بين الشّعر والنّثر ،وحرص على ذكر الأراجيز والقصائد وأجزاء من المقامات والمخاطبات السّلطانية والرّسائل الإخوانيّة وما غاب من ذلك الموشّحات والأزجال ربما يكون قد أنقص من شأنها مقاربة بالألوان الفنيّة الأخرى – والله أعلم – ففي المقدّمة يشير قائلا عن الأدب :<< لما رأيت عنانه في يد الامتهان، وميدانه قد عطّل من الرّهان، وبواتره قد صدئت في أغمادها ،وشعله قد قذيت برمادها ،تداركت منه الذّماء الباقي وتلافيت له نفسا قد بلغت التّراقي ..وانتقيت من توليده المخترع ،وتجديده المبتدع ... حتّى أتى وكأنّ البدر في لبّته، ونسيم المسك من هبّته.[3]>>

ولقد حاول ابن خاقان إعادة إحياء مجد الأدب بالتّنويع في الفنون في مؤلّفه متأثّرا بالمشارقة، وقد ألهم غيره من معاصريه باتّباع نهجه أمثال بن بسام

---

[1] – ينظر تاريخ النقد، ص 58.

[2] – ينظر ترجمته: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ص 49،50،51.

[3] – ينظر: مقدمة الكتاب :قلائد العقيان ،ومحاسن الأعيان ،ابن خاقان ،ص 11.

الشّنتريني(ت542هـ) الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة واستوى حتّى من جاؤوا بعده أمثال لسان الدّين الخطيب في مؤلّفيْه الإحاطة في أخبار غرناطة (ت776هـ) والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثّامنة[1] وقد عمد على تصنيف الأعلام حسب مكانتهم؛ فبدأ بالرّؤساء والقوّاد ثمّ ذكر الوزراء الكتّاب ،فأردف الفقهاء والقضاة وذكر بعد ذلك الكتّاب والشّعراء ؛كما ذيّل المؤلّف قلائد العقيان بمجلّد جديد سمّاه مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في مُلح أهل الأندلس ليستكمل الأوّل ثمّ استدرك من لم يذكر في السّابق فالهدف من تأليفه تخليد مآثر الأندلسيّين وحمايتها من الضّياع[2] خاصّة مع إهمال المشارقة للأدب الأندلسي فرأى أن يكون مؤلّفه سجلاّ خالدا لفضائل أمّته يفتخر بها قومه ندّا للمشارقة[3] ،ولم يبتعد عن منهج القلائد في التّأليف حيث قسّم الكتاب إلى ثلاثة أقسام بدأها بالوزراء والكتّاب ثمّ عرج على محاسن العلماء وأعيان القضاة والفقهاء وخاتمة المسك نفحت بأخبار محاسن الأدباء والشّعراء النّوابغ منهج الكتابين كان واحدا ضمّ تراجم وأخبار ومختارات أدبيّة لأصحاب التّراجم من وزراء ووجهاء وقضاة وفقهاء وأدباء وشعراء عاشوا في الأندلس ولم يترجم للمغاربة أو المشارقة ،وقد عكست النّماذج الشّعرية الّتي عرضها في مؤلفيْه حياة البذخ التي عاشها الأندلسيّون من أنس ولهو وشراب كمرآة عكست الحياة الاجتماعية والثّقافية للمرابطين بالأندلس ،كما نقل لنا صورة النّدوات الأدبيّة الّتي شاعت في أوساط المثقّفين، فكانت ذاكرة حيّة لشعراء أهملوا وأهملت نتاجاتهم

---

[1] – ينظر: مقدمة قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،ابن خاقان ،ص 18.

[2] – ينظر: مقدمة المحقق، مطمح النفوس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ،الفتح بن خاقان الإشبيلي ، تحقيق :محمد علي شوابكة ،دار عمار ،مؤسسة الرّسالة سوريا ،ط1 ، 1983 ، ص 118،119.

[3] – ينظر خطبة المؤلف: 148- 149.

لذلك عدّ من المصادر الأندلسيّة الهامّة الّتي دوّنت تلك الحقبة ولا يمكن للباحثين والمهتمّين الاستغناء عنها .

والحديث يقودنا إلى ابن بسام الشنتريني (ت542 ه) الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة الكتاب مطبوع في أربعة أجزاء حقّقه إحسان عباس، استهلّ الكاتب مؤلّفه بالثّناء على جمال الأدب الأندلسي شعره ونثره جعل أعلامه يتبوّؤون المكانة العالية ويآخذ من تأثّروا بالمشارقة في الأسلوب مفتخرا أنّه لم يقلّدهم في مناهجهم ولم يسلك نهجهم في التّأليف لأنّ التفوّق ليس محصورا على أهل المشرق[1] لكنّه لم يتخلّص من القيود المشرقيّة باتّباعه نهج أبي المنصور الثّعالبي في كتابه يتيمة الدّهر[2] ،وقد عدّ من المصادر التّاريخية والأدبيّة والنّقدية النّفيسة لأنّه جمع إنتاج الأدباء بأسلوب شيّق وتعبير راق مع الدّقّة في التّواريخ وتأريخ مهمّ لا يمكن الاستغناء عنه، ناهيك عن مصنّفات أخرى عدّت من أدب السّير والتّراجم وهي : الاعتماد على ما صحّ من شعر المعتمد ابن عبّاد والإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل بن وهبون والاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمّار[3] و سلك الجواهر من نوادر ترسيل ابن الطّاهر وهو أديب ناثر له رسائل كثيرة (ت507ه)[4] أمّا محمد بن عيسى ابن الّلبانة(ت 507ه)؛ فقد ألّف نظم السّلوك في وعظ الملوك[5] وفي الموضوع نفسه، كتب محمد بن الوليد الطرطوشي (ت520ه) سراج الملوك حيث

---

[1] – ينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول ،ص 16.

[2] –ينظر الذخيرة، القسم الأول ، المجلد الأول ،ص 32.

[3] – تاريخ الأدب عمرفروخ، ص 274.

[4] ينظر ترجمته: تاريخ الأدب عمر فروخ، ص 89.

[5] – تاريخ الأدب عمر فروخ، ص 81،82.

حاول وعظ الملوك وبحث في التّاريخ والاجتماع مركّزا على الأخلاق لأنّها سرّ الصلاح والسّداد فإن صلح الحكّام صلحت الأمّة ،وقد راوح في أسلوبه بين الشّعر والنّثر.[1]

وأحصى طبقات الشّعراء العالم الجغرافي والأديب أبو عبيد البكري (ت487هـ) كتاب إحصاء طبقات الشّعراء[2] وألف أبو بكر محمد بن عيسى الدّاني المعروف ابن اللّبانة (ت505هـ) كتاب سقيط الدّرر ولقيط الزّهر وقد وصلنا منه الاسم فقط –كما أشار– محقّق ديوانه [3]،وقد كان الكتاب مؤلّفا خصّيصا لبني العباد تناول أخبارهم وأشعارهم وتراجمهم[4] ،لأنّه كان معجبا بهم وبشخصيّة المعتمد لما بذله من عطاء وسخاء لأشعاره .

إنّ المتطلّع لأدب التّراجم يستوقفه: الحديقة في مختار أشعار المحْدَثين لأميّة بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الدّاني (ت 529هـ) وقد نسجه على منوال يتيمة الدّهر للثّعالبي (ت429هـ)ففيه جمع ترجمات وافية لمعاصريه من الشّعراء[5] وسابقيه بزمن قصير [6] وخالف فيه المعهود أي ترجمة مجموعة من الشّعراء حسب بلدهم ،أو إقليمهم[7] ،وقد ألّف كتابا

---

[1] – ينظر ترجمته: تاريخ الأدب، ص 144،146.

[2] –ينظر التفاصيل: الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ،أبوالقاسم بن بشكوال ج/1، تحقيق بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ،تونس ،ط1، 2010،ص 376 وترجمته ينظر :سمط اللآلي في شرح أملي القالي ،أبو عبيد البكري ،تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية ،2012م ص 5.

[3] – ينظر ترجمته ومؤلفاته في ديوانه: تحقيق محمد مجيد السعيد ط2، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008 م ،ص 17

[4] – ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، ص219.

[5] –تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ج5،180،182.

[6] – ينظر موسوعة علماء العرب والمسلمين، محمد فارس، أبرز عجائب رجالات تاريخنا نقلا عن:https://islamsyria.com/site/show_articles/6068 تاريخ الولوج 16-9- 2021م على الساعة 11:33سا

[7] – ينظر التصنيف، ص 168.

آخر لايقلّ أهمّية عن السّابق سمّاه الملح العصريّة من شعراء الأندلس والطّارئين عليها ومن وفدوا إليها. [1] ، كما اهتمّ بالتّرجمة لأمراء الدّولة الصّنهاجيّة الذين ترعرع في كنفهم ،فذكر أنسابهم ،ومدّة ولايتهم ،وما قيل فيهم من أشعار، معبّرا عن مدى احترامه وتقديره لهم، وقد سار في كتابه على النهج التاريخي مبتعدا عن الزّخرف اللّفظي والتكلّف في تراجم الشخصيات[2]

ولا يمكننا أن نهمل فهرست أبي بكر ابن خير الإشبيلي (ت 575ه) الّذي عني كثيرا [3]بالمؤلفات برواية أسماء الكتب حسب العلوم والموضوعات أكثر من عنايته بالمؤلفين بمعلومات قيمة ونادرة الوجود في مراجع أخرى؛ فهو أفضل المصنّفات الّتي أثرت المكتبة العربية وذخيرة لا يُستهان بها في الأدب الأندلسيّ، فقد عدّد مجموعة الكتب مرويّة بأسانيدها حملها أبوعلي القالي معه إلى بلاد الأندلس.[4]

5-الخطب:

بما أنّ العصر عرف تردّيات في الأوضاع السّياسية باشر الخطباء ومنذ تباشير الفتح وإرساء الأقدام في العدوتين بخطب عملت على استتباب الأمن وغرس روح الثّقة بين الرّعية، واستخدمت لبث الحماسة وروح الجهاد استنهاضا للهمم وشحذا للنّفوس في سبيل الجهاد في سبيل الله .

---

[1] – تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ج5،182.

[2] – ينظر نصوص من التاريخ المفقود، لابن أبي الصلت الداني دراسة في المحتوى والمنهج التاريخي، محمد علي دبور مجلة عصور جديدة، المجلة 9، العدد1، ماي 2019.

[3] – ينظر ترجمته، تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ،442، 443.

[4] ينظر تاريخ النقد الأندلسي، ص 57، تاريخ الأدب عمر فروخ، ص 442،443.

وعرفت الخطب الدّينية حظّها الوافر في المجتمع نجد خطب الأمير للشّعب ،والفقيه للعامّة والمسؤول للرّعية، وما وصلنا مجموعة خطب كثيرة الغريب ،قويّة العارضة زعيم المغرب وشيخه مروان بن سمجون الطنجي (ت491هـ)[1] ،وخطب القاضي عياض الّذي خصّه المقّري بكتاب سمّاه أزهار الرّياض في أخبار القاضي عياض[2] ناهيك عن كتابيْن له أدرجا ضمن الرّسائل والخطب وهما : غنية الكاتب وبغية الطّالب في الصّدور والتّرسّل وسرّة السّراة في أدب القضاة[3] ،ولم تقتصر خطبه على الدّين، بل خاض في السّياسة وبأسلوب مقنع خاطب الرّعية من أجل إصلاح الأمور بها ووصفت خطبه بالجودة والفصاحة والتأثير فقد تميز بالفصاحة وحسن الإيراد، لايخطب إلا بما يصنع، خطبته فصيحة ذات رونق وعذبة الألفاظ وسهلة المأخذ[4]،من ذلك قول:<<الحمد لله مبدي الحقائق، ومبدي الخلائق، ومبدع السبع الطرائق، ومزينها بالكواكب الشّوارق، أحمده على نعمه التّوالي والسّوابق، حمدا يطبق مابين المغارب والمشارق، وأستعيذه كما أمر من كلّ حاسد وغاسق[5]...>> في المثال يظهر أسلوب القاضي جليّا من اعتماده على البديع واللّغة الجميلة حتى يسهل حفظها وتداولها بين العامّة، كما تستلطف الأذن سمعها وتجذب المستمع للانتباه للكلمة، ومن خصائصها أنّها شبّعت بالرّوح الإسلاميّة ولم تخل من الآيات القرآنية والأحاديث النّبويّة قصد إقناع المستمعين مع الإيجاز والبلاغة لاستمالة

---

[1] -ينظر النبوغ المغربي، عبد الله كنون ،ص 92،93.

[2] - ينظر النبوغ، ص 290.

[3] - التصنيف، ص 178.

[4] - ينظر القاضي عياض عالم المغرب ،وإمام أهل الحديث في وقته ، الحسين بن محمد شوّاط ص 168.

[5] القاضي عياض، ص 168.

المتلقّين ،ومن أشهر خطباء تلك الفترة أبو الحسن بن شريح شهد له بالفصاحة والبيان، وقد أعاد الجديّة والبهاء للخطابة في الأندلس[1]

وندرج خطبة الفتح بن خاقان الذي أدرجه في كتابه مطمح الأنفس<<أمّا بعد حمدا لله الذي أشعرنا إلهاما، وصير لنا أفهاما ويسر لنا برود آداب ،ونشرنا للانبعاث إلى ثباتها والانتداب، وصلّى الله على سيّدنا محمّد الّذي بعثه رحمة ،ونبّأه منّة ونعمة وسلّم تسليما...[2]>> افتتح الكاتب على نهج سابقيه بحمد الله والصلاة على نبيه صلوات الله عليه وسلامه ثم يدخل للموضوع الذي استهدفه حيث يقول: <<فإنه كان بالأندلس أعلام، فتنوا بسحر الكلام، ولقوا منه كل تحية وسلام فشعشعوا البدائع وروّقوها، وقلّدوها بمحاسنهم، وطوّقوها ثم هووا في مهاوي المنايا، وانطووا بأيدي الرّزايا، وبقيت مآثرهم غير مثبتة في ديوان، ولا مجملة في تصنيف أحد من الأعيان تجتلي فيه العيون وتجتني منه زهر الفنون إلى أن أراد الله إظهار إعجازه، واتّصال صدورها بأعجازها[3]...>>وكان السّبب في تأليف الكتاب هو استكمال قلائد العقيان؛ فذكر الأدباء والعلماء تخليدا لمآثرهم وحماية له من ضياع أخبارهم [4]

[1] – ينظر: أشكال الخطاب النثري الأندلسي، حسين علي الهنداوي، (د ط) 2019م، دمشق موسوعة المرصد الأدبي، ص 45.

[2] الفتح بن خاقان مطمح الأنفس، ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ،147ص.

[3] – الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص 148.

[4] – ينظر م ن، ص 113.

ولا يفوتنا الدّيوان الشّعري النّثري مع الحصري القيرواني (ت588هـ) حيث ضمّ بين جناحيْه النّثر، والشّعر وهو مجلّد محقّق ومطبوع[1]،وكتب ابن أبي الخصال خطبا دينيّة وإرشاديّة الغرض منها النّصح والإرشاد.[2]

لقد اتّسعت الأساليب وغنيت بالألفاظ واعتمد الكتّاب على الخيال والمعرفة الواسعة بعلوم شتىّ موظّفين السّجع الذي ترتاح إليه الأسماع، مستقين التعابير من القرآن وأقوال المشارقة .

6- فن المقامة :

كثر اهتمام الأندلسيّين في العصر المرابطي بفنّ المقامات متأثرين ببديع الزّمان الهمذاني (ت398هـ) والحريري (ت 513هـ)،فسرعان ما طفقوا يتدارسونها ويشرحونها وينسجون على منوالها من المؤلّفين الّذين هُتوا بمقامات الفتح بن خاقان الّذي تحدّث فيها على أبي محمد عبد الله بن محمد ابن السّيد البطليوسي (ت521هـ)حيث ولج بطل المقامة المتخيّل علي بن هشام الأندلس قادما من الشّام ليتعرّف على الأدباء[3] منتهجا نسق المشارقة أمثال الحريري وابن خفاجة وابن أبي خصال فكلّهم ألّفوا مقامات وأبدعوا فيها وأثقلوها التّنميق والتّزويق في الأسلوب وألزم أبو الطّاهر التّميمي القرطبي السّرقسطي الأشتركوبي (ت538هـ) في المقامات اللّزومية

---

[1] -ينظر: التصنيف، ص 148.

[2] – ينظر مقدمة المحقق، رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الداية دار الفكر، دمشق 1988م ص 15.

[3] – ينظر https://www.noor-book.com تحليل المقامة ص12

أو السّرقسطيّة [1]، وقد كان محيطا باللّغات ولهجات العرب ممّا جعله يتفوّق في المقامات ، مركّزا على فكرة الوعظ الّتي يلجأ إليها البطل للخداع وقد أراد معارضة الحريري فجعل مقاماته خمسين اكتست حلّة البراعة ورصّعت بالبلاغة في التعّبير وكسيت بثوب اللّزومية مأتسيا بالمعرّي وقد عنون بعضا منها السّرقسطية نسبة لسرقسطة والقرطبية نسبة لبلده والتّميمية لأصله العربي القديم ،ومقامة الشّعراء والمقامة الهمزية والبائية ومقامة النّظم والنّثر كلّ مقامة إلاّ وبرع في انتقاء التّسمية بما يناسب انتقاءه الرّاقي ،فحكم على أنّ أغراضها أكثرها مأخوذة من المشرق.[2] حيث يقول في مقامته الثانية:<<حدثنا المنذر بن حمام، قال:حدثنا السائب بن تمام، قال:لما فارقت جرجان أريد أرّجان برح بي الشوق، وجد النّزاع والتّوق فسرت أستسحب الرّفاق، وأجوب الآفاق، حتّى فارقت المأهول وركبت المجهول، وإذا أنا بلمّة رجال على نجائب عجال، يخبون في أرض نطيّة وينطوون على عزمة وطية، فعطفوا عليّ الزّمام ،وبذلوا التحية والذمام...[3]>>الكاتب ألزم نفسه بحرفي سجع لاستواء النّغم الموسيقى .

ولقد طرق أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال (ت540هـ) باب المقامة بتأليفه مقامة عارض فيها الحريري محتفظا ببطليْ الحريري: الحارث بن همام وأبي زيد السّروجي[4]، وقد برع في رسم مناظر متعدّدة جمعت في مقامة واحدة [5]،

---

[1] - ينظر تاريخ الأدب ج /5، ص45.

[2] - ينظر تاريخ الأدب، ص 238.

[3] - المقامات اللزومية أبو الطاهر، محمد بن يوسف ،السرقسطي ،تحقيق حسن الواركلي عالم الكتاب الحديث ،الأردن ،ط2، 2006م، ص 25

[4] - تاريخ الأدب إحسان عباس، ص 252.

[5] - تاريخ الأدب، م ن ، ص 254.

والملاحظ أنّ فنّ المقامة في ذلك العصر لم يخرج عن نهج الهمذاني والحريري لتأثّرهم البالغ بحسن وروعة التّشويق في السّبك وجمال الصّورة والدّعابة في الحبك.

تميّز أسلوب المقامات باللّغة السّهلة، والأساليب المصوغة بتراكيب بسيطة سهلة واضحة، وقد استخدم الكتّاب السّجع بشكل سائغ، مع التّركيز على إبراز الثّقافة الواسعة، مقتبسين من القرآن والحديث باللّفظ قصد التّأثير في المتلقّين واختتمت في أغلبها بأشعار حتى تترك انطباعا مميّزا للمتذوقين[1]، وقد استخدمت لأغراض تعليميّة تربويّة ومع توثيق اللّغة العربيّة في حافظات القرّاء، فأهدافها كانت توعويّة محضة بطرق فكاهيّة وأدبيّة مع الاستعانة بالوعظ والوصف[2] مركزين على معالجة المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع .

7- النّقد وعلوم اللّغة:

أ. النقد:

لقد برز الاهتمام بالنّقد في الأندلس بعد انتشاره في المشرق ،فأخذه اللّغويّون والنّحويّون والبلاغيّون كما هو ولم يطرأ عليه تجديد منتهجين سبيل المشارقة في بادئ الأمر بعد احتكاكهم ومخالطتهم للشّعراء والأدباء والعلماء ؛فكانت الملاحظات تخصّ الجانب النّحوي والصّرفي والبلاغي المتعلّق بانتقاء الصّور والتّعابير، وسرعان ما ارتسمت معالم النّقد واضحة ،بعدما كان النّقد للشّعراء أكثر منه للشّعر بحدّ ذاته ،<< وأحكامه شخصيّة قاصرة في جمل عاطفيّة مسجوعة ... وفيها بذور من النّقد مفيدة أحيانا[3]>>

---

1 – ينظر: أشكال الخطاب النثري الأندلسي ، ص 101.

2 – ينظر: م ن، ص 98.

3 – عمر فروخ، ج5، ص 50.

لاشك في ذلك فالأحكام بُنيت اعتباطا ،لاعتبارات شخصيّة ،ولم تبن على ضوابط علميّة محكمة وفق قواعد معيّنة تحيد شخصيّة الشّاعر عن نتاجه .

اعتمد ابن خفاجة على النّقد في مقدّمة ديوانه مركّزا على الجانب الجمالي الفنّي للشّعراء[1] ،وسار على سبيل الفتح ابن بسّام الشّنتريني صاحب الذخيرة في النّثر الأنيق المسجوع ،والاهتمام بإيصال فكرة أناقة وجودة الشّعر الأندلسي ويضاهي في جودته المشرقي ولو أنّه لوحظ زفرة من نزعة المشرق[2] مهملا ما نقص أو ضعف منه [3] ،وظهرت بوادر النّقد مع الأديب ابن عبد الغفور الكلاعي(ت543هـ)[4] في كتابه إحكام صنعة الكلام الذي ركّز فيه على البلاغة في النّثر مهملا الشّعر ،وتمخّض النّقد في هذا العصر ليلد ابن خيرة المواعيني (ت564هـ)في كتاب الرّيحان والرّيعان والذي لم يبتعد فيه كثيرا عن نهج المشارقة[5] وحاول السّرقسطي في النّقد في المقامتين الثّلاثين والخمسين من المقامات اللّزومية[6] وأينع النّقد مع مجيء تسهيل السّبيل إلى تعلّم التّرسيل للحميدي (ت488هـ)[7] الكتاب الّذي برع في تعليم فنّ الخطابة والكتابة والّتي شملت الكتابات السّلطانية والإخوانية

---

[1] - ينظر تاريخ الأدب عمر فروخ ج5/ ص 51.

[2] - ينظر تاريخ الأدب ج5، ص 63.

[3] ينظر م ن، ص ن

[4] - ينظر ترجمته: م ن، ص 281.

[5] - ينظر م ن ،51.

[6] - ينظر تاريخ الأدب العربي: إحسان عباس، ص 93،94.

[7] -ينظر ترجمته: جذوة الملتمس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، حققه وعلق عليه بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس ط1،2008م، مقدمة المحقق ص6 -11.

[1]،وفي كتب الّلغة نجد المثلّث في اللّغة لابن السيّد البطليوسي(ت 521هـ) في مجلّدين أتى فيه بالعجائب ودلّ على اطّلاع عظيم، كما وازن بين الحروف الخمسة السّين والصّاد ،والطّاء والضّاد والدّال جمع فيه كلّ غريب ،الاقتضاب في أدب الكتاب ابن قتيبة ، إصلاح الخلل الواقع في أبيات الجمل ،الحلل في شرح أبيات الجمل للزّجاجي، كتاب فيه مسائل في العربية. [2]

المعرّج على عصر المرابطين لا يمكنه ألاّ يعجب بكتاب غريب اللّغة لإبراهيم بن خفاجة (ت533هـ)، ولا غرو في الغريب ما دام الأديب برع في البلاغة و وأجاد في أصناف البديع[3] ممّا جعله يمسك زمام اللّغة ويحكم قواعدها. [4]

وكتب عبد الله التّميمي السّرقسطي كتاب المسلسل في غريب لغة العرب (ت538هـ) حيث صرّح المؤلّف في غرّة مؤلّفه أنّه سمع الكتاب المداخل في اللّغة فاستنزره، بحشد الألفاظ والشّواهد والجوانب اللّغوية فدلّ ذلك على قدرة خارقة في حشد اللّغة واستعراض الثّقافة الرّحبة[5]؛حيث اعتمد في المسلسل على افتتاح الخمسين بابا ببيت شعريّ ليختار منه المفردة الّتي سيقوم عليها بناء التّسلسل ،ويقف عند إحدى المفردات ليستشهد لها ببيت الختام وقد استقاها من القرآن والرّجز والشّعر والأقوال والأمثال ،وقد أولى العناية البالغة للظّواهر اللّغوية ،بالإضافة إلى غريب اللّغة كالأضداد والمشترك اللّفظي والمترادفات بالإضافة إلى

---

[1] – ينظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الداية، مؤسّسة الرّسالة بيروت، ط 2 ،1993م ص 7

[2] – ينظر: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ص،182. 183.

[3] – ينظر المغرب لابن سعيد، ج2، ص،367.

[4] – ينظر التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار 186.

[5] – مقدمة المحقق، المداخل في اللغة ،محمد عبد الجواد ،المكتبة الأنجلو أمريكية 1956م ،ص 34،35.

اللّغات والتّأصيل اللّغوي ،واعتمد الحرص في تقديم المواضيع على الشّرح والتّعليق والإضافة وإبداء الرّأي في المسائل اللّغوية [1] وينمّ ذلك عن دراية المؤلّف بعلوم اللّغة وإبحاره في معانيها الجمّة بأسلوب طريف خال من الملل ،منتهجا سبيل أبي عمر المطرّز في كتابه المداخل في اللّغة وتلميذه أبي الطيّب اللّغوي في كتابه شجر الدّر اللّذيْن اعتمدا المشترك اللّغوي في تأليفهما.[2]

لقد ذكر الشّيخ حسن قويدر في منظومته نيل الأرب في مثلّثات العرب مشيدا فيها بابن السيّد البطليوسي (ت521 هـ) في المثلّث في الكلام مركّزا على قيمته ومحاسنه[3] ناهيك عن مصنّفه الفرق بين الحروف الخمسة: (ض ،ذ ،ظ س ،ص) ، وقد جمع بين اللّغة والنّحو والقراءات والأصوات والأدب مشيرا إلى أصل اشتقاق المادّة[4] هذا المؤلف يدلّنا للاستنتاج أنّ الكاتب وصل إلى قمّة العلم والمعرفة في ميدان علوم اللّغة وألمّ بعلوم شتّى حتّى تقحّم الدّراية بالنّحو والصّوتيات والبلاغة على حدّ سواء.

وفي نفس المضمار ألّف أبو مروان عبد الملك بن يزيد المرواني (ت521هـ) في مثلّث الكلام بحر الدّرر وروض الفكر، وقد رتبّه على حروف المعجم، ولم يصلنا غير التّسمية.[5]

---

[1] – ينظر الدراسات اللغوية في الأندلس، رضا الطيار 47. نقلاعن التصنيف، ص 197.

[2] – ينظر الدراسات اللغوية، رضا الطيار ،ص 71.

[3] – ينظر ابن السيّد البطليوسي وجهوده في اللّغة، طعمة منى محمد، إشراف منى إلياس، دمشق، 2004م،131،128.

[4] – ينظر الفرق بين الحروف الخمسة (ظ، ض،ذ،س،ص)، محمد ابن السيد البطليوسي ،دراسة وتحقيق عبد الله النّاصير ،دار المأمون للتراث ،دمشق الطبعة الأولى 1984م ، ص 130،56.

[5] –ينظر: الدراسات اللغوية في الأندلس، رضا الطيار، ص 77.

ويعطف عليه رسالة في النّبات لأبي عبيد البكري (ت478هـ) وهو معجم للمعاني مشهور لكنّه مفقود على حدّ تعبير المحدثين [1] وأبو عبد الله النّفزي (ت524هـ) حيث شرح رسالة أبي الحنيفة الدّينوري في النّبات ويقع في ستّين مجلّدا وللأسف –فُقد كذلك– [2] نرجّح أن يكون الفقد للأوضاع السياسيّة المزريّة بعد فشل ريح المرابطين في النّصف الثّاني من القرن السّادس هجري.

وفي حلّة لغوية بحتة اكتست رسالة ابن السّيد البطليوسي (ت521هـ) طابعا طريفا أشار فيها الفرق بين الاسم والمسمّى ،معتمدا على الحجّة والأسلوب المنطقي الفلسفي المقنع بغية توضيح الفكرة ،فشاعت بين العلماء وجمهور اللّغويين وراحوا يناقشونها مبدين آراءهم فيها [3] كما اهتمّ بتصنيف مؤلّف شرح فيه مشكلات موطّأ مالك بن أنس بنظام تبويب الكتاب مركّزا على الجانب اللّغوي ومستندا على كلام القاضي عياض[4] ،وقد ظهر طابع الشّرح لغويّا قحّا لا فقهيّا ،فقد حرص على ذكر آراء وتفسيرات أهل اللّغة في الأحاديث النبويّة ،وقد سلك نهْج مناقشة أقوال الفقهاء والرّدّ عليهم بتوجيهات لغويّة ونحويّة وصرفيّة ،مكثرا من الشّواهد المستمدّة من القرآن والحديث[5] لتوضيح الفكرة وبغية

---

[1] – ينظر المعجم العربي بالأندلس، عبد العلي الودغيري، ط1، 1984م، مطبعة المعارف، الرباط، ص 72.

[2] – ينظر م ن، ص ن، تاريخ الأدب عمر فروخ ج5/ 159- 161.

[3] – ينظر ابن السيّد البطليوسي وجهوده في اللّغة، طعمة منى محمد، إشراف منى إلياس، دمشق، 2004م، ص 41.

[4] – ينظر مقدمة المحقق: مشكلات موطأ مالك بن أنس، ابن السيد البطليوسي، تحقيق طه بن علي بوسريح التونسي، دار بن حزم لبنان، ط1، 1999م، ص14.

[5] – م ن . ص 10

إقناع السّامعين ،بأسلوب واضح بعيد عن الاستطراد والتّعقيد والغموض فالشّرح قصده الإيضاح لطبقة بسيطة في المجتمع لابدّ من الوضوح حتّى يبلغ الهدف المنشود.

وجمع مسائل متنوّعة في النّحو واللّغة والفلسفة والأصول والتّفسير والأدب[1] سمّي بالمسائل والأجوبة عكس شخصية المؤلّف المتميّزة والمشبّعة بالثّقافة والعلوم المتنوّعة، وقد حرص على إدراج الشّواهد المتنوّعة مبديا رأيه في المسائل اللّغوية، فالمبدأ قائم على الاعتراض والأسئلة والرّدّ والأجوبة [2]

ب.علم النّحو:

ظهر على واجهة المرابطين عدد لابأس به من اللّغويّن والبلاغييّن الذين شاركوا بمصنفات نحويّة تناولت قضايا النّحو واللّغة منها : شفاء عليل العربية[3] لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأونبي (487هـ)[4] الكتاب لم يصلنا إلاّ عنوانه لكن نرجّح تعلّقه بالنّحو واللّغة ،وألّف بن طراوة المالقي سليمان بن محمّد بن عبد الله (ت528 هـ) كتاب التّرشيح في النّحو ،موضوع الكتاب يشتمل على آرائه في المسائل النّحويّة

---

[1] – ينظر المسائل والأجوبة، ابن السيد البطليوسي مجمع اللغة العربية دمشق ،1963م، مقدّمة المؤلّف.

[2] – لمزيد من التفاصيل ينظر: مجلة المورد، ابن السيد البطليوسي حياته، منهجه، في النّحو واللّغة والشّعر، صاحب أبو جناح، المجلد 6، العدد1، العراق، 1977م، ص12

[3] – ذكره مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة في كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدّين يالتقايا، رفعت بيلكا كليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2/، ص1050

[4] – ينظر مقدمة سمط اللّآلي، ص 12.

مؤيّدا بعض النّحاة واللّغويين ومعارضا بعضهم الآخر[1] وهذا لإمساكه زمام النّحو، وتمكّنه من أصول النّقد .

أمّا أبوبكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي (ت543هـ) فقد ألّف التّلخيص في النّحو[2]. وخاض ابن السيّد البطليوسي في الشّرح والتّعليق وتوضيح المعاني على أبيات الجمل للزّجاجي(ت 339هـ)[3] لما ذاع صيته في الأندلس والمشرق واستفاد منه الطلاّب في مجال احتضن اللّغة والنّحو والصّرف والثّقافة ، فقد وضّح الكاتب معاني الأبيات الواردة في جمل الزّجاجي وحرص على الدّقّة والوضوح في عرض الشّاهد الشّعري، معتمدا التّأصيل اللّغوي لمعظم الألفاظ (أصل الألفاظ) وتطوّرها الدّلالي وأصلها الاشتقاقي ،كما سلك التّعليق بالتّوسيع في الشّرح بمعلومات متبحّرة في الثّقافة حتّى يستعرض ثقافته الشّاسعة وتمكّنه الواسع من علوم جمّة ،منبّها على الأغلاط التي وقع فيها الرّواة وعلماء اللّغة في نسبة الشّواهد أو في بعض المسائل اللّغوية والنّحوية[4] ،مرتكزا على الشّواهد من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف[5]،وهنا تظهر ثقافة المؤلّف المتشعّبة التي مسّت جوانب عدّة احتضنت الدّقّة والشّرح المقنع المبني على أسس متينة ملكها من الشّواهد والمعارف المتنوّعة، فراح يشرح

---

[1] – ينظر: بغية الوعاة، السيوطي 1/،602.، تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج 5، 172.

[2] – ينظر ترجمته: الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، بن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطّبع والنّشر، القاهرة ،2011م ج2/، ص 252

[3] – الحلل في شرح أبيات الجمل، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، تعليق يحي مراد ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ،2002م، مقدمة الناشر ،ص 30.

[4] – ينظر على سبيل المثال: الحلل في شرح أبيات الجمل، ص 34.

[5] ينظر التّصنيف، ص 259.

كذلك الجمل لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجاني (ت571هـ)[1] الشّاعر عاصر المؤلّف وهذا دليل على شدّة تواصل الأواصر بين المشرق والمغرب في الزّمن حينه، وقد كثرت شروح ابن السّيّد حيث شرح أيضا أبيات المعاياة للأخفش سعيد بن مسعدة (ت215هـ) العالم المتبحّر في النحّو والتّصريف الأبيات تتضمّن نكتا نحويّة تحتاج إلى عناية بالغة للغوص فيها وشرحها وكأنّها تعيي الطّلاّب في حلّها فسُمّيت بالمعاياة[2] ولقد تجشّم الكاتب عناء الشّرح والتّمحيص فيسّر الصّعب وحلّل الغامض حتّى يسهل على الطّلاّب استيعاب كنه الأبيات ،وانجذب ابن طراوة(ت528هـ) لكتاب سيبويه فوضع مقدّمة ضمّنها الشّرح والتّوضيح للمضمون[3] كما شرح الإفصاحُ ببعض ما جاء مِن الخطأ في الإيضاح لأبي علي الفارسي[4]، كما رصّع علي بن أحمد بن خلف المسمّى "بابن الباذش" (ت558هـ) مصنّفات الشّروح

---

[1] – ينظر الحلل في شرح أبيات الجمل، أبو محمد عبد الله بن محمّد بن السّيد البطليوسي، تعليق يحيى مراد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1 ،2002 م،مقدّمة الناشر ،ص 29، كشف الظنون حاجي خليفة ،ج1،602.

[2] – شرح أبيات مغني اللّبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح، أحمد يوسف دقّاق، دار المأمون للتّراث، دمشق، ط 2، 1988م، ج1/، 57،58.

[3] – ينظر: بغية الوعاة، ج 1، 602.، تاريخ الأدب، ج/5، 172.

[4] – تاريخ الأدب، عمر فروخ، ج5/، 172، ينظر مجلة جامعة تشرين للدّراسات والبحوث العلميّة، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد 2،2005، عنوان المقال: أبو الحسين بن الطّراوة وآراؤه في النّحو والصّرف، د مزيد اسماعيل نعيم، رفائيل مرجان، ص71.

بمجموعة لا يُستهان بها من الشّروح منها: شرح كتاب سيبويه شرح المقتضب للمبرّد، شرح الأصول لابن السّراج ،شرح الجمل للزّجاجي[1]،شرح الكافي لابن النّحّاس[2] .

من الشّروح النّحوية الّتي طفحت على صفحات المرابطين وتناولت المصنّفات المشرقيّة شرح كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسي(ت 377هـ)[3] لمحمّد بن حكم الجذامي[4](ت538 هـ)[5] واهتمّ البكري(ت 487هـ) باشتقاق الأسماء[6] وأبو منصور محمد بن علي الجياني الأصبهاني بأبنية الفعل[7]...ومن المؤلّفات ما يطول عرضها في مقام شروح المصنّفات ،وما ميّز جميعها أنّها اتّسمت بالوضوح والتنوّع مرتكزة الارتكاز الوثيق بالمشارقة وتعدّدت مواضيعها وتشعّبت مجالاتها فكان مؤلّفوها يستعرضون الكفاءات العالية في علوم جمّة عكست تكوينهم المتميّز وثقافتهم الشّاسعة المتمكّنة من النّحو والصّرف والبلاغة مع إثبات آرائهم وتعليقاتهم وتوجيهاتهم للأخطاء الّتي وقع فيها سابقوهم مثلما نبّه أبو عبيد البكري الأونبي لأغلاط أبي علي القالي في

---

[1] – بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، السّيوطي، ج 2، 143.

[2] – ينظر الدّيباج المذهّب في معرفة علماء أعيان المذهب، بن فرحون المالكي محمد الأحميدي أبو نور، دار التراث للطبع والنّشر، القاهرة ،2011م، ج 2، ص، 107-108.

[3] –ينظر ترجمته: شرح شواهد الإيضاح، لأبي علي الفارسي، عبد الله بن برّي، تحقيق مصطفى درويش، محمد مهدي علاّم، القاهرة 1985م ص،76.

[4] –هو أبو جعفر محمد بن حكم بن باق الجذامي، من أهل سرقسطة، سكن غرناطة، ثم فاس فكان مقرئا مجوّدا، متقدّما في النّحو، حافظا اللّغة، فصيح اللّسان ولي أحكام فاس وأفتى فيها ودرس بها العربيّة ومنها كتا ب سيبويه، ومات بتلمسان ينظر بغية الوعاة ج/1، ص 96.

[5] – بغية الوعاة، السيوطي، ج1/، 96، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، سلامة الهرفي 323، 348.

[6] – ينظر بغية الوعاة ج2، 49.

[7] – ينظر المعجم العربي بالأندلس، الودغيدي ص100.

أماليه[1]،وقد حرص كلّ الحرص على الإشارة إلى جلّ ما أغفله القالي سهوا أو زلّة مستدرِكا النّقص، مصحّحا الخطأ؛ كاستدراك أسماء الشّعراء الّذين ذكرهم القالي ولم ينسبها إليهم ،وصحّح الأخطاء المتعلّقة بمعاني الألفاظ ،وقد شدّد على تقديم الإضافات المفيدة الّتي تثري رصيد القارئ المعرفي[2]

وراح ابن الباذش علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الأندلسي (ت528هـ) يشرح كتاب الكافي في النّحو لابن النّحاس منبّها فيه على أخطائه وأوهامه[3] وفيه ظهرت موهبته الفذّة في الحجاج والتّنبيه والإقناع والمناقشة بزخم من الزّاد.

لقد تجلّت تشجيعات حكّام المرابطين للعلم والعلماء في العدوتين، وظهرت إسهاماتهم جليّة من خلال الحركة الثّقافية والفكريّة والعلميّة الّتي ترعرعت في كنف المؤسّسات التّعليميّة والمساجد والحواضر العلميّة الّتي طفقت محجّة العلماء والمتعلّمين على حدّ سواء يقصدونها من كلّ فجّ عميق؛ فأذكت شعلة الحضارة المتميّزة ،وأثمرت بمصنّفات ومؤلّفات محكمة السّبك جميلة الحبك ينم عن صفاء المنابع الّتي استقى منها الكتّاب والشّعراء والعلماء نتاجاتهم متشبعين بالثقافة المشرقية بلمسة أندلسية مغربية

---

[1] – أمالي القالي يقع في مجلدين ضخمين، المجلد الأول يضم جزأين: الأول والثاني من الأمالي، والمجلد الثاني يتضمّن ذيل الأمالي والنّوادر وكتاب التّنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه للوزير أبي عبيد البكري ،الكتاب مطبوع ينظر :التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ،عبد الله بن عبد العزيز البكري ،أبو عبيد تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، ط2، 2000.

[2] – ينظر التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، مقدمة المحقق ص 6

[3] – ينظر الديباج المذهب، ابن فرحون، ج2، ص 108.

8- شرح وتفسير المصنّفات:

أ. *تفسير القرآن والأحاديث:*

غاص في هذا العهد كثير من الّلغويين والبلاغييّن في معاني القرآن فشرحوه وفسّروه ودرسوه، كما تمعّنوا في الحديث وأطنبوا في تفسيره من جميع المناحي الفكريّة والبلاغيّة والنّحوية والصّرفية ، وجلّ من فسّر عُرف بإلمامه بعلوم متشعّبة من هؤلاء :محمد بن خلف الأوسي (ت 537هـ)[1] الّذي استهواه كتاب الموطّأ ،فراح يصنّف كتاب شرح مشكل ما وقع في الموطّأ [2] وفي نفس المضمار شرح محمد بن أحمد الجيّاني (ت540هـ) غريب البخاري مستعرضا براعته في علوم اللّسان والنّحو والأدب.[3]

ويعترضنا –دائما- في مجال اللّغة كتاب الإفصاح في بعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح لابن طراوة (ت 528هـ) حيث طفحت بلاغته الفائقة وتفوّقه في النّحو حتّى لقّب بالأستاذ وهو لم يلقّب أحد من الأندلسيّين بهذا اللّقب غيره.[4]

---

[1] – هو محمّد بن خلف بن موسى الأوسي نزيل قرطبة وحافظ كتب الأصول وقف على منهج أب موسى الأشعري وشارك في الأدب، كما تقدم في الطب، ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ج/3، ص 46.

[2] – ينظر الدّيباج المذهّب، ابن فرحون الأوسي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور دار التّراث للطّبع والنّشر، ص،302.

[3] – ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، نشر عيسى البابي الحلبي، 2012م ج/1، ص 41.

[4] – ينظر ترجمته، تاريخ الأدب عمر فروخ ج 5/، ص 172

وفي نفس سبيل تفسير الأحاديث لغويّا يعترضنا القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)[1] في كتابيه مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث والآثار وفيه شرح الألفاظ الغريبة في كتب الحديث: صحيحي البخاري ومسلم وموطّأ مالك[2] ويعدّ آخر مؤلّفات الكاتب وذاع صيته بعد وفاته لقيمته العلميّة والفقهيّة للنّاس[3] ،وأمّا الكتاب الثّاني شرح حديث أمّ زرع؛ وقد وجد في بعض المصادر بتسمية: بغية الرّائد لما تضمّنه حديث أم زرع من الفوائد وهو شرح لما يستفاد منه في الأحكام الشّرعية وتوضيح لغريب الحديث مع الدّراسة البلاغيّة له.[4]

ب.المصنّفات:

تنوّع التّصنيف اللّغوي في عصر المرابطين وتشعّبت الموضوعات اللّغوية في المصنّفات من غريب اللّغة والفروق اللّغوية ومثلّث الكلام ومعاجم المعاني ،كما ظهرت رسائل لغويّة في اتّجاه فلسفة اللّغة وشروح المؤلّفين سواء للمؤلّفات المشرقيّة أو غريب الحديث ،وما ميّز المصنّفات الموسوعيّة حيث شملت علوما شتّى عبّرت عن ثقافة واتّساع فكر أصحابها وتفتّحها على رحابة صدر المشرق وتألّق حضن الأندلس ،لكنّها كانت نزرة مقارنة بعهد ملوك الطوائف وعصر الموحّدين وربّما يرجع ذلك للفترة السّياسّية العصيبة

---

[1] – ينظر ترجمته: الدّيباج المذهّب، ابن فرحون الأوسي، ج /2، ص 46-51.

[2] – ينظر مشارق الأنوار على صحيح الآثار ، القاضي أبو الفضل عياض ،تقديم إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية ،2011م

[3] – ينظر منهج القاضي عياض في شرح غريب الحديث في كتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار، بكر بن محمد البخاري ،،مجلة العلوم الشرعية ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثالث والعشرون ،1433هـ ص21.

[4] – ينظر القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، البشير علي حمد الترابي ،دار بن حزم بيروت ط1، 1997م ، 154.

الّتي عرفتها العدوتان في تلك الأثناء ناهيك أنّ التّأليف كان قليلا لكن شُهد له بالجودة وعُدّ حقّا بداية شعلة الإبداع في العهد الموحّدي.

وذاع صيت الأمثال بالمشرق وتداولها النّاس ،فحملها أبو عبيد البكري(ت 487هـ)[1] ،ونهجت طريقين : الأمثال الواردة في القرآن الكريم و الحديث الشّريف والأمثال العامّة ،وقد تألّق في تأليفه لكتاب :فصل المقال في شرح الأمثال[2] ،حيث اهتمّ بغريب الألفاظ كما ذكر الأخبار المتعلّقة بالأمثال سالكا نهج المتقدّمين أمثال المفضّل الضّبّي ،وأمثال الأصمعي ،أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام ،أمثال أبي عبيدة معمر بن مثنى وغيرهم كثيرون[3] ،وقد عرض المحقّق أنّ المؤلّف وضع كتابه في عشرين بابا مسّت جوانب الحياة الاجتماعية ،والصّفات المعنويّة الإنسانيّة ،وحرص كلّ الحرص على الفوائد اللّغوية والثّقافية مستعرضا قدراته الخارقة في اللّغة والثّقافة بشتّى مجالاتها ،وقد برز نبوغه في سمط اللآّلي من شرح الأمالي للقالي حيث عمد لشرح النوادر وألفاظ الغريب ،والأبيات الشّعرية ،والأخبار والألفاظ المرتبطة بمعاني الأحاديث والخطب[4] كما قام بشرح الاختيارات اللّغويّة والأدبيّة ،وعلّق عليها كما استدرك ما أغفله أبو علي القالي[5] كتفصيله في التّعريف بالأماكن والأعلام وحرصه على التّفصيل في الإضافات والتّعليقات[6] عكست غزارة زخمه

---

[1] ينظر ترجمته: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ،أبو عبيد البكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ،دارالكتب العلمية ،القاهرة 1935م مقدمة المؤلف ،ص ب .

[2] – الكتاب مطبوع حققه إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرّسالة، بيروت ،1971م. المنهج مسطر في مقدمة المحقق، ص 10.

[3] – ينظر مقدمة المحقق م ن، ص 7- 12.

[4] – ينظر سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، م ن ج 1، مقدمة المحقق، ص 3.

[5] – ينظر م ن، ج1، ص 129.

[6] – ينظر التصنيف، ص 227.

اللّغوي والثّقافي وبالتّالي غزارة اللّغة والثّقافة في العهد المرابطي والّذي تشرّب الإنتاج المشرقي وتجاوزه في الجودة والإبداع، والجدير بالذّكر أنّه وجد كتاب قرّة النّواظر بشرح النّوادر للقالي فمنهم من نسبه لابن السّيّد البطليوسي ،ومنهم من أكّده للبكري[1] وما يهمّنا مضمونه الّذي لم يخرج عن أصله وقيمته في العهد المرابطي .

وليس بعيدا عن الشّروحات فقد شرح ابن السيّد البطليوسي أدب الكتّاب في مؤلّفه الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب لعبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدّينوري(ت276هـ)،فالمؤلّف من الأصول الأدبيّة واللّغويّة المتشعّبة، لا يمكن للدّارس الاستغناء عنه [2] ،<<فهو أحد الكتب الأربعة التي كان شيوخ ابن خلدون يعدّونها أصولا لفنّ الأدب وأركانه.[3] >> نظرا لأهمّيته البالغة؛ فقد وضعه في ثلاثة أجزاء ،وخصّص كلّ جزء لموضوع محدّد فالأوّل في شرح خطبة[4] أدب الكاتب الطّويلة والحافلة بالفوائد اللّغوية والثّقافية والأدبيّة المتنوّعة ،وذكر ما يتعلّق بها من أصناف الكتّاب وآلاتهم ،وأمّا الجزء الثاني من الاقتضاب فخصّصه لأغلاط ابن قتيبة ،وهو في أغلاطه دقيق الفهم ،صافي الطّبع لطيف الحسّ ثاقب النّظر يتعمّق في العلوم العربيّة والفلسفيّة؛ فكان له عونا على إدراك خفيّ المعاني والفروق بين الألفاظ[5] ،وخصّ القسم الثّالث للحن العامّة معوّلا على ما رواه أبوحاتم عن الأصمعي . ،وفي القسم الرّابع تناول مواضع وقعت غلطا في رواية أبي علي

---

[1] – ينظرالتّصنيف، ص 229.

[2] – ينظر ترجمته:https://al-maktaba.org/author/249 المكتبة الشّاملة الحديثة، تاريخ الولوج ،15-10-2021م على السّاعة 14:30سا.

[3] – الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السّيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السّقا، حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية القاهرة ،1996م، القسم الأول ، ص 18

[4] – الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، القسم الأوّل، ص 19

[5] – الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، القسم الأول، ص 21.

البغدادي والجزء الثّالث من المؤلّف خصّه لشرح أبيات أدب الكاتب بمنهج سهل وعبارات واضحة بعيدة عن الغموض والتّعقيد مع التّقصّي في المسائل وتحرّي الدّقّة العلميّة واللّغويّة في العرض[1] ،حيث ذكر كلّ ما يحتاجه: كاتب اللّفظ وكاتب العقد وكاتب المجلس والعامل وكاتب الدّيوان وكاتب الشّرطة والمظالم ...وأشار إلى أدوات الكتابة كالأقلام والمداد والدّواة...وفي الجزء الثّاني تحدّث عن ألوان الخيل[2] وهذا يعكس درايته الواسعة وتبحّره في شتّى العلوم، كما قام بشرح كتاب الكامل للمبرّد فقد احتلّ مكانة عالية في المكتبة الأندلسية إذ تناول المؤلّفات الشّرقية بالشّرح والتّفصيل والاستنتاج والتّعليل كمعاصريه من أهل الأندلس الّذين اطّلعوا على المؤلّفات المشرقيّة وسرعان ما طفقوا يشرحونها ويبدعون في التّعليق عليها ونقدها، وتصدّرت مؤلفّاتهم المكتبات الأندلسيّة بل وبزّت المصنّفات المشرقيّة[3] وتجاوزتها بالشّيوع والذّيوع ،فكانت بمثابة الأمّ الّتي تعين وليدها في صغره ،ويشتدّ أزره بفضلها ليغدو شابا يافعا ويردّ صنيعها بالتألّق والعطاء.

ج. *شرح الدّواوين الشّعريّة:*

لقد طالت الشّروح حتّى الدّواوين الشّعريّة وكما هو الحال شرح المؤلّفون الأشعار المشرقيّة ؛فقد كانت أوّل اهتماماتهم ربّما ليظهروا تفوّقهم من جهة وربّما لأنّ الطّفل لا يمكنه الاستغناء عن حضن أمّه حتّى يشتدّ عوده ،إذ لا يمكن البدء من العدم إذ يتصدّر هؤلاء الشارحون للأشعار أبوبكر البطليوسي في شرح دواوين الشّعراء السّتّة :امرؤ القيس ،النّابغة الذّبياني ،عنترة بن شدّاد العبسي ، طرفة بن العبد ،زهير بن أبي سلمى ، علقمة بن عبدة

---

[1] – ينظر الاقتضاب، القسم الأول، ص 21.

[2] – الاقتضاب ج 1/، ص ، 75.

[3] – التّصنيف، ص 234.

الفحل[1] معتمدا على الاحتجاج اللّغوي والنّحوي في شرح الألفاظ والمعاني ،مضمّنا أقوال اللّغويين والنّحاة المتقدّمين أمثال الأصمعي ،والمبرّد ،وابن جنّي ،وأبي عمرو بن العلاء ،كما استعان في حجاجه بالقرآن الكريم والحديث الشّريف والشّعر العربي وحرص كثيرا أن يتراوح الشّرح بين الألفاظ والمعاني ،مشيرا إلى مصطلحات العرب وعاداتهم ،وقد ذكر أسماءهم والمواضع والأماكن عندهم وسرد بعض أخبارهم وقصصهم فعكس ذلك سعة ثقافته ورحابة اطّلاعه خاصّة حين تناول الضّرورات الشّعرية والسّرقات[2] ،كما شرح سقط الزّند[3] لأبي العلاء المعرّي؛ فقد برز ولعه بالمسائل اللّغوية ووازن وقابل بين المتنبّي والمعرّي ملتزما بالتّسجيع من غير تكلّف[4] في يسر لافت، وقد اهتمّ في ترتيب السّقط على حروف المعجم ،وعدّ من أقوى الشّروح ،وأوفاها وأكثرها استيعابا [5]،كما ظهرت شخصيّته الملمّة بعلوم جمّة ،ناهيك عن روحه المتمكّنة من زمام اللّغة ونقده البنّاء النّابع من اقتناع بوادره الثّقة بشخصه ،وقد طفح ذلك حين عاكس معاصريه من شارحي ديوان المعرّي وقد اتّخذ لنفسه موقفا من شعر المعرّي معانيه وأسلوبه.[6]

---

[1] – ينظر: تاريخ النّقد الأدبي في الأندلس ، محمد رضوان الدّاية ، 154،153.

[2] – ينظر: م ن ،ص 147،136.

[3] – سقط الزند ديوان أبي العلاء المعري (ت449هـ)، وله ديوان اللزوميات ،سمي بالسقط لأنه أول ما يخرج من النار من الزند ينظر :شروح سقط الزند ،تحقيق مصطفى السقا ،عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، ابراهيم الأبياري ،حامد عبد المجيد ، إشراف طه حسين ،الهيئة المصرية العامة للكتاب1945م، ط 3 مقدمة المؤلف ،ص 6

[4] – ينظر م ن، ص 9.

[5] – ينظر م ن ص 8.

[6] – ينظر التّصنيف، ص 244.

وأمّا عليّ بن عبد الرّحمن ابن خضر الإشبيليّ (ت545هـ)؛ فقد شرح ديوان أبي تمّام [1] ،كما شرح المعلّقات أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي (ت494هـ).[2]

إنّ الشّرح والتّحليل والتّركيب إنّما يأتي بعد التّحكّم في زمام المعاني والبيان والبديع والدّراية بعلوم اللّغة والقواعد وإن وجدنا تلك الشّروح فإنمّا توحي بثقافة ودراية المؤلّفين.

د. *علم الفقه والحديث:*

قامت دولة المرابطين على أنقاض فساد ملوك الطّوائف الّذين تكالبوا على الحكم وتآمروا مع الأعداء الإسبان فسرعان ما انفكّ تآزرهم وانفصم شملهم ،وقد عجّت الدّولة بالفقهاء والمحدّثين بعدما شجّعهم الحكّام على اتّباع نهج الصّالحين وما دعا إليه ديننا الحنيف حيث<<وكان الخلفاء يجالسون العلماء والأدباء والفقهاء بصفة خاصّة حتّى يشاورونهم في أمور الدّنيا ومشاكل الحكم ولا يبرمون أمرا إلا على اعتبارات شرعيّة[3]>> بل واشتدّ إيثار أمير المسلمين علي بن يوسف لأهل الفقه والدّين على حدّ تعبير المراكشي [4] ولا غرو من ذلك مادام أنّ الدّولة المرابطيّة قامت دعائمها على أسس دينيّة ،بل وقد تبوّأ الفقهاء منازل عالية وصلت لتحديد المصير في عبور العدوة وقرارات سياسيّة هامّة وحسّاسة ،وكانت المشورة قائمة بين الفقهاء ولا يصدرون حكما إلاّ بعد مشورة أربعة

---

[1] – ينظر بغية الوعاة، ج 2/،174.

[2] – ينظر تاريخ الأدب ج 5، ص 60.

[3] – الحسن السّائح، الحضارة الإسلاميّة في المغرب، دار الثّقافة للنشر والتّوزيع ،الدار البيضاء ،ط2، 1986م ، 175.

[4] – المراكشي، المعجب، ص163.

منهم[1] ،ومن ثمّ كان لهم النّفوذ والمكانة السّامية عند الحكّام وبين النّاس.[2] ومن أعلام الفقه المالكي :قاضي الجماعة بقرطبة :أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجدّ (ت520هـ) والّذي برع في علم الفرائض والأصول، ومن أشهر تواليفه كتاب المقدّمات لأوائل كتاب المدوّنة ،وكتاب البيان والتّحصيل ،واختصار المبسوطة واختصار مشتمل الآثار وكتب المبسوطة من تأليف يحي بن إسحاق بن يحيى وتهذيبه لكتب الطحّاوي في مشكل الآثار، وكتاب المقدّمات لأوائل كتب المدوّنة.[3]

ويستوقفنا العالم المتبحّر والقاضي الفقيه [4] أبوعلي الصّدفي (ت514 هـ)[5] كتب عدّة مؤلفات في الحديث بعض حفظه لمتون وأسانيد الحديث ورواتها ،وكتب منها صحيح البخاري في سفر و صحيح مسلم في سفر[6] ، ولمع نجم القاضي الفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (ت 542هـ) العالم الحافظ الّتي تولّى قضاء إشبيليا من مؤلّفاته كتاب ترتيب الرّحلة ،العواصم والقواصم وأنوار الفجر في مدح الرّسول الكريم وكتاب قانون التأويل وكتاب التّلخيص في النّحو وكتاب القبس في شرح

---

[1] – ينظر المعجب، المراكشي: ص 171.

[2] – ينظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ص343.

[3] – ينظر ترجمته: الديباج المذهب، ابن فرحون، ج2/، ص248-249، صلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم ج/2، ص211.

[4] – ينظر ترجمته: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411هـ= 1990م، ج3/ 455، 456.

[5] – ينظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري، تحقيق: مصطفى السقا- إبراهيم الإبياري- عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م، ج3/ 151-154.

[6] – ينظر التاريخ السّياسي، ص397.

موطأ مالك وقد بلغت مؤلّفاته نحو أربعين كتابا[1] ، وزامله وسار على نهجه الفقيه والمحدّث والحافظ أبو القاسم أحمد بن عمر بن يوسف بن ورد التّميمي (ت540هـ)من أهل المريّة ،وقد كان كشكولا ضمّ الأدب والتّاريخ والنّحو والتّفسير وعلم الأصول استطاع رئاسة الفقه المالكي في عصره رفقة بن العربي.[2]

شهد العصر نابغة في الفقه والقضاء لازال اسمه محفورا بجامعات مراكش القاضي أبو الفضل بن موسى عياض اليحصبي السّبتي (ت544هـ) تولّى قضاء غرناطة تربّع على عرش المذهب المالكي ،وله كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك[3] ، وقد عاصره الحافظ ،والقاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474 هـ) ،وقد خلف ثلاثين مؤلّفا أثرى بها المكتبات الأندلسيّة منها المنتقى في شرح الموطّأ والتّعديل والتّجريح وإحكام الفصول في أحكام الأصول[4] وألّف محدّث عصره أبو علي الحسين بن محمد الغساني المعروف بالجيّاني (ت498هـ) عشرة كتب أشهرها: تقييد المهمل وتمييز المشكل وضبط رجال الصّحيح وشيوخ النّسائي وشيوخ داود وقد عُرف بتقدّمه في العلوم وتقحّمه مجال الفقه والحديث[5] إلى جانب أبي العبّاس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الصّقر الأنصاري الخزرجي (ت559هـ) تمّكن من الفقه وخاض في علم الكلام تولّى قضاء غرناطة ومن أشهر ما صنّف شرح الشّهاب وكتاب أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة

---

[1] – ينظر دولة الإسلام في الأندلس ص :456، الصّلة، ابن بشكوال، ج/2، 158.

[2] – ينظر دولة الإسلام في الأندلس، ج3، 457.

[3] – ينظر ترجمته: القاضي عياض، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، تأليف الحسين بن محمد شواط، دار القلم، دمشق، ط1، 1999م ،28

[4] – القاضي عياض، علم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، ص 20.

[5] – م ن، ص ن

الأندلس من الزهّاد والأبرار[1]، كما ألّف كتابا في الرّسول صوات الله عليه وسلامه سمّاه آفاق الشّموس وأعلاق النّفوس ،وكتاب آخر سمّاه مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان[2]، ومنهم الفقيه الحافظ أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرّحمن بن عطيّة المحاربي قاضي غرناطة وألمرية ألّف في التّفسير كتابا ضخما في التّفسير معجم شيوخه(ت542هـ)[3]وكتب أبو الحسن علي بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي حقّون مختصرا في أصول الفقه سمّاه بالمقتضب الأشفى من أصول المستصفى[4] ،وكان للرّشاطي أبومحمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن خلف بن أحمد بن عمر اللّخمي(ت542هـ)[5] العناية البالغة بالحديث والرّجال والرّواة والتّواريخ ،فألّف اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار[6]،وشرح صدر الرّسالة القاضي والإمام الفقيه والأصولي المفسّر أبوبكر عبد الله بن طلحة الاشبيلي (ت519هـ)كما ألّف سيف الإسلام على مذهب مالك الإمام[7] ،وقد استدعى بعض أمراء المرابطين أبا الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم

[1] – دولة الإسلام في الأندلس، محمد عنان، ج3/،458.

[2] – ينظر التاريخ السياسي والحضاري، ص 405.

[3] – دولة الإسلام في الأندلس، ج/3، ص 458

[4] – ابن الأبار، المعجم، ص 300.

[5] – ينظر ترجمته اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار، عبد الله بن علي اللّخمي الرّشاطي الأندلسي، إخراج محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط1999،1م بيروت، ص3.

[6] – ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص297. وينظر: https://al-maktaba.org/book/ تاريخ الولوج 12-10-2021على الساعة 13:12سا

[7] – ينظر القاضي عياض، الحسين بن محمد شواط، ص 21.

(ت559هـ)،وهو فقيه حافظ للقراءة عليه والأخذ عنه وقد كان من الّذين أشاروا بإحراق إحياء علوم الدّين اتّقاء للفتنة[1]

وبرز في الحديث أبوعبد الله محمد بن الحسين بن أحمد الأنصاري المعروف بابن أبي أحد عشر[2] الحديث في مجال الفقه والحديث يطول لقيام الدّولة على أساس الدّين وإعطاء الحكّام الأهمّية البالغة للجانب الدّيني دفع ذوو الهمّة لولوج المكانة العالية والامتيازات المغرية ناهيك عن الحظوة العارمة في عيون المجتمع المرابطي في العدوتين .

وبعد عرضنا لمضامين الفنون النثرية في عهد المرابطين يمكن أن نستنتج مايلي:

- في عدوة الأندلس نجد مدارس أنتجت في عهد المرابطين مثل مدرسة قرطبة والتي أنجبت الفيلسوف ابن رشد، ومدارس شاطبة، بطليوس، سرقطة، غرناطة ،بلنسية ،طرطوشة ،مرسية ،دانية ،المرية ،شلب ،غرناطة وقد كان التّفوّق لعلم الفقه والرّواية والحديث واللّغة والأدب .
- ألّف الكتّاب مؤلّفات ضمّت ألوانا أدبيّة متعدّدة منها الخُطب والرّسائل والأشعار والتراجم فمازجت بين الصّنوان (الشّعر والنّثر) في آن واحد، وقد تأثّر الأدباء في الغالب بأسلوب المشارقة.
- ساهمت الرّحلات العلميّة والثّقافيّة في توطيد العلاقات بين المغرب والأندلس من جهة والمشرق والمغرب من جهة أخرى وحدث ما يعرف بالتّلاقح.

---

[1] – ينظر التّفاصيل مدينة فاس في عهدي المرابطين والموحّدين دراسة سياسية حضارية، جمال أحمد طه، دار الوفاء 274الاسكندرية .

[2] – ابن الأبار، المعجم، ص 127،128.

- عرف التّصنيف اللّغوي في عهد المرابطين تنوّعا في المواضيع فثمّة مصنّفات في غريب اللّغة ومثّلث الكلام والفروق اللّغوية وفي معاجم المعاني وشروح لغويّة، ورسائل لغوية في فلسفة اللّغة، والموسوعيّة لأنّ المؤلّفات والمصنّفات شملت علوما مختلفة.
- كما عرف العهد عدّة شروح للمصنّفات المشرقيّة ألّفها أصحابها بعدما نقّحوها بآرائهم الّتي عكست ثقافتهم الشّاسعة ودرايتهم الكبيرة بعلوم جمّة وضمّنوها الشّواهد المنطقيّة والحجج المعرفيّة المقنعة.

خاتمة

خاتمة:

وبعد الانتهاء من هذا البحث المتعلّق بحضارة المرابطين وأدبهم نصل إلى أهمّ النّتائج أفضت إليها هذه المحاولة وهي كالتّالي:

– كانت تعتمد الدولة المرابطية على العصبيّة القبليّة والأسرة فلم يخرج الحكم والقيادة من قبيلة لمتونة؛ فتولّى الحكم الأمراء أبناء أمير المسلمين وقرابته وأصهاره، متّبعين سياسة رشيدة في قيادة الجيش وإعطائه الأهميّة البالغة من حيث تجهيز العتاد وخطط القتال، وقيادة الجيوش، ولم تخرج عن الأسرة الحاكمة لضمان الولاء ولأهمّية المنصب في استمرارية قوّة الدّولة، وقد انتهجوا سياسة محكمة في نظام الحكم معتنين بالقضاء والنّظام الحربي ناهيك عن المعاملات النّقدية الّتي أعطت القيمة للدّينار المرابطي.

– قامت دولة المرابطين على أساس دينيّ محض، وقد بدا ذلك جليّا في استشارة القضاة والأئمة في صغائر أمور الحكم وكبارها.

– لم تثن عزيمة الحكّام من تسيير شؤون الحكم في العدوتين بالرّغم من صعوبة التّضاريس وبعد المسافة بين المغرب والأندلس، ولم يؤثّر عُمْر "يوسف ابن تاشفين" ولا مرضه من نيل مراده في استتباب الأمن والاستقرار بين دفّتي الدّولة، كما تمّ توحيد المغرب الأقصى والأوسط تحت لواء المرابطين وتمخّض عنه قوى جابهت خطر القبائل المعادية للدّولة بني هلال في المغرب الأوسط والصّنهاجييّن في الأقصى.

– دخلت أسماء النّساء كنيات القوّاد فقيل "بن عائشة"، و"محمد ابن فاطمة " ويرجع ذلك لتعدّد زيجات الحكّام، وقد كان يُنسب الرّجل لأمّه تفريقا له عن باقي إخوته، ولم يخرج الحكم عن زمام اللّمتونيّين، واعتمدوا على مبدأ المشورة في أمور المعارك، وعُرف بمجلس الحرب .

– كانت دولة المرابطين في بدايتها مجرّد رباط عند مصبّ نهر السّنيغال وسرعان ما بسطت يدها على مصراعيها لتضمّ المغرب والأندلس .

– أرست مبادئها على مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مرتكزة على محاربة الفساد أينما حلّ أمرا وفرضا، متّخذة الجهاد مبدأ ونهجا في سبيل زرع تعاليم الدّين وسُبل الفلاح عاشت من أجل الجهاد وذهبت ريحها في سبيله.

–استطاعت توحيد عدوتي المغرب والأندلس وانضوت تحت لواء واحد وأمير مسلمين واحد، رغم تعدّد الأجناس وتباين الأعراق فقد مثّل العرب والبربر صنوا المرابطين كما تباينت نحلهم ومللهم من مسلمين ويهود ومسيح .

– ظلّت الخلافة مسيطرة للأمويّين يتحكّمون بالرّيادة في شؤون الدّولة الإسلامية الأندلسية، حتىّ مجيء المرابطين الّذين أسّسوا مراكش من المغرب حاضرة للخلافة الإسلامية تصرّف شئونها بعدما استطاعت الدّولة صدّ الهجمات من كل حدو وصوب منها هجمات الإفرنج بالأندلس وشرّ بني هلال في المغرب .

– لما قامت الدّولة فبسطت ظلّها على السّاحل المطلّ على بحر الرّوم، بعد المعارك الحامية الوطيس وظلّت صامدة أمام الحروب الّتي شنها الفرنجة على الأندلس طيلة عشرين سنة وعطّلوا من سقوط الأندلس بضعة قرون، كما بدّدوا فكرة الاسترداد الّتي كان النّصارى متيقّنين منها ،وأنشأوا أسطولا بعد فتح طنجة وسبتة، واستولوا على السّاحل الشّرقي لبلاد الأندلس؛ فاتّخذوا من موانئها قواعد لأسطولهم ،وقد شارك هذا الأسطول الناشئ في مهاجمة صقليّة .

– أظهر المرابطون الولاء للعبّاسيين على العملة النّقدية بسكّ اسم عبد الله أمير المؤمنين على السّكّة، وكانت زيّيهم سوداء مضاهية بذلك العبّاسيّين، كما لقّبوا ولي أمرهم بأمير المسلمين عوض أمير المؤمنين، واختاروا نظام الحكم الوراثي من يوسف بن تاشفين إلى ابنه عليّ ثمّ تاشفين بن علي بن تاشفين على أن بيعة علي تمت بقرطبة حاضرة الأندلس ومراكش حاضرة العدوة

الأخرى وبذلك اشترك الأندلسيون والمغاربة في مبايعة أمير العدوتين وموحّد الشّعبين وحامل لواء الجهاد.

– تأثّر المرابطون بالفرنجة في تجهيز الجيوش فراحوا يبرعون في صنع الأسلحة والدّروع والتّروس مستخدمين قرع الطّبول التي كانت ترعب العدوّ وتحفّز الجيش على نهج السّودانيين، لأنّ أهل الأندلس لم يعتادوا عليها.

– أسّس المرابطون أسطولا قويّا لا مثيل له، وتخصّصوا في صناعة السّفن كثغر المريّة.

– ازدهرت التّجارة عند المرابطين في الضّفتين منها صناعة الحديد والحرير والنّحاس، كما انتعشت التّجارة بما أنّها كانت حلقة وصل بين الأندلس والنّورمان، والمغرب وصحراء إفريقيا.

– أكثر المرابطون القلاع والحصون لصدّ هجومات الفرنجة بالأندلس، وقبائل زناتة والموحّدين بالمغرب.

– أقحمت المرأة المرابطيّة في غمار الحُكم فشاركت في مجالس القبيلة والمشورة وتمتّعت بالمساواة والحريّة، واقتنت الثّروات، ونافست في طلب العلم، والقريض .

– وقع تلاقح بين الثّقافة المغربية والأندلسيّة في شتّى ألوان الحضارة كالعمران والأسطول والشّعر...وتأنّقوا في الملبس والمأكل وعاشوا في بلهنية بمجالس الأنس والطّرب والشّعر إذ لبست مراكش حياة البذخ والقصور الفارهة، وأنواع الموسيقا الشّجيّة .

– من مظاهر الحضارة الّتي أسّسها المرابطون: جامعة القيروان و مدارس بطنجة وفاس وسبتة وتلمسان وأغمات ...،فقد كانوا تمهيدا لعصر الموحّدين الزّاخر بالإنجازات القيّمة من علم وفن وحضارة، وقد استعانوا بالأندلسيّين الصّنّاع والفنّانين بعد أن شجّعهم أمير المسلمين وقد أولى العناية الفائقة للأطبّاء والشّعراء والفلاسفة والفقهاء وأغدق عليهم بالتّحفيز والتّشجيع لتقحّمهم ميدان العلم والحضارة مركّزين على أمور الدّين والفقه نهجًا ونحْلة .

-نجد في عدوة الأندلس مدارس أنتجت في عهد المرابطين مثل مدرسة قرطبة والّتي أنجبت الفيلسوف ابن رشد، ومدارس شاطبة ، بطليوس، سرقطة ،غرناطة، بلنسية ،طرطوشة ،مرسية، دانية، المرية، شلب، غرناطة وقد كان التّفوّق لعلم الفقه والرّواية والحديث واللّغة والأدب .

– ألّف الكتّاب مؤلفات ضمّت ألوانا أدبيّة متعدّدة منها الخطب والرّسائل والأشعار والتّراجم فمازجت بين الشّعر والنّثر في آن واحد، وقد تأثر الأدباء في الغالب بأسلوب المشارقة.

– ساهمت الرّحلات العلميّة والثّقافيّة في توطيد العلاقات بين المغرب والأندلس من جهة والمشرق والمغرب من جهة أخرى وحدث ما يعرف بالتّلاقح .

– ظهور عدد هائل من الفقهاء ورجال الدّين الّذين اهتمّوا بالفقه والحديث وكان لهم الدّور البالغ في تسيير شؤون الدّولة مادامت قائمة على مبدأ الشّورى، واتبّاع نهج الدّين في إصدار أحكام القضاء ،بعدما لاقوا تشجيعا منقطع النّظير من لدن الحكّام .

– عرف العهد عدّة شروح للمصنّفات المشرقيّة الّتي ألفها أصحابها بعدما نقّحوها بآرائهم؛ فعكست ثقافتهم الشّاسعة ودرايتهم الكبيرة بعلوم جمّة وقد ضمّنوها الشّواهد المنطقيّة والحجج المعرفيّة المقنعة.

– انتعشت التّجارة في العصر فاستوردوا الذّهب والمرجان والحلية وشتّى مظاهر البذخ، كريش النّعام والجلود الفاخرة والجواهر الفارهة ،وسوّقوا الملح للسّودان بثمن الذّهب نظرا لندرته، وقد استقينا تلك الأخبار بفضل نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، كما استعانوا بالعبيد في العيشة الرّاضية ،واستغلّوا السّودانيات في طهي شتّى أنواع الطّعام.

– لعب الأسطول دورًا مهمًا لا يمكن إغفاله تفرع لجهتين: أمّا الأوّل فحربيّ من خلال المشاركة في الوقائع الكبرى، وأمّا الآخر فتمثّل في الذّود عن الميناء والمرافئ، وقد انتعشت التّجارة في الموانئ.

– سلك الشّعر والنثر مواضيع متنوعة عكست الحياة الاجتماعية والحضارية آنذاك، فاتّجه غرض الهجاء منحى تميّز بذكر صفات وعيوب الممدوحين وتراجعت اللّغة المستعملة فيه حتى وصلت للابتذال والرّكاكة

– اعتدّ الشّعراء في غرض الرّثاء على التّضمين من القرآن الكريم وشمل رثاء الأصحاب والأعيان، والأحباب، والنّفس، والأماكن والغلمان والجواري وحتّى الحيوان والأثاث نال حظّه من هذا اللّون الأدبيّ، مؤكّدين على حتميّة الموت، وضرورة التّمسّك بحبل الله المتين .

–احتل الشعر الدّيني الحظّ الوافر في العهد المرابطي وارتكز على مناجاة الله وذكر قدرته وصفاته والثّناء على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما اختار الشّعراء عرض خلاصات تجاربهم المتمثّلة في حقيقة الحياة الفانية محفّزين على العمل والالتزام بصراط الله المستقيم للضّفر بالحياة الباقية متجنّبين الخوض في المسائل الفلسفيّة اتقاءً لبطش الحكام وثورة المتزمّتين.

– طرق جلّ الشّعراء غرض الوصف فمسّ مظاهر الطّبيعة والحياة الحضارية، وقد هام الوصّافون بعقد أجود الصّور البيانية ممّا جعلت شعرهم متفرّدا مصقولا بروح وجمال الطّبيعة الغنّاء الّتي عاشوا فيها، وتداخلت الأغراض وتنوّعت في القصائد، وليس هذا فحسب بل وسّعوا قريضهم بسعة حتّى أدخلوا الموشّحات والزّجل، فزاحمت الشّعر التّقليديّ في أغراضه وتمكّنوا من طرق أغراض جديدة لم تكن معهودة لدى سابقيهم، وهو ما يشهد على براعتهم في النّظم، وقد اعتمدت البساطة والسهولة حتّى يسهل حفظها وتداولها .

–كما زاوج شعراء بين الموشّحات والشّعر التّقليدي في نقل مكنوناتهم، وهذا التّنويع دلّ على مرونة فكرهم وتمكّنهم من المزج بين اللّغة واللّهجات دون الإخلال بالمعنى.

– عكس الإنتاج الأدبي الغزير شخصية الأديب المرابطي المتشبّع بالثقافة المشرقية والمتشرب لعوامل الإبداع والتّألّق .

خاتمة:

- بلغ المرابطون من الرّقيّ والتّفنّن في البناء والتّشييد مبلغا عظيما، تفرّد عن غيره ويعكس شخصيتهم المتميّزة بالبساطة والمفعمة بروح تعاليم الدّين الإسلاميّ، ويشهد على ذلك المنجزات العديدة الّتي أنجزوها في العدوتين والّتي بقيت شاهدة على إبداعهم وتألقهم وإتقانهم لعملهم .

وأخيرا لا ندّعي أنّنا بلغنا درجة الكمال في هذه الدّراسة، فالكمال لله وحده؛ وما هذه النّتائج الّتي توصّلنا إليها إلاّ بداية مفتوحة لمزيد من الدّراسات مستقبلا بمشيئة الله..

قائمة المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم: (برواية ورش عن نافع).

الحديث الشّريف: رياض الصّالحين، الإمام النّووي، تخريج محمّد ناصر الدّين الألباني، إشراف زهير الشّاويش، المكتب الإسلاميّ، بيروت. ط1، 1996م.

*أوّلا: الكتب المطبوعة:

1. الآثار الأندلسيّة الباقية في إسبانيا والبرتغال، محمد عنان عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/2 ،1997م.
2. الأثر السّياسي للعلماء في عصر المرابطين، محمد محمود عبد الله بن بيه، جامعة أم القرى، مكّة، (د.ط)،1997م.
3. الإحاطة في أخبار غرناطة لدى الوزارتين، لسان الدّين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة 1، 1974م/ج2.
4. إدارة ترجمان السّنة، إحسان اللّهي ظهير، مطبعة معارف لاهور، باكستان، ط 3 ،1972م
5. الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز محمد عيسى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ط)، 1936م.
6. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقّري، تحقيق: مصطفى السّقا- إبراهيم الإبياري- عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ج3، (د.ط)، 1939م.

7. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد الناصري أبو العباس، تحقيق جعفر ومحمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء (د.ط)،1984م/ج2.

8. الإسلام والحضارة، محمد كرد علي، مطبعة لجنة التّأليف والترّجمة، القاهرة، ط1/،1956م، ج2.

9. أشكال الخطاب النّثري الأندلسي، حسين علي الهنداوي، موسوعة المرصد الأدبي، دمشق، (د.ط) 2019م.

10. أعلام المغرب العربي، عبد الوهّاب بن منصور، المكتبة الملكيّة، الرّباط، ط1، 1979.

11. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السّملالي، راجعه عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية الرباط، ط 2، 1993م.

12. أعمال الأعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ابن الخطيب لسان الدّين، القسم الثاني تحقيق وتعليق، ليفي بروفنسال، مكتبة الثّقافة الدّينية، القاهرة، (د.ط) 1426هـ 2006م.

13. اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصّحابة ورواة الآثار، عبدالله بن علي اللّخمي الرّشاطي الأندلسي، إخراج محمد سالم هاشم، دار الكتب العلميّة، بيروت/ط1، ،1999م.

14. الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، أبو محمّد عبد الله بن محمد بن السّيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السّقا، حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية القاهرة، (د.ط)، (د.ت)

15. انتصارات أبي تاشفين، بطل معركة الزلاقة وقائد المرابطين موحد المغرب ومنقد الأندلس من الصّلبيين، حامد محمد الخليفة، مكتبة الصحابة ومكتبة التّابعين، الشارقة، ط1 ،2005م

16. الأندلس التّاريخ المصوّر، طارق سويدان، المجموعة الدّولية الكويت، ط 1 ،2005م.

17.الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، تاريخ سياسي وحضارة، عصمت عبد اللّطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

18.الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، عصام محمد شابرو، دار النّهضة العربية، بيروت، (د.ط) ،2002م.

19.الأنوار الجليّة في أخبار الدّولة المرابطية، محمّد علي تحقيق، دار النّابغة، جامعة القاهرة، سلسلة تحقيق التّراث، (د.ط)، (د.ت).

20.الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فاس، علي بن أبي الزّرع الفاسي، دار المنصور، الرباط ،1972م.

21.بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي كمال السيد أبو مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ط)، 1993م.

22.البرج في العمارة الإسلامية الحربية برتون برج، كتب دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة ابراهيم خورشيد، وآخرون، دار الكتاب اللّبناني بيروت، 1981م/ج 2.

23.بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، الضّبي أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة، تحقيق روحية عبد الرحمن السّويفي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط 1/ ،1997م.

24.بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، جلال الدّين عبدالرّحمن السّيوطي، نشر عيسى البابي الحلبي، سوريا، (د.ط)، 2012م/ج1.

25.البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب أبو العبّاس أحمد بن محمد ابن عذارى، تحقيق: بشار عواد معروف محمد بشّار عوّاد، دار الغرب، تونس ط 1، 2013م/ لمجلد 3.

26.البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحّدين، أبوبكر بن علي الصّنهاجي دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرّباط، (د.ط)، 1971م.

27. تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، نقله إلى العربية، السيّد يعقوب بكر: راجع التّرجمة د رمضان عبد التّواب، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) /ج 6.

28. تاريخ الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس، مجدي فتحي السيّد، دار الصّحابة، طنطا، مصر، ط1، 2007م.

29. تاريخ الأندلس، ابن الكردبوس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدّراسات الإسلاميّة مدريد (د.ط)،1971م.

30. تاريخ الأندلس، في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، تحقيق محمد عبد الله عنان، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، (د.ط)،2011م

31. تاريخ البحرية الإسلامية، في المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، السّيد عبد العزيز سالم، دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر، بيروت لبنان، (د.ط)، 1969م/ج2.

32. تاريخ الدّولتين، الموحّدية والحفصية، الزّركشي، ت حقيق محمد مضور، المكتبة العتيقة تونس، ط2، 1966م.

33. التّاريخ السّياسي موسوعة حياة موريتانيا، المختار بن حامد، تحقيق أحمد سالم بادويلان، ج1- (د.ط)، (د.ت).

34. التّاريخ السّياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، حمدي عبد المنعم محمد حسين، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية (د.ط) ،1997م.

35. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، النّويري (أحمد بن عبد الوهاب)، تحقيق: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، دار البيضاء، (د.ط)، (د.ت).

36. تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشّام، محمد سهيل طقوش، دار النّفائس، لبنان، ط2، 2007م.

37. تاريخ الفكر الأندلسي آنخل جونثاليث بالنثيا، نقله حسين مؤنس، مكتبة الثّقافة الدّينية، القاهرة، (د.ط)،1955م

38. تاريخ المغرب العربي (تأسيس الدّولة وقيامها 550-555هـ) سعد زغلول، عبد الحميد، منشأة دار المعارف، الإسكندرية (د.ط)، (د.ت) /ج5.

39. تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، عبد العزيز بن عبد الله، مكتبة السّلام، الدّار البيضاء، ط1، (د ت).

40. تاريخ المغرب الكبير، السيّد عبد العزيز سالم، الدّار القومية للطّباعة والنّشر، الإسكندرية، (د.ط)، 1966م/ج 2.

41. تاريخ المغرب وحضارته العصر الحديث، حسين مؤنس بيروت، ط1، 1412هـ 1992م /ج2.

42. تاريخ المقريزي الكبير (المقفى الكبير)، تقيّ الدّين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلميّة بيروت، (د.ط)، 1978م/ج1.

43. تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، إحسان عبّاس، دار الثّقافة الأردن، ط 4 ،1983م.

44. تاريخ النّقد الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الدّاية، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1993م.

45. تاريخ بطليوس الإسلاميّة أوغرب الأندلس في العصر الإسلامي سحر السّيد عبد العزيز سالم، جامعة الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة مصر، (د ط)، 1984م.

46. تاريخ دولتي المرابطين والموحّدين في الشّمال الإفريقي، علي محمد الصّلابي، دار المعرفة بيروت، ط3، 2009م.

47. تاريخ طرابلس الغرب المسمّى التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، ابن غلبون، نشره الطّاهر أحمد الزّاوي، القاهرة، (د.ط) 1349هـ.

48.تاريخ قضاة الأندلس كتاب المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النّباهي المالقي الأندلسي، نشر ليفي بروفانسال، دار الكاتب المصري، ط1 القاهرة ،1948م.

49.التّبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، الأمير عبد الله بن بلكين، تحرير عليّ عمر، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ط1، 2006م.

50.تطور الجيش العربي في الأندلس، سحر عبد المجيد مناور المجالي عمّان الأردن، ط1، ،1996م.

51.التّطوّر السّياسيّ للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر الهجري، الطّاهر راغب حسين، دار النّصر للتّوزيع والنّشر بجامعة القاهرة، (د.ط)،2005م.

52.التّنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، عبد الله بن عبد العزيز البكري، أبو عبيد تحقيق محمّد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب القوميّة، القاهرة، ط2، 2000م.

53.التّيسير في المداواة والتّدبير، أبو مروان عبد الملك بن زهر الإيادي الأندلسي، تقديم أحمد فريد المزيدي دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط 1، 1971م.

54.ثلاث رسائل أندلسيّة في آداب الحسبة والمحتسب، ليفي برفنسال المعهد العلمي للآثار الشّرقية بالقاهرة، (د ط)، 1955م، /المجلّدالثّاني.

55.جبل طارق والعرب، عبد العزيز الرّفاعي، المكتبة الصّغيرة، الرّياض، ط 3 ،1973م.

56.جذوة الملتمس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، حقّقه، وعلّق عليه بشّار عوّاد معروف، وصاحبه، دار الغرب الإسلامي، تونس ط 1 ،2008م.

57.الجغرافيا التّاريخيّة للعالم الإسلامي، موريس لومباد، ترجمة عبد الرّحمن حميدة ،دار الفكر المعاصر، دمشق، (د.ط) ،1982م.

58.جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط 1 ،1968م.

59.جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي تحقيق وتعليق محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت).

60.جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، امحمد ابن عبود، مطبعة النّور، تطوان، (د.ط)، 1987م.

61.الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، علي الصلابي،دار التوزيع والنشر الإسلامية ،مصر ،ط 1، 2003م.

62.الحركات الباطنيّة في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمّان، ط1، 1986م.

63.حركة الموحّدين في المغرب في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر، روجي لي تورنو، ترجمة أمين طيبي، الدّار العربية للكتب، تونس، (د.ط)، (د.ت).

64.الحروب الصّليبة في الأندلس، عبد المحسن طه رمضان، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة (د.ط) ،2001م.

65.الحضارة الإسلاميّة في المغرب، الحسن السّائح، دار الثّقافة، الدّار البيضاء المغرب، ط2، 1986م.

66.الحضارة العربيّة الإسلاميّة في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحّدين، حسن علي حسن، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة، الطّبعة الأولى ،1980م.

67.الحلّة السّيراء، ابن الأبّار أبو عبد الله القضاعي، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1963م /ج 2.

68.الحلل السّندسيّة في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ط)، (د.ت)، /ج 1.

69.الحلل السّندسيّة في شأن وهران والجزيرة الأندلسيّة، أبوراس النّاصري محمد بن ناصر الجليلي، تحقيق سليمة بن عمر، دار صنين للطّباعة والنّشر بيروت، ط1(د.ت).

70.الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة مؤلف مجهول أندلسيّ، تحقيق سهيل زكّار وعبد القادر زمامة، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، ط1 ،1979م.

71.الحلل في شرح أبيات الجمل، أبو محمد عبد الله بن محمّد بن السّيّد البطليوسي، تعليق يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ،2002م.

72.خريدة القصر وجريدة العصر، أبوعبد الله محمد بن حامد بن عبد الله بن علي العماد الأصفهاني ت 579هـ: تحقيق الأستاذين عمر الدّسوقي وعلي عبد العظيم ،القسم الرّابع ، القاهرة ،مطبعة الرّسالة، (د.ط)، 1969م/ج2.

73.خريدة وجريدة العصر، العماد الأصفهاني، حقّقه محمد المرزوقي وآخرون، قسم شعراء المغرب والأندلس، دار التّونسية للنّشر، تونس، ط3، 1986م.

74.دراسات في التّاريخ والأدب والفن الأندلسي، محطّات أندلسيّة، محمد حسن قجّة، الدّار السّعودية للنّشر والتّوزيع، جدّة، ط 1 ،1985م.

75.دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، أمين توفيق الطّيبي، دار المهتدين للكتاب، تونس، (د.ط)،1984م.

76.دول الطّوائف منذ قيامها حتّى الفتح المرابطي، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، الطّبعة الأولى،1960م.

77.دولة الإسلام في الأندلس، محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة الثّانية، 1990م، /ج3.

78.دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين – دراسة سياسيّة حضاريّة، سلامة محمد سليمان الهدفي، دار النّدوة، مكّة، (د.ط) ،1985م.

79.الدويلات الإسلامية، محمد كمال شبانة ،العالم العربي،القاهرة،ط1، 2008م.

80.الدّيباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، بن فرحون المالكي، تحقيق محمّد الأحمدي أبو النّور، دار التراث للطّبع والنّشر، القاهرة، (د.ط)، 2011م./ج 2.

81.ديوان ابن الزّقّاق، ابن الزّقّاق تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثّقافة، مطبعة سميا، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

82.ديوان ابن اللبّانة الدّاني، جمع، وتحقيق: محمد مجيد سعيد، دار الرّاية، عمّان، ط2، 2008م.

83.ديوان ابن حمديس الصّقلّي، تحقيق وتقديم: إحسان عبّاس، دار صادر بيروت، ط 2 ،1433هـ.

84.ديوان ابن خفاجة، ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة لبنان، ط1، 2006م.

85.ديوان أبي عبد الله محمد بن غالب الرّصافي البلنسي، تقديم إحسان عبّاس، دار الشّروق، مصر، ط2، 1983م.

86.ديوان الأعمى التّطيلي، الأعمى التّطيلي، جمعه وحقّقه، محي الدّين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب بيروت، (د. ط)،2014م.

87.ديوان الحطيئة، شرح ابن السّكّيت، تبويب: مفيدة محمد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1993م.

88.ديوان المتنبّي، أحمد بن حسين الجعفي المتنبّي أبو الطيّب، دار بيروت للطّباعة والنّشر، (د.ط) ،1983م.

89.ديوان أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصّلت الأندلسي، تحقيق عبد الله محمد الهوني، دار الأوزاعي، الدّوحة قطر، ط 1 ،1990م.

90.ديوان بن خفاجة، ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة بيروت، ط1، 2006م

91.ديوان، ابن بقي، تحقيق انتصار خضر الدّنان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2012م.

92.الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشّنتريني، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م/ج2.

93.رايات المبرزين وغايات المميزين، أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد الأندلسي، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987م.

94.رسائل ابن أبي الخصال، ابن أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، دمشق، (د.ط)، 1988م.

95.رسائل في الحسبة منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،تحقيق ليفي بروفنسال ،المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ،القاهرة (د ط)،1955

96.الرّوض المعطار في خبر الأقطار، الحميري محمد بن عبد الله: نشر وتصحيح ليفي بروفانسال، دار الجيل بيروت، لبنان، ط 2 ،1988م.

97.الرّوض المعطار في خبر الأقطار، محمّد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عبّاس دار صادر بيروت (د.ط) 1975م.

98.زاد المسافر وغرة محيّا الأدب السّافر، أبو بحر صفوان ابن إدريس التّجيبي، إعداد وتعليق عبد القادر محداد، دار النشر بيروت، (د.ط) ،1939م.

99.زهر الآداب وثمر الألباب، أبو الحسن الحصري القيرواني، تحقيق زكي مبارك، دار الجيل لبنان، ط4، (د.ت) /ج1.

100.سقوط الأندلس الإسلاميّة ومحاكم التّفتيش البربرية، علي محمد الصّلابي، دار التّوزيع والنّشر الإسلاميّة، القاهرة، ط1 ،2002م.

101.سمط اللآّلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار الكتب العلميّة، القاهرة، (د.ط)، 1935م.

102.سير أعلام النّبلاء، الذّهبي شمس الدّين محمّد بن أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط 3، 1985م/ج 19 -20.

103.شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية، ابن مخلوف، المطبعة السّلفية، القاهرة (د.ط) ،1349هـ.

104.شرح أبيات مغني اللّبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح، أحمد يوسف دقّاق، دار المأمون للتّراث، دمشق، ط 2، 1988م/ج1.

105.شرح شواهد الإيضاح، لأبي علي الفارسي، عبد الله بن برّي، تحقيق مصطفى درويش، محمد مهدي علاّم، القاهرة (د.ط) ،1985م.

106.شروح سقط الزّند، تحقيق مصطفى السّقا، عبد الرّحيم محمود، عبد السّلام هارون، إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد، إشراف طه حسين، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر ط 3 ،1945م.

107.الشّعر الأندلسي، غرسية غومس، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطّبعة الأولى، (د ت).

108. الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين بالأندلس محمد مجيد السّعيد، دار الرّاية، الأردن، عمّان، ط3، 2008م.

109. الشّيعة والسّنة، إحسان اللّهي ظهير، إدارة ترجمان السّنة مطبعة معارف لاهور باكستان الطبعة الثّالثة،1972م.

110. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي أحمد بن علي، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدّين، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، (د.ت) /ج 5.

111. الصّلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، أبو القاسم بن بشكوال، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2010/ج1.

112. الصّلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة الثّانية، 1374هـ 1955م،

113. صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، أحمد مختار العبادي: منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 1 ،2000م

114. صورة المرأة في الشّعر الأموي، نصيرة أمال، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، (د.ط)، 2000م.

115. ظهر الإسلام، أحمد أمين، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، مصر، (د.ط)، 1945م.

116. العبر وديوان، المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والبربر عبد الرّحمن ابن خلدون، مراجعة خليل شحاذة وسهيل زكار، بيروت لبنان، دار الفكر للطّباعة بيروت، ط2، 2003 م.

117.العمارة الإسلاميّة في الأندلس عمارة القصور، باسيليون بابون مالدونالدو، ترجمة علي إبراهيم المنوفي، مراجعة محمد حمزة الحدّاد، المركز القومي للترّجمة، مصر، القاهرة، ط 1، 2010م/المجلّد الرّابع.

118.العمارة الفاطمية الحربية، المدنية، الدّينية، محمد عبد السّتار عثمان، دار القاهرة، مصر، ط 1، 2006م.

119.عيون الأنباء في طبقات الأدباء، بن أبي أصيبعة، دار الثّقافة، بيروت، ط3، 1981م /ج3.

120.غابر الأندلس وحاضرها، محمد كرد علي، مؤسسة هنداوي للتّعليم، القاهرة، (د.ط)، 2012م

121.الغزل في العصر الجاهلي، الحوفي أحمد محمد، دار النّهضة للطبع والنشر، مصر، القاهرة، ط3، (د.ت).

122.الغوامض والمبهمات، ابن بشكوال، تحقيق محمود مغراوي، دار الأندلس الخضراء، جدّة، ط1، 1994م/المجلّد الأوّل.

123.الفرق بين الحروف الخمسة (ظ،ض،ذ،س،ص)، محمد ابن السّيّد البطليوسي، دراسة وتحقيق عبدالله النّاصير، دار المأمون للترّاث، دمشق الطّبعة الأولى، 1984م.

124.فضائل الأندلس وأهلها رسالة الشّقندي، ابن حزم وصاحباه، نشرها وقدّمها صلاح الدّين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، 1968م.

125.فقه التمكين عند دولة المرابطين ،علي محمّد الصّلابي، مؤسسة اقرأ للنّشر والترّجمة، القاهرة، ط1، (د ت)

126.الفنّ الإسلامي في إسبانيا، مانويل جوميثمورنيو، ترجمة د.السّيّد عبد العزيز سالم ، د.لطفي عبد البديع ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، (د.ط) ،(د.ت).

127.الفنّ الإسلاميّ، جورج مارسييه، ترجمة عبلة الرّازق، مراجعة عاطف عبد السّلام، المركز القوميّ للتّرجمة القاهرة، الطّبعة الأولى، 2016م.

128.الفنّ المرابطي والموحّدي ليوبولد وتوريس بالباس، ترجمة السّيّد غازي دار المعارف مصر،ط 1، 1971م.

129.الفنون الزّخرفية الإسلاميّة في المغرب والأندلس، محمد عبد العزيز مرزوق دار الثقافة، بيروت (د. ت).

130.فهرست ابن عطيّة، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزّاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1980م.

131.القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، البشير علي حمد التّرابي، دار بن حزم، بيروت، ط1، 1997م.

132.القاضي عياض، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، تأليف الحسين بن محمّد شوّاط، دار القلم، دمشق، ط1، 1999م.

133.القبائل الأمازيغية، بوزياني الدّارجي،دار الكتاب، الجزائر،(د ط)،2007م، ج2/ص8

134.قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر ميلادي، محمد عبد الوهّاب خلاف، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، (د.ط)، 1984م.

135.قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، السّيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، (د.ط) ،1984/ج2.

136.قصّة العرب في إسبانيا، استانلي لين بول، ترجمة علي الجارم بك، كلمات عربية للتّرجمة والنّشر، مصر القاهرة، (د.ط) ،1944م

137.قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبو نصر الفتح بن خاقان، تحقيق د حسين يوسف خريوش، جامعة اليرموك، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1989م/ج 2.

138.قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1956م

139.قيام دولة المرابطين في المغرب، شذى كمال عبد الله، كلية الأدب، قسم التاريخ، جامعة الخرطوم، (د ط)،2012م

140.الكامل في التّاريخ، أبو الحسن علي بن الكرم عزّ الدّين ابن الأثير، دار الكتب العلميّة بيروت، ط3 ،1998م/مج8.

141.كتاب ابن صارة الأندلسي حياته وشعره، مصطفى عوض الكريم، مطبعة مصر بجامعة الخرطوم السودان، (د.ط)، 1960م.

142.كتاب أبي الحسن الحصري القيرواني، محمّد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى، مطبعة المنار، تونس، (د.ط)، 1963م.

143.كتاب الجغرافيا، ابن سعيد علي بن موسى المغربي: تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التّجاري للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1970م.

144.كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، تحقيق محمّد شرف الدّين التقايا، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت) /ج2.

145.مباحث التّاريخ الاجتماعيّ للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، إبراهيم القادري بوتشيش دار الطّليعة بيروت، (دط)، 1997م.

146.مباحث في التّاريخ الأندلسي ومصادره، امحمّد بن عبّود، مطبعة عكاظ الرّباط، (د ط)، 1989م.

147.مجهول الأندلس وما فيها من بلاد، قطعة من نص أندلسي، تحقيق حسن الجبالي دار البشير، عمّان، (د ط) 2004م.

148.المختصر في أخبار البشر، عماد الدّين إسماعيل أبي الفداء، الحسينيّة مصر، ط 1، (د. ت) /ج2.

149.المداخل في اللّغة، محمد عبد الجواد، المكتبة الأنجلو أمريكية، مصر، (د. ط)،1956م.

150.-مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين دراسة سياسيّة حضاريّة، جمال أحمد طه، دار الوفاء، الإسكندريّة، (د. ط) ،2001م.

151.المرأة المغربيّة في عهد المرابطين دراسة تاريخيّة، مليكة حميدي، مؤسسة كنوز الحكمة الأبيار الجزائر (د.ط)، 2011م

152.المراقبة العليا والفتيا،نشر ليفي بروفنسال،دار الكتاب المصري،القاهرة ط1 ،1948م .

153.المساجد والقصور في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندريّة، (د.ط)، 1986م.

154.المسالك والممالك الكبرى، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، حسين مؤنس مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، مكتبة مدبولي، مصر ط 2، 1986م.

155.المسائل والأجوبة، ابن السيّد البطليوسي مجمع اللّغة العربية دمشق، (د.ط)، 1963م.

156.مشارق الأنوار على صحيح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض، تقديم إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، لبنان، (د ط)،2011م.

157.مشكلات موطأ مالك بن أنس، ابن السيّد البطليوسي، تحقيق طه بن علي بوسريح التّونسي، دار بن حزم، لبنان، ط1، 1999م.

158.المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية الكلبيّ، ت إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت 1995م.

159.مطمح النّفوس ومسرح التّأنّس في ملح أهل الأندلس، الفتح بن خاقان الإشبيلي، تحقيق، محمد علي شوابكة، دار عمّار، مؤسسة الرّسالة، سوريا، ط1، 1983م.

160.المعتمد بن عباد، عبد الوهاب بن عزّام، دار كلمات التّرجمة والنّشر، القاهرة، (د. ط) ،2013م.

161.المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، الكتاب الثّالث، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، لجنة التّراث الإسلاميّ القاهرة، (د.ط) ،1963م.

162.معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، المؤسسة الثّقافية للتّأليف والترّجمة والنّشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

163.معجم البلدان، شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، الرّومي البغدادي، دار صادر بيروت، (د.ط)،1977م/ج3.

164.المعجم العربي بالأندلس، عبد العلي الودغيري، مطبعة المعارف، الرّباط، ط1، 1984م.

165.المعجم الوسيط، مؤلف مجهول، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت) /، ج2.

166. المعجم في أصحاب القاضي الإمام، أبو علي الصدفي ابن الأبار، دار الكتاب العربي الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، سلسلة المكتبة الأندلسيّة، ط1، 1967م /ج6.

167.معيار الاختيار في ذكر المعاهد والدّيار، ابن الخطيب لسان الدّين تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثّقافة الدّينية، القاهرة، (د.ط)، 2002م.

168.المغرب العربي في العصر الإسلامي، محمد حسن العيدروس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1/،2008م.

169.المغرب في حلى المغرب، - أبو عبد الله محمد بن مسعود القرطبي ابن سعيد، تحقيق، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 4، (د ت)

170.المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب أو المسالك والممالك، أبو عبيدة البكري (ت 487هـ) دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

171.مفاخر البربر، المؤلّف مجهول، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانيّة للتّعاون الدّولي، مدريد، (د.ط)، 1996م.

172.مفتاح السّعادة وتحقيق طريق السّعادة، أبو العبّاس بن العريف، تحقيق عصمت دندش عبد اللّطيف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1 ،1993م.

173.المقامات اللّزومية أبو الطّاهر، محمد بن يوسف، السّرقسطي، تحقيق حسن الواركلي عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط2، 2006م.

174.المقتضب من كتاب تحفة القادم، ابن الأبار، أبو عبد الله، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط3، 1410هـ 1989م.

175.مقدّمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدّرويش، دار يعرب، دمشق، ط 1، 2004م/ ج2.

176.المقدّمة، عبد الرّحمن بن خلدون، تحقيق عبد السّلام شيّادي، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدّار البيضاء ط 1 ،2005م/ج2.

177.مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، عبد القادر زبادية الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

178.المنّ بالإمامة، عبد الملك بن صاحب الصّلاة، في تحقيق عبد الهادي التّازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1964م

179.من هم الموحدون الدّروز ؟، جميل أبو ترابي، راجعه وقدم له الدكتور أسعد علي، دار علاء الدّين، دمشق، سوريا، ط1، 1998م.

180.منتدى سور الأزبكيّة يحيى وزيري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1 1999م /الكتاب2

181. المنجد في اللّغة والأعلام مجموعة من المؤلفين، دار المشرق بيروت، الطّبعة الحادية والثّلاثون –1991م.

182. موسوعة حياة موريتانيا، المختار بن حامد، التّاريخ السّياسي، ج1، (د ط)، (د ت).

183. النّبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنوّن، طنجة، ط2، 1960م./ج1.

184. نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق الشريف الإدريسي، نشره دي غويهو دوزي، لندن، (د.ط)، 1894م.

185. النّشاط الاقتصاديّ في المغرب الإسلاميّ خلال القرن السّادس هجري، عزّ الدّين عمر موسى، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط2، 2003م

186. نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ابن الدّلائي أحمد بن عمر بن أنس العذري، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، معهد الدّراسات الإسلاميّة، مدريد، (د.ط)، 1965م

187. النظام السّياسي والحربي في عهد المرابطين والموحّدين، حركات إبراهيم، الدّار البيضاء، مكتبة الوحدة العربيّة، (د.ط)، (د.ت).

188. النّظريّة السّياسية عند المرادي وآثرها في المغرب والأندلس، محمد الأمين بلغيث المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، (د.ت) 1989م.

189. نفح الطيب، أحمد بن محمد المقّري التّلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1968م/المجلد 4.

190. نهاية الأرب في فنون الأدب أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م/ج 24.

191. نوادر المخطوطات، عبدالسّلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 2 1973م.

192. الهجاء في الأدب الأندلسي، فوزي عيسى دار الوفاء الإسكندرية، ط 1، 2007م.

193. وثائق تاريخيّة عن عصر المرابطين، محمود مكّي، صحيفة معهد الدّراسات الإسلامية بمدريد 1959م/المجلد 7.

194. وفيات الأعيان وأبناء الزّمان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د.ط)،1994/مج 7.

*ثانيا: الأطاريح الجامعيّة:

1. ابن السيّد البطليوسي وجهوده في اللّغة، طعمة منى محمد إشراف إلياس منى توفيق رسالة دكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، 2004م.
2. أبو الحسن الحصيري القيرواني حياته وشعره البخاري عبد المحمود الشيخ إبراهيم إشراف: بشير عباس بشير جامعة أم درمان الإسلاميّة السّودان، قسم الأدب والنّقد، 2009م.
3. الإسهام العلميّ للبربر في الأندلس، الحبيب حاكمي، إشراف عبد القادر بوباية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة وهران قسم التاريخ والآثار،2010م.
4. البيئة الأندلسيّة وأثرها في الشّعر، عصر ملوك الطوائف ،شلبي سعد إسماعيل، رسالة جامعيّة، مضروبة على الآلة الكاتبة مقدّمة إلى كلية العلوم جامعة القاهرة، 1970م.
5. ديوان الشّاعر الجراوي أنموذجا، غنيمي الوردي، أطروحة دكتوراه تقديم، إشراف محمد حجازي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية اللّغة والآداب والفنون،2015-2016
6. شعر النّكبة في عصر الطوائف والمرابطين فنونه ومقاصده، مصطفى بن يوسف في أطروحة دكتوراه دولة في الأدب الأندلسي تحت إشراف الشيخ بوقربة، جامعة وهران، 2004م-2005م.
7. طبقات المجتمع في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط/رشيد أمهير علي جمعي ،أطروحة دكتوراه، قسم تاريخ ،كلية العلوم الإنسانيّة، جامعة البويرة ،2015م

8. الطّبيعة في الشّعر الأندلسي في عصر المرابطين، حمدي محمود ناجي ،إشراف عصمة غوشة، جامعة الأردن، 1982م.
9. العدوة الأندلسية، منذ عصور ملوك الأندلس –دراسة سياسية حضارية –،إبراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي، مذكرة التخرج لنيل الدّكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة،المملكةالعربيّةالسّعودية.1430ه.
10. الغزل في الشعر الأندلسي، محمد نايف بن صغير الشّمري، إشراف نصير أمل طاهر، رسالة الماجستير، جامعة اليرموك الآدب، الأردن، 2012م
11. المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دراسة اجتماعية اقتصادية، عيسى ابن الذيب، إشراف شريفي، رسالة دكتوراه في التّاريخ الوسيط كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2008م.

*- ثالثا:الدّوريات:

1. مجلة العلوم الشّرعية، جامعة محمد بن سعود الإسلاميّة، منهج القاضي عياض في شرح غريب الحديث في كتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار، بكر بن محمد البخاري، العدد الثاّلث والعشرون،1433ه.
2. مجلة المجتمع إسماعيل الشاطبي حقيقة قضية المهدي العدد 462، 1400ه .
3. مجلة المجلة، روائع الآثار الإسلاميّة بجمهورية الجزائر، السّيّد عبد العزيز سالم، العدد 1959م.
4. مجلة المعهد المصري للدّراسات الإسلاميّة، أبوبكر الصّيرفي: الشّاعر والمؤرخ، محسن إسماعيل محمّد، مدريد: المجلد الثّامن والعشرون: مدريد 1996م.
5. مجلة المورد، ابن السّيد البطليوسي حياته، منهجه، في النّحو واللّغة والشّعر، صاحب أبو جناح، العراق المجلد 6، العدد1، 1977م.

6. مجلة جامعة تشرين للدّراسات والبحوث العلميّة، عنوان المقال : أبو الحسين بن الطّراوة وآراؤه في النّحو والصّرف، مزيد إسماعيل نعيم، رفائيل مرجان، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد 27،العدد2، ،2005م

7. مجلّة عالم الفكر العمارة الإسلاميّة في الأندلس وتطوّرها، السيّد عبد العزيز سالم، المجلد الثّامن، العدد الأول، 1977م.

8. مجلة عصور الجديدة، من التّاريخ المفقود، لابن أبي الصّلت الدّاني، محمد علي دبور

9. مجلة فيصل، عبد العزيز بن عبد الله، السّعودية، العدد 34، مارس 1980م.

10. مجلّة كلية التّربية الجامعة المستنصرية، من أدب الرّحلات في الأندلس، بشرى محمد طه البشير، العدد السّادس 2005م.

11. مجلة معهد المخطوطات العربية، فرحة الأنفس، ابن غالب، مجموعة مؤلفين (د.ط) ،(دت).

12. مطبوعات الملك عبد العزيز العامّة، الرياض، لخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، عبادة عبد الرّحمن رضا كحيلة: السّجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التّقلّبات والعطاءات ج2/، ط 1 ،1996م.

13. نصوص دراسة في المحتوى والمنهج التّاريخي، المجلد9، العدد 1، ماي 1440هـ/2019م.

*رابعا-المواقع الإلكترونيّة:

1 https : //www.arageek.com.

10 https:// www.islamqa.info

11 https:// www.islamsyria.com

12 https:// www.islamweb.net.

13 https:// www.poetsgate.com

14 https:// www.russia-islworld.

15 https:// www.search.emarefa.net

16 https:// www.search.mandumah.com/

17 https:// www.shiaonlinelibrary.com

18 https:// www.sotor.com

19 https:// www.torjoman.com

2 https: // www.al-maktaba.org

20 https://www.alaraby.co.uk.

21 https://www.almaany.com.

22 https://www.alukah.net.

23 https://www.arabehome.com

24 https://www.arageek.com

25 https://www.arrabita

26 https://www.asjp.cerist.dz

27 https://www.dorar.net.

28 https://www.islamweb.net.

29 https://www.marefa.org.

3 https:// www.almahajjafes.net

30 https://www.noor-book.com

31 https://www.taraajem.com.

32 https://www.wata.cc/forums.

33 https://www.zamanarabic.com/

34 https:/www.almaany.com

4 https:// www.ar.wikipedia.org/wiki

5 https:// www.archive.org /

6https:// www.at-magazine.com

7https:// www.books.google.dz

8https:// www.BOOKS4ALL.NET

9https:// www.ebook.univeyes.com/

*خامسا المراجع الأجنبية:

-Gautier felix- le passe de l'Afrique du nord- les siècles obscur. PARIS.Payot1973-

الفهرس

الملخّص :

يتناول هذا البحث " الجوانب الحضارية والأدبية في عهد المرابطين - دراسة تاريخية وصفية" -، وقد تطرّقنا في ثناياه للنّبذة التّاريخية والجوانب الحضاريّة، بالإضافة إلى أدب هذه الحقبة؛ سواء كان شعرا أم نثرا ووقفنا على مميّزاتهما للتّعرّف على أهمّ المنجزات الحضاريّة الّتي خلّفها المرابطون، ذلك أنّ أدب كل أمة ينبع من بيئتها، ويحاكي واقعها، ويعكس أهدافها.

الكلمات المفتاحية: الجوانب - الحضاريّة – الأدبيّة – عهد - المرابطون.

Résumé:

Cette recherche porte sur les "Aspects civilisationnels et littéraires de l'ère almoravide - Une étude historique et descriptive". Nous avons donné un aperçu historique ainsi que les aspects civilisés de cette époque. En plus, nous avons évoqué sa littérature, qu'elle soit poésie ou prose. La littérature de chaque nation découle de son environnement, imite sa réalité et reflète ses objectifs.

Mots clés : Aspects - Civilisation - Littéraire – Époque- almoravide.

Summary:

This research focuses on the "Civilizational and Literary Aspects of the Almoravid Era - A Historical and Descriptive Study" - and we have addressed the historical overview and the civilized aspects, in addition to the literature of that time, be it poetry or prose The literature of each nation derives from its environment, imitates its reality and reflects its aims.

Key words : Aspects - Civilization - Literary - Almoravid era.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: آداب المغرب الإسلامي والحضارة المتوسّطية

ملخص أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

الموسومة :الجوانب الحضارية والأدبيّة في عهد المرابطين – مقاربة تاريخية وصفية

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. محمد بن اعمر أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان رئيسا

أ.د. محمد مرتاض أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان مشرفا

د. هشام بن سنوسي أستاذ محاضر –أ–جامعة تلمسان عضوا

أ.د. أحمد موساوي أستاذ التعليم العالي المركز الجامعي النعامة عضوا

أ.د. أحمد قيطون أستاذ التعليم العالي المركز الجامعي النعامة عضوا

الموسم الجامعي: 1443–1444هـ/2022–2021م

تناول هذا البحث " الجوانب الحضارية والأدبية في عهد المرابطين – مقاربة تاريخية وصفية" –، وقد تطرّقنا في ثناياه للنّبذة التّاريخية والجوانب الحضاريّة، بالإضافة إلى أدب هذه الحقبة؛ سواء كان شعرا أم نثرا ووقفنا على مميّزاتهما للتّعرّف على أهمّ المنجزات الحضاريّة الّتي خلّفها المرابطون، ذلك أنّ أدب كلّ أمّة نبع من بيئتها، وحاكى واقعها، وعكس أهدافها.

ولقد شهد النّصف الثّاني من القرن الخامس الهجري حركة دينيّة عرف أصحابها بالمرابطين وأسّسوا دولة بنيت على أسس دينية محضة بدأت بوادرها في جنوب إفريقيا وزحفت نحو الشّمال لتستقرّ دعائمها بالمغرب شمال إفريقيا وقد اختاروا مراكش عاصمة لهم وعرفوا بالملثّمين لوضعهم الخطام على وجوههم اتّقاء لقساوة الطّبيعة ،استعان بهم الأندلسيّون بالعدوة الأخرى، بعدما سادت العداوة والتّفرقة بين ملوك الطّوائف ،وعرفت جيوشُهم الوهن وقد أهملوها ما يقرب تسعين سنة فبدل تكوين جيش متين الدّعائم ، بادروا لدفع الأموال الطّائلة للجزية وكانوا – في الواقع – يساهمون بالقدر الكبير على مضاعفة خطر ألفونسو لدولهم ،فبادروا باللّجوء إلى "يوسف بن تاشفين"، ندّا لصدّ إيذاء الإسبان في معركة الزّلاقة الخالدة، وقد ألحقوا خسائر بشريّة وماديّة بالأدفنش وجنوده وكسروا شوكته وردعوا ضغوطاته على ملوك الطّوائف وقد تضاربت الرّوايات في عدّة وعدد المعركة بين صفوف المسلمين ذكر صاحب الحلل الموشية المشاركين في الموقعة فكان بها من فرسان مسلمين — الأندلسيين — أربع وعشرون ألف فارس مابين دارع وحاسر ،ومن المرابطين وأهل المغرب ماينيف على أربعة وعشرين ألفا فغيّر مصير التاريخ الأندلسي في هذه المعركة بحيث ضمن استمرار الوجود العربي في الأندلس خلال أربعة قرون أخرى زيادة على إيقاف الاحتلال المسيحي للأندلس وأدت إلى توحيد الأندلس والمغرب لكن الأمر ولقد عاد وتفاقم لسبب تشرذم وتشتّت ملوك الطّوائف فتدخّل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لإنقاذ الأمر بعد حصار حصن لييط، وأرسى دعائم دولته بالأندلس بعدما ضاق النّاس ذرعا لتقاعس ملوك الطّوائف وتدهور معيشتهم فكان الخلاص على يد المرابطين الّذين أعادوا ترتيب الأمور في عدوة الأندلس بفضل حزمهم ورباطة جأشهم، كما سعى يوسف بن تاشفين لإخماد نار الفتن في عدوة المغرب واستقرت الدّولة وازدهرت ردحا من الزّمن واستطاعت تبوأ مكانة سامقة في المغرب والأندلس بفضل السّياسة الرّشيدة

الّتي اتّبعها الحكّام ،وقد كان الحكم وراثيا توارثه اللّمتونيون أبا عن جد خوفا من الغدر والخيانة، خاصّة بعد تآمر ملوك الطّوائف بينهم، والعدوان الصّنهاجيّ الشّرس الّذي كان يهدّد أمنهم واستقرارهم بالمغرب،

من أشهر حكّام الدّولة يوسف بن تاشفين وابنه عليّ نقشوا اسمهم في السكك استعملت في المبادلات التجارية التي عرفت رواجا كبيرا آنذاك

كان نظام المرابطين في الحكم محكما قائما على كتاب وقضاة شهد لهم التفوق في شتى المجلات وقد استطاعوا تسيير الحكم في أحسن الأحوال كابن حمدين وابن زهر والقاضي عياض وابن أبي خصال وابن القصيرة وابن عطية وغيرهم كثيرون .

وشطر القضاء نصفين بين عدوتي المغرب والأندلس سمي قاضي الجماعة بالأندلس وقاضي القضاة بالمغرب، وعرف نظام الحسبة العدل في تنظيم الأسواق وحمايتها من المضاربة وقد كتب ابن عبدون كتابا في نظام الحسبة يوضح فيه مقاييس النظام وأسسه لمراقبة الأحباس وبيت المال

وساعدت طبيعة المتنوّعة في إنعاش التّجارة بفضل الموانئ في العدوتين وازدهرت تجارة السّلاح وكوّن الأسطول البحري بفضل تضافر الجهود للذّود عن الحمى

ولقد انتعشت التّجارة بفضل الاستقرار وحسن التخطيط وفي حركة الصّادرات من موارد طبيعية زخرت بها البلاد في العدوتين.

وأما الواردات فقد جلبت السّلعة من إفريقيا والمشرق مما جعلها ترفع شأن التّجار، وقد ساهمت البحريّة بالغا في ازدهار التّجارة الخارجيّة بعدما أمّنت الطّرق من القرصنة والسّطو

وقد تركوا آثارا معماريّة هامّة دلّت على رفعة حضارة المرابطين المعماريّة دينيّا وعسكريّا، لأنّ اهتمامهم كان منصبّا على الدّين والمعارك ضدّ الخطر الصّليبي بالأندلس ومن أهمّ المعالم الّتي شهدت إبداع المرابطين مدينة "تاجرارت" بجوار أجادير وتلمسان وأغمات ومراكش ناهيك عن تطوير مدن الأندلس

اتسمت العمارة بالبساطة في بدايتها ولما تشربت الفن الأندلسي تأثرت بها وتفردت في طراز بنائها، من أشهر تشييداتهم التي لاتزال شاهدة على إبداعاتهم مناه الجامع الكبير بتلمسان وندرومة والجزائر العاصمة ناهيك عن القصور والجسور والقلاع.

وشهد المغرب والأندلس العديد من المناسبات الاحتفالية سواء كانت دينية أو عسكرية؛ فتنوّعت وتعدّدت حسب مقتضيات الحال انعكست في أشعار الكتاب ومصنفاتهم وأخبارهم التي استقيناها من أمهات الكتب وممّا يجدر الإشارة إليه تمرّس ولي العهد بأساليب الحكم والإدارة، وذلك بشحنهم بشتّ أنواع العلوم والثّقافة والفقه والأدب، ناهيك عن تشرّب نقاط الحكم وتسيير الأمور

وقد أحيطوا بالكتّاب الّذين أتقنوا فنون الخطابة والرّسائل، وما نلاحظه في التّنظيم المحكم ينمّ عن مخطّط له دراية كبيرة بتنظيم أمور البلاد والعباد، والعجيب أنّ السّلطة لم تخرج عن اللّمتونيين والأسرة الحاكمة خوفا من الغدر والمؤامرات ، وكان للقاضي فقهاء مستشارون يساهمون في ذيوع الأمن والعدل، وقد عيّنوا من لدن أمير المسلمين ومقرّبيه ومن هؤلاء ابن رشد الجدّ وابن حمدين في الأندلس، ومثله في المغرب القاضي عياض السّبتي وعبد الملك المصمودي، وحسن نظام الحسبة مما كان له الوقع الحسن على نظام الحكم حيث شكّل العصب الرّئيس في الحياة الاقتصاديّة، والفيصل في عديد الأمور، كما جعلت التّجارة تزدهر وتنتعش في وقت وجيز وفق الشّريعة الإسلاميّة بفضل السياسة الرشيدة وقد اتّسعت رقعة الدّولة وتشعب ظروف الحياة انتعشت التّجارة وراجت في مجالي الزّراعة والصّناعة خاصّة بعد الاستقرار الّذي شهدته المنطقة بعد توطيد قدمها في عدوة الأندلس وكان للاستقرار الدّور البالغ في انتعاش التّجارة وفي حركتي الصّادرات والواردات

والجدير بالذّكر أنّ من بين الصّناعات التي برزت في تلك الحقبة نجد الزّجاج والنّسيج وصناعة أدوات النّحاس والحديد ، وقد استعملت في العمارة والصّناعات المختلفة، كما خاض الصّنّاع في إنتاج العتاد الحربي لسدّ مآرب المعارك فعرفت لمطة نول منذ بوادر الدّولة تصنيع السّلاح والعتاد الحربيّ

وقد تركوا آثارا معماريّة هامّة تشده العين ويدهش منها المتمعّن دالّة على رفعة حضارة المرابطين المعماريّة دينيّا وعسكريّا، لأنّ اهتمامهم كان منصبّا على الدّين والمعارك ضدّ الخطر الصّليبي بالأندلس.

ومن أهمّ المعالم الّتي شهدت إبداع المرابطين مدينة "تاجرارت" بجوار أجادير القديمة، وكانوا يحرصون كلّ الحرص على عمارة المساجد، فكان نصيب المغرب الأوسط ثلاثة مساجد وهي: المسجد الجامع بمدينة الجزائر، والمسجد الجامع بتلمسان، والمسجد الجامع بندرومة. وجامع القرويّين بفاس،كما حصّن أمراء المسلمين المدن بالأسوار والقلاع وإقامة الأربطة والمحارس والثّغور وربطت المغرب بالأندلس في وحدة سياسيّة وحضاريّة وثيقة.

كانت المساجد والمعاهد والمدارس وحتىّ القصور مهدا للمناظرات و المجالس اللّغوية والأدبية، وحملت الحواضر مشعل العلم لتزيين ربوع قرطبة، وإشبيلية ،غرناطة وبلنسية ،حيث شهدت قرطبة تقاطرالوافدين عليها ينهلون من مساجدها ومدارسها شتىّ أنواع العلوم من هؤلاء أبو الطاهر محمد بن يوسف التّميمي(ت 538هـ) والّذي أبلى البلاء الحسن في علوم اللّغة العربية ،كما استقرّ بمسجدها الجامع ابن السيّد البطليوسي يقرأ علوم اللّغة والدّين والأدب والنّحو

وكما ارتحل ابن الطّراوة المالقي (ت528هـ) قاصدا قرطبة ليغرف من علم أبي مروان بن سراج

بعدما نهل في إشبيلية من بحر أبي الحجّاج الأعلم الفقيه المتبحّر والشّاعر الفذّ ،وترأّس كتّاب الأندلس ابن أبي الخصال الغافقي الّذي وجد قرطبة مركز إشعاع أدبي وحاضرة التّصنيف العلميّ فتبوّء مكان الرّيادة وصنّف عددا من المصنّفات .

حقّا كانت قرطبة مهدا للحضارة ومركز إشعاع للعلم ضمّت أهل النبوغ بالبزوغ، وقد لما سعى أهلها جاهدين من أجل رفع راية العلم وتشجيع المتعلّمين.

واستقطبت إشبيليا جماعة من طلاّب العلم واللّغة والأدب ،فكانت مهنة الوراقة رائجة لتدوين المصنّفات والكتب وهذا دليل على تشجيع الحكّام للعلماء للتّصنيف والتّدريس والرّحلات العلمية؛فكانت أمّ القرى الأندلسيّة ،ومركز فخرها وعلاهابل وحاضرة العلم والأدب.

كما تخرّج من مدرسة القرويين كبار العلماء والشّعراء والفقهاء وعلماء الفلك والرّياضيات، والقائمة طويلة؛ فقد ولجوها من مختلف البقاع وأقصى الأصقاع طلبا للمبتغى من هؤلاء المؤرّخ عبد الرّحمن ابن خلدون المولود بتونس، صاحب كتاب العبر ومؤسّس علم الاجتماع، نردف ابن رشد الفيلسوف

المعروف، والطّبيب الأندلسي موسى بن ميمون، والعالم الجغرافيّ محمد الشّريف الإدريسي والعالم الرّياضي والفلكي ابن بنّاء المراكشي وعالم القراءات والرّياضيات وابن غازي المكناسي، وغيره كثير

وكما وجدت عدة منشآت ساهمت في الذّود عن حمى المدن والقواعد العسكرية وقد شيّدت بعد إرساء أقدام المرابطين بالعدوتين وتمثّلت في الأسوار والقلاع والحصون وميزت بصبغة خاصّة كما حظيت العمارة الدّينية في العهد المرابطي بالعناية الفائقة

ولقد انتعشت الكتابة على عهد ملوك الطّوائف وتألّق نجم الشّعراء والكتّاب في سماء الأندلس وشهد لهم بالبلاغة والفصاحة فبلغت الحياة الأدبيّة أوجها من العطاء إذ قام كلّ ملك من الدّويلات بتقريب الكتّاب والشّعراء والفقهاء والفلاسفة وأعلام الفكر للمسامرة

وقد عبروا العدوة الأخرى ليتشرّبوا الثّقافة الأندلسيّة حتّى يصنعوا حضارة وارفة الظّلال كثيرة الغلال في إنجازات بعدما شجّع المرابطون العلم والعلماء؛ فأقدموا على رعايته بغرس روح البحث وتشييد المساجد والمدارس الّتي كانت مهدا دافئا للقضاة والفقهاء والكتّاب والشّعراء والأطبّاء وجد قرطبة مركز إشعاع أدبيّ وحاضرة التّصنيف العلميّ فتبوّء مكان الرّيادة وصنّف عددا من المصنّفات.

ولقد كان مسجد مراكش مركز الإشعاع الأوّل في عهد المرابطين، فضمّ علوم الّلغة والدّين؛ وتفتّحت أبواب المغرب على الحضارة ، لتستقبل العلم والعلماء؛ فالمغرب ظلّت تبذل حمايتها للأندلس، والأندلس تقدّم ثقافتها إلى المغرب ،وطفقت مراكش حاضرة المغرب مهوى أفئدة المثقّفين ومطمح أنظار المتأدّبين واستعان حكّام المغرب بالبلغاء والكتّاب من أجل تدبيج الأوامر ،وكتابة الرّسائل وصياغة المراسيم خدمة للمصالح.

وقد ساهمت عدة حواضر بقدر وافر في بناء حضارة جذورها نبتت بالأندلس و ترعرعت في المدارس والمساجد والجوامع ومجالس الإبداع، ثمّ نمت وتفرّعت بين شعاب المغرب أينعت بثمار العلم والمعرفة من هذه المراكز مراكش ،فاس مكناسة طنجة وأغمات ،سبتة تلمسان ،وعبق رحيقها بتشجيع الحكّام اهتمّ المرابطون بليغا بالطّبّ؛ فقد وجد منصب يعرف بالصّناعة الطّبيّة وقد احتلّ صاحبه المكانة السّامقة في المجتمع لأنّه كان بمثابة المسؤول الأوّل أمام الأمير، وملزم بتكوين العقاقير ومراقبة الأدوية؛ وهذا يجعلنا

نقدّر قيمة العلم والعلماء على عهد المرابطين لقد لمع نجم عديد من الأعلام في العدوتين ولم يفل نجمهم ليومنا هذا نظرا للإنجازات الّتي تركوها خالدة في كتب التّاريخ شاهدة على اجتهاد أصحابها، وخوضهم بحر العلم بلا هوادة.

كما طرق الشّعراء عدة أغراض منها الهجاء والغزل والوصف وفي هذه الفترة وجدنا أنّ شعر الزّهد تفرّع لقسمين يمشي الواحد منهما جنبا للآخر: أمّا الأوّل فشمل معاني الوعظ فرغّب من أسباب دخول الجنّة بعدم الانصياع لإغراء الشّيطان مادامت الدّنيا فانية، والحثّ على التّفكير في الموت والحساب والعقاب.، وأمّا الآخر فحثّ على التّوبة والاهتداء إلى سبيل الفلاح بالتّضرّع لله لأنّه وحده غافر الذّنوب.

ولقد عرف الشّعر الدّيني رواجا في عهد المرابطين حيث نفّس فيه الشّعراء عن مكنوناتهم من حبّ الله وعرض عصارات تجاربهم إذ نطقوا بالحكم القاضية بالعودة لنهج الدّين؛ فهو السّبيل الأنجع للفوز بالجنّة والنّجاة من النّار ،ومنهم من حبّذ المديح النّبوي ؛فكان مهدا لّلبنات الأولى للشّعر الزّهد و التصوّف، وقد لمسناه نزرا في العهد المرابطي

ومن شعراء ذلك العصر نجد:المعتمد بن عبّاد (ت488هـ) ،وابن اللّبانة (ت507هـ) ، والأعمى التّطيلي(ت525هـ) ،وابن حمديس (ت527هـ) وابن الزّقاق البلنسي(ت528هـ) ، وأميّة بن أبي الصّلت الدّاني (ت529هـ) ، وابن خفاجة (ت533هـ) والأعمى التطيلي وقد تأثروا بالبيئة الأخاذة كثيرا وهزّت قرائح الشّعراء وأقلام الأدباء على الخوض في الإبداع والعطاء، ولقد بلغ فنّ الوصف الذّروة في تجسيد الصّور ولقد استمرّ هذا اللّون الأدبي معزّزا مكرّما في بلوغ الصّدارة من الإبداع والتّفوّق وبقيت العناية مركّزة على ألوان البيان من تشبيهات واستعارات ومنقّحا بالمحسّنات البديعيّة

وقد وجدنا الوصف تفرّع إلى ثلاثة مواضيع رئيسة منها وصف الطّبيعة ووصف الأشياء ووصف الحيوانات والحشرات ناهيك عن وصف الأشخاص وجعله موضوعا ضمن أغراض أخرى كالرّثاء والغزل والمدح وغيرها من الأغراض، وقد شهد هذا العصر ظهور عدد كبير مِن الشّعراء الّذين نبغوا في هذا الفنّ الشّعري، نذكر منهم: ابن سارة الشّنتريني، وابن الزّقاق، وابن خفاجة البلنسي، وعبد الحقّ بن عطيّة... وغيرهم.

وكان للبيئة الأندلسيّة أثر بالغ في تحريك عواطف الشّعراء، وإثارة وجدانهم، والتّعبير عن مكنوناتهم، كما كان لمجالس اللّهو الدّور الفعّال في إطلاق العنان لفضفضة المكنونات والمكبوتات تطلّعًا للحرّية والإفصاح عن معاناة الفراق وصدّه وإعراضه، وقد غلبت عليها الرّقّة والعذوبة؛ فقد عشّش الغزل في هذه المجالس لأنّه وجدها متنفّسا ومكانا مناسبا للمتع والنّعم خاصّة وأنّ كأس المدام لم يفارقها، حيث كانت كأس الخمر لا تبرح يد السّاقي.

وقد تراجع فنّ التّوشيح الّذي استقى من أشعار الفطاحل في المشرق أمثال المتنبّي والمعرّي ،لكنّه تفرّد بصبغة الأندلس وبيئتها الخلاّبة ،وقد عرفنا شعراء كثر إمام الزّجّالين نجد ابن قزمان الأصغر (ت555هـ) الّذي اعتبر طرفة شيّقة في حلّة معضلة أذهلت المجتهدين في حلّها ،وكشفت ستر المتوقّر ووأدت الوقار والحشمة من المستمع حين ذكر اللّذات والشّهوات الدّنيويّة في شهر رمضان ، وقد ترك ديوانا ضخما من حوالي ألف صفحة إصابة الأغراض في وصف الأعراض منوّعا في أغراض القريض من مديح ووصف وغزل ،لقد بدأ حياته شاعرا ،ثمّ تفوّق في الزّجل على معاصريه ، وتعدّدت مواضيعه من وصف ومديح وغزل عبّر عن انغماسه في الملّذات ببراعة التّصوير وحسن النّظم والتّخيير والحوار القصصي في التّعبير .

وقد زاحمت المرأة المرابطية في القريض وأثبتت وجودها جنبا إلى جنب مع العلماء والفقهاء، ترك لنا الشّعراء دواوين شعريّة نذكر منها ديوان الأعمى التّطيلي (525هـ) نوّع فيه الأغراض الشّعريّة كالمديح والرّثاء التّهنئة والوصف الغزل والشّكوى ، ، وديوان الرّقاق البلنسي (528هـ) مرتّب ترتيبا هجائيّا وأماّ الأغراض الّتي تطرّق لها فهي التقليديّة كالمديح والغزل الرّثاء والوصف كما نظم موشّحة ومقطوعة شعريّة منتهجا سبيل خاله ابن خفاجة . ونجد ديوان الحكيم أمية بن عبد العزيز أبوالصّلت الدّاني(ت 529هـ) تنوّعت أغراضها بين الرثاء والمديح والهجاء والغزل والوصف، حاول الشّعراء الإبداع في نظم الزّجل والأراجيز والتفنّن في منظوماتهم وخاضوا في علوم شتّى منها الأدبيّة واللّغويّة والتّاريخيّة والثّقافيّة حتى يفجّروا مواهبهم المكنونة تقرّبا من العامّة والخاصّة، وقد عرف العصر نبوغ إمام الزّجالين ابن قزمان، ابن السيّد البطليوسي،وابن اللّبّانة،وابن قزمان... وغيرهم كثيرون واستخلصنا من دراستنا للشعر :

- أن غرض الهجاء سلك منحى تميّز بذكر صفات وعيوب الممدوحين وتراجعت اللّغة المستعملة فيه حتّى وصلت للابتذال والرّكاكة وكان المهجوون إمّا أقارب أو حكّام أو عامّة النّاس .

- واعتدّ الشّعراء في غرض الرّثاء على التّضمين من القرآن الكريم وشمل رثاء الأصحاب والعلّية والأحباب والنّفس والأماكن والغلمان والجواري وحتّى الحيوان والأثاث نال حظّه من هذا اللّون الأدبيّ، مؤكّدين على حتميّة الموت ،وضرورة التّمسّك بحبل الله المتين .

- كما احتلّ الشّعر الدّينيّ الحظ الوافر في العهد المرابطي وارتكز على مناجاة الله وذكر قدرته وصفاته والثّناء على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، واختار الشّعراء عرض عصارات تجاربهم المتمثّلة في حقيقة الحياة الفانية محفّزين على العمل والالتزام بصراط الله المستقيم للفوز في الحياة الباقية متجنّبين الخوض في المسائل الفلسفية اتّقاء لبطش الحكّام وثورة المتزمّتين.

- وجادت قريحة الشّعراء في غرض المدح وكان التكسّب نهجه؛ فخصّ به أصحاب النّفوذ والمكانة المرموقة في المجتمع المرابطي، حتّى ينالوا حظوة عند الحكام ومن أشهر الممدوحين نجد شخصيّتين سياسيتين معروفتين: ابن حمدين وابن زهر.

- وقد برز غرض الوصف: طرقه جلّ الشّعراء مسّ مظاهر الطّبيعة والمظاهر الحياة الحضاريّة ،وقد هام الوصّافون بعقد أجود الصّور البيانيّة ممّا جعلت شعرهم متميّزا مصقولا بروح وجمال الطّبيعة الغنّاء الّتي عاشوا فيها،وليس هذا فحسب بل وسّعوا قريضهم بسعة ثقافتهم وتفتّحوا على الشّعوب المجاورة في نقل مكنوناتهم.

سار النّثر جنبا إلى جنب مع الشّعر ،وخاض الكتّاب في الرّسائل الدّيوانية تمثّلت في المراسلات الرّسميّة والقرارات والرّسائل الإخوانية ورسائل علميّة بطابع أدبيّ ولقد وُسمت بخصائص ومميّزات تعلّقت بالجانب الفنّي مع غلبة الصّناعة والسّجع والإبداع في الكتابة، ولا ننسى المقامات والخطب والمصنّفات؛كما نب طائفة من الكتّاب منهم الفتح بن خاقان، وابن عبدون، وابن أبي خصال وغيرهم سنحاول في هذا الفصل إدراج أهمّ فنون النّثر على عهد المرابطين معرّجين على أهمّ المؤلّفات والمدوّنات الّتي وصلت نفحتها، ولازالت تصدح شهرتها إلى يومنا هذا

و خاض كثير من الكّتاب والأدباء في تأليف الكتب والمصنّفات وعلى الرّغم من الزّحم الهائل ونبغ كثير من الكتاب والمؤلفين كابن عبدون الّذي نال الحظّ الوفير بفضل علمه ودرايته وشاعريّته الفذّة وابن الجدّ وابن أبي الخصال والّذي روي عنه أنّه ألّف كتاب المنهج في معارضة المبهج ،وكتاب ظلّ الغمامة وطوق الإمامة في مناقب من خصّه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بالكرامة ،كما برع في السّماع والرّواية حتى روي عنه سيرة الرّسول الكريم صلّوات الله عليه وسلامه ،وابن الصّيرفي الّذي جاد في علوم اللّغة وخاض في التّاريخ ،الوقسي ، والشّلطيشي ،وابن الأزرق القرطبي أمّا ابن باجه؛ فقد اشتغل في التّأليف والموسيقى والفلسفة وناهز العشرين عاما في بلاط أمراء غرناطة وسرقسطة ،هؤلاء جميعا تحدّثنا عنهم سابقا على أنّهم شعراء ،وكتّاب وتميّزوا في علوم شتّى.

- في عدوة الأندلس نجد مدارس أنتجت في عهد المرابطين مثل مدرسة قرطبة والتي أنجبت الفيلسوف ابن رشد، ومدارس شاطبة، بطليوس، سرقطة، غرناطة ،بلنسية ،طرطوشة ،مرسية ،دانية ،المرية ،شلب ،غرناطة وقد كان التّفوّق لعلم الفقه والرّواية والحديث واللّغة والأدب.

- ألّف الكتّاب مؤلّفات ضمّت ألوانا أدبيّة متعدّدة منها الخُطب والرّسائل والأشعار والتراجم فمازجت بين الصّنوان (الشّعر والنّثر) في آن واحد، وقد تأثّر الأدباء في الغالب بأسلوب المشارقة .

- ساهمت الرّحلات العلميّة والثّقافيّة في توطيد العلاقات بين المغرب والأندلس من جهة والمشرق والمغرب من جهة أخرى وحدث ما يعرف بالتّلاقح .

- عرف التّصنيف اللّغوي في عهد المرابطين تنوّعا في المواضيع فثمّة مصنّفات في غريب اللّغة ومثّلث الكلام والفروق اللّغوية وفي معاجم المعاني وشروح لغويّة، ورسائل لغوية في فلسفة اللّغة، والموسوعيّة لأنّ المؤلّفات والمصنّفات شملت علوما مختلفة.

- كما عرف العهد عدّة شروح للمصنّفات المشرقيّة ألّفها أصحابها بعدما نقّحوها بآرائهم الّتي عكست ثقافتهم الشّاسعة ودرايتهم الكبيرة بعلوم جمّة وضمّنوها الشّواهد المنطقيّة والحجج المعرفيّة المقنعة.

ومن مظاهر الحضارة التي طبعت حياة المرابطين: العمران والإنجازات الأدبية سواء كانت شعرا أم نثرا وقد تطورت الحياة عند السكان في المشرق والأندلس بعدما طبعت بوسائل العيش الكريم من مأكل

وملبس ناهيك عن مساهمة النظام المحكم في إنعاش تطور الملثمين الذين بدأوا صحراويّين رحلا وانتهى بهم الأمر إلى دولة راسية الدعائم شامخة الحضارة متأثرين بالمشارقة في كل المجالات

كانت دولة المرابطين في بدايتها مجرّد رباط عند مصبّ نهر السّنيغال وسرعان ما بسطت يدها على مصراعيها لتضمّ المغرب والأندلس.

- أرست مبادئها على مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مرتكزة على محاربة الفساد أينما حلّ أمرا وفرضا، متّخذة الجهاد مبدأ ونهجا في سبيل زرع تعاليم الدّين وسُبل الفلاح عاشت من أجل الجهاد وذهبت ريحها في سبيله.

- استطاعت توحيد عدوتي المغرب والأندلس وانضوت تحت لواء واحد وأمير مسلمين واحد، رغم تعدّد الأجناس وتباين الأعراق فقد مثّل العرب والبربر صنوا المرابطين كما تباينت نحلهم ومللهم من مسلمين ويهود ومسيح.

- ظلّت الخلافة مسيطرة للأمويّين يتحكّمون بالرّيادة في شؤون الدّولة الإسلامية الأندلسية، حتّى مجيء المرابطين الّذين أسّسوا مراكش من المغرب حاضرة للخلافة الإسلامية تصرّف شئونها بعدما استطاعت الدّولة صدّ الهجمات من كل حدو وصوب منها هجمات الإفرنج بالأندلس وشرّ بني هلال في المغرب.

- لما قامت الدّولة فبسطت ظلّها على السّاحل المطلّ على بحر الرّوم ،بعد المعارك الحامية الوطيس وظلت صامدة أمام حروب التي شنها الفرنجة على الأندلس طيلة عشرين سنة وعطّلوا من سقوط الأندلس بضعة قرون، كما بدّدوا فكرة الاسترداد الّتي كان النّصارى متيقّنين منها ،وأنشأوا أسطولا

بعد فتح طنجة وسبتة، واستولوا على السّاحل الشّرقي لبلاد الأندلس؛ فاتّخذوا من موانئها قواعد لأسطولهم ،وقد شارك هذا الأسطول الناشئ في مهاجمة صقليّة.

– أظهر المرابطون الولاء للعبّاسيين على العملة النّقدية بسكّ اسم عبد الله أمير المؤمنين على السّكّة ، وكانت زيّيهم سوداء مضاهية بذلك العبّاسيّين، كما لقّبوا ولي أمرهم بأمير المسلمين عوض أمير المؤمنين ، واختاروا نظام الحكم الوراثي من يوسف بن تاشفين إلى ابنه عليّ ثمّ تاشفين بن علي بن تاشفين على أن بيعة علي تمت بقرطبة حاضرة الأندلس ومراكش حاضرة العدوة الأخرى وبذلك اشترك الأندلسيون والمغاربة في مبايعة أمير العدوتين وموحّد الشّعبين وحامل لواء الجهاد .

– تأثّر المرابطون بالفرنجة في تجهيز الجيوش فراحوا يبرعون في صنع الأسلحة والدّروع والتّروس مستخدمين قرع الطّبول التي كانت ترعب العدوّ وتحفّز الجيش على نهج السّودانيين، لأنّ أهل الأندلس لم يعتادوا عليها .

– أسّس المرابطون أسطولا قويّا لامثيل له ، وتخصّصوا في صناعة السّفن كثغر المريّة .

– ازدهرت التّجارة عند المرابطين في الضّفتين منها صناعة الحديد والحرير والنّحاس ،كما انتعشت التّجارة بما أنّها كانت حلقة وصل بين الأندلس والنورمان، والمغرب وصحراء إفريقيا.

– أكثر المرابطون القلاع والحصون لصدّ هجومات الفرنجة بالأندلس، وقبائل زناتة والموحّدين بالمغرب.

– أقحمت المرأة المرابطيّة في غمار الحُكم فشاركت في مجالس القبيلة والمشورة وتمتّعت بالمساواة والحريّة ،واقتنت الثّروات ، ونافست في طلب العلم ،والقريض.

– وقع تلاقح بين الثّقافة المغربية والأندلسية في شتّى ألوان الحضارة كالعمران والأسطول والشّعر...وتأنّقوا في الملبس والمأكل وعاشوا في بلهنية بمجلس الأنس والطرب والشّعر إذ لبست مراكش حياة البذخ والقصور الفارهة ،وأنواع الموسيقا الشّجيّة.

Introduction:

The topic of the research deals with the cultural and literary aspects during the era of the Almoravids, whose rule extended from (448 AH to 541 AH). Through it, she was able to knock on the doors of Arab-Islamic civilization, and she was able, thanks to following the teachings of the religion.

It was a great mujahid state that was able to establish its feet in Morocco and establish its name high in Andalusia

It was able to spread the banners of Islam throughout the Sudan, and it refined the ruthlessness of the barbarian tribes.

Thanks to the Islamic culture, and Thanks to the battle of jihad and the battle of Zalqa, Which eliminated the danger of Christians and Alfonso

The Almoravids immortalized their name thanks to their material and moral achievements in Morocco and Andalusia

Literature is one of the most important effects left by this covenant because it is the important and tangible criterion for judging the civilization and thought of nations.

Our choice of the subject was not inspired by chance, but rather it was a dictation of an unbridled personal desire represented in our admiration for the Almoravid State, which did not last long, but left achievements that are still witness to its high stature and lofty place, and our attempt to contribute - even if by a small amount - to enriching the Maghreb heritage and its revival. Suffix

It was our great hope to make our day successful in highlighting the civilizational and literary achievements of our ancestors, which led us to the title of our research which is marked: “Civilizational and Literary Aspects in the Era of the Almoravids: An Approach - Historical and Descriptive – under the guidance of my supervisor professor. Among the problems, we mention them

What is the nature of the cultural heritage and cultural achievement left by the Almoravids?

- What are the most important poetic and prose art objects that were established in the Almoravid state? And which of them was better able to depict the reality of the Almoravids? Poetry or prose?

Was the Almoravid literature able to keep pace with the greatness of the civilization witnessed by this era?

Has the cultural and literary production been able to provide a fruitful addition to the Arab and Islamic civilization?

And because no literary work can be built from a vacuum, I relied in my research on a group of sources, and I used a good number of references; From the sources we supply books of translations, biographies, history and geography

"Nuzha Al-Mashtaq fi Penetration Al-Afaq" by Al-Idrisi

The admirer in summarizing the news of Morocco" by Abdel Wahed bin Ali Al-Tamimi Al-Marrakchi

And “Al-Bayan Al-Maghrib fi Akhbar Al-Andalus and Al-Maghrib” by Ibn Adhari, Ibn Saeed Al-Marrakchi

Relationship: by Ibn al-Zubayr, who is known to be Bashkwal

Among the recent books are: “The Book of Islamic Civilization in the Maghreb and Andalusia in the Age of Almoravids and Al-Wahids” by Hassan Ali Hassan, Andalusia in the End of the Almoravids and Beginning of the Almohads by Ismat Abdel Latif Dandash, as well as references specialized in every science and art such as: “Poetry in the Age of the Almoravids” by Muhammad Majeed Saeed, "The Political and Civilized History of Morocco and Andalusia in the Age of the Almoravids" by Hamdi Abdel Moneim Mohamed Hassan and other books.

We encountered a number of difficulties in this research, the most important of which are: the complex nature of the topic; It combines literature with its two parts, poetry and prose, as well as the different manifestations of civilization in the enemies of Morocco and Andalusia during a century of time, as well as the overlap of the era between two different periods.

The era of the kings of the sects and the era of the Almohads, not to mention the overlap of many fields of science towards theology, philosophy and mysticism; And their effect on distracting the mind, in addition to the discrepancy in the percentage of many poems to their true owners due to the loss of many mothers of traditional books and divans, in addition to the lack of control over the poetic verses in form.

This caused a confusion between affiliation with the previous and later eras, which had a great influence in deciding whether to adopt or overlook the texts, as their trips and movements

between the two enemies and towards the East and Hijaz played a significant role in the nature of the material included in the research; Where I confined most of it, if not all of it, to what was his creativity in the middle of the era in Morocco and Andalusia, without neglecting the role of those external influences on the development of sciences and arts in that era.

We used a plan to reach the expected results, so the study came in an introduction, three chapters appended with a conclusion, a list of sources and references, and an index of materials.

So we singled out the first chapter of the historical overview of the Almoravid era, where we started it by talking about the political situation that surrounded the Almoravids since its establishment, reviewing the most important events and facts that accompanied it until its collapse, then we moved to talk about the social and intellectual situation during this era, highlighting the role of rulers in changing events and the repercussions of that society and humanity .

While in the second chapter we dealt with the most important aspects of civilization that marked the era of the Almoravids until they enabled him to enter civilization from its wide gate.

As for the third chapter, the most important poetic objects that witnessed great popularity during this era, and to provide examples of the contents that their readers gave, and to taste the most important characteristics, and we went to the most important prose arts that were written during that era in order to identify their features and characteristics.

In the conclusion, we included a set of conclusions that are the result of the most important results that we tried to reach.

And if every research has a method that defines its elements, and clarifies its interlocutors, then this research also relied on a set of methods necessitated by the nature of the subject, where we used the historical method when standing on the most important historical events, as we employed the technical method when reading literary models, as well as the mechanisms of analysis, interpretation and conclusion when reading. Explanation and simplification in understanding poetic or prose texts.

Finally, I would like to extend my highest expressions of appreciation, thanks and reverence to our honorable and honorable professor, Prof. Dr. Muhammad Murtad, for devoting a lot of his time - despite his many preoccupations and responsibilities - to pursuing this research, and correcting it until it came out in the image that is in the hands of the reader, and to inform us of his long experience in We also do not fail to thank the esteemed discussion committee - in advance - for taking the trouble to read and discuss this research.

Tlemcen on Shawwal 16 1443 AH - May 17, 2022 AD

Conclusion

After this pleasant journey between the civilization and literature of the Almoravids, we come to the conclusion of a research that called us to travel and roam between its two sides, to finally reach a set of results that this attempt led to, which are as follows:

The Almoravid state depended on tribal and family fanaticism, so the rule and leadership did not come out of the Lamtouna tribe; So the princes took power, the sons and relatives of the ruler of the Muslims, following a rational policy in the leadership of the army and giving it great importance in terms of equipping equipment and fighting plans, and leading the armies and did not leave the ruling family to ensure loyalty and the importance of the position in the continuity of the power of the state. Al-Harbi, not to mention the monetary transactions that gave the Almoravid dinar value

- The Almoravid State was established on a purely religious basis, and this was evident in consulting judges and imams in minor and major matters of governance.

Despite the difficult terrain and the distance between Morocco and Andalusia, neither the age of “Youssef Ibn Tashfin” nor his illness caused him to achieve his goal in establishing security and stability between the two flanks of the state. Central Maghreb and the Sinhajis in Al-Aqsa.

The women's names entered the nicknames of the pimp, and it was said "Ben Aisha" and "Muhammad Ibn Fatima" and this is due to the multiple marriages of the rulers. War Council.

At the beginning, the Almoravid state was just a rabat at the mouth of the Senegal River, and soon it spread its hand wide to include Morocco and Andalusia.

It based its principles on the principle of enjoining good and forbidding evil, based on fighting corruption wherever an order and imposition occurs, taking jihad as a principle and an approach in order to plant religious teachings and ways of cultivation, she lived for the sake of jihad and her wind went in its path.

- It was able to unite the two enemies of Morocco and Andalusia and united under one banner and one Muslim ruler, despite the diversity of races and the diversity of races.

It was able to unite the two enemies of Morocco and Andalusia and united under one banner and one Muslim ruler, despite the diversity of races and the diversity of races.

The attacks of the Franks in Andalusia and the evil of Banu Hilal in Morocco came from every border.

- When the state was established, it spread its shadow on the coast overlooking the Sea of Rome, after the fierce battles, and it remained steadfast in the face of the wars waged by the

Franks against Andalusia for twenty years, and they hindered the fall of Andalusia for a few centuries. Tangiers and Ceuta, and they seized the eastern coast of Andalusia; They took from its ports bases for their fleet, and this emerging fleet participated in attacking Sicily.

The Almoravids showed allegiance to the Abbasids on the coinage by coining the name of Abdullah, the Commander of the Faithful on the track, and their uniforms were black to match that of the Abbasids. You see that the pledge of allegiance to Ali took place in Cordoba, the capital of Andalusia, and Marrakesh, the capital of the other enemy. Thus, the Andalusians and Moroccans took part in the pledge of allegiance to the Emir of the Two Enemies, the unifier of the two peoples, and the bearer of the banner of jihad.

The Almoravids were influenced by the Franks in preparing the armies, so they excelled in making weapons, shields and gears, using drum beats that terrified the enemy and stimulated the army to follow the Sudanese approach, because the people of Andalusia were not accustomed to it.

- The Almoravids established a powerful and unparalleled fleet, and specialized in shipbuilding, such as the Al-Mariyah area.

Trade flourished among the Almoravids on the two banks, including the manufacture of iron, silk and copper, and trade flourished as it was a link between Andalusia and Normans, Morocco and the Sahara of Africa.

The Almoravids made more castles and fortresses to repel the Frankish attacks in Andalusia, and the Zenata and Almohad tribes in Morocco.

- Almoravid women were brought into the midst of government, so they participated in the councils of the tribe and advice, and enjoyed equality and freedom, acquired wealth, and competed in the pursuit of knowledge, and Qurayd.

A cross-fertilization took place between Moroccan and Andalusian culture in various colors of civilization such as architecture, fleet and poetry... They dressed in clothing and food and lived in Balhnia in the Majlis of people, music and poetry, as Marrakech wore a life of opulence, luxurious palaces, and types of melodious music.

- Among the manifestations of the civilization founded by the Almoravids: the University of Kairouan and the schools of Tangier, Fez, Ceuta, Tlemcen and Aghmat... They were a prelude to the Almohad era, which was full of valuable achievements of science, art and civilization, and they sought the assistance of Andalusian craftsmen and artists after being encouraged by the Muslim princes and doctors, and he took great care Philosophers and jurists, and bestowed on them with stimulus and encouragement, to push them into the field of science and civilization, focusing on matters of religion and jurisprudence as a method and approach.

In the enemy of Andalusia, we find schools that were produced during the Almoravid era, such as the Cordoba school, which gave birth to the philosopher Ibn Rushd, and the schools of Shataba, Badajoz, Zaraqa, Granada, Valencia, Tortosa, Murcia, Dania, Almeria, Shalab, Granada, and the sciences of jurisprudence, novel, hadith, language and literature were superior.

The writers wrote books that included several literary genres, including sermons, letters, poems, and translations, mixing poetry and prose at the same time.

- Scientific and cultural trips contributed to the consolidation of relations between Morocco and Andalusia on the one hand, and the Mashreq and Morocco on the other hand, and what is known as cross-fertilization occurred.

The emergence of a huge number of jurists and clergymen who were interested in jurisprudence and hadith, and they had a great role in managing the affairs of the state as long as it was based on the principle of shura, and following the religion’s approach in issuing judicial rulings, after they received unparalleled encouragement from the rulers.

- Al-Ahd knew several explanations of the oriental works that were written by their owners after they revised them according to their opinions; It reflected their vast culture and great knowledge of many sciences, and they included logical evidence and convincing epistemological arguments.

- Many historians have been interested in the history of the state, but many of their works went unheeded, and others

were interested in the geography of the country, and it served as a useful tourist guide for all times.

- Trade flourished in the era, so they imported gold, coral, ornaments, and various forms of opulence, such as ostrich feathers, luxurious leather, and luxury jewels, and they marketed salt to Sudan at the price of gold due to its scarcity. Various types of food.

- The fleet played an important role that cannot be overlooked. It branched out into two directions: the first was a war by participating in major events, and the other was represented in defending the port and ports, and trade flourished in the ports.

-

Poetry and prose dealt with various topics that reflected the social and civilized life at the time, so the purpose of satire turned to a distinguished direction by mentioning the qualities and defects of the praised ones.

The poets, in the purpose of lamentation, used the inclusion of the Holy Qur’an and included the lament of friends, notables, loved ones, the soul, places, boys and maidservants, and even animals and furniture got their share of this literary color, emphasizing the inevitability of death, and the necessity of holding on to the solid rope of God.

The poets’ poems strived for the purpose of praise, and acquiring was his approach to those with influence and a prestigious position in the Almoravid society, so that they

would gain favor with the rulers. Among the most famous of the praised ones, we find two well-known political figures: Ibn Hamdeen and Ibn Zahr.

The methods of most of the poets have the purpose of description, touching the aspects of nature and civilized life. They crowded out traditional poetry for its purposes, and they were able to use new purposes that were not familiar to their predecessors, which is evidence of their ingenuity in systems, and simplicity and ease were adopted in order to facilitate their preservation and circulation.

The prolific literary production reflected the personality of the Almoravid writer who was saturated with culture

Oriental and imbued with factors of creativity and brilliance.

Al-Mourabitoun reached a great amount of sophistication and sophistication in building and construction, which was unique from others and reflects their distinguished personality with simplicity and full of the spirit of the teachings of the Islamic religion.

Finally, I do not claim that I have reached the degree of perfection in this study, for perfection is for God alone; These findings are only an open beginning for further studies, and I hope that researchers will benefit from them







مجلّة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة

Revue Académique Trimestrielle Indexée

العدد الرابع و الخمسون 2021 الثلاثي الثاني

54

العدد 54

2021

المجلس الأعلى للّغة العربيّة - الجزائر

منصات الاعتماد

ASJP Algerian Scientific Journal Platform

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية Naif Arab University for Security Sciences

cerist

مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud - Casablanca

AraBase قاعدة معلومات اللغة والأدب

المنهل ALMANHAL

العبيكان الرقمية Obeikan DIGITAL LIBRARY

ISC Islamic World Science Citation Center

المجلس الأعلى للغة العربية

العنوان : 52،شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر

الهاتف : 16/17 07 23 21 213+ النّاسوخ : 07 07 23 21 213+

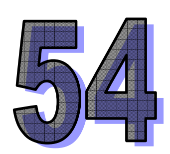
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



مجلّة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة



العدد الرّابع والخمسون



الإيداع القانوني	EISSN	ر.د.م.م
7/20 02	6545-2600	1112.3575

اَللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

شروط النّشر:

- ✓ تنشر المجلّة المقالات الرّصينة، ذات العلاقة بقضايا اللّغة العربيّة ومجالاتها؛
- ✓ تُكتب المقالات باللّغة العربيّة، وتلحق بملخّصين أحدهما باللّغة العربيّة وآخرهما باللّغة الإنكليزيّة؛
- ✓ تخضع المقالات للمنهجيّة العلميّة الأكاديميّة، وتهمّش آليا في آخر المقالة؛
- ✓ تخضع المقالات للتّحكيم العلميّ؛
- ✓ يلتزم صاحب المقالة بالتّعديل في الآجال المحدّدة، إن طُلِبَ منه ذلك؛
- ✓ تُكتب المقالة بخط Simplified Arabic ببنط 14 في المتن و12 في الهوامش، وترسل على البريد الإلكتروني للمجلّة الموضّح أدناه؛
- ✓ يكون حجم المقالة بين 3000 و5000 كلمة؛
- ✓ ألاّ تكون المقالة قد نشرت من قبل، ولا مستلّة من مذكّرة أو أطروحة جامعيّة؛
- ✓ يتسلّم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذّي نشرت فيه مقالتّه؛
- ✓ تُرفق المقالة بسيرة علميّة موجزة عن الباحث؛
- ✓ لا تعبّر المقالات المنشورة بالضّرورة عن رأي المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

للاتّصال

madjaletalarabia@gmail.com

asjp.cerist.dz

الهاتف: 00213 2123 07 16 – **النّاسوخ:** 00213 2123 07 17

المراسلة: مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة

شارع فرنكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر

محتويات العدد

كلمة في حقّ مجلّة (اللغة العربيّة)

البروفيسور صالح بلعيد

رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

التعريف الرقمي للمقال: 10.33705/0114-023-002-001 DOI

إنّ مجلّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة والموسومة (اللغة العربيّة) لسان حال المجلس منذ التّأسيس **1999** إلى الآن **2021**، وقد عرفت مسارات تقويميّة أوصلتها إلى التّصنيف الدّولي، ونالت الانتشار في المنصّات الرّقميّة التّاليّة: المنهل+ المنظومة+ data base+ asjp+ cerist+ العبيكان... وصنّفت في الخانة (ج) في منصّة المجلات الوطنية المحكّمة (asjp) التّابعة للمديريّة العامّة للبحث العلميّ لوزارة التّعليم العاليّ للجمهوريّة الجزائريّة ولم يكن لها هذا التّصنيف إلاّ بقيمة ما تصدره من مقالات في مختلف فنّون اللغة العربيّة، وهذا ما أعطى لها زخما، ووصلت إلى العدد الخامس والخمسين (55). ومن خلالها نال الكثير من الأساتذة رتبة **الأستاذيّة** ومئات من الطّلبة العالقين وحلّت لهم مشاكل المناقشة.

إنّها مجلّة (اللغة العربيّة) التي عوّل عليها المجلس في أداء مهامه، وهي العمل على ازدهار اللغة العربيّة، وتعميم استعمالها في العلوم والتّقانات الحديثة والتّرجمة منها وإليها، وقد كانت في مستوى الحدث بما تقدّم من مقالات راقيات تعمل على سدّ النّقائص في مجال المصطلحات العلميّة، وتقديم دراسات علميّة ذات العلاقة بقيمة العربيّة في الدّاخل وفي الخارج.

وها هي مجلّة (اللغة العربيّة) تُسَوِّقُ منتوجها عبر أعدادها المتواليّة، وتلبّي مختلف فنون القول وتستهدف النّاطقين بها وغير النّاطقين في تلك المقالات التي تصدرها هيأة التّحرير، التي تحرص على الأهميّة العلميّة للمقالات التي تخضعها للتّقويم والتّقييم.

إنّها هيأة علميّة من المقامات العلميّة الجزائريّة، ومن الأسماء العلميّة اللاّمعة في البلاد العربيّة والأجنبيّة، والتي انمازت بصفات خدمة اللغة العربيّة في شتّى المجالات.

إنّها (اللغة العربيّة) التي تحرز على الصّدارة، وتنال الإقبال وتعرف الطّلب الذي لا نظير له، وهذا ما تكشفه الأعداد الأربعة السّنويّة بحجم كلّ واحد ينيف 600 صفحة. وإنّ الرّصيد الذي ينتظر النّشر يتجاوز ثلاثمئة (300) مقالة وهو رصيد كبير يخضع الآن للضّبط العلميّ الذي وضعته اللجنة العلميّة وتخضع هذه المقالات لمراحل ثلاث: القبول / التّعديل / الرّفض.

إنّها مجلّة (اللغة العربيّة) التي يصدرها تباعا المجلس الأعلى للّغة العربيّة وهو مؤسّسة غير ربحية، وضمن إطار سياسة وطنيّة، هي العمل على تعميم استعمال اللغة العربيّة في خريطة تخطيط السّياسة اللغويّة التي ارتأتها الدّولة الجزائريّة مع المؤسّسات ذات العلاقة، وهي الإعداد للنّهوض اللغويّ للعربيّ ونيل مقامها في الاستعمال العامّ بسياسة التّحبيب والتّرغيب وبالقوّة النّاعمة.

إنّها مجلّة (اللغة العربيّة) التي تفتح لكلّ البحثة والعاملين أبحاثهم لخدمة اللغة العربيّة؛ بتقديم أفكارهم من أجل أن تواصل الدّرب في مسار نيل مقام النّديّة مع اللغات الأمميّة، ويكون لها موقع متقدّم في خريطة اللغات في سنة 2050م. وهذا أمل الرّاغبين في تطوير خدمات مجلّة (اللغة العربيّة). وننتظر أفكاركم التّحسيسيّة، ولسان طالما يقول: **أعضدونا بتوجيهاتكم، وأنتجوا الأفكار لنصنع القرار.**

كلمة العدد

أ.د. عبد الله العشي

رئيس التحرير

التعريف الرقمي للمقال: 10.33705/0114-023-002-002 DOI

لا تكتفي اللغة بأن تكون مجرد أداة للتواصل الاجتماعي فحسب، بل تسعى لأن تكون وسيلة تعبير وتواصل وإبداع، فأي دور **للغة** في الجزائر، وهل تقوم بوظائفها المتعددة المنوطة بها تاريخيا، والمطلوبة منها حاضرا، والمتوقعة منها مستقبليا؟ المتأمل في حال اللغة عندنا يجدها خارج الفعل الثقافي؛ فما يدور حولها من جدل وصراع لا علاقة له بالثقافة ولا باللغة من حيث هي لغة لها بنية ونظام وقواعد وتاريخ وتحولات وعلاقات، بل كل ما يدور حولها هو نشاط سياسي وإيديولوجي يندرج في سياق فكرة الهوية وإشكالياتها التي علقت في التاريخ وما تزال عالقة، وبالتالي فإن المنتظر من هذا ليس تطوير اللغة بل إنتاج أفكار أخرى ذات طابع إيديولوجي عبر اللغة ومشكلاتها، اللغة هنا مجرد أرض تقع عليها الجدالات وليست محل نقاش علمي حقيقي.

ثم إن هذه اللغة أو اللغات (يمكن هنا أن نستخدم صيغة الجمع حتى نتمكن من التعبير عن فكرتنا) تقع جميعا خارج الحقيقة الاجتماعية ، بمعنى أنها ليست اللغة التي تولد مع الإنسان وتعيش معه في كل حالاته ومواقعه وتغيراته العمرية؛ فالعربية الفصحى يتعلمها الفرد تدريجيا مع العمر ولكن داخل المؤسسات التعليمية وليس داخل المجتمع، وتبقى هناك، رهينة المؤسسة محكومه بشروطها، ولا تجد لها مجالا اجتماعيا إلا في الحدود الضيقة، وتلك مشكلة تقف عائقا أمام الاستعمال الجيد لها في التعبير الدقيق والتواصل السليم، والفرنسية أيضا لغة تكتسب ليس من المجتمع كما هو الحال بالنسبة للغات الأصيلة الحقيقية، بل من المؤسسة، ومصيرها، نظريا، مثل مصير الفصحى، لولا أنها تجد ما يدعمها خارج اللغة لتصبح ذات سلطة في الإدارة والعمل، وبالتالي لغة طبقة تكتسب مواصفات الطبقية من تسلط واستعلاء

وليس لها مشروعية اجتماعية، أما اللغات المحلية ، فلكونها محكيات محدودة جغرافيا وبشريا، وتعيش خارج المؤسسات التعليمية، فهي تكتسب شرعيتها من حقيقتها الاجتماعية ، إذ تولد مع الإنسان وتصاحبه في مسار حياته كله، لكن بقاءها على هذا النحو يفرغها من إمكانيات متعددة وخاصة ما تعلق منها بمجالات الثقافة والإبداع، وأما العامية المحولة عن الفصحى، فهي تنوء أيضا بأعبائها ، وتفقد في كل يوم رصيدها المعجمي والدلالي وتفقد معهما رصيدها الرمزي والمعرفي والعاطفي والوطني، ولا ندري أحيانا أهي عربية ممزوجة بفرنسة أم فرنسية ممزوجة بعربية، أم لا هذه ولا تلك. كل هذه اللغات لا فاعلية لها لا على مستوى التواصل ولا على مستوى الإبداع والنشاط الثقافي، فبأي لغة يعبر ويتواصل ويعيش هذا الشعب، ألا يسير نحو نوع من فقدان اللغة، أو نوع من الخرس اللغوي؟

هناك، في المضمر العميق، نوع من الغضب الشبابي ينتج لغة هجينة لا تنتمي إلى أية لغة من تلك اللغات، لا معجم لها ولا بنية ولا تركيب ولا مجاز ولا حكمة وكأنها صرخة احتجاج عن هذا الثراء اللغوي العقيم، الموجود بلا فعالية والمفروض على المجتمع بلا مقابل ثقافي أو علمي.

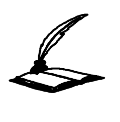
كانت العامية مصدرا من مصادر البلاغة والفن والإبداع، كما كانت العربية أيضا، بها كتبت أجمل القصائد في الحب والحكمة والمقاومة والنضال، ونافست الفصيح وتغلبت عليه، ثم، وبفعل أسباب وأسباب، بدأت في الانحسار والتراجع حتى لم تعد تفي بالغرض منها، لم يعد هناك من يستطيع أن يعبر بالعامية عن فكرة أو معنى أو شعور أو موقف، تراجعت بلاغتها وحكمتها فلم نعد نستمتع بها،ولا نتأثر بعمق خطابها، وغابت عنها تلك الكفاءة التي تتبع التفاصيل الدقيقة، فتسرد فكرة أو حدثا يأسر من يتابعه بمتعة واهتمام، ناهية عن أن تقوم هذه العامية بدور إعلامي أو تعليمي أو تفاوضي أو نحو ذلك من أنواع التخاطب التي تتطلب كفاءة خطابية أعلى، فلا أحد يمكن أن يعبر بالعامية دون أن يلجأ إلى مساعد لغوي أجنبي، بعض العاميات العربية لها من الكفاءة ما

يمكنها من التحاضر العلمي والثقافي بها، ناهيك عن بلاغتها في المسرح والسينما والتليفزيون والإذاعة.

كل اللغات المستعملة في الجزائر معاقة، حتى إنها أحيانا لا تصلح أن تكون لغة بالمعنى الراقي للغة ، فحين تصبح اللغة عاجزة عن التوصيل تصبح معاقة، وحين يكون نصف معجمها مستعارا تصبح معاقة، وحين لا يدعمها إبداع فني تصبح معاقة، فهل سنصل في يوم ما إلى نوع من الإعاقة اللغوية أم أننا نحن الآن فيها؟

من أين يبدأ إصلاح وضع لغوي كهذا؟ هل يتعلق الأمر بإصلاح لغوي، أم هو أمر يتعلق بإصلاح المؤسسات المسؤولة عن التعليم والإعلام ، أم هو أمر اجتماعي ينبغي فيه إعادة النظر في القيم التي يعيش عليها الأفراد في المجتمع، أم الأمر سياسي يتطلب نظاما له رؤية أشمل وأوسع تكون المسألة اللغوية جزء منه وحاضرة فيه، أم أن الأمر هو كل ذلك وأكثر من ذلك؟؟





امتزاج الأجناس البشريّة في عهد المرابطين والتجاوب بينها بين التأثير والتأثر

(The mixing of human races in the Almoravid era and their response between influence and impact)

بن عدلة شهرزاد *

تاريخ الاستلام: 29- 07- 2019 / تاريخ القبـــول: 21- 07- 2020

التعريف الرقمي للمقال: 10.33705/0114-023-002-006 DOI

ملخّص: إنّ المتتبّع للتّركيبة البشريّة للمجتمع المرابطي في الثّلث الأوّل من القرن الخامس الهجري، بعدوتي المغرب والأندلس يجدها كشكولا من الأجناس البشريّة مختلفة الدّين والعرق واللّغة انضوت تحت لواء المرابطين"، وقد تجلّت خريطة سكّان المغرب والأندلس إبّان الحقبة المرابطيّة في العنصر البربريّ الذّي شكّل معظم حواضر المغرب الأقصى، وبواديه على الخصوص، ثم يعقب العنصر العربي الذّي اتّخذ من المدن مستقرّا له كما نجد أقلّيات فكيف انضوت هذه الأجناس المختلفة تحت راية المرابطين وكيف استطاعوا التّعايش رغم اختلاف النّحل، وتعدّد الالسّن؟

كلمات مفتاحيّة: المرابطون؛ أجناس؛ طبقات؛ تآلف؛ اختلاف.

* ج. أبي بكر بلقايد، الجزائر، البريد الإلكتروني: benadlachahrazed@gmail.com (المؤلّف المرسل)

Abstract: The observer of the human composition of the Almoravid community in the first third of the fifth century AH finds it as a shackle of the different races of religion, race and language. "The map of the population of MAGHREB and Andalusia in the Almoravid era was evident in the Berber element, And its poles in particular, and then follow the Arab element, which was taken from the cities stable as we find minorities, how to join these different races under the banner Almoravid, and how they managed to coexist despite different bees, and multi-tongues?

Keywords: Almoravids; races; layers; coexistence; variation.

1. مقدّمة: شهد المغرب الأقصى حركة دينيّة في الثّلث الأوّل من القرن الخامس الهجري مثّلها المرابطون"، بعدوتي المغرب والأندلس، فأقاموا حضارة ولمع نجمهم في عدّة إنجازات لعلّ أبرزها "معركة الزّلاّقة" التّي أسهمت في شيوع خبرهم وإرساء دعائمهم بالمجال المتوسّطي والمتتبّع للتّركيبة البشريّة للمجتمع المرابطي يجدها كشكولا من الأجناس البشريّة مختلفة الدّين والعرق واللّغة انضوت تحت لواء المرابطين"، وقد تجلّت خريطة سكّان المغرب والأندلس إبّان الحقبة المرابطيّة في العنصر البربريّ الذّي شكّل معظم حواضر المغرب الأقصى، وبواديه على الخصوص، ثم يعقب العنصر العربي الذّي اتّخذ من المدن مستقرّا له كما نجد أقلّيات من الصّقالبة والرّوم والعنصر السّوداني والأتراك الغزّ وأهل الذّمّة من اليهود والنّصارى؛ فكيف انضوت هذه الأجناس المختلفة تحت راية المرابطين، وكيف استطاعوا التّعايش بينهم رغم اختلاف النّحل، وتعدّد الالسّن؟، الهدف من البحث معرفة مدى تآلف وتخالف الفئات المرابطيّة في ظلّ المرابطين، وهل انعكس ذلك الاختلاف على موازين القوى في الدّولة؟ أمّا المنهج المتبّع في البحث فتاريخي مناسب لطبيعة الموضوع.

1-2. التّركيب البشري للمرابطين:

2-1. البربر: شكّل عنصر البربر الغالبيّة العظمى من السّكّان، ففيهم نشأت الدّولة وفي حجرهم أينعت وأزهرت يحدّد ابن خلدون النّسابة قائلا: "وأمّا إلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضيّة فقد اختلف النّسّابون في ذلك اختلافا كثيرا وبحثوا فيه طويلا فقال بعضهم إنّهم من ولد إبراهيم عليه السّلام.. وقال آخرون: البربر يمنيّون (خلدون ع، 2000م -1421هـ).

أمّا "ابن حزم الأندلسي" فيذكر أصل نسبهم قائلا: " قال قوم أنّهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السّلام، وادّعت طوائف نسبهم إلى حمير، وبعضهم إلى برين قيس بن عيلان " (الأندلسي، ط5، دت، دار المعارف مصر).

إنّ شعوب البربر على حدّ تعبير "ابن خلدون" انقسموا إلى البتر والبرانس: " وأمّا شعوب هذا الجيل وبطونهم، فإنّ علماء النّسب متّفقون على أنّهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وماذغيس، ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابن برنس " (خلدون ع.، 2000م -1421هـ).

ذهب "غوتيه" إلى تفسير هذا التّصنيف انطلاقا من نمط العيش فالبرانس في نظرهم جبليّون مستقرّون والبتر رحّالة (FELIX-، 1973)، في حين فسّر آخرون المعنى لغويا كـ"ويليام مارسيه" الّذي قسّم البربر إلى طائفتيْن انطلاقا من اسم اللّباس أي البرنس الطّويل المخروطي، والبرنس القصير المبتور (زغلول، 1979م) وعموما رغم تضارب آراء الباحثين إلى أنّ البرانس والبتر في عصر المرابطين كانوا قد استقرّوا في أرض المغرب الأقصى-عامّة في المناطق السّاحليّة أو الجبليّة الممتدّة من على طول البحر، وعاشوا حياة الاستقرار وشدّوا وثيقا للأرض والزّراعة، وصفهم "ابن خلدون" في كتاب العبر (خلدون ع.، 2000م – 1421هـ، صفحة 179) أنّهم أوفر القبائل عددا، أمّا أغلب البتر فهم بدو رحل نزلوا بسلسلة الأوديّة الرّعويّة وانتشروا في أقاليم النّخيل حسب فصول السّنة بينما أقام بعضهم في القرى الصّحراويّة، يمتازون بروحهم القتاليّة العاليّة وامتداد قبائلهم عبر مناطق كبيرة بين المغرب الأقصى والأندلس (منصور، 1968).

2-2: القبائل الصّنهاجيّة:

أ-صنهاجة: من أبرز سكّان المغرب الأقصى-في العصر المرابطي قامت الدّولة بسواعد أبنائها؛ وفي هذا المضمار يشير "ابن خلدون" قائلا: " هذا القبيل من أوفر قبائل البربر وهي أكثر

أهل العرب بهذا العهد وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتّى لقد زعم كثير من النّاس أنّهم الثّلث من أمم البربر" (خلدون ع، 2000م – 1421هـ).

نُسب أصل "صنهاجة" في أغلب الآراء إلى قبيلة "حميَر" وهو ما أشار إليه "ابن عذارى" عن الهمذاني في كتابه "الإكليل": "أنّ صنهاجة من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير" (عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1980م)، وقد فخر المرابطون بهذا النّسب الطّيب كقول أبي محمّد بن حامد الكاتب:

قَوْمٌ لَهُمْ دَرْكُ العُلاَ مِنْ حِمْيَرَ وإنْ انْتَمَوْا صِنْهَاجَةَ فهُمْ هُمُ

لمّا حَوَوْا إحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَثَّمُوا

(عذارى، البيان المغرب في أخبار المغرب، 1980م)

ويوافق هذا الرّأي صاحب الحلل الموشيّة؛ إذ يقول: "إنّما تبربرت السّنتهم لمجاورتهم البربر ومكوثهم معهم ولمصاهرتهم إيّاهم (مجهول، الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة 1979م) (عذارى، ملحق1)" فظلّ الصّنهاجيون حتى العصر المرابطي أهمّ عنصر من عناصر السّكان في المغرب الأقصى-إذ لا يكاد قطر من أقطار يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتّى زعم النّاس أنّهم الثّلث من أمم البربر (خلدون ع، 2000م –1421هـ).

لقد ضمّت صنهاجة مجموعة من القبائل بلغ عددها السّبعين قبيلة (زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 1843م)؛

ومن هذه القبائل لمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة ومسراتة ومنداسة (خلدون ع 2000م – 1421هـ) وبما أنّنا بصدد دراسة عصر المرابطين فلاغرو من الحديث عن بعض القبائل التّي مثّلت عصب المرابطين وكبداية ندرج:

أ – قبيلة لمتونة: التّي حازت المكانة المرموقة بين القبائل الصّنهاجيّة، فكانت لها الزّعامة والسّيطرة على غيرها من القبائل (مجهول، الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة 1979م) – خاصّة أن الزّعيم الرّوحي للمرابطين "الشّيخ عبد الله بن ياسين اللّمتوني"، تفرّع منها، افتكّت الزّعامة من قبيلة جدالة فتمكّنت في هذا العهد من السّيطرة على المغرب الأقصى–والأندلس بزعامة عائلة "أبي تاشفين" حتّى انهيار الدّولة المرابطيّة (حسن

1980م)، تموقعت هذه القبيلة على حدّ تعبير الدّكتور حسن أحمد محمود : " امتدّت من منطقة تلى، منطقة لمطة وجزولة وتمتد من وادي نون على المحيط الأطلسي-حتّى رأس بوجادور الحاليّة وإلى الشّرق من وادي نون تقع مدينة أزكي على مسيرة سبعة أيام من وادي نون، وهي حصن لمتونة ومعقلها ويبدو أنّ هذه القبيلة توغّلت في الصّحراء شرقا حتّى تدرك الطّريق الموصل بين غانة وسجلماسة (محمود، قيام دولة المرابطين، 1959م)، ولاغرو أنّ هذا الزّحف والهيمنة مكنتهم من التّغلغل في المغرب، وقد امتهن اللّمتونيّون في أغلبهم الرّعي فعاشوا على لحوم الأغنام وألبانها حسب ما قاله صاحب الاستبصار: "ومن هذا الجبل يدخل إلى "لمتونة"، وهم من "صنهاجة" وأكثر "لمتونة" إنّما هم رحّالة، ولا يستقرّ بهم موضع ولا يعرفون الحرث ولا الزّرع ولا الخبز وإنّما لهم الأغنام الكثيرة فيعيشون من لبنها (مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، 1958م)، حتى عرف أمير المسلمين "يوسف ابن تاشفين" بنشأته البدويّة لباسه الصّوف، وطعامه خبز الشّعير ولحوم الإبل وألبانها (زرع الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس 1843م) (الخليفة ط1 2004م)، فلمّا تمكّنوا من بلوغ أرقى المناصب في دولة المرابطين، شاركوا في الحياة الاجتماعيّة، وتوسّعت أنشطتهم في ميادين الزّراعة والصّناعة والتّجارة (محمود قيام دولة المرابطين، د. ت)، وخاضوا غمار الأنشطة العسكريّة لإرساء دعائم الدّولة المرابطيّة في عدوتي المغرب والأندلس فلمع نجم كثير من القوّاد العسكريّين ونوّاب الأمراء والولاة (حسن، 1980م) أمثال: عمر بن سليمان، و"سير بن أبي بكر" و"داوود بن عائشة" و"تميم ابن يوسف بن تاشفين" (زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 1843م).

ب –جدالة: هي إحدى قبائل "صنهاجة" لا تختلف عن قبيلة "لمتونة" في كون أبنائها رحّل ينتجعون المراعي ويقيمون في الصّحراء (مجهول، الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة، 1979م) تمتدّ مضاربهم حتّى نهر السّنغال، وبرز دور جدالة في المرحلة الأولى من الدّعوة المرابطيّة حيث قام "يحيى بن إبراهيم الجدالي" باصطحاب "عبد الله بن ياسين" إلى قبائل الصّحراء لتعليمهم شئون دينهم (سالم ح. 1999م) وانتقلت الزّعامة إلى اللّمتونيّين وقد حافظت قبيلة "جدالة" على مكانتها المرموقة ضمن المجتمع المرابطي ونال بعض أفرادها حظوة المناصب العليا في هرم السّلطة وخاصّة في الجهاد (حسن، 1980م).

ج -لمطة: تعدّ من القبائل الصّنهاجيّة الـتّي تحتلّ المنطقة الممتدّة من جبال "درن" حتّى وادي النّول القريب من المحيط الأطلسي (حوقل، 1979م)، وسمّيت مدينة "نول" باسمها لأنّ قبيلة "لمطة" يسكنونها (الحميري، 1974م)، وحقّا عدّت القبائل السّالفة الذّكر عماد قوّة المرابطين وزحفهم من الجنوب وانطلاقهم صوب الشّمال واندمجت مع القبائل المقيمة بالمغرب الأقصى، أهمّها قبائل "مكناسة" و"مغراوة" و"بني يفرن"؛ لقد هاجرت هذه القبائل الصّنهاجيّة إلى "أغمات" تحت راية المرابطين ولمّا ضاقت الأرض بما رحبت قاموا بتأسيس مدينة "مراكش" لتمثّل عاصمة المرابطين (الزّهري دت)، وعُرف المغرب في تلك الحقبة تعميرا جديدا امتصّ موجة القبائل وغرس ثقافة الاستقرار في المدن يشوبها البناء والتّشييد (عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1980م) (الأندلسي، ط5، دت، دار المعارف مصر) وشمل التّعمير مدنا كثيرة مثل: "فاس" و"مكناسة" و"كسلا" والقصر (الإدريسي، 2002م) و"طنجة" و"ورغة" وممّا سبق يظهر جليّا أنّ صنهاجة شكّلت أهمّ عناصر سكّان المغرب وظلّت توطّد كيانها خلال فترة المرابطين في الشّمال لتشهد جوّ الاستقرار والتّشييد بدل التّنقّل بين الفينة والأخرى بين أنحاء الجنوب بحثا عن سبل العيش الذّي كان مقتصرا على الرّعي وتربيّة المواشي.

2-القبائل الزّناتيّة:

زناتة: هم فرع من البربر "البتر" تعود أصولهم حسب النّسابة إلى كنعان بن حام من أولاد جانا بن يحيى بن صولات بن مازيغ (الأندلسي، ط5، دت، دار المعارف مصر)، ومن أشهر قبائل "زناتة": "بنومغراوة" الذّين يعدّون أوسع بطون زناتة وأشدّها بأسا وعليّة وأمّا "بنو يفرن" فهم أكثر القبائل الزّناتيّة شوكة (خلدون ع. 2000م -1421هـ) يضاف إليهم بنو وتاجن وبنو يلوما ...وبنوسنوس (حوقل 1979م) وقبائل مكناسة وجراوة وبنو توجين ومطماطة ومطغرة وصنيدة ومديونة ونفزاوة ولواتة وبنو راشد (الإدريسي-2002م)، لقد ذكر "ابن خلدون" أنّ زناتة قد استوطنت بلاد المغرب منذ عهود غابرة، وهي تضاهي القبائل العربيّة في اتّخاذ الخيام سكنا والإبل والخيل مركبا لها قال: "هذا الجيل في المغرب قديم العهد معروف العين والأثر وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتّخاذ الإبل وركوب الخيل والتّغلّب في الأرض وإيلاف الرّحلتين" (خلدون ع. 2000م -1421هـ). ويرجع نسب "زناتة" حسب رأي الجغرافي "الإدريسي" إلى أصول عربيّة تبربروا بالمجاورة: "

زناتـة في أوّل نسـبهم عـرب صـرح وإنّمـا تبربـروا بالمجـاورة والمحالفـة للبربـر مـن المصـاميد "أمّـا الخاصّيّة الـتّي تمـيّز "زناتـة" عـن غيرهـا مـن القبائـل الأخـرى تتجلّـى في اعتمادهـا الـدّائم علـى التّنقّل والتّرحال (الإدريسي 2002م) وتعدّ أكثر القبائل البربريّـة قابليّـة للتّعريـب لاحتكاكهم بالعرب على حدّ تعبير الـدّكتور إبراهيم حركات (حركات، 1965م) أمّا المنـاطق الـتّي اتّخـذتها زناتة مستقرّا لها ففي النّواحي الشّـماليّة والشّـرقيّة خاصّـة تلمسـان (البكـري، د.ت) وضـواحي تامسنا (الإدريسي، 2002م) إلى حين وصولهم إلى سلا وتادلا وأغمـات وفـاس وتـازا فاتّخـذوها مواطنا لهم (بوتشيش، 1997م) ولم تفرّق الجبال الوعرة ولا المسـالك الضّـيّقة في المنحـدرات بين هؤلاء السّكان .

3-القبائل المستقرّة:

المصـامدة: علـى حسـب ابـن خلـدون تنتسـب إلى مصـمود بـن يـونس بـن بربـر (خلـدون ع 2000م -1421هـ) يعـدّون مـن أكـثر العناصـر "البرنسـيّة" يتمـيّزون بكـثرة عـددهم بالنّسـبة لمجمـوع سـكّان المغـرب الأقصى، فهـم أكـثر قبائـل البربـر وأوفـرهم (خلـدون ع. 2000م - 1421هـ)، يتمركـزون بجبـل "درن " و"غمـارة الرّيـف" و"بورغواطـة تامسـانا" وقـد اعتمـدوا علـى حيـاة الاسـتقرار، فاتّخـذوا المعاقـل والحصـون، وشـيّدوا المبـاني والقصـور وامتهنـوا فلاحـة الأرض، وتشـبّثوا بأراضـيهم أشـدّ تشـبّثا ؛فلـم يهجـروا المنـاطق الـتّي اتّخـذوها مسـتقرا لهـم ودافعوا عنها ضدّ محاولات الاستيلاء عليها (محمود، قيـام دولـة المرابطين، د. ت) والواقـع أنّ المرابطين وجدوا صعوبة في إخضاع قبائل المصامدة، ولم يتوغّلوا في جبـل درن إلاّ بعـد أن اختـبروا حـالهم وأدركـوا نقـاط ضـعفهم وعرفـوا الصّـراعات الـتّي كانـت تحـدث بيـنهم (عـذارى، البيـان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1980م).

ونستخلص أنّ "المصامدة" شكّلوا الفئة الأكثر قوّة وعـددا يتمركـزون في الجبـال والسّـهول رغم خضوعهم للحكم المركزي إلاّ أنّ المرابطين لم يتمكّنوا مـن إزاحـتهم عـن مـواطنهم الأصـليّة وإبعادهم عنها حاصروهم جيّـدا وشـدّدوا علـيهم الخنـاق لألاّ ينزلـوا إلى السّـهول في حـين أبـادوا "مصامد" و"تامسنا"، وحلّوا محلهم (الذّيـب، 2009م).

*** أمّا بربر الأندلس:** فيتكوّن هذا الصّنف من السّكان من قبائل "صنهاجة" اللّثام الذّين لبّوا دعوة ملوك الطّوائف لردع الخطر النّصراني؛ فأنزلوا قبائلهم في المدن والثّغور (موسى، 1983م).

وأمّا "المصامدة" و"زناتة" فقد عبروا الأندلس في سنة 515هـ بعد ثورة قرطبة لتهدئة الأمور لماكانت عليه من قبل (سالم ع، 1997م) (الدّقاق، 2003م)، وفي عام 535هـ نزح كثير من البربر نحو العدوة الأخرى لسبب تردّي الأوضاع السّياسيّة والأمنيّة في المغرب فتذمّر الأندلسيّون من هذه الهجرة وانجبس عن ذلك كلام شجّ أواصر العدوتين فقد وصفوهم بأصحاب النّكد، والشّؤم والدّمار عندهم هوان (المراكشي-ع، ط1، 2006م)، وإذا هم غضبوا قتلوا أوجرحوا (عبدون، 1955م) ولم يسلم البربر من الهجاء والقدح حتّى في أنسابهم على حدّ قول الشّاعر أبوبكر سهل بن يحيى بن سهل اليكي حين حط من قيمتهم:

فِي كُلِّ مَنْ رَبَطَ اللِّثَامَ دَنَاءَةً	وَلَوْ أنَّهُ يَعْلُو عَلَى كِيوَانِ
مَا لفَخْرٍ عِنْدَهُمْ سِوَى أنْ يَنْقُلُوا	مِنْ بَطْنِ زَانِيّةٍ لِظَهْرِ حِصَانِ
المُنتَمُونَ لِحمْيَرَلِكِنَّهُمْ	وَضَعُوا القُرُونَ مَوَاضِعَ التِّيجَانِ
لاَتَطْلُبَنَّ مُرَابِطًا ذَا عِفَّةٍ	وَاطْلُبْ شَعَاعَ النّارِفِي الغُدْرَانِ

(سعيد 1955م)

الشّاعر أشبع المرابطين وابلا من التّهم والشّتائم يندى لها الجبين؛ فقد مسّهم في شرفهم وفي هندامهم الذّي ضاهى قرون الحيوان، ينم عن الازدراء والاحتقار للعنصر المرابطي في عدوة الأندلس، ورغم كل ذلك إلاّ أنّ هذا لم يؤثر على سيرورة الأمور بين الجنسين في العدوتين، ولم يقطع الامتداد في علاقتي التّأثير والتّأثر بين ساكني العدوتين فسرعان ما عرفت انسيابا كبيرا.

ومن القبائل التّي استوطنت العدوة الأخرى نجد: نفزة ومكناسة اللتين اتّخذتا من قرطبة وبلاد الجلالقة موطنا لها، في حين كانت تقيم قبيلتا هوارة ومديونة بشنت بريّة أمّا بطون مصمودة فقد انتشرت في قرطبة والجزيرة الخضراء وماردة فالملاحظ أنّ الهجرة قد مسّت حواضر الأندلس الكبرى، وقد أمدنا "ابن حزم" بأسماء لقبائل بربريّة استقرّت بأنحاء الأندلس من الفتح مثل مصمودة وصنهاجة وهوارة وزناتة (الذّيب 2009م).

1- 1 العرب:

أ-عرب المغرب الأقصى: وهم العنصر الثّاني الذّي شارك البربر في الإقامة في المغرب منذ الفتح الإسلامي حيث ترك الفاتحون من يعلّم السّكان مبادئ الدّين، كما كان منفذا لولوج الهاربين من بطش الخلافة في المشرق (حسن، 1980م)، ومع إشراقة الدّولة المرابطيّة تقاطرت الأسر العربيّة على المغرب طلبا للأمن والاستقرار وتقلّد عدد هائل منهم المناصب الحسّاسة في ميدان القضاء والإدارة مثل "مالك بن وهيب" الذّي كان وزيرا عربيّا أندلسيّا (الذّيب، 2009م)، وقد أسهموا كثيرا في الجهاد واختلطوا بالعرب (الذّيب 2009م).

ب -عرب الأندلس: إنّ «ابن حزم" الذّي عاش قريبا بفترة المرابطين خصّص كتابا كاملا لذكر القبائل العربيّة التّي استقرّت فيه، وأماكن إقامتها، **ومن** هؤلاء العرب نجد بني القليعي بقريّة صالحة قرب مالقة، وبني حمديس والأصبحيون بقرطبة وبنوهذيل في تدمير وبنوزهرة في إشبيليّة ...كما كتب ابن الأغلب في نفس المجال كتاب فرحة الأنفس (الذّيب 2009م).

3 -المولّدون: المولّدون هم الجنس الثّالث بعد البربر والعرب، وهم السّكان الأصليّون الذّين انحدروا من أصل إسباني واعتنقوا الإسلام، ولدوا من أب مسلم فنشئوا على الدّيانة الإسلاميّة وتعود أصولهم إلى الرّوم والجلالقة، والقشتاليين والأراغونيين ومنهم من كان من اليهود الذّين استقرّوا في الأندلس قبل فتحها (النّوش 1992م).

لوحظ على المولدين قوّة نفوذ وثراء عريض لسبب المهن التّي مارسوها كتربيّة المواشي والزّراعة في الأرياف، وصيد الأسماك وأمّا في المدن فقد اشتغلوا بالتّجارة كما زاولوا حرفا متعدّدة (مجهول، رؤيّة من خلال أشعار أندلسيين وأمثالهم الشّعبيّة 1998) من بين الإمارات التّي كانت إبّان المرابطين ثغر" بني هود" (بوتشيش 1997م) الذّين استوصى بهم خيرا "يوسف بن تاشفين" لابنه "عليّ"كما سنعرف ذلك في أوانه.

***أقليات أخرى:**

أ-الصّقالبة والرّوم : المقصود بهم سكّان البلاد المختلفة من بلغاريا إلى البحر الأدرياني (حوقل،1979م) أطلق عليهم عدّة نعوت تكرّر ذكرها في المصادر الأندلسيّة: منها الصّقالبة والفتيان والخلفاء والخُرس والخصيان والمجابيب وهناك من سمّاهم بأرستقراطيّة العبيد

(ميتز، 1957م) عمل هؤلاء على الخدمة في بلاط الملوك والخلفاء وأثرياء الأندلس قبيل المرابطين، وأمّا هؤلاء فقد سمّوهم " بالعلوج" أو "الرّوم" أو "الحشم" واختفت لفظة "الصّقالبة" على حدّ تعبير صاحب الحلل حين يتحدّث عن يوسف قائلا: "...وبعث إلى الأندلس فابتيع له بها جملة من الأعلاج... (مجهول الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة 1979م).

ب - السّودانيون: لقد اشترى يوسف ابن تاشفين عبيدا من السّودان بلغ عددهم نحو ألفي فارس (عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1980م) كما جنّد أربعة آلاف جندي في معركة الزّلاّقة (التّلمساني، 1968م) واعتمد ابنه "عليّ" على تقسيط عدد الجند السّودان، وتحمّل نفقات تجهيزه بالمال والسّلاح صدّا للمدّ الإسباني في الأندلس، فكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، يخرجون ذلك من أموالهم ففعلوا" (المراكشي ا. 1990م).

ج - أهل الذّمّة: وهم اليهود والنّصارى (بوتشيش، 1997م). أمّا النّصارى فقد كانت أقلّيات ضئيلة جدّا مقارنة بالفئات المشكّلة للمجتمع المغربي والتّي تدين بالنّصرانيّة، وتعاظم عددهم في أيام تاشفين ليصل عدد ما اصطحبه من المماليك النّصرانيّة زهاء أربعة آلاف مسيحي (مجهول، الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة، 1979م)، وفي سنة 519هـ تمّ نفي طائفة المعاهدين النّصارى من أهل الأندلس أو ما يُعرف باسم المستعربين " les Mozarabe" أو الذّين أرغموا على التّغريب وإجلائهم عن أوطانهم فنفذ العهد إلى جميع بلاد الأندلس بإجلاء المعاهدين إلى العدوة فاتّخذوا من "مراكش" و"سلا" و"مكناسة" مستقرّا لهم" (كربخال 1984م) وأخذ العدد يتنامى مع مرور الوقت لكثرة استخدامهم في الجيش حتّى وصل عددهم في عاصمة الدّولة لوحدها في أواخر أيّام المرابطين أربعة آلاف (مجهول الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة 1979م).

تقلّد المستعربون في الأندلس مقاليد ساميّة، قبيل المرابطين، فمنهم من شغل وظائف حكوميّة، ومنهم من امتهن المهن على غرار باقي الفئات الاجتماعيّة وقد استوطنوا غرناطة وإشبيليّة وبلنسيّة والبيرة وبطليوس وطركونة ومالقة فضلا عن استقرار بعضهم بالبوادي (مجهول، الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة 1979م)، وقد حرص المرابطون على

حفظ حقوق النّصارى والضّرب على أيدي كل من حاول المسّ بهم خاصّة في عهد علي بن يوسف (بلغيث، 2006م).

لقد شكّل اليهود فئة هامة من المجتمع باعتباره المورد الاقتصادي للمرابطين سواء عن طريق الجزيات والضّرائب، لأنّ باعهم كان طويلا في التّجارة منذ القدم فتعايشوا وتفاعلوا مع المسلمين بعدما فرضت الوحدة الجغرافيّة وظروف الحياة اليوميّة خصوصا في المعاملات التّجاريّة (الإدريسي، 2002م) لقد تنوّعت الوظائف اليهوديّة في عهد المرابطين حيث تولّوا جباية الضّرائب والكتابة ومهنا أخرى كالطّبّ (عذارى البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1980م) والهندسة، كما امتهنوا حرفا متنوّعة كصناعة القناديل وزخرفة المعادن (حسن 1980م) في حين اختصّ يهود سجلماسة بالبناء (سعيد، 1955م) إنّ التّعايش مع المسلمين كان سلميّا فدور اليهود كانت أحيانا ملاصقة للمساجد (الونشريسي-1991م) ولكنّ هذا لم ينف من وقوع مناوشات بينهم سرعان ما خبت نيرانها، مثلما ثارت العامّة على اليهود في قرطبة في عام 529هـ بسبب وجود جثّة من المسلمين في حيّ من أحيائهم ؛فاقتحموا ديارهم وانتهبوا أموالهم، وقتلوا عددا منهم (عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1980م).

نتيجة أحقاد دفينة كانت في نفوس النّاس، وطفحت بالحادثة فقد احتكروا التّجارة ومارسوا شتّى ألوان الخبث في منافسات غير شرعيّة وصلت حدّ القتل، ولقد كانت غرناطة تعجّ باليهود تغلغلوا في السّياسة منذ ملوك الطّوائف؛ فتذمّرت الرّعيّة المسلمة من ذلك فثارت ثائرتها، فاتّخذ المرابطون ضدّهم إجراءات تقيّد من تحرّكاتهم وتجعلهم تحت مراقبة الدّولة باستمرار، وفرض عليهم يوسف عام 464هـ ضرائب (حسن 1980م) لقد أخذهم المرابطون بشدّة، بدل النّفوذ والشّرف اللذين تمتّعا بهما إبّان فترة ملوك الطّوائف (مورينو، د ت).

كما عرف المجتمع المرابطي تنوّعا في الطّبقات نتيجة تغيّر الظّروف السّياسيّة والاقتصاديّة التّي مرّت بها عدوتي المغرب والأندلس.

وقد قسّمت فترة المرابطين إلى جيلين: أمّا الأوّل فكان محافظا على بداوته وبساطته في العيش، محافظا على تراثه الصّحراوي إلى جانب خشونته وبداوته وتقشّفه في الملبس والمأكل واقتصاره على نمط البساطة، فلبسوا الصّوف، وأكلوا الشّعير مع لبن الإبل ولحومها (زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، 1843م)

غير أنّ هذا التّقشّف في المأكل والملبس سرعان ما ولّى في عهد "علي بن تاشفين "إذ وسمت بعهد الحضارة والتّرف فأصبح التّألّق في اللّباس والمأكل (محمود، قيام دولة المرابطين 1959م)، وهذا ماورد في كتاب "الطّبيخ في المغرب والأندلس" بألوان مختلفة من المأكولات المتنوّعة والشّهيّة التّي جبل على أكلها الأمراء وذوو النّعمة (مجهول، الطّبيخ في المغرب والأندلس 1962م) وتفنّن الأمراء في الملبس مضاهين العبّاسيّين في اتّخاذ لون السّواد في ألبستهم التّي شملت اللّثم والغفائر القرمزيّة والعمائم ذات الذّوابات (عازي 1959م) وحلموا السّيوف المحلاة؛ فأصبح نوع اللثام يرمز إلى وضع اجتماعي متميّز (مجهول، الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة 1979م) كما اعتنوا بالعمارة والتّشييد عناية فائقة بالقصور والمنيات والمنيات ج منيّة وهي بيوت ريفيّة تقوم وسط جنان كثيرة عامرة (الخالق 1990م)، حتى وصلوا في أواخر العهد إلى مرحلة تحصيل ثمرات الملك على حدّ تعبير ابن خلدون : " ورجعوا إلى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فيبنون القصور...ويغرسون الرّياض ويستمتعون بأحوال الدّنيا (خلدون ع، 2005م)، فامتلأت القصور بالعبيد والخدم والإماء والجواري من الإفرنج والسّودان (عذارى البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب 1980م) وقد أغدق أمراء الثّغور عليهم الهدايا والجواهر النّفيسة والتّحف والذّخائر واليواقيت ورفيع الدّنانير (مجهول الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة 1979م)، وكان ثراء الأمراء الفاحش محطّ أنظار الشّعراء يلتمسون العطايا، والنّول خاصّة من عرفوا بجزل العطاء وبذخ البذل وبسط الأيدي (الزّقاق، د ت) وانحصرت القيادة السّياسيّة في عصر المرابطين "على قبيلة لمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم ...فكسبوا الأموال وملكوا رقاب الرّجال، وكثروا بكل مكان وساعدهم الوقت والزّمان وكثرت جموعهم وتوفّرت عساكرهم (مجهول، الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة، 1979م)".

اندمج هؤلاء الأمراء والسّادة في الحياة الاجتماعيّة في الأندلس، وتشرّبوا متعة الحياة وبهجتها ومسراتها فعاش الجيل الثّاني على حدّ تعبير الدّكتور "حسن أحمد محمود" حياة لا تختلف عن الحياة التّي كان ملوك الطّوائف يحيونها، وأسهم بعض الأمراء في مجالس الغناء واللّهو (محمود، قيام دولة المرابطين، 1959م)، واتّخذ الأمراء المرابطون وقوادهم من القصور الحسان منزلا لهم بعد تفنّن المهندسين في بنائها وزخرفتها ؛وهذا دليل قاطع على الثّراء والتّرف في عهدهم (الذّيب، 2009م) في حين أحصى ـ المقري عدد الدّور في القصر الكبير

بقرطبة لوحده أيام لمتونة والموحدين بأربعمائة دار ونيفا وثلاثين، وبلغ عدد ديار أهل الدّولة إذ ذاك ستّة آلاف وثلاثمائة دار (التّلمساني، 1968م).

ويبدو أنّ المناصب الكبرى كانت حكرا على أفراد البيت الحاكم من قبيلة لمتونة كي يضمن الحاكم ولاء هؤلاء الحكّام والوزراء، على حدّ تعبير ابن خلدون: في المرحلة الـتّي يشب فيها عود الدّولة ويشرع الأمراء في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضّبط ومباهاة الدّول وتنفيذ الأحكام، فالكاتب هو المعين لهم في هذه المرحلة، عليه فيكون أرباب الأقلام في هذه المرحلة أوسع جاها، وأعلا رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السّلطان مجلسا (خلدون ع 2005م).

لقد تجلّت حاجة الدّولة الماسّة للكتابة في ضرورة توجيه الأمر للرّعيّة وإرسال الرّسائل للملوك والسّهر على قوائم المستحقين للجزيّة والخراج، ومختلف الجبايات والمواريث وبيت المال، وما يتطلب ذلك من نقل للأخبار سواء في الحرب أم في السّلم عبر المراسلات وكذا ضبط مقدار الغنائم وتوزيعها، أمّا الولاة، فأتقنوا بناء القصور وتفننوا في المأكل والملبس، كما اتّخذوا الخدم والحشم والعبيد (المراكشي-ا. 2012م) وهذا ما يوحي بتأثرهم الكبير بالمدنيّة الحديثة للمرابطين بالأندلس (الصّنهاجي، 2011م).

لقد احتلّ الفقهاء في العهد المرابطي مكانتهم عاليّة ضمن طبقة خاصّة لأنّ الدّولة قامت على أسس دينيّة ودعوى إصلاحيّة، جعلت للفكر الدّيني وأهله مرتبة راقيّة ويتّضح ذلك جليّا منذ قيام دولتهم بعد تحالف فقهاء المالكيّة مع الأمراء المرابطين فاعتبروا بمثابة المنظرين الأساسيين لتوجّهات الدّولة (أعمال النّدوة الدّوليّة 1999م) وهذا ما أشار إليه صاحب المعجب في قوله : "ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدّته فعظم أمر الفقهاء ...وانصرفت وجوه النّاس إليهم فكثرت أموالهم، واتعست مكاسبهم (المراكشي-ع، ط1، 2006م) لقد تنوّعت بين شرائح المجتمع فمنهم التّجار والصّيارفة وأصحاب الحرف والمهن الحرّة كالأطباء والمهندسين وأصحاب الوظائف المتوسّطة، وحدّدها ابن باجة: "هي مجموعة النّاس الذّين يتصنعون ويطمسون حقيقتهم بارتداء الملابس الأنيقة فوق الملابس الباليّة للتقرّب من الكبراء، علّهم يصلون إلى مكانة الطّبقة الخاصّة (باجة، 1987م)، اعتبرها أسلم الطّبقات: " لأنّها لا تهتضم من دعة ولا ترمق من رفعة " (باجة، 1987م).

5. خاتمة: من أهمّ الملاحظات نجد:

1-ومهما تنوّعت الأجناس البشريّة واختلفت دياناتها ونحلها فلقد شكّلت عنصرا مرابطيا مميّزا استطاع التّأقلم مع مختلف الفئات.

2-تشكّل المجتمع المرابطي كأيّ مجتمع سابق أوّلا حق طبقة ثريّة وتمثّل الطّبقة الحاكمة التّي لم تخرج في تركيبها عن قبيلة لمتونة، وطبقات التّجاّر التّي تقلّ بقليل عن الأولى ثمّ العامّة التّي بدورها شكّلت فئات مختلفة من عامّة الشّعب مورس عليها الضّغط أحيانا بسبب الضّرائب ويسُر حالها في أحيان أخرى.

3-لم تثن المسالك الوعرة ولا الأجناس المختلفة من عرب وبربر وصقالبة وأتراك وأهل الذّمّة من التّحام الأجناس تحت لواء المرابطين.

4-تصاهر مختلف الأجناس فيما بينها تولّد عنها تنوّع في الّلغة والدّين والعادات والتّقّاليد.

5-لمع نجم اللمتونيين، فكانوا قوّادا ومسؤولين كبار في الدّولة ولم يخرج زمام الحكم المرابطي من مناصب عليا وجهاد عنهم.

6-استطاع المرابطون تعلم اللغة العربيّة وإتقانها والتّواصل مع الأندلسيين رغم اللهجات البربريّة المختلفة.

7-نلاحظ الأبيات التّي أدرجناها عن شاعر أشبع المرابطين وابلا من الشّتائم توحي بنزعة التّعصّب والتّعالي على العنصر المرابطي المعروف بالحياة البسيطة والبداوة في طريقة العيش.

حدثت مناوشات عدّة بين الأجناس المختلفة لكنّها لم تحتدم لتصل للفرقة بل بقيت كتلة واحدة إلى أن فرّقتها يد الموحّدين.